تاريخ
مختصر الدول

للعلامة غريغوريوس الملطي
المعروف بابن العبري
المتوفى سنة ٦٨٥ هـ

دار المسيرة
بيروت

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

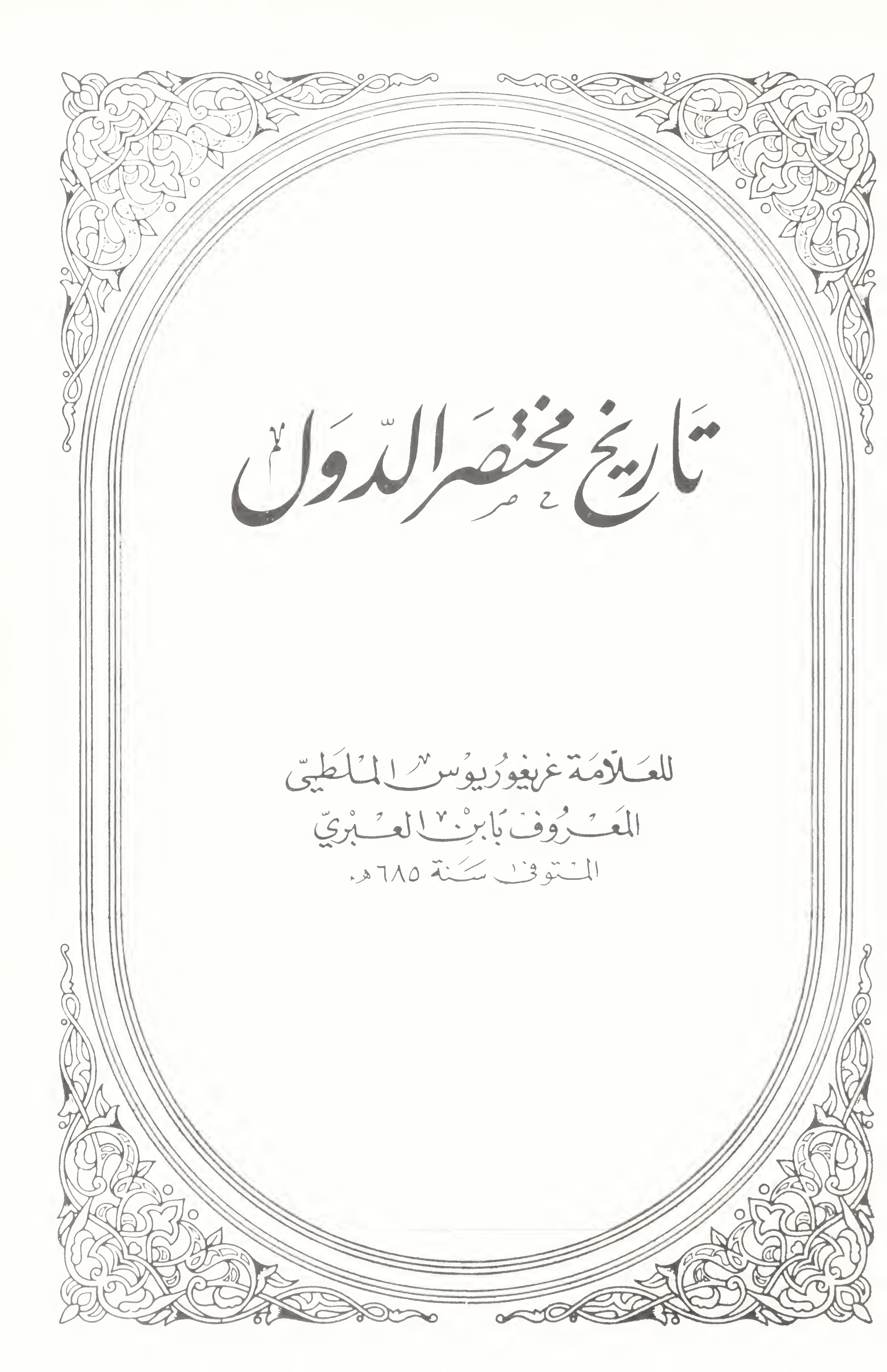
Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܩܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܩܕܡ ܒܝܡ̈ܐ
ܘܢܘܟܪܝܐ ܡܢ ܒܝܬ ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܒܩܐ ܕܢܗܘܐ ܢܟܠ ܐܘ
ܚܪܡ ܠܗ ܫܒܩܐ ܠܐ ܢܗܘܐ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܒܩܐ ܚܪܡ
ܚܪܡܘܗܝ ܒܚܕ ܕܢܦܩ ܠܗ ܠܒܘܟܪܐ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.



تاريخ مختصر الدول

للعلامة غريغوريوس الملطي
المعروف بابن العبري
المتوفى سنة ٦٨٥ هـ

مقدّمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي ضاق التاريخ عن احصاء نعمه . وفات ذرع الرواة وصف ما جاد خلقه من شآبيب كرمه .

وبعدُ فان مختصر تاريخ الدول لابي الفرج الملطي قد جمع اخبار الايام مع بلاغة في اختصار. وامتاز على جميع التواريخ بما يكثر سواد المقبلين عليه . ويوحي الى القلوب الاطمئنان اليه . فقد خلا عن كل ما لا يُحفَل به ولا عائدة منه.

وقد كان مؤلفه واسع الاطلاع متقناً لكثير من العلوم واللغات معروفاً بالبحث عن غَثِّ الاخبار وسمينها فروى كل ما روى عن خبرة وذكره على الهيئة التي وقعت . فكأنه اخذ صور الوقائع والسِيَر والتراجم على ضياء الشمس لا رسْم القلم .

وقد طُبع هذا التاريخ لاول مرة سنة ١٦٦٣ في مدينة أكسفُرد بالعربية واللاتينية بمراجعة العلاّمة پوكوك . ثم ترجمه بورِّ الى الالمانية سنة ١٧٨٣ . الا انه قد عزّ الآن وجود الطبعة الاولى. فاستفزّتنا محبة هذه البلاد الى اعادة طبع هذا التاريخ . فقابلنا النسخة التي في ايدينا بنسخة تكرَّم باعارتنا اياها العلامة رُسْت مدير مكتبة إنديا أُفِّس بلندن. وقد عنينا ايضاً بمقابلة قسم كبير من الكتاب بنسختَي أكسفرد ونسختَي المتحف البريطاني (بريتيش موزيوم) والنسخ الثلاث التي في باريس الوطنية . فتسنّى لنا ان نكمل ما كان من النقص في النسخة المطبوعة في أكسفرد .

ثم اننا لم نأل جهداً في مطالعة التواريخ الاسلامية التي كتبت هذه الوقائع مثل تاريخ الطبري والكامل لابن الاثير وتاريخ ابي الفداء وتاريخ ابن خلدون ومروج الذهب للمسعودي والآداب السلطانية للفخري وتاريخ الخميس وغيرها . ثم عارضنا هذا

المختصر العربي بالمطوّل السرياني لأبي الفرج نفسه وبكتب أخر . وقد علقنا في الذيل ما استصوبناه بعد جهد البحث وتكرار المقابلة .

ولتسهيل المطالعة اردفنا الكتاب بفهرس مرتب على حروف المعجم يشمل كل اسامي الاعلام والامكنة التي ورد ذكرها في الكتاب .

هذا ونسأل الله ان يأخذ بيدنا لنخدم الحق والعلم في هذه الآفاق خدمة صادقة يشهد لها حسن الاثر لا خدمة ينادي بها اللسان . ويشهد بمين صاحبها الزمان . والله يوفق كل من ينوي في العمل وجهه الكريم، ويتّجه اليه بقلب سليم.

قد اثبتنا في الحواشي بعض المرويّات وقفنا عليها في بعض النسخ . واليك تفسير الحروف المقتطعة :

س : تدلّ على ان ما هو بجانبها مأخوذ عن تاريخ الدول السرياني لنفس المؤلِّف .

ر : على رواية مختلفة عن التي في المتن .

ص : على ان ما بعدها هو الصواب .

ترجمة ابن العبريّ

هو غريغوريوس ابو الفرج بن اهرون المعروف بابن العبري ولد سنة ١٢٢٦ للمسيح.وكانت ولادته في مدينة ملَطية قاعدة ارمينية الصغرى . وكان ابوه وجيهاً في قومه نافذ الكلمة في اهل بلده كريماً على عشيرته . فلما آنس من غريغوريوس حذقاً ورأى منه ذكاء وفهماً دفعه من صغره الى تلقّي الآداب والتخرّج في العلوم التي كانت لأهل ذلك العصر . فجد الولد في الحفظ واقبل على ارتشاف سلافة العلم فدرس اوّلاً اليونانية والسريانية والعربية ثم اشتغل بالفلسفة واللاهوت وقرأ الطب على ابيه وغيره من مشاهير اطباء زمانه .

الاّ انه بينما كان عاكفاً على التحصيل جادًّا في الطب انثالت المصائب على بلاده انثيالاً وأفرغت النوائب افراغاً وتعاقب عليها الخراب من جانب المسلمين والفرنج والروم ثم من التاتار المغول الذين اسرفوا في القتل والنهب والسبي والحريق حتى لم يُسمع في التاريخ عن جهة من الارض انها أصيبت بمثل ما نزل بهذه البلاد من المخاوف والجوائح والمقاتل . وعندها فر به والده الى انطاكية وكان ذلك سنة ١٢٤٣ فاختار ابو الفرج هنالك طريقة الزهد والنسك وانفرد في مغارة بالبرية . فلما انتهى خبر فضله الى اغناطيوس سابا بطريرك شيعته خف لزيارته في تلك المغارة وابدى له غاية التجلة والتكريم . ولم يلبث غريغوريوس برهة في المغارة المشار اليها حتى شخص الى طرابلس الشام وأكمل قراءة البيان والطب مع رفيق له يسمى صليبا وجيه على عالم اسمه يعقوب من مذهب النساطرة .

وفي تلك الاثناء استدعاه البطريرك اغناطيوس سابا الى انطاكية ورقاه في العشرين من سنّه الى اسقفية جوباس من اعمال ملطية ونصب رفيقه اسقفاً على كنيسة عكاء وكان ذلك في ١٤ ايلول من شهور سنة ١٢٤٦. وما اكمل السنة في تدبير تلك الاسقفية حتى امر البطريرك بنقله الى اسقفية لاقبين وهي قريبة من جوباس فأقام على تدبير شؤونها سبع سنوات. وتوفي حينئذ بطريرك اليعقوبية فوقع الشقاق بين اساقفتهم على انتخاب خلف له وانقسموا في ذلك حزبين. وتحزب ابن العبري لديونيسيوس عنجور على يوحنا ابن المعدني فنقله ديونيسيوس الى اسقفية حلب سنة ١٢٥٣ الا ان الاحوال لم تمكنه من القبض على زمامها لان صليبا الذي تلقى الدروس معه في مدينة طرابلس، وكان قد اقامه يوحنا بن المعدني مفرياناً [1] على المشرق، حصّل من الملك الناصر صاحب حلب عهداً سلّطه به على الاسقفية المشار اليها. فاضطر غريغوريوس ان يلزم بيت ابيه الذي قد انتقل حديثاً الى حلب. ولما رأى ان لا سبيل الى الفوز برغيبته شخص الى دير برصوما بالقرب من ملطية واقام هنالك عند بطريركه سنة او سنتين. ثم قصد دمشق فحظي عند الملك الناصر ورفع مكانته واعاده الى كرسيه مكرّماً واعطاه ايضاً براءة للبطريرك ديونيسيوس يسلّطه بها على المشرق كما كان سلّطه على المغرب عزّ الدين صاحب الروم.

ولما كانت سنة ١٢٥٨ استولى المغول تحت قيادة هولاكو على بغداد وقتلوا الخليفة وانقرضت دولة العباسيين فعم الخراب والدمار جميع بلاد ما بين النهرين وسورية. ثم خرجوا بالجيش على حلب فسار ابن العبري الى هولاكو ليستعطفه على رعيته ولكن الجند قد توغلوا في المدينة وقتلوا من الروم واليعاقبة مقتلة كبيرة.

وفي سنة ١٢٦٤ انتخبه البطريرك الجديد اغناطيوس الثالث مفرياناً على جهات الشرق اي نواحي ما بين النهرين الشرقية والعراق العجمي واشور وكانت تلك الجهات قد حرمت هذا المنصب مدة ست سنوات بسبب توالي الحروب وتتابع الوقائع. وجرت حفلة اقامته على ذلك المقام في التاسع عشر من كانون الثاني في مدينة سيس مباءة الملك بقيليقية وشهد تلك الحفلــة جميع اساقفة اليعاقبة وحاتم ملك الارمن واولاده وعظماؤه وجمهور غير يسير من الشعب مع اساقفة الارمن وعلمائهم. وكان اوّل ما اهتم به انه سار الى هولاكو ايلخان ملك المغول فأنعم عليه بثلاث براءات واحــدة له واخرى

---

١ – مفريان من السرياني ومعناها المثمر . وكان منصب المفريان عند اليعاقبة من اكبر المناصب بعد البطريركية وتحت رئاسته عدد من الاساقفة له عليهم ملء السلطان مثل ما للبطريرك على اساقفته .

للبطريرك والثالثة لاسقف قيسرية قبادوقية اليعقوبي. ومن ذلك الحين اخذ يتجول في اسقفيته المتسعة ويقوم بمهام منصبه ويسعى فيما يؤول الى نجاح رعيته ويدأب في خيرهم حتى استتبت لهم الراحة التامة وشملهم الأمن فحسدهم سكان البطريركية في سورية وارمينية وقيليقية. وقد اتى في مفريانيته اعمالاً خطيرة جداً وآثاراً مشكورة اذ عُني بانشاء وتجديد كنائس واديار كثيرة واقام اثني عشر اسقفاً اختارهم ممن تميزوا بالعلم وحسن السيرة .

وعُمّر ابو الفرج ستين سنة وتوفي في ليلة الثلاثاء في الثلاثين من تموز سنة ١٢٨٦ في مدينة مراغة من اعمال اذربيجان وكان قد إنتقل اليها منذ برهة من الموصل . فلم يقتصر جماعة اليعاقبة القليلة في تلك المدينة على الاحتفال بمأتمه بل شاركهم في ذلك النساطرة والارمن والروم على ما اخبر به اخوه برصوما .

كان ابو الفرج على بدعة اليعقوبية الذين يعتقدون طبيعة واحدة في السيد المسيح. ولكنك اذا طالعت قوله في قانون الايمان: « ان في سيدنا يسوع المسيح طبيعتين هما اللاهوت والناسوت . وان اتحاد لاهوته مع ناسوته عجيب لا يستطاع وصفه وهو من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تغيُّر ولا تحوُّل مع سلامة الفرق بين الطبيعتين في ابن واحد ومسيح واحد » حسبته كاثوليكياً بحتاً . الا انه لم يلبث ان ناقض اعتقاده بقوله: « ذات واحدة وشخص واحد واقنوم واحد ومشيئة واحدة وقوة واحدة وعمل واحد » . ومن هنا تعلم انه كان يقول بمذهب المشيئة الواحدة فوق مذهب الطبيعة الواحدة . وقد حاول اثبات معتقده هذا في كتاب له سماه منارة الاقداس . وخالف في الكتاب نفسه اعتقاد كنيسته بقوله: ان الروح القدس غير منبثق من الابن .

وكان ابن العبري رجل كد وعمل لم ينقطع حياته كلها عن المطالعة والتأليف فانه ألف ما يزيد على الثلاثين كتاباً بالعربية والسريانية ذكر العلامة السمعاني اسماءهـا ووصف اربعة عشر منها في المجلد الثاني من المكتبة الشرقية من صفحة ٢٦٨ الى ٣٢١ ومنها يتبين انه اشتغل بجميع اصناف العلوم الادبية اذ انه كتب في المسائل اللاهوتية وشرح الكتاب المقدس والشرع الكنائسي والمدني والفلسفة وعلم الهيئة والطب والتاريخ والنحو والشعر والفكاهيات .

اما تأليفه لكتاب تاريخ الدول هذا فروى اخوه برصوما انه لما فشت التعديات في نواحي نينوى ألحّ عليه في الانتقال الى مراغة. ومن حيث انه كان هناك مكرّماً من خاصة

الناس وعامتهم تقدم اليه بعض وجهاء العرب في ان ينقل الى اللغة العربية كتاب التاريخ الذي ألفه في السرياني . فلبى طلبتهم واقبل على العمل فأتمه الآ بعض صفحات في نحو شهر بانشاءٍ على جانب من التهذيب والفصاحة . وكان نقله لهذا التاريخ في اواخر حياته وقد ضمنه اموراً كثيرة لا توجد في المطول السرياني ولا سيما فيما يتعلق بدولتَي الاسلام والمغول وتراجم العلماء والاطباء .

وكان ابو الفرج مع كثرة علومه ماهراً في جميعها متقناً لكلها غير مكتفٍ بنُتف منها. وكان من المنشئين المجيدين في العربية ؛ اما في السريانية فانه من اكابر كتبتها المبرزين ولذلك سماه العلامة السمعاني امير الكتبة اليعاقبة . واذا نظرت الى خبرته في كثير من العلوم ايقنت انه كان اعلم واعلى جميع السريان الذين اشتهروا بالمعارف .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال مولانا وسيدنا الاب القديس . الطاهر النفيس . العالم العلامة .
ملك العلماء . افضل الفضلاء . قدوة الزمان . فريد الوقت
والاوان . افتخار اهل الفضل والحكمة . المفريان
المؤيَّد ماركريغوريوس ابو الفرج ابن الحكيم
الفاضل اهرون المتطبِّب الملطيّ تغمده
الله برحمته

الحمد لله الاول بلا بداية والآخر بلا نهاية ، ذي الكلمة الاحدية ، والحياة الابدية ، معبود العلّيّين في الآفاق ، ومسجود السّفليّين في الاعماق ، والسلام على ملائكته المقرَّبين ، وانبيائه المرشدين الى طاعة الله وتقواه ، والسلوك في حفظ مذاهبه ورضاه .

وبعدُ فهذا مختصر في الدول قصدت في اختصاره الاقتصارَ على بعض ما أوتي في ذكره اقتصاصُ احدى فائدتَي الترغيب والترهيب من امور الحكام والحكماء خيرها وشرّها على سبيل الالتقاط من الكتب الموضوعة في هذا الفن بلغات مختلفة سريانية وعربية وغيرها مبتدئاً من اول الخليقة ومنتهياً الى زماننا . وهو مرتَّب على عشر دول داولها الله تعالى بين الامم فتداولتها تداولاً بعد تداول .

الدولة الاولى: دولة الاولياء من آدم اول البرنسا[1] اي الناس .

---

[1] – برنسا معرب ܒܪܢܫܐ بالسريانية .

الدولة الثانية : الدولة المنتقلة من الاولياء الى القضاة قضاة بني اسرائيل .
الدولة الثالثة : الدولة المنتقلة من قضاة بني اسرائيل الى ملوكهم .
الدولة الرابعة : الدولة المنتقلة من ملوك بني اسرائيل الى ملوك الكلدانيين .
الدولة الخامسة : الدولة المنتقلة من ملوك الكلدانيين الى ملوك المجوس .
الدولة السادسة : الدولة المنتقلة من ملوك المجوس الى ملوك اليونانيين الوثنيين.
الدولة السابعة : الدولة المنتقلة من ملوك اليونانيين الوثنيين الى ملوك الافرنج [1].
الدولة الثامنة : الدولة المنتقلة من ملوك الافرنج الى ملوك اليونانيين المتنصّرين .
الدولة التاسعة : الدولة المنتقلة من ملوك اليونانيين المتنصرين الى ملوك العرب المسلمين.
الدولة العاشرة : الدولة المنتقلة من ملوك العرب المسلمين الى ملوك المغول .

---

١ – يريد بملوك الافرنج ملوك الرومانيين .

الدولة الاولى
للأولياء قبل الدخول إلى أرض الميعاد

قال من عُني بأخبار الامم وبحث عن سيَر الاجيال ان اصول الامم من سالف الدهر سبعة: الفرس والكلدانيون واليونانيون والقبط والترك والهند والصين. ثم تفرّع كل واحدة من هذه الامم الى امم وتشعبت اللغات وتباينت الاديان. وكانوا جميعاً صابئة يعبدون الاصنام تمثيلاً للجواهر العلوية والاشخاص الفلكية. وهم على كثرة فرقهم وتخالف مذاهبهم طبقتان: طبقة عنيت بالعلوم كالكلدانيين والفرس وسائر من يأتي ذكره في موضعه، وطبقة لم تُعنَ بهذا كأهــل الصين والترك والصقالبة والبرابر والحبشة ومن اتصل بهم.

اما الصين فأكثر الامم عدداً وافخمهم مملكة واوسعهم دياراً، ومساكنهم محيطة باقصى مشارق المعمورة ما بين خط الاستواء الى اقصى الاقاليم السبعة في الشمال وحظهم من المعرفة التي بزّوا فيها سائر الامم اتقان الصنائع العملية واحكام المهن التصويرية. واما الترك فأمة كثيرة العدد ايضاً فخمة المملكة وفضيلتهم التي برعوا فيها معاناة الحروب ومعالجة آلاتها. فهم احذق الناس بالفروسية وابصرهم بالطعن والضرب والرماية. واما سائر هذه الطبقة التي لم تُعنَ بالعلوم فهم اشبه بالبهائم منهم بالناس، لان من كان موغلاً في الشمال فافراط بُعد الشمس عن مسامتة رؤوسهم برّد امزجتهم وفجّج اخلاقهم فعظمت ابدانهم وابيضت الوانهم واستدلت شعورهم فعدموا بهذا دقة الافهام وثقوب الخواطر فغلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم الغيّ والغباوة كالصقالبة ومجاوريهم. ومن كان منهم قريباً من معدّل النهار وخلفه الى نهاية المعمورة في الجنوب لطول مقاربة

الشمس رؤوسهم سخنت امزجتهم واحترقت اخلاطهم فاسودت الوانهم وتفلفلت شعورهم فعدموا بهذا الاناة وثبوت البصائر كالحبشة وباقي السودان الا الهند فان الله قد فضلهم على كثير من السمر والبيض وهم معدن الحكمة وينبوع العدل الا انهم يُثبتون أزل العالم ويُبطلون النبوّات ويحرمون ذبح الحيوان ويمنعون ايلامه.

(آدم) ابو البشر خلق يوم العَروبة [١] سادس الشهر الاول وهو نيسان سنة احدى للعالم بعد ان خلق الله تعالى في يوم الاحد وهو اول نيسان السماءَ العليا اي الفلك التاسع المتحرك بالحركة الاولى من المشرق الى المغرب والارضَ وتسعَ مراتب الملائكة والنورَ والاركان الاربعة . وخلق تعالى في يوم الاثنين الرقيع وهو السماء الدنيا اي الفلك الثامن وما في ضمنه من الارقعة السبع المتحركة بالحركة الثانية من المغرب الى المشرق . وفي يوم الثلثاء امر الله تعالى الماء فاجتمع الى مكان واحد صائراً بحراً وأُظهرت الارض منبتة عشباً واشجاراً مثمرة وغير مثمرة . وفي يوم الاربعاء قال عزّ من قائل: لتكن مصابيح اي كواكب في علو الرقيع للفصل بين الليل والنهار ولدلالات الاوقات والايام والاعوام فرُصّعت الثوابت بالفلك الثامن [٢] والنيّران والخمسة المتحيّرة كل بفلكه واستولت الشمس على سلطان النهار واستولى القمر على سلطان الليل وبقي الفلك التاسع وحده متطلّساً . وفي يوم الخميس خلق الله تعالى التنانين العظام وكل نفس متحركة في الماء وكل طائر ذي جناح . وفي يوم الجمعة امر الله تعالى الارض فأخرجت انفساً حيوانية بهائم وسباعاً وحشرات . ثم خاطب ملائكته [٣] قائلاً : هلمّوا نخلق انساناً بصورتنا ومثالنا عارفاً بالخير والشر مستطيعاً لفعلهما . فظهرت يمين مبسوطة فيها اجزاء من العناصر الاربع ونفخ فيها نسيم الحياة فوُجد آدم شاباً . ثم القى الله عليه الرقاد وانتزع احدى اضلاعه من جنبه الايمن وخلق منها حواء ام البشر واسكنهما فردوس عدن وهو الجنة ومستقرها نحو المشرق واباحهما الأكل من جميع ثمار الجنة خلا شجرة معرفة الخير والشر . وأردف ذلك يوم السبت فلم يخلق فيه شيئاً .

---

١ – اي يوم الجمعة .

٢ – هذا بحسب مذهب اهل عصره . اما الآن فقد اثبت الفلكيون ان الكواكب ليست مرصعة بالافلاك. وقرر الكيماويون ان الاركان اكثر من اربعة كثيراً.

٣ – اتفق جمهور المفسرين على ان الله لم يقل لملائكته هذا الكلام بل قاله لذاته الالهية جل جلالها واستدلوا به على وجود الاقانيم الثلثة في وحدانية الطبيعة .

ومن علمائنا مار غريغوريوس النوسويّ ويعقوب الرهاويّ [١] يزعمان ان جميع المخلوقات انما وجدت في آن واحد [٢] والكتاب الالهي انما خصص كون كل كائن بيوم لتعليمنا حسن الترتيب في الامور وان الله غير موجب بالذات بل فاعل بالاختيار له ان يبرأ ما شاء متى شاء .

وكان آدم وحواء عاريَين بغير لباس ولم يستحِ احدهما من الآخر حتى دخل الشيطان في الحية وخدعت حواء فأكلت من الثمرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها واعطت ايضاً آدم بعلها فأكل. فانفتحت اعين قلبيهما وأحسا بالعُري فاستحيا واتّزرا بورق التين وأُهبط بهما من جنة عدن الى الارض على تسع ساعات من نهار الجمعة وكانت خلقتهما في الساعة الاولى [٣] من هذا النهار بعينه .

وقد اختلفت علماؤنا في امر الثمرة المنهي عنها [٤] فقال قوم انها البُرّ وقال آخرون انها العنب وقال الاكثرون انها التين وغريغوريوس النوسويّ يزعم انها رمز الى القوة الشهوانية والنازينزيّ يرى انها رمز الى المراء في ذات الله وصفاته .

وعلى رأي مار ثوديوس [٥] بعد ثلثين سنة للانتفاء من الجنة باشر آدم حواء فولدت قايين وقليميا اخته توأمين . وبعد ثلثين اخرى غشيها فولدت هابيل ولبوذا اخته توأمين . وبعد سبعين سنة اخرى حاول آدم تزويج كل واحد منهما بتوأمة اخيه . فأبى قايين طالباً توأمته ولاجل ذلك قرب قرباناً من ثمار ارضه لكونه فلاحاً فلم يُقبل لفساد طريقته. ورفع هابيل قرباناً من ابكار غنمه لكونه راعياً فقُبل لحسن سيرته. فأسرّ قايين عداوة اخيه فقتله غيلة واستوطن ارض نوذ [٦] الخارجة عن حدود ولد ابيه. وحزن آدم على هابيل مائة سنة . ثم عاد مفضياً الى حواء فولدت شيث والماضي من عمر آدم يومئذ على رأي

---

١ – الرهاوي نسبة الى الرها (Édesse) مدينة بالجزيرة كانت تسمى في عهد السلوقيين(Καλλιῤῥοη) وتأويلها الينبوع الحسن . فاختصر السريان هذا اللفظ وقالوا : (ܐܘܪܗܝ) واخذه عنهم العرب وقالوا الرها . وتسمى اليوم اورفا .

٢ – وجود المخلوقات في آن واحد يراد به على الصحيح ان الله اوجد المادة اولا ثم كون منها سائر المخلوقات في الستة الايام المذكورة في الكتاب المقدس . اما هذه الايام الستة فرأي اكثر العلماء انها ليست اياماً من مطلع الشمس الى مطلعها بل هي مدات طوال جداً .

٣ – ساعة خلق آدم وحواء وساعة طردهما أمر لا يعلمه الا الله .

٤ – لا يتصل احد الى معرفة الثمرة المنهي عنها أهي من البر او التين او غيرهما . ولكن الرأي الصحيح عند جمهور المفسرين انها ثمرة حقيقية . اما كون القصة رمزاً فهو مردود .

٥ – مار ثوديوس ر ثوذيوس س ܡܬܘܕܝܘܣ متوديوس.

٦ – نوذ ر نون .

الاثنين والسبعين حبراً الذين نقلوا التوراة وكتب الانبياء لبطليموس ملك مصر قبل مجيء السيد المسيح لذكره التبجيل كما سيأتي شرح ذلك في موضعه مائتان وثلثون سنة . وعلى رأي التوراة التي بأيدي اليهود بعد مجيئه مائة وثلثون سنة . وجميع ايام آدم على الرأيين تسعمائة وثلثون سنة .

(شيث بن آدم) يقال انه اول من ابتدع الكتابة وشوق ولده الى الحياة السعيدة التي كانت لابويه في الجنة فانقطعوا الى جبل حرمون [١] متعكفين على العبادة والنسك والعفّة لا يطورون بجنبة النساء . فسمُّوا بذلك بنو ألوهيم اي الاله. وأولد شيث انوش وله حينئذٍ [٢] على الرأي السبعينيّ مائتان وخمس سنين وعلى رأي اليهود مائة وخمس سنين [٣] وجميع ايامه على الرأيين تسعمائة واثنتا عشرة سنة .

(انوش بن شيث) يقال هو اول من دعا اسم الرب ومنحه الله تعالى معرفة الاكوان ومسير الكواكب وهو وان لم يجانب النساء لم يغفل التقرُّب الى الله زُلفى. وأولد قينان ابنه وله يومئذ على الرأي السبعيني مائة وتسعون سنة وعلى رأي اليهود تسعون سنة وجميع ايامه على الرأيين تسعمائة وخمس سنين .

(قينان بن انوش) ولد له مهلالايل وعمره على الرأي السبعيني مائة وسبعون سنة وعلى رأي اليهود سبعون سنة وجميع ايامه على الرأيين تسعمائة وعشر سنين [٤] .

(مهلالايل بن قينان) ولد له يرد وعمره على الرأي السبعيني مائة وخمس وستون سنة وعلى رأي اليهود خمس وستون سنة وجميع ايامه على الرأيين ثمانمائة وخمس وتسعون سنة .

(يرد بن مهلالايل) ولد له حنوخ [٥] وعمره على الرأيين جميعاً مائة واثنتان وستون سنة وجميع ايامه تسعمائة واثنتان وستون سنة . وفي سنة اربعين ليرد هبط بنو ألوهيم من جبل

١ — وفي نسخة الى الجبل جبل مريرة .

٢ — حينئذٍ ر يومئذٍ .

٣ — لا يخفى ان ما بين النسخة العبرانية والسامرية والسبعينية اختلافاً من جهة عدد السنين. ولا عجب في ذلك اذا لاحظنا طريقة العبرانيين فانهم كانوا يؤرخون مثل العرب بالحروف الهجائية وهو الحساب المعروف بحساب الجمل. وهذه الطريقة كثيراً ما ينشأ عنها الغلت بسبب المشابهة بين الاحرف. فان حرف ר مثلا يشبه حرف ד وقس عليه مشابهة حرفي ח ، ה وحرفي ב ، כ وحرفي נ ، ג وحرفي ם ، ס المتطرفة. قلت اوردنا هذه الامثلة ليثبت عند القارئ سرعة تطرق الفساد والتحريف الى التاريخ. ولكن الاختلاف الصادر عنه لا يمس صحة الاسفار الالهية المقررة في المجمع التريدنتيني ولا يقدح في تنزيلها لأن الله عز وجل انما ضمن حفظ صحة الآيات المتعلقة بالايمان والآداب ليس الا .

٤ — ويروى ٩٠٠ سنة . وفي نسخة ٨١٠ وليس ذلك بموافق للكتاب المقدس .

٥ — حنوخ ر اخنوخ .

حرمون متآيسين من العود الى الفردوس ورغبوا في النساء فلم يزوجهم ذوو قرابتهم مستخفين لهم . فاختطبهم قوم قايين باذلين لهم بناتهم فنكحوهنّ فولدن جبابرة مبرزين في الحروب والغارات . وقيل ان بنات قايين اخترعن آلات الملاهي زامرات بها ولذلك تسمي السريانية اللحن قِينة بالكسر وتسمي العرب الأمة المغنية قَينة بالفتح .

(حنوخ [١] بن يرد) ولد له متوشلح [٢] وعمره على الرأي السبعيني مائة وخمس وستون سنة وعلى رأي اليهود خمس وستون سنة . هذا حنوخ تمسك بوصايا الله الطاهرة وعمل بها وتبع الخير وصرف عن الشر مواظباً على العبادة ثلثمائة سنة فنقله الله الى حيث شاء حياً وقيل الى الفردوس .

* * *

والاقدمون من اليونانيين يزعمون ان حنوخ هو هرمس ويلقب طريسميجيسطيس اي ثلاثي التعليم لانه كان يصف الباري تعالى بثلاث صفات ذاتية هي الوجود والحكمة والحياة . والعرب تسميه ادريس . وقيل ان الهرامسة ثلثة : الاول هرمس الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو اول من تكلم في الجواهر العلوية وانذر بالطوفان وخاف ذهاب العلوم ودرس الصنائع فبنى الاهرام [٣] وصور فيها جميع الصناعات والآلات ورسم فيها طبقات العلوم حرصاً منه على تخليدها لمن بعده . والثاني هرمس البابلي سكن كلواذا مدينة الكلدانيين وكان بعد الطوفان وهو اول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش . والثالث هرمس المصري وهو الذي يسمى طريسميجيسطيس اي المثلث بالحكمة لانه جاء ثالث الهرامسة الحكماء ونُقلت من صحفه نبذ وهي من مقالاته الى تلميذه طاطي على سبيل سؤال وجواب بينهما وهي على غير نظام وولاء لان الاصل كان بالياً [٤] مفرقاً والنسخة موجودة عندنا بالسريانية. وقيل ان هرمس الاول بنى مائة وثمانين مدينة صغراها الرها وسن للناس عبادة الله والصوم والصلاة والزكاة والتعييد لحلول السيّارة ببيوتها واشرافها [٥] وكذلك كلما استهل الهلال وحلت الشمس برجاً من الاثني عشر . وان يقرّبوا قرابين من كل فاكهة باكورتها ومن الطيب والذبائح والخمور انفسها . وحرّم السكر والمآكل

---

١ – حنوخ ر اخنوخ .

٢ – متوشلح ر متوشلح .

٣ – من المعلوم ان الاهرام بناها ملوك مصر بعد الطوفان بزمان ليجعلوها مدافن لهم . وان الهرم الاكبر بناه كيوبس والثاني اخوه كيفريم .

٤ – وفي نسخة بالبابلي .

٥ – واشرافها . في احدى نسختي بريتش موزيوم « واشراقها ».

النجسة . والصابئة تزعم ان شيث بن آدم هو اغاثاذيمون المصري معلم هرمس . وكان اسقليبياذيس الملك احد من اخذ الحكمة عن هرمس وولاه هرمس ربع الارض المعمورة يومئذ وهو الربع الذي ملكه اليونانيون بعد الطوفان . ولما رفع الله هرمس اليـه حزن اسقليبياذيس حزناً شديداً تأسفاً على ما فات الارض من بركته وعلمه وصاغ له تمثالاً على صورته ونصبه في هيكل عبادته . وكان التمثال على غاية ما يمكن من اظهار اهبة الوقار عليه والعظمة في هيبته ثم صوره مرتفعاً الى السماء وكان يمثُل بين يديه تارة ويجلس اخرى ويتذكر شيئاً من حكمه [١] ومواعظه على العبادة. وبعد الطوفان ظن اليونانيون ان الصورة لاسقليبياذيس فعظموه غاية التعظيم . وكان ابقراط اذا عهد الى تلامذته يقول: نشدتكم الله باري الموت والحياة وابي واباكم اسقليبياذيس . وكان يصوره وبيده نبات الخطميّ رمزاً منه الى فضيلة الاعتدال في الامور واللين والموآتاة والمطاوعة في المعاملة . وقال جالينوس: لا يجب ان يرفض الشفاء الذي يحصل عليه المرضى بدخولهم هيكل اسقليبياذيس . اقول كلما ورد من اخبار ما قبل الطوفان ولم يسند الى نبإٍ نبوي فهو حدس وتخمين لعدم [٢] المخبر به على الوجه .

(مثوشلح بن حنوخ) ولد له لمك وعمره على الرأي السبعيني مائة وسبع وستون سنة وعلى رأي اليهود مائة وسبع وثمانون سنة وجميع ايامه على الرأيين تسعمائة وتسع وستون سنة [٣] .

(لمك بن مثوشلح) ولد له نوح وعمره على الرأي السبعيني مائة وثماني وثمانون سنة وعلى رأي اليهود مائة واثنتان وثمانون سنة . وجميع ايامه على الرأيين [٤] سبعمائة وثلث وسبعون سنة . ومات قبل ابيه .

(نوح بن لمك) ولد له شام [٥] وعمره على الرأيين خمسمائة سنة. وعلى الرأيين جميع ايامه تسعمائة وخمسون سنة . وفي سنة ستمائة لعمر نوح تهارج الناس واباحوا المحظورات وارتكبوا المحارم . وكان نوح باراً صديقاً . واخبره الله تعالى بحال الطوفان وأمره ان يصنع فلكاً طوله ثلثمائة ذراعاً وعرضه خمسون ذراعاً في عمق ثلثين ذراعاً. ونزل اليه هو وزوجته وبنوه الثلثة: شام وحام ويافث ونساؤهم وأدخل معهم من كل نوع من الطيور والحيوان

١ – حكمه ر حكمته .

٢ – ويروى: لقدم .

٣ – وفي نسخة ٩٦٢ سنة وهو غير موافق للكتاب الكريم .

٤ – وفي النسخة العبرانية انه عاش ٧٧٧ سنة . وفي النسخة السبعينية انه عاش ٧٥٣ سنة .

٥ – شام ر سام .

الطاهر سبعة ازواج ذكوراً واناثاً. ومن النجس زوجاً ومن الطعام ما يقوته ومن معه قوتاً ماسكاً للرمق . وقيل ان تابوت ابينا آدم ايضاً كان معهم في الفلك . ثم هطلت السماء انهطالاً وتواترت الامطار واستنهرت المياه اربعين يوماً اولها السابع والعشرون من شهر ايار وتغشمرت السيول العمران وغشي الماء كل شيء وركب الجبال الشامخة وعلا عليها خمس عشرة ذراعاً [١] . ودام ذلك سنة كاملة . ثم ذكر الله نوحاً ومن معه في الفلك فأمسك نزول الماء وعصفت الرياح فجففت الارض واجتنح الفلك الى جبل قرد [٢] ويعرف بالجودي وفي اثناء ذلك بعث نوح الغراب مستكشفاً عن حال الارض . فلم يعُد لاشتغاله بأكل الجيف . واتبعه بحمامة فلم تجد موضعاً للوقوف فعادت الى نوح . ثم صبر بعد ذلك سبعة ايام وسرح حماماً آخر فرجع اليه مساءً وفي منقاره ورقة من شجرة الزيتون. فعلم ان الماء قد غاض . وبعد ايام ارسل طائراً آخر فلم يعد . فأقام تتمة سنة وخرج هو وآله من الفلك في السابع والعشرين من السنة الثانية وبنى مذبحاً وقرّب قرباناً قبله الله وعهد اليه ان لا يورد على خلقه طوفاناً ولا يُبيد فيما بعد حيواناً وجعل آية رضوانه قوس قزح المرئية في السحاب . واطلق الله لنوح أكل لحوم الغنم والمواشي وشرب الخمر ومما كان قد حرّم قبل الطوفان . وابتدأ نوح بعمارة الارض وغرس كرماً وشرب من عصيره وثمل يوماً في خيمته فانكشف . فشهده ابنه حام وهزئ منه . وعرف اخواه شام ويافث ذلك واخذ إزاراً فغطيا اباهما ووليا يمشيان القهقرى حتى لا ينتبه . ولما استيقظ نوح علم ما صنع به فلعن كنعان بن حام قائلاً : انّ زرعه من بعده يكون لعبودية الامم . وانما لعنه نوح والذنب لابيه لا له لانه عرف بالوحي ما سيبدو منه من اتخاذ الملاهي وانشاء الزمر وافشاء الزنا وباقي الفواحش التي ارتكبها بنو قايين . وبعد الطوفان قسم نوح المسكونة بين بنيه عرضاً من الجنوب الى الشمال فأعطى بلاد السودان حاماً وبلاد السمر شاماً وبلاد الشقر ليافث . ثم مات وله تسعمائة وخمسون سنة . فمن خلق العالم الى ورود الطوفان على الرأي السبعينيّ الفان ومائتان واثنتان واربعون سنة وعلى رأي اليهود الف وستمائة وست وخمسون سنة وعلى رأي السمرة الف وثلثمائة وسبع سنين . وهذا الى غاية الفساد لاقتضائه ادراك نوح آدمَ في قيد الحياة بمائتين وثلث وعشرين سنة ولم يأتِ به خبر عن الله ولا عن انبيائه . وقال انيانوس الراهب الاسكندري ان مدة ما بين ابتداء خلق آدم وبين ليلة

---

١ – خمس عشرة ذراعاً . كذا في الاصل . ص خمسة عشر ذراعاً .

٢ – قرد . «قردى وبازبدى قريتان قريبتان من جبل الجودي بالجزيرة » (ياقوت) .

الجمعة التي كان فيها الطوفان الفان ومائتان وست وعشرون سنة وشهر وثلثة وعشرون يوماً واربع ساعات .

(شام بن نوح) وُلد له ارفخشد وعمره مائة سنة وسنة واحدة . وجميع ايامه ستمائة سنة . وقيل ان نوح اوصى الى شام ابنه وقال له: اني اذا متُّ فأخرج تابوت ابينا آدم من الفلك وخذ معك من اولادك ملكيزدق [١] لانه كاهن الله تعالى وسيرا معاً بالتابوت الى حيث يهديكما ملاك الرب . فعملا بهذه الوصية وهداهما الملاك الى جبل بيت المقدس ووضعا التابوت على قلة هناك فغاص فيها . فعاد شام الى اهله ولم يعد ملكيزدق لكنه بنى ثَمَّ مدينة اسمها اورشليم اي قرية السلام ولذلك تَسَمَّى هو ايضاً مليخ شليم اي ملك السلام وسكنها باقي ايامه لهجاً بالعبادة وما غشي امرأة ولا اراق دماً وكان قربانه خبزاً وخمراً فقط . ولأن الكتاب الالهي ابان عن عظم شأنه واعرض عن ابانة نسبه وتاريخَي ولادته ووفاته. قال الرسول المغبوط بولس: لا ابتداءَ لأيامه ولا انقضاء لسنته . وقد ضُرب مثلاً للمسيح في نبوءة داود حيث قال: انت الكاهن الى الابد بهيئة ملكيزدق . وعلى تلك القلة التي فيها قبر آدم صلب السيد المسيح .

(ارفخشد بن شام) وُلد له قينان على الرأي السبعينيّ وعمره مائة وثلثون سنة وجميع ايامه اربعمائة وخمس وستون سنة وليس لهذا قينان ذكر في التورية العبرية ولا في التي بيد السمَرة وهو مذكور في انجيل لوقا [٢] .

(قينان بن ارفخشد) وُلد له شالح على الرأي السبعيني وعمره مائة وثلثون سنة . وجميع ايامه اربعمائة وثلثون سنة . واما على رأي اليهود فارفخشد لما اتت عليه خمس وثلثون سنة ولد له شالح. وكذلك السمَرة انما تجعل شالح ابناً لارفخشد لا لقينان بن ارفخشد . وقيل ان هذا قينان اخترع علم الافلاك بعد الطوفان وبنوه اتخذوه إلهاً وصاغوا له تمثالاً بعد وفاته وسجدوا له . وهو بنى مدينة حرّان على اسم هاران ابنه.

---

١ – لا ندري على من استند المؤلف في زعمه ان ملكيزدق كان في ايام نوح وانه كان ابن شام . وهو نفسه يقول بعيد هذا ان الكتاب الالهي اعرض عن ابانة نسب ملكيزدق وتاريخَي ولادته ووفاته . والذي نعلمه ان ملكيزدق كان في ايام ابراهيم لا في ايام نوح . ولا يظهر انه اراد شخصاً آخر يدعى بهذا الاسم .

٢ – ان القديس لوقا روى ان قينان هو ابو شالح مستنداً في ذلك الى تقليد قديم العهد والى النسخة السبعينية (تكوين ص ١١ ع ١٢) . هذا وان اغفال التوراة العبرية اسم قينان واقتصارها على ذكر ارفخشد اباً لشالح مع انه جده في الحقيقة انما هو من باب التوسع والتساهل . ولمثله نظائر في الكتاب الكريم فضلا عن انه قد وقع في تواريخ العرب .

(شالح بن قينان) وُلد له عابر وعمره على الرأي السبعيني مائة وثلثون سنة وعلى رأي اليهود ثلثون سنة . وجميع ايامه اربعمائة وستون سنة .

(عابر بن شالح) وُلد له فالغ وعمره على الرأي السبعيني مائة وثلث وثلثون سنة وعلى رأي اليهود اربع وثلثون سنة . وجميع ايامه ثلثمائة وثلث واربعون سنة . ومنه اشتق اسم العبريّ . وقيل من ابرهيم لعبوره الانهار منزوحاً به من العراق الى الشام .

ومن أئمتنا باسيليوس وافريم يزعمان ان من آدم الى هذا عابر كانت لغة الناس واحدة وهي السريانية وبها كلم الله آدم وتنقسم الى ثلث لغات افصحها الآرامية [1] وهي لغة اهل الرها وحرّان والشام الخارجة . وبعدها الفلسطينية وهي لغة اهل دمشق وجبل لبنان وباقي الشام الداخلة . واسمجها الكلدانية النبطية [2] وهي لغة اهل جبال اثور وسواد العراق . ويعقوب الرهاوي يقول: ان اللغة لم تزل عبرية الى ان تبلبلت الالسن ببابل .

(فالغ بن عابر) وُلد له ارعو وعمره على الرأي السبعينيّ مائة وثلثون سنة وعلى رأي اليهود ثلثون سنة . وجميع ايامه ثلثمائة وثلث واربعون سنة . وفي سنة مائة واربعين لفالغ فُلغت الارض اي قسمت قسمة ثانية [3] بين ولد نوح . فصار لبني شام وسط المعمورة فلسطين والشام واثور وسامر [4] وبابل وفارس والحجاز . ولبني حام التيمن كله اي

---

١ – وفي نسخة: ارمانية . ويروى: الارمانية .

٢ – النبط: شعب قديم كانت منه بقية في ايام العرب بعد الهجرة . وكانوا في عزّ ملكهم ينزلون بلاد ما بين النهرين والعراق . وقد تقرر الآن انهم كانوا سريانيين كلدانيين ولغتهم السريانية . قال المسعودي في الصفحة ٧٨ من الكتاب الاول من مروج الذهب «ونزل ماش بن ارم بن سام ارض بابل على شاطئ الفرات فولد نمرود بن ماش وهو الذي بنى الصرح ببابل وجسر بابل على شاطئ الفرات...وهو ملك النبط» وفي الصفحة ١٠٥ من الكتاب الثالث «فسائر النبط وملوكها ترجع في انسابها الى نبيط بن ماش» وفي الصفحة ٩٤ من الكتاب الثاني «وكان من اصل اهل نينوى ممن سمينا نبيطاً وسريانيين والجنس واحد واللغة واحدة. وانما بانَ النبيط عنهم بأحرف يسيرة من لغتهم والمقالة واحدة» . وفي الصفحة ١٠٧ من الكتاب الثالث «ومنهم (من النبط) ملوك بابل الذين قدمنا ذكرهم وانهم الملوك الذين عمروا الارض ومهدوا البلاد وكانوا اشرف ملوك الارض . فأذلهم الدهر وسلبهم الملك والعز فصاروا على ما هم عليه من الذلة في هذا الوقت بالعراق وغيرها».

وأنشأ النبيط في بلاد العرب بين بحر القلزم والفرات عمارة كانت قاعدتها مدينة سلْع المعروفة عند الاجانب باسم Petra .وذهب المؤرخون الى ان ذلك كان ايام محاربة نبوكدنصر الثاني لليهود والعرب وفراعنة مصر . (راجع ما كتبه عن النبيط العلامة الفرنسي كاترمير) .

(Quatremère. Mémoire sur les Nabatéens. Journ. Asiat. Jan. — Mar. 1835).

٣ – لم تُقسم الارض عند بناء برج بابل وانما قسمت بعد ذلك عند تفرق الألسنة .

٤ – وفي نسخة: سامرة .

الجنوب: افريقية والزنج ومصر والنوبة والحبشة والسند والهند. ولبني يافث الجربيا اي الشمال: الاندلس والافرنجة وبلاد اليونانيين والصقالبة والبلغار والترك والارمن. وبعد وفات فالغ ثارت الفتن بين بنيه وبين بني يقطان اخيه وشرع الناس في تشييد الحصون.

(ارعو بن فالغ) وُلد له ساروغ وعمره على الرأي السبعيني مائة واثنتان وثلثون سنة وعلى رأي اليهود اثنتان وثلثون [١] سنة. وجميع ايامه ثلثمائة وتسع وثلثون سنة. وفي سبعين سنة لارعو قال الناس بعضهم لبعض: هلموا نضرب لبناً ونحرق آجراً ونبني صرحاً شامخاً في علوّ السماء ويكون لنا ذكراً كي لا نتبدد على وجه الارض. فلما جدوا في ذلك بأرض شنعار [٢] وهي السامرة (ونمرود بن كوش قات راصني الصرح بصيده وهو اول ملك قام بأرض بابل وهو الذي رأى شبه اكليل في السماء واتخذ مثله ووضعه على رأسه فقيل ان اكليله (نزل من السماء). قال الله تعالى: هذا ابتداء عملهم ولا يعجزون عن شيءٍ يهتمون به سوف افرق لغاتهم لئلا يعرف احدهم ما يقول الآخر. فبدد الله شملهم على وجه الارض وارسل رياحاً عاصفة فهدمت الصرح ومات فيه نمرود الجبار وتبلبلت لغات الآدميين ولذلك دُعي اسم ذلك الموضع بابل. وبنى نمرود ثلث مدن ارِخ [٣] وخيليا (اي الرها ونصيبين) والمدائن.

(ساروغ بن ارعو) وُلد له ناحور وعمره على الرأي السبعيني مائة وثلثون سنة [٤] وعلى رأي اليهود ثلثون سنة. وجميع ايامه ثلثمائة وثلثون سنة. ويقال ان ساروغ اظهر سكة الدراهم والدنانير. وفي ايامه اكثر الناس اتخاذ الاصنام وكان الشياطين يظهرون منها الآيات الباهرة. وساميروس ملك الكلدانيين ابدع المكاييل والموازين ونسج الابريسم واخترع الاصباغ. وقد جاء في الخرافات انه كان له ثلث عيون وقرنان. وفي هذا الزمان اوفيفانوس ملك مصر صنع سفينة وغزا سكان السواحل. وبعده قام فرعون بن سانس ومنه سُمّيت الفراعنة.

(ناحور بن ساروغ) وُلد له ترَح وعمره على الرأي السبعيني تسع وسبعون سنة وعلى رأي اليهود تسع وعشرون سنة. وجميع ايامه مائتان وسنة واحدة. وفي خمس

---

١ — مائة واثنتان وثلثون **س** مائة وثلث وثلثون.

٢ — شنعار **ر** سنعار **س** ܐܪܥܐ ܕܫܢܥܪ ارض سنعار.

٣ — ارخ وخيلبا **ص** ارخ واخد وخيليا أي الرها ونصيبين والمدائن **س** ܐܪܟ ܘܐܟܪ ܘܟܠܢܐ ارخ واخر وخليا. وفي سفر التكوين (١٠ : ١٠) النسخة العبرانية אכד وفي السبعينية ᾿Αρχάδ .

٤ — مائة وثلثون سنة **س** مائة وسبعون **ر** مائة وثلثون.

وعشرين سنة من عمره كان جهاد ايوب الصديق على رأي اروذ الكنعانيّ . وبنى ارمونيس ملك كنعان سذوم وغامورا على اسم ولديه ومدينة صاعر [١] على اسم امهما .

(ترَح بن ناحور) وُلد له ابرَهيم وعمره على الرأيين جميعاً سبعون سنة . وجميع ايامه مائتان وخمس وسبعون سنة . ومات بمدينة حرّان. وبنى مورفوس ملك فلسطين مدينة دمشق قبل ميلاد ابرَهيم بعشرين سنة . ويوسيفوس يقول ان عوص بن ارام بناها ومن هاهنا يتفق التاريخان السبعيني والعبراني .

(ابرَهيم بن ترَح) وُلد له اسحق وعمره مائة سنة . وجميع ايامه مائة وخمس وسبعون سنة . ولما اتت عليه خمس عشرة سنة استجابه الله تعالى في العقاعق التي كانت تفسد في ارض الكلدانيين وتمحق زروعهم . واحرق ابرَهيم هيكل الاصنام بقرية الكلدانيين ودخل هاران اخوه ليطفئ النار فاحترق ولذلك فر ابرَهيم وعمره ستون سنة مع ابيه ترح وناحور اخيه ولوط بن هاران اخيه المحترق الى مدينة حرّان وسكنها اربع عشرة سنة . ثم خاطبه الله قائلاً: انتقل عن هذه الديار التي هي ديار آبائك الى حيث آمرك. فأخذ سارا امرأته ولوط ابن اخيه وصعد الى ارض كنعان وحارب ملوك كدُرلعُمر وقهرهم . وفي عَوده من المحاربة اجتمع بملكيزدق الكاهن الاعظم وخرّ على وجهه بين يديه واعطاه عشراً [٢] من السلب وباركه ملكيزدق. وفي سنة خمس وثمانين من عمره وعده الله ان يجعل نسله كعدد الكواكب التي في السماء وذريته كرمل البحار فوثق ابرَهيم بالله حق الثقة . وفي هذه السنة دخل الى مصر ووُشي بحسن سارا امرأته الى فرعون [٣] فسأل ابرَهيم عنها. فقال: هي اختي من ابي لا من امي . ولم يكذب بقوله هذا لانها كانت ابنة عمه فأقام جدهما مكان ابيهما . فاختارها فرعون الى نفسه مختلياً حتى حقق انها زوجته فردها اليه مع هدايا جزيلة من جملتها هاجر المصرية أمَة سارا وتقدم اليه بالانتزاح من بلده خوفاً من ان يهجس في صدره هاجس سوء ثانياً . ولانه لم يكن لابرَهيم ولد من امرأته سارا سمحت بجاريتها هاجر فوطئها ابرَهيم وولدت له اسماعيل . واستهانت هاجر بسارا مولاتها

١ – كان موقع هذه المدينة قرب الموضع الذي فيه الآن البحيرة المنتنة . وكانت المدينة تسمى بالع בלע (تكوين ص ١٤) « ملك بالع وهي صوعر » . ولقبت صوعر צוער وتأويلها صغر) لصغرها كما يتضح ذلك من قول لوط في سفر التكوين (ص١٩ ع ٢٠–٢٢) « ها ان هذه المدينة قريبة للهرب اليها وهي صغيرة دعني اتخلص اليها انما هي صغيرة فتحيا نفسي . . . لذلك سميت المدينة صوعر » . وعليه فيكون زعم المؤلف ان تسمية هذه المدينة صاعر باسم امرأة لا حقيقة له .

٢ – عشراً من السلب ص عشراً من جميع ما كان معه من السلب .

٣ – فرعون ر فرعون بن فانوس .

شامخة عليها بسبب ولدها فأزاحتها سارا من عندها الى القفر بغيظة منها فتراءى ملك الرب لهاجر قائلاً: لا تيأسي من رحمة ربك فان الله قد بارك على الصبي حين خاطب اباه ابرَهيم. وكان خاتمة البركة باللغة السريانية هكذا: واكبرته طب طب واعظمته جداً جداً.

اقول قد اتّفق في هذه الالفاظ سرٌّ عجيب لاح في عصرنا وهو انّا اذا جمعنا حروفها بحساب الجُمَّل كان الحاصل ستمائة وستة وخمسون سنة وهي المدة من الهجرة الى السنة التي قُتل فيها آخر الخلفاء العباسيين وزال الملك المعظم جداً عن آل اسماعيل. وبعد مائة سنة مضت من عمر ابرَهيم ولد له اسحق من سارا. ولما حصل لاسحق تسع عشرة [1] سنة اصعده ابرَهيم لجبل نابو [2] ليضحّي به ضحيّةً لله تعالى ففداه الله بحَمَل مأخوذ من الشجرة وانقذه. والحَمَل مثال لسيدنا يسوع المسيح له المجد الذي فدى العالم بنفسه ولذلك قال في انجيله المقدس: ان ابرَهيم كان يرجو ان يشاهد يومي فشاهد وسرّ. وقيل في تلك السنة تمّ ملكيزدق بناء اورشليم. وفي ثماني وثلثين سنة من عمر اسحق درجت سارا أمّه وعمرها مائة وسبع وعشرون سنة. وتزوج ابرَهيم قنطورا ابنة ملك الترك. ولما بلغ اسحق اربعين سنة نزل ايليعازر وليد بيت ابرَهيم الى حرّان وجاء برفقا زوجة اسحق ولما توفي ابرَهيم دفن الى جانب قبر سارا زوجته في المغارة المضاعفة الّتي ابتاعها من عفرون الحيثانيّ. وفي زمن ابرهيم كانت ساميرم ملكة اثور وهي بنت التلالَ خوفاً من عود الطوفان.

(اسحق بن ابرهيم) وُلد له يعقوب وعمره ستون سنة. وجميع ايامه مائة وثمانون سنة. وبعد عشرين سنة من تزوُّجه حبلت رفقا امرأته. ولانها تألمت بالحبل مضت الى ملكيزدق لتسأله [3] عن حملها ودعا لها وبشّرها بأن امّتين عظيمتين في احشائكِ وان الكبير من توأميكِ يطيع الصغير يعني عيسو ابا الادوميين وهم الافرنج الشقر [4] ينقاد

١ – تسع عشرة سنة ر ست عشرة س خمس عشرة.

٢ – روى بعض العلماء كيوسيفوس المؤرخ والقديس ايرونيموس ان ابرهيم الخليل قصد الجبل الذي ابتنى سليمان على متنه الهيكل. وزعم غيرهم انه ذهب الى جبل جرزيم قرب شكيم غربي الاردن. اما جبل نابو فهو شرقي الاردن في صحراء مواب تجاه الاردن. وهو الجبل الذي من ذروته ارى الله موسى ارض الميعاد (تثنية الاشتراع ص ٣٤ ع ١). ومسافة ما بين بئر سبع وجبل نابو اعظم من ان يكون لابرهيم ان يقطعها مع ابنه بأقل من ثلاثة ايام.

٣ – لتسأله ر ليسأَل لها.

٤ – ان المؤلف صرح في الصفحة الثامنة عشرة بأن الافرنج هم من بني يافث. وقال هنا ان الفرنج من الادوميين وهذا تناقض.

ليعقوب ابي الاسرائيليين . وقيل في ذلك الزمان بُنيت مدينة اربيل من اربول الملك ومدينة ايريحو من سبعة ملوك كلٌ منهم بنى لها سوراً .

(يعقوب بن اسحق) وُلد له لاوي وعمره اثنتان وثمانون سنة. وجميع ايامه مائة وسبع واربعون سنة . وفي سبع وسبعين سنة من عمره اخذ من عيسو اخيه البكورة ومن اسحق ابيه تبريك البكورة بالحيلة المذكورة في التورية وهي ان اسحق لمّا طعن في السن ذهب بصره . وكان عيسو ازبّ ويعقوب اجرد. فلبّسته أمه مسك جدي وقدمته الى اسحق قائلة: هذا عيسو ابنك اعطه بركة بكورته . فجسّه اسحق وقال: مجسة عيسو وشمائل يعقوب . ومع ارتيابه به لم يأبَ تبريكه . ولما حنق عليه عيسو اخوه هرب من قدامه الى حرّان ورأى يعقوب في اول ليلة خرج من بيت ابيه فاراً من اخيه في منامه سلّماً منصوباً في الارض ورأسه الى السماء والملائكة يصعدون وينزلون عليه وعظمة الله ظاهرة في اعلاه. فانتبه يعقوب وقال: لا ريب ان هذا بيت الله . فأخذ الحجر الذي كان فوق [1] رأسه ونصبه مذبحاً وسكب عليه دهناً تمثيلاً بدهن الميرون الذي به تتقدس هياكل الله عندنا . ووصل يعقوب الى بيت لابان خاله بحرّان واختطب راحيل ابنته الصغيرة وقبل ان يرعى غنمه سبع سنين حق المهر. فلما تمت المدة زوّجه لابان ابنته الكبرى محتجاً بوجوب تزويج الكبرى قبل الصغرى وزف معها جارية اسمها زلفا . فقبل يعقوب ثانية الرعي سبعاً أخرى حق مهر راحيل . وعند تمام المدة زوجه راحيل ابنته الصغيرة وزف معها جارية اسمها بلها . ومال يعقوب الى راحيل فمانعها الله الولاد برهة من الزمان . وولدت لايا ستة اولاد البكر روبيل اي العظيم لله [2] ثم شمعون اي الطائع ثم لاوي اي التام ثم يهوذا اي الشاكر ومن ذريته ظهر الملك المسيح المدعوّ ابن داود بالجسد. ثم ايساخر اي الاجر [3]. ثم زبولون اي النجاة من هول الليل . وولدت راحيل ابنين يوسف اي الزيادة ثم بنيامين اي ابن العزاء [4] . وولدت زلفا ابنين جاذ اي الحظ ثم اشير اي المجد [5] . وولدت بلها ابنين ايضاً دان اي الحكم ونفتالي اي المتضرع وابنة اسمها دينا

---

١ – فوق ص تحت .

٢ – في نسخة التوراة العبرية ראובן (راوُبين) وتأويله الرب نظر مذلتي. الا ان المؤلف تبع الترجمة السريانية ܪܘܒܝܠ وتاريخ يوسيفوس الذي ابداً يضبط Ρούβηλος . وهذه الكلمة روبيل تحتمل التأويل الذي اتى به المؤلف .

٣ – الاجر ص حاضر الرجاء.

٤ – العزاء ر العزي. – معناها بالعبرانية ابن اليد اليمنى . وقد اشير بها الى القدرة .

٥ – اشر تأويله بالعبرانية غبطة .

اي العادلة . جملة البنين اثنا عشر وهم الاسباط اي قبائل بني اسرائيل . وبعد ميلاد لاوي بثلاث سنين ولدت راحيل يوسف وبيعَ ابن سبعة عشرة[١] سنة وبقي عبداً عشر سنين ومعتقلاً ثلث سنين واميناً على دار فرعون ثلثين سنة ووزيراً ثمانين سنة وجميع ايامه مائة واربعون سنة . وبعد وفاة اسحق حارب عيسو يعقوب اخاه فنصر الله يعقوب . ورماه بسهم فقتله وهزم من معه . وانحدر يعقوب الى مصر وعمره مائة وثلثون سنة بعد ان أقحط سنتين . ويهوذا بن يعقوب تزوج امرأة كنعانية اسمها شوع[٢] وولدت له ثلث[٣] اولاد عير واونان وشيلا . وتزوج عير امرأة من بنات لاوي اسمها ثامر[٤] وكان يضاجعها مضاجعة قوم لوط ومات ولم يرزق ولداً فزوّجها يهوذا بولده الآخر وهو اونان ليقيم منها نسلاً لاخيه عير . وكان اذا باشرها سكب ماءه على الارض فهلك هو ايضاً بغير خلف. واما شيلا الاخ الصغير لما رأى هلاك اخويه أبى قربها . والسر في ذلك ان يعقوب طلب من ربه ان لا يترك زرع كنعان الذي لعنه نوح يختلط مع نسله . فاحتالت ثامر كنّة يهوذا حتى باشرها يهوذا متنكرة عليه فحملت من حميها واتأمت بابنين هما فرَص وزرَح وداود النبيّ من نسل فرص بن يهوذا .

(لاوي بن يعقوب) وُلد له قاهات وعمره سبع واربعون سنة . وجميع ايامه مائة وسبع وثلثون سنة . وانما ذكر لاوي في النسب وان كان روبيل اكبر اولاد يعقوب لان من ذرّية لاوي وُلد موسى النبي المنقذ لآل اسرائيل من عبودية المصريين والسانّ لهم سنناً إلهية .

(قاهات بن لاويَ) وُلد له عمرم وعمره ستون سنة . وجميع ايامه مائة وثلث وثلثون سنة . وفي زمانه صار الطوفان المذكور في كتب الكلدانيين في العراق والملك باثور بالفُرُس[٥] . وقيل في ايام لاوي كان.

(عمرم بن قاهات) وُلد له موسى وعمره خمس وثمانون سنة[٦]. وجميع ايامه مائة وسبع وثلثون سنة . وعندما ولد موسى وضعه والداه في صندوق مقيَّر ورمياه في النيل خوفاً من

---

١ – سبعة . كذا في الاصل ص سبع .

٢ – وفي الكتاب المقدس ان شوع اسم لابي الصبيّة التي تزوج بها يهوذا.

٣ – ثلث كذا في الاصل ص ثلثة .

٤ – ثامر ر تامر .

٥ – بالفرس ر بالس س ܦܠܣܛܐ .

٦ – خمس وثمانون ر خمس وسبعون س خمس وسبعون .

فرعون امونفاثيس [١] خانق مولودي العبرانيين فوجدتــه ابنة فرعون هذا واتخذته ولداً وسلمته الى يانيس ويمبريس الحكيمين فعلماه الحكمة وقصة تعلّمه منهما غير مذكورة في التوراة وقد ذكرها الرسول بولس نقلاً عن ارسطامونيس [٢] .

(موسى بن عمرم) بعد ما أتت عليه اربعون سنة من عمره وهو في بيت فرعون رأى شخصاً مصرياً يفتري على شخص اسرائيلي فالتفت الى جوانبه فلم يرَ احداً فضربه وقتله . وبعد ايام رأى اسرائيليين يتخاصمان فأخذ ينكر عليهما . فقال له احدهما : من جعلك علينا والياً قد جئت تقتلنا كما قتلت بالامس المصري . ففزع موسى لئلا يظهر ذلك لفرعون فهرب الى ارض العرب وتزوج صافورا الزنجية ابنة يثرون بن رعوئيل المِدَينيّ ابن دادان بن يقش [٣] بن ابرهيم من قنطورا زوجته التركية . وولدت صافورا الزنجية لموسى ابنين احدهما جرشون اي الغريب والآخر ايليعازر اي الله اعانني . ولما بلغ موسى ثمانين سنة وكان يرعى غنم يثرون حميه ، تراءى له ملاك الرب في جبل حوريب وهو طور سينا بلهيب النار في العوسج والعوسج لا يحترق فدعاه الله من العوسج قائلاً : يا موسى يا موسى . فقال : ها انا . فقال له : حلّ نعليك من قدميك لان المكان الذي انت قائم عليه مقدس . ثم قال له الرب : قد سمعتُ استغاثة شعبي من المصريين ونزلت لخلاصهم على يدك . فقال موسى : من انا حتى امضي الى فرعون رسولاً . فقال له الله : انا اكون معك . قال موسى : فان قالوا لي ما اسم ربك ماذا اقول لهم . قال : قل اهيا اشِر اهيا اي الازلي الذي لا يزال. فقال موسى : ان لساني الثغ ثقيل النطق كيف يقبل مني فرعون . قال الله له : اني قد جعلتك إلهاً لفرعون وهـرون اخاك نبياً بين يديك يقول لفرعون ما تقص عليه فيرسل ابني بكري اسرائيل وانا أقسّي قلب فرعون فلا يطيعكما فأظهر آياتي بأرض مصر . فلما مضيا موسى وهرون الى فرعون بالرسالة قال لهما : اصنعا لي آية . فألقى موسى عصاه فاذا هي تِنـّين. فدعى فرعون السحرة ففعلوا كذلك فابتلعت عصا موسى عصيّهم . ومع هذا أبى فرعون ان يرسلهم . فصنع الرب بمصر من الآيات ما قد شُرح في التورية من تغيُّر الماء دماً واظهار الجراد والضفدع والظلام والحشرا ت والنار وغير ذلك. وفي الليلة التي قتل الله فيها جميع ابكار المصريين من بكر

١ – وهو المعروف الآن باسم امينوفيس وهو ابو رعمسيس الثاني المشهور عند اليونيين باسم سيزوسترس الذي وجدت جثته منذ عهد قريب .

٢ – ارسطامونيس س ܐܪܛܡܘܢܝܣ ارطمونيس . – انما ذكر بولس الرسول هذه القصة نقلا عن تقليد قديم لليهود . وقد ورد ذكر هذين الحكيمين في الرسالة الثانية الى تيموتاوس (ص ٣ ع ٨) .

٣ – يقش ص يقشن س ܝܩܫܢ.

فرعون وما دون اذن فرعون لموسى وهرون ان يُخرجا بني اسرائيل من مصر ويمضون ويعبدون امام الرب ثم يعودون الى مصر . فاستعار بنو اسرائيل من جيرانهم حلي الذهب والفضة والملابس الفاخرة بحجة العَود وخرجوا من مصر ستمائة الف رجل سوى الحشم والاثقال بعد ان تم لهم بمصر اربعمائة سنة وثلثون سنة. ولما لم يرجعوا لما أمروا اتّبعهم فرعون وجنوده. فدمدم بنو اسرائيل على موسى قائلين : قد كان الاصلح ان نخدم المصريين ولانهلك في البر فضرب موسى بعصاه البحر فانفلق وعبر بنو اسرائيل فيه . ودخل فرعون وجنوده خلفهم فغرقوا. وسار بنو اسرائيل في البر اياماً. ثم ثاروا على موسى قائلين :كنا نؤثر الموت بمصر ولا نموت بالجوع في هذا البر . فأمطرهم الله تعالى الخبز من السماء وانزل عليهم المن والسلوى وكان الغمام يظلهم نهاراً وعمود نار يضيئهم ليلاً سائراً بين ايديهم . وقال الله لموسى : اصعد اليَّ انت وهرون وناذاب وابيهو ولداه وسبعون شيخاً . ففعلوا ذلك ودنا موسى وحده والباقون وقفوا اسفل الجبل فعرَّفهم موسى وصايا الله ثم نزلوا واقام موسى بالجبل اربعين يوماً صائماً . وتقدم الله اليه بالفرائض مكتوبة في لوحين من حجر . ولما استبطأ بنو اسرائيل مجيئ موسى قالوا لهرون: قم اعمل لنا إلهاً يمضي امامنا لان اخاك ما نعلم ما كان منه . واحضروه حلي الذهب التي لنسائهم واولادهم وصاغ منها عجلاً وقال : هذا إلهك يا اسرائيل الذي اخرجك من مصر . ولما عاد موسى وعرف فعلهم غضب غضباً شديداً وضرب باللوحين سفح الجبل وكسرهما وألقى العجل في النار وبرد سبيكته بالمبارد ناعماً وألقاه في البحر وأمر بني اسرائيل ان يشربوا منه جميعهم وقال لبني لاوي: الرب يأمركم ان يقتل الرجل منكم اخاه ونسيبه . فقتل منهم ثلثة آلاف رجل .

ثم رقي موسى للجبل مرة ثانية ومعه لوحان آخران من حجر واقام فيه اربعين يوماً صائماً طاوياً لياليها وعاد نازلاً وبيده اللوحان مكتوباً فيهما العشر وصايا وهي : الرب إلهك واحد . لا تحنث في يمينك . احفظ يوم السبت . اكرم والديك . لا تقتل . لا تزنِ . لا تسرق . لا تشهد بالزور . لا تتمنَّ منزل اخيك . لا تتمنَّ قنية رفيقك . وقال الله: ملعون من يشتم والديه . ملعون من يظلم جاره. ملعون من يُضل الاعمى عن السبيل . ملعون من يحيف في القضاء على اليتيم والمسكين . ملعون من يضاجع اخته ومن يلامس امرأة ابيه ومن يضرب صاحبه غيلة ومن يرشو في قتل نفس . ملعون من لا يثبت على هذه السنن . فان انتم خالفتموها تزرعون ويأكل زرعكم اعداؤكم وتنهزمون من غير ان يطردكم احد وأُرسل عليكم الوحوش فتفنيكم ولا تشبعون طعاماً ولا تروَون ماءً ولا تُقبل لكم صلاة واخرّب ارضكم وابدّدكم بين الامم المبغضة لكم واختسُّ قدركم. وقال

الله لموسى : قل لبني اسرائيل يفردون لي ذهباً وفضة ونحاساً وثياب ارجوان وقزاً وإبريسماً ومِرعزّى وأديماً وخشب شمشار ويعملون لي مسكناً بينهم زمانَ تقلُّبهم خارج ارض الميعاد ويكون اخوك هَرون وبنوه يلهبون السرج فيه من العِشاء الى الصباح. فعملوا كما امرهم الله تعالى وسار بنو اسرائيل وموسى امامهم يُعدُّ لهم منزلاً . وتغطرس هرون ومريم على موسى لاجل زوجته الزنجية وقالا: ألعلّ موسى وحده كلمه الله فمعنا ايضاً قد تكلم. فقال لهما الله: ان تمّت نبوءتكما فاني سراً اتجلى عليكما واما موسى فقد ائتمنته على بيتي ومن فم لفم اكلّمه. وعند ذلك برصت مريم وابيض جسمها كالثلج. وتضرع موسى الى الله ان يطهّرها . فقال الله: لو ان اباها تفل في وجهها لكان يجب ان تستحي منه فلتنعزل عن الحِلّة سبعة ايام ثم تدخل . ففعلت وطهرت . فجاء بنو اسرائيل الى البرّ المعروف بصين . وماتت هناك مريم اخت موسى وهرون ودفنت حيث توفّيت. ثم جاءوا الى جبل هور ومات هناك هرون وولي مكانه ايليعازر ابنه . ولما عبر بنو اسرائيل نهر الاردنّ قال الله: يا اسرائيل ان عملت بوصايا إلهك بوركت في قريتك بوركت في حقلك بورك ثمار كرومك وولد بعيرك يسلم الله عدوك في يديك ويجيئك من طريق واحدويهرب في سبع طرق يبارك الله الارض التي يعطيك ويجعلك له شعباً مقدساً كوعده لك . وان خالفت هذه الوصايا تنقلب بركاتك لعنات ويبددك الله في جميع الامم ويعطيك قلباً فزِعاً ووجع العين ورماك بالنَّيْط وتكون مرعوباً بالليل والنهار.

اقول تأمل ايها القارئ كيف جعل الله وعده ووعيده لبني اسرائيل مقصورَين على ما يرونه في دنياهم من غير ان يذكر لهم شيئاً من احوال الآخرة وامور المعاد وذلك لغلظ طباعهم وقصورهم عن النظر الى العالم الروحانيّ .

ثم اوحى الله الى موسى قائلاً: ها انت ماضٍ في طريق آبائك فادعُ يوشع بن نون تلميذك واوصه بان يقوم بتدبير هذا الشعب فاني اعلم انه يضل بعد موتك ويتخذ الاصنام ويعبدها فيحل غضبي بهم فيلحقهم بؤس وذل . ولست اورثهم ارض الجبابرة المغلة عسلاً ولبناً من قِبل ورعهم وصلاحهم لكن لسوء اعمال سكانها قبلهم ولما وعدت به اباءهم ابرهيم واسحق ويعقوب . فلما فرغ موسى مما اوصى به يوشع بن نون خاصة وبني اسرائيل عامة اصعده الله الى جبل نابو واراه ارض كنعان وهي ارض الميعاد التي سيورثها لبني اسرائيل . ومات هناك ودفنته الملائكة من غير ان يعرف له قبر الى آخر الدهر. وكانت سنُّه مائة وعشرين سنة ولم يضعف بصره ولم تتشنج وجنتاه . ويوشع بن نون امتلأ روح الحكمة بوضع موسى يده عليه واطاعه بنو اسرائيل . فمن آدم الى وفاة موسى على الرأي

السبعيني ثلثة آلاف وتسعمائة واحدى وخمسون [١] سنة وعلى رأي اليهود الفان واربعمائة واحدى وتسعون سنة .

* * *

وقيل في زمان موسى صار طوفان ثالث في تاساليا . وانونيوس [٢] الحكيم اوجد علم السيميا . وخيرون اخترع الطب . ومايندروس [٣] استنبط نوعاً من الشعر يسمى قوموذيا وفيه يذكر الرذائل والاهاجي والقبائح المشتركة بين الناس والبهائم . واستنبط آخر نوعاً آخر من الشعر يسمّى طراغوذيا وفيه يذكر الفضائل والمدائح والمراثي المشتركة بين الناس والملائكة . وزعم المعنيون بتعريف طبقات الامم انه كان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب علوم الفلسفة من الرياضية والطبيعية والالهية وخاصة بعلم الكيمياء والطلسمات والنيرنجيات والمراءي المحرقة . وتصديق ذلك قول الله في التوراة عن موسى انه حذق جميع حكم المصريين . وكانت دار الملك والعلم بمصر في قديم الدهر مدينة منف . فلما بنى الاسكندر الاسكندرية رغب الناس في عمارتها لحسن هوائها وطيب مائها وكانت دار العلم والحكمة بمصر الى ان تغلّب عليها المسلمون واختط عمرو بن العاص على نيل مصر المدينة المعروفة بفسطاط عمرو فانسرب العرب والعجم لسكناها فصارت قاعدة مصر .

---

١ – (٣٩٥١) س على رأي انيانوس (٣٨٥١) وعلى الرأي السبعيني (٣٨٨٢) وفي النسخة العبرانية والسريانية (٢٥٠٠) .

٢ – ويروى انوميوس . ولعل انونيوس تصحيف زينون لاشتباه حرفي الألف والزاي بالسريانية . الا ان زينون كان بعد هذا الزمان بمدة طويلة .

٣ – مايندروس س **ܡܢܢܕܪܘܣ** مننذروس . – ميننذروس مستنبط القوميديا توفي سنة ٢٩٠ قبل المسيح . فيكون بعد زمن موسى بأكثر من الف ومائتي سنة .

الدولة الثانية
المنتقلة من الأولياء الى القضاة
قضاة بني اسرائيل

العبرانيّون لمفارزتهم باقي الامم حُرموا تعلّم الحكمة مقتصرين على علوم الشرائع وسيَر الانبياء. فكان احبارهم اعلم الناس بأخبار الانبياء وبَدْو الخليقة ومنهم أخذ ذلك غيرهم . وكانت مساكنهم بلاد الشام وبها كان ملكهم الاول والآخر الى ان اجلاهم عنها بعد مجيء السيد المسيح حقاً انكروه طيطوس ابن الملك اسفسيانوس الروميّ وفرّق ملكهم وبدّد جمعهم . فتقطعوا في البلاد ايدي سبا وتفرقوا في اقطارها شذَر مذَر . فليس في معمور الارض الا وفيها منهم في مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها الا ما كان من جزيرة العرب وهي الحجاز ونجد وتهامة واليمن . فان عمر بن الخطاب اجلاهم عنها . فلما تفرقوا في البلاد وداخلوا الامم تحركت هِمم قليل منهم لطلب العلوم النظرية واكتساب الفضائل العقلية فنال افراد منهم ما شاءُوا من فنون الحكمة.

(أيشوع[1] بن نون) خليفة موسى ووصيُّه دبّر بني اسرائيل سبعاً وعشرين سنة وأدخل اولاد الأمّة الخارجة من مصر الى ارض الميعاد دون الآباء كما قال الله لموسى : قل لبني اسرائيل : يا شعب السوء حيٌّ انا الى الابد ستضلّون ضالّين مذبذبين اربعين سنة حتى تقع اجسادكم وتبلى في هذا البر واولادكم هم يدخلون ارض الميعاد . واما انتم فلا تطأونها سوى كلاب بن يوفنيا وأيشوع بن نون. وقهر أيشوع سبع أمم من الكنعانيين وقتل ملوكهم وأخرب احدى وثلثين مدينة وقسم الارض التي أخذها بين الاسباط وأمرهم ان

---

١ – ايشوع ر يشوع س «» يشوع .

يهدموا بيوت الاوثان وان لا يتزوجوا بنساء الامم الغريبة ولا يأكلوا من ذبائحهم وان يجتمعوا كل عام الى البيت المقدس ليقرأ عليهم فينحاس[1] بن اليعازر الكاهن كتاب الله . فخالفوا جميع ذلك وعصوا الله . فجمعهم أيشوع بن نون في بعض البقاع وظهر لهم ملاك الله في صورة انسان قائلاً بصوت عالٍ : اسمعوا يا بني اسرائيل قول الله فانه يقول : انا ربكم خلصتكم من عبودية المصريين وفلقت لكم البحر ودبّرتكم في البر اربعين سنة واطعمتكم المن والسلوى واحييتكم عيشاً طيباً . لم يَبلَ لكم لباس ولم يشعث لكم رأس ولم يتسخ لكم ثوب . ثم اني كلمتكم من النار وانزلت لكم كتاباً واورثتكم ارضاً تدرّ اللبن والعسل دروراً . فعصيتموني ونقضتم عهدي ونسيتم آياتي . فباسمي اقسم ان لا أبيد هذه الامم من بين ايديكم لكن اقرّهم بين ظهرانيكم فيكون ذلك سبب بواركم . ولما سمعوا ذلك جلسوا يبكون ولذلك سميت تلك البقعة بقعة البكاء . ثم صرفهم أيشوع الى منازلهم وتوفي ابن مائة وعشر سنين .

(فينحاس[1] بن اليعازر بن هَرون الكاهن) دبّر الأمة اربعاً وعشرين سنة على رأي انيانوس . وقال افريقيانوس : والمشايخ ساسوا ثلثين سنة . والكتاب الالهي لم يعيّن هذه السنين . وفي هذا الزمان زاد بنو اسرائيل في طغيانهم . فقال ملاك الرب لفينحاس : ان هذه الأمة ليست بأهل ان تسمع كلام الله . فاصنع حُبّاً من نحاس واجعل فيه خمسة اسفار التوراة واللوحين وعصا موسى وقضيب هَرون الذي اورق وهو يابس وما استُبقي من المن تذكاراً وسُدّه برصاص . وعمل فينحاس كما أُمر وحمل الحب وسار الملاك بين يديه حتى انزله مغارة في بيت الله الذي بناه سليمان بن داود فانفجرت له صخرة ووضع الحبّ فيها وأخفى مكانه[2] .

(كوشن الاثيم[3] المتغلِّب) بعد ان طغى بنو اسرائيل وجاوزوا الحد في العصيان اسلمهم الله في يدي كوشن المارد من الأمم الغريبة فعذبهم وجار عليهم ثمان سنين .

(عثنائيل) لما اجهد كوشن بني اسرائيل استغاثوا الى الله . فأنشأ لهم رجلا من سبط

---

١ – فينحاس ر فنحاس و فينخاس.

٢ – خبر خبء التابوت صحيح وهو وارد في الكتاب المقدس لكن عن ارميا لا عن فينحاس خلافاً للمؤلف. وهاك النص «وجاء في هذه الكتابة ان النبي بمقتضى وحي صار اليه أمر ان يذهب معه بالمسكن والتابوت حتى يصل الى الجبل الذي صعد اليه موسى ورأى ميراث الله . ولما وصل ارميا وجد كهفاً فأدخل اليه المسكن والتابوت ومذبح البخور ثم سد الباب. فأقبل بعض من كانوا معه ليسِموا الطريق فلم يستطيعوا ان يجدوه . فلما أُعلم بذلك ارميا لامهم وقال : ان هذا الموضع سيبقى مجهولا الى ان يجمع الله شمل الشعب ويرحمهم » (سفر المكابيين الثاني ص ٢ ع ٤–٨) .

٣ – الاثيم ر الايثم .

يهوذا اسمه عثنائيل ابن اخي كلاب بن يوفنيا فقتل كوشن وولي امر الأمة اربعين سنة وردَّهم الى عبادة الله تعالى ثم مات .

(عجلون) بعد موت عثنائيل بن قيناز طغا بنو اسرائيل وعبدوا الاوثان . فأسلمهم الله في يد عجلون ملك موآب فاستعبدهم ثمان عشرة سنة . ثم ابتهلوا الى الله . فأنشأ لهم رجلاً من سبط افريم اسمه اهور [1] فقتل عجلون الموآبيّ وانقذهم من عبوديته .

(اهور بن جارا) هذا كان اعشم [2] قد شلت يمينه واحتال بأن مثل بين يدي عجلون المتغلب وقال له : كلمة الله معي اريد استكتامها . فصرف عجلون كل من كان عنده وقام يدخل الى خزانة له ليسمعها هناك . فتناول اهور سيفاً صغيراً كان قد شده على فخذه اليمنى بيده اليسرى وضرب به على وسط عجلون فبرز مراق بطنه ومات . وخرج اهور واغلق الباب عليه ومضى الى بني اسرائيل وعرفهم الحال . فسُرُّوا بذلك وتولى امرهم اهور اثنتين وستين سنة . ومنهم من قال ثمانين سنة يضيف اليها سني عجلون المتغلب ايضاً. وفي هذا الزمان بنيت مدينة حلب بأمر بتحوس [3] ملك اثور . وشيدت محكمة اريوس فاغوس بمدينة اثيناس . وقتل اهور من بني موآب عشرة آلاف رجل .

(شمغر بن عناث) هذا نشأ في ايام اهور وقتل من الفلسطينيين ستين رجلاً [4] بمنخسة الفدان وحكم ثمان عشرة سنة ومات. فطغى بنو اسرائيل بعد وفاته وعبدوا الاوثان. فأسلمهم الله بيدي يابين ملك حاصور من جملة ملوك الكنعانيين .

(يابين ملك حاصور) تغلب على الأمة عشرين سنة وكان لقائد جيشه واسمه سيسرا تسع مائة [5] مركب من حديد تجر كل واحدة منها اربعة افراس تحمل نفراً من الرجال المقاتلين. وكانت الأمّة معه في ضنك شديد. فاستغاثوا الى الله فأنشا لهم امرأة نبيّة اسمها دبورا . فأنقذتهم منه.

(دبورا النبيّة وبارق) لما تولت دبورا النبية وهي من سبط افريم امر بني اسرائيل اشركت معها في التدبير رجلاً اسمه بارق من سبط نفتالي ووليا الامر اربعين سنة .

---

١ – وفي العبرانية אֵהוּד «اهود» ولعل اهور هو تصحيف اهود لان الدال تلتبس بالراء في السريانية والعبرانية كما هو الامر في العربية .

٢ – ان لفظة اعسر هي اكثر مناسبة في هذا الموضع . وهكذا ترجمت النسخة اللاتينية المعروفة بالعامة والنسخة السبعينية ἀμφιδέξιος اي اعسر .

٣ – بتحوس ر بلحوس ص بلخوس س ܒܠܚܘܣ.

٤ – وفي الكتاب الكريم انه قتل ستمائة رجل .

٥ – تسعمائة ر تسعون س تسعون مركبة .

وجيَّش بارق من بني اسرائيل عشرة آلاف رجل مقاتل والتقى عساكر سيسرا الجمَّة فانكسر الكنعانيون ونزل سيسرا عن فرسه ملتجئاً الى امرأة من بني اسرائيل اسمهـا عنائيل [1] . فعرفته وحوته في منزلها وسقته عوض الماء الذي طلبه لبناً ودثرته فنام وحيث ثقل في نومه اخذت سكة من حديد وسمرتها في صماخه حتى مات . ثم خرجت الى باب منزلها فرأت بارق مجداً في طلب سيسرا فقالت له : هلمَّ أريك من تريد . فدخل ورأى سيسرا ملقى ميتاً والسكة في أذنه . وما زال بارق في طلب يابين ملك حاصور حتى ظفر به فقتله .

(المذيانيّون) وبعد موت دبورا وبارق توثّن بنو اسرائيل كعادتهم وأسلموا في يدي بني مذيان فاستعبدوهم سبع [2] سنين وهرب بنو اسرائيل من شدة ما قاسوا من المذيانيين واتخذوا لهم بيوتاً في الكهوف والمغارات وسكنوها . وصار كلما زرعوا زرعاً صعدت العمالقة والمذيانيون ورعوه وقرفوه واقحلوا وجه الارض من كل نبات بكثرة انعامهم وماشيتهم واغنامهم .

(جذعون) لما رأى الله ذل بني اسرائيل رحمهم وارسل ملاكاً الى رجل اسمه جذعون ابن يواش وأمره ان يتولى خلاص الاسرائيليين . فولي تدبيرهم اربعين سنة وقتل ملوك الاعراب مضطهديهم . وولد له سبعون ولداً ذكوراً . وفي زمانه كان ابولون ملك الزنوج الذي بزمره انخدعت له الصخور اي اطاعته القلوب القاسية .

(ابيملك بن جذعون) الذي ولدت له سرّيته وولي بعد ابيه ثلث سنين وقتل اخوته التسعة والستين .

(تولع بن فوا) من سبط ايساخر ساس بني اسرائيل عشرين سنة . وفي زمانه بُنيت مدينة طرسوس وخربت مدينة ايليون الخراب الذي هو من اعظم الرزايا عند قدماء اليونانيين وقد رثاها اميروس الشاعر في كتابين نقلهما من اليوناني الى السرياني ثاوفيل المنجّم الرهاوي .

(يائير الجلعدي) ولي تدبير بني اسرائيل اثنتين وعشرين سنة .

(العمونيُّون) لما طغى بنو اسرائيل في عبادة الاوثان اسلمهم الله في ايدي بني عمون فنكد بهم عيشة الأمة ثمان عشرة سنة .

(يفتاح) هذا قتل ملك بني عمُّون وهم بنو لوط . وكان قد نذر على نفسه انه ان

١ – هكذا في السريانية ܥܢܐܝܠ . واما في العبرانية فهي יעל ياعيل .
٢ – سبع سنين س سبعين سنة .

ظفر بالعدو وكرّ منتصراً اول من لمح من ذوي قرابته قرّبه لله تعالى قرباناً . فلما انتصر وعاد دانياً من منزله اقبلت عليه ابنته العذراء تهنئه بالنصر . فقال لها: كبّاً كببتني لوجهي يا ابنتي وانا اليوم اكببت على وجهي بك . فعلمت ما به واستمهلته شهراً ان تنوح على بكارتها مع اقرانها وترثي على روحها دائرة في الصحاري. فأذن لها في ذلك . وعند تمام المدة ضحّى بها ضحية بموجب نذره المكروه . وكان مدة ولايته ست سنين . ومن جعلها اربع وعشرين سنة فانه يضيف اليها ثماني عشرة سنة التي لولاية العمونيين .

(ابيصان)[١] من اهل بيت لحم حكم سبع سنين وجماعة من المؤرخين لم يتعرضوا لذكر هذا الاسم .

(الون)[٢] من سبط زبولون ساس الأمة عشر سنين . وهو غير مذكور في نقل السبعين .

(ابدون[٣] بن هليان)[٤] حكم ثماني سنين وفي زمانه فارق قوم من ولد عيسو ابن اسحق بن ابرهيم بني اسرائيل وساروا الى ارض الافرنجة[٥] نازلين في بيوت شعر ثم حصلوا تحت يد ملك يسمى لاطين وبعده ملكهم رومالوس الملك الذي بنى مدينة رومية فسمّي سكانها روماً ولاطينيين .

(الفلسطينيون) ثم تغلب اهل فلسطين على بني اسرائيل على رأي انيانوس الراهب الاسكندري اربعين سنة . وعلى رأي اندرونيقوس عشرين سنة . واما اوسابيوس فلم يثبت في الحرونيقون شيئاً من هذه السنين .

(شمشون الجبّار المتقشف) حكم عشرين سنة وقهر الفلسطينيين وكان له قوة عجيبة في البطش .

(مشايخ الأمّة) حكموا عشرين سنة. وعلى رأي اندرونيقوس عشر سنين . وعلى

---

١ – ابيصان يوافق الاصل السرياني ܐܒܨܢ . اما في العبراني فهي אבצן ايبصان .

٢ – اخذ المؤلف اسم الون عن الترجمة السريانية ܐܠܘܢ . اما في التوراة العبرانية فنجد أيلون אילון

٣ – ابدون س عبرون .

٤ – ان المؤلف رسم اسم هليان تبعاً للنسخة السريانية ܗܠܝܢ . وفي العبرانية הלל هليل . اما ابدون فلا يوافق لا النسخة العبرانية ولا السريانية لان الاولى ترسم עבדון « عبدون » والاخرى ܥܒܪܘܢ « عبرون » . ويروى في نسخة من تاريخ الدول « لميرون » ويروى ايضاً في اخرى « كبرون » .

٥ – هذه حكاية مختلقة كانت سبباً لزعم اليهود والعرب بعدهم بان الافرنج من الادوميين . وفي شعراء اللاتين ان قوماً بعد حرب ترويا في القرن الثاني عشر قبل المسيح اجازوا الى ايتاليا وعقدوا صلات مع الملك لاتين . الا انهم لم يكونوا من ولد عيسو .

رأي افريقيانوس اربعين سنة . هؤلاء هادنوا الامم التي حواليهم فلم ينصبوا قائد جيش وكان لهم عنه غنى .

(عالي الكاهن) حكم على الرأي السبعيني عشرين سنة وعلى رأي اليهود اربعين سنة .

(شموايل النبيّ) نذره ابوه لله وهو ابن سنتين فلما ترعرع اتاه الوحي وخدم عالي الكاهن في هيكل الرب من سن الطفولية الى ان توفي عالي الكاهن فولي هو امر بني اسرائيل عشرين سنة .

الدولة الثالثة
المنتقلة من قضاة بني اسرائيل الى ملوكهم

لما بلغ شموايل[1] النبيّ من العمر سبعاً وسبعين[2] سنة قال له بنو اسرائيل: انصب لنا ملكاً منّا كسائر الأمم. فعلم الله بذلك فأوحى اليه قائلاً: ان بني اسرائيل لم يعصوك انت لكن ايّاي عصوا فأخبرهم اني ان نصبت لهم ملكاً استعبدهم وجعل عليهم رؤوسَ ألوف ومئين ويحرثوا حرثه ويحصدوا حصاده ويعملوا ادوات قتاله ومراكبه. ويتسخر بناتهم كسّاحات وطحّانات وخبّازات ويختلس مزارعهم وكرومهم ويعطيها لعبيده ويعشّر اموالهم واغنامهم ودوابهم فيستغيثون منه اليّ فلا اجيبهم يومئذٍ. فاعلمهم شموايل بجميع ذلك فلم يقبلوا منه ولكن ألحوا عليه قائلين: لا بد لنا من ملك يسوسنا. فقال الله: سوف املّك عليهم ملكاً.

(شاول) من سبط بنيامين وتسمّيه العرب طالوت كان شاباً لم يكن في بني اسرائيل اتم منه خلقة. فضلّت أتُن لأبيه قيش فخرج مع غلام له طائفَين عليها وانتهيا الى القرية التي فيها شموايل النبيّ. وقال الغلام لشاول[3]: ها هنا رجل عظيم نذهب اليه لعله يدلنا على الأتُن[4]. وعند ما همّا بذلك خرج اليهم شموايل فقالا له: دلنا على بيت النظار.

١ – شموايل ر شمويل.

٢ – سبعاً وسبعين س «عمّر سبعاً وسبعين سنة منها خمس وثلاثون في مدة ملك شاول». فلا يظهر اتفاق بين التاريخين.

٣ – لشاول ر لشاوول.

٤ – الأتن ر الماتونا و الماترنا.

لأن في ذلك الزمان كانت تسمّى الانبياء نظارة . فقال لهما: انا النظار ادخلا الى منزلي وكلا معي طعاماً وانبئكما عن بغيتكما . فلما دخلا معه البيت قال لهما: لا تهتما بأمر الأتُن فقد وُجدت ولم تكن لذة بني اسرائيل الا لك يا شاول ولآل ابيك . فقال له شاول مستعفياً : قبيلتي اقلّ سبط بنيامين . وأخذ شمويل قرن الدهن وافاضه على رأس شاول قائلاً : ان الله اصطفاك لتكون ملكاً لميراثه . وسيلقاك في مضيك زمرة من الانبياء ويتنبأون وتتنبأ معهم . فمضى شاول حتى لقي الانبياء وبين ايديهم صنوج ودفوف فنزل عليه روح الربّ وتنبأ معهم.فقال الناس: وشاول ايضاً من الانبياء.وصار ذلك مثلاً سائراً بينهم.وبعد قليل اقبل ملك العمونيين وهو منوط بجيوش عظيمة طالباً قتال بني اسرائيل . فأرسلوا اليه قائلين : صالحنا على ما نؤديه اليك وتنصرف عنا . فقال لهم : اصالحكم على ان يفقأ كل رجل منكم عينه اليمنى . فسمع ذلك شاول واشتد غضبه وجمع من بني اسرائيل ثلثمائة الف مقاتل ومن بني يهوذا ثلثين الف مقاتل وسار نحو العمونيين وقاتلهم وهزمهم وحينئذ اذعن له بنو اسرائيل بالملك . ثم قال له شمويل: ربك يقول لك ان تقاتل العمالقة وتبيدهم وتقتل رجالهم ونساءهم وولدانهم وماشيتهم . فسار شاول نحو العمالقة وابادهم وأسر ملكهم ولم يقتله وابقى ايضاً نقاوة ماشيتهم . فأوحى الله الى شمويل يقول له: اني قد رذلت شاول لمخالفته اياي . فاشتد ذلك على شمويل وقال لشاول: ما لي اسمع ثغاء الغنم وخوار البقر . فأجابه شاول قائلاً: ان بني اسرائيل اقبلوا بها ليذبحوها لله ربك . فقال له شمويل: اولم تعلم ان الله لا يرضى بالذبائح كمرضاته عمّن يطيع امره قد اسخطت ربك ورذلك من الملك بمعصيتك له . فقال شاول: استغفر الله فقد اخطأت واريد ان ترجع معي حتى اسجد له واتوب اليه . فأبى عليه شمويل وجلس حزيناً. فأوحى الله اليه: حتّامَ تحزن على شاول قم وانطلق الى شخص اسمه ايشي من قرية بيت لحم فقد ارتضيت من بنيه ملكاً.فمضى اليه شمويل وقال له: اريد ان امسح احد اولادك ملكاً.فقال له ايشي: انّى لي بذلك . واحضر ابنه الكبير فأعجبه حسنه. فأوحى الله اليه ان نظري ليس كنظر البشر فأعرض عنه . ووقف شمويل حتى عرض عليه سبعة من بنيه . فلم يفض القرن علي احدهم . فقال لايشي : هل بقي من بنيك احد . قال له: بقي غلام هو اصغرهم سنّاً يرعى الغنم . فقال: ائتني به . فأحضره ايشي وأفاض عليه القرن ومسحه ملكاً ومضى الى منزله .

وفي تلك الايام ظهر علج من الفلسطينيين اسمه جولياذ والعرب تسميه جالوت وكان يسب بني اسرائيل ويستهين بهم . فدنا منه داود قائلاً: انت اتيتني بالسيف والدرقة

وانا اتيتك باسم الرب الذي عيَّرت صفوفه. وتناول داود حجراً من خريطته فوضعه في مقلاعه ثم رماه فغيبه في جبهة العلج فوقع على وجهه فسل داود سيفه وقطع به رأسه. واتى بداود الى شاول فقال له: من انت يا غلام. قال: ابن عبدك ايشي من بيت لحم. وكان شاول قد اصابه ريح سوء فقيل له: ليكن عندك انسان جيد الضرب بالصنج ذي الاوتار ليلهيك عما بك. ووُصف له داود انه ماهر في ذلك. فطلبه من ابيه وكان يلهيه. وكانت بنات اسرائيل بعد قتل داود جولياذ يغنين ويفرحن ويقلن: قتل شاول ألوفاً وداود عشرات الوف. فحسد شاول داود. وزج يوماً برمح لطيف كان عنده بيده نحوه. فارتاع لذلك داود. فخافه شاول ورأسه على الف رجل. وقال يوماً: من اتاني بغرلة مائتي فلسطيني زوجته ابنتي ملكيل [1]. فخرج داود وقتل منهم مائتي رجل واتاه بغرلهم فزوجه اياها فأحبت داود حباً شديداً وكذلك اخوها يوناثان وجميع بني اسرائيل. وحذر يوناثان داود من ابيه وهربه الى بعض الجبال. وخرج شاول في طلبه حتى اتى مع اصحابه الى مغارة في ذلك الجبل وباتوا فيها. فسار داود ليلاً واتى الى المغارة وصادف شاول نائماً فقطع قطعة من ردائه ورجع الى اصحابه. ولما اصبح النهار وخرج شاول من المغارة ناداه داود وقبل الارض بين يديه وقال له: لا تسمع فيَّ سيدي قول واشٍ فقد اسلمك الله في يدي اليوم ولم يدنُك مني سوء وهذا طرف ردائك معي. قال له شاول: جزاك الله خيراً. انك ستملك. فاحلف لي انك لا تهلك ذريتي. فحلف له. ومضى شاول الى منزله. ومات شموايل النبي. وخرج شاول في طلب داود مرة ثانية ونام في بعض الطريق ليلاً مع اصحابه فأتاه داود وهو نائم ورام اصحاب داود قتله فمنعهم قائلاً: لا يحلّ لاحد ان يمد يده الى مسيح الرب اتركوه ليومه. ثم اخذ رمحه وكوز الماء وانطلق. فعلم ذلك شاول وقال: اخطأت في طلبك يا داود ولست بعائد. وقاتل الفلسطينيون بني اسرائيل وقُتل يوناثان واخوته وهرب شاول وخاف ان يدركوه فتحامل على سيفه حتى خرج من ظهره وادركه القوم فقطعوا رأسه وانفذوه الى بيوت اصنامهم وصلبوا جسده على سور مدينتهم. وجاء شخص من بني اسرائيل وادعى انه قتل شاول. فقال له داود: كيف طاوعتك نفسك ان تقتل مسيح الله فقتله. وناح داود واصحابه على شاول ويوناثان ابنه ورثاهما قائلاً: ان حجَفة شاول مصبوغة بدم القتلى وقوس يوناثان لم تكن تنثني الى ورائها وحربة شاول لم تكن تنثني. لقد كان اخف من النسور سيراً واشجع من الاسد بطشاً. يا بنات اسرائيل ابكينانّ شاول الذي كان يكسوكن الارجوان والبهرمان. وكانت مدة

---

١ – هكذا في السرياني ܡܠܟܝܠ « ملكِل ». واما في العبراني فهي מיכל « ميكال ».

ملكه على رأي اوسابيوس اربعين سنة وعلى رأي انيانوس عشرين سنة .

(داود بن ايشي) لما قُتل شاول استقام داود في ملكه وقال لناثان النبي يومئذ: انا ساكن في بيوت الارز وسكينة الرب (يعني مسكن الزمان) في الخيَم. أفلا ابني له بيتاً. فأوحى الله الى ناثان النبي وقال له: قل لعبدي داود: لا تبني لي بيتاً لان ابنك الذي اقيمه مكانك هو يبني بيتاً على اسمي . ثم تقدم داود الى يوآب قائد جيشه ليحصي عدد مقاتلة بني اسرائيل . فغاب يوآب عنه في مدن بني اسرائيل وقراهم تسعة اشهر وعشرين يوماً . ثم اتاه وقال له: وجدت عدّة مقاتلة بني اسرائيل ثمانمائة الف رجل وبني يهوذا خمسمائة الف نفس . فأوحى الله الى جاد النبيّ قائلاً: قل لداود: قد رأيتَ الغلبة بكثرة جيوشك ولم تعلم اني الناصر . فها انا مبتليك عن ذلك باحدى ثلَث. فاختر واحدة منهنّ اما قحط سبع سنين واما استيلاء عدو ثلَثة اشهر واما موتان ثلَثة ايام. فقال داود: أن تكون يد الله مؤدّبتنا خير لنا . فاختار الموت . فمات من الصبح الى ثلث ساعات من النهار سبعون الفاً من رجال بني اسرائيل. فقال داود: إلهي وسيدي ان كنتُ اخطأتُ فما ذنبُ هذه الغنم . أحلل عقوبتك بي وببيت ابي . فرفع الله الموت عنهم . واتاه مع الملك النبوءة وتلا الزبور وانتخب من سبط لاوي ثماني وثمانين [1] ومائتي شيخ يرتّلون المزامير ترتيلاً كل اسبوع اربعة وعشرون منهم اثنا عشر في صف واثنا عشر في آخر . ثم ان داود كبر وبردت حرارة جسمه فطلبوا له فتاة عذراء اسمها ابيشاع الشيلومية ، فكانت تحتضنه وتدفئه ليلاً . ولما حضرت وفاته عهد الى سليمان ابنه وملّكه في حياته وقال له: تشجّع وتقوّ وكن رجلاً واحفظ نواميس ربّك وصدق قول الله الذي قال لي: ان حفظ بنوك وصاياي لا يزال رجل من نسلك يجلس على كرسيك الى انقضاء العالم . وكان عمر داود حين ملك ثلثين سنة وعاش في الملك اربعين سنة وتزوج ثلث نسوة سوى امرأة اوريا أم سليمان وكان له سبعة عشر ولداً . ومات ودُفن في اورشليم .

* * *

وفي سنة ثمان وعشرين من ملك داود بُنيت مدينة افسوس ومدينة ساموس. وفي زمانه كان امبيذقليس الحكيم احد الاساطين الخمسة أعنيه [2] وفيثاغورس وسقراط وفلاطون وارسطوطاليس . وهو اول من نفى الصفات عن ذات الباري تعالى قائلاً: ذاته وجوده

---

١ – ثماني وثمانين ومائة ر مائتين وثمانين س « قسمهم اربعة وعشرين قسماً في كل قسم اثنا عشر». فيكون الحاصل مائتين وثمان وثمانين .

٢ – اعنيه ر اعنيتُه .

ووجوده ذاته واما حياته وحكمته فمعنيان اضافيان لا يوجبان اختلافاً في الذات . وله كتاب في بطلان المعاد الروحاني فضلاً عن الجسماني. وقد انتحل مذهبه سليمان بن داود في كتابه الذي يسمّي [1] فيه نفسه قوهلات اي الجامع الذي ذهب فيه مذهب الدهرية [2] واعلم انه قد يوجد فيما يفتش عنه من الكتب اختلاف كثير في تواريخ سني الفلاسفة . فذكر في بعضها ان ثاليس الملطيّ هو اول من تفلسف من اليونانيين وان الشعر ظهر في أمّة يونان قبل الفلسفة بمائتين من السنين وابدعه اوميروس . وذكر كيريلوس في كتابه الذي ردَّ فيه على يوليانوس فيما ناقض به الانجيل ان كون ثاليس قبل ابتداء ملك بختنصر بثمان وعشرين سنة . وقال فرفوريوس: ان ثاليس ظهر بعد بختنصر بمائة سنة وثلث وعشرين سنة . وقال آخر: ان اول من تفلسف فيثاغورس . وقال بعض الاسلاميين: ان اول من وُصف بالحكمة كان لقمان وكان في زمان داود النبيّ ومنه اخذ امبيذوقليس. ولأن غرضنا ههنا ليس تحقيق سني الفلاسفة ولكن ذكر بعض احوالهم المتشبهة بما يُحمَد من سيرهم والتذاذ النفس بسماع بعض نكتهم التي جمعت الى الحكمة الفكاهة والى الفائدة المؤانسة والى الجد المهازلة والى الوقار التبسم [3] وهي انفاس تهادت بين نفوس كريمة وسحائب درّت عن عقول شريفة فلا علينا أكانت الازمنة التي اورد فيها ذكرهم هي ازمنتهم بأعيانها او لم تكن . والذي اثبتناه ههنا من أوقات الفلاسفة المتقدمين هو ما نقلناه من كتابَي اوسابيوس واندرونيقوس المؤرخَين لما رأيناه من موافقة افضل المجتهدين يعقوب الرهاوي المبرّز في اللغات الثلث العبرانية واليونانية والسريانية .

(سليمان بن داود) ولي الملك وهو ابن اثنتي عشرة سنة وعند ذلك اوحى الله اليه في المنام وقال له: سلني ما احببت حتى اعطيكه . فقال سليمان: يا ربي قوّتي تعجز عن التدبير ولا علم لي بالقضاء بين شعبك فامنحني قلباً فهماً وعقلاً رزيناً . فقال له: سأعطيك ما لم يكن لأحد من الملوك . وان سلكت سبيلي أطلت عمرك ولا ازلت الملك

١ – يسمّى ر يسمّي.

٢ – اعلم ارشدك الله ان صاحب سفر الجامعة انما يذكر كلام الدهرية في معرض الرد والتفنيد لا ذكر حقائق يعتقدها . فأوهم ذلك المؤلف ان سليمان قد ذهب فيه مذهب الدهرية . والواقع ان المذهب المذكور ابعد ما يكون من صاحب الجامعة . الا وهو الذي ختم كتابه بما نصه: « فيعود التراب الى الارض حيث كان ويعود الروح الى الله الذي وهبه ... فلنسمع ختام الكلام كله . اتق الله واحفظ وصاياه فان هذا هو الانسان كله . لان الله سيحضر كل عمل ليدين على كل خفي خيراً كان او شراً» (سفر الجامعة ص ١٢ ع ٧ و١٣ و١٤).

٣ – التبسُّم ر التبسيم .

عن بنيك . فأصبح سليمان مسروراً . وجلس على كرسي الملك فأتته امرأتان تختصمان اليه في صبي تدّعي كل واحدة منهما انه ولدها . فقال سليمان لسيافه: اقطع الصبي بنصفين وأعطِ لكل واحدة نصفه . فقالت الواحدة: نعم حتى لا يكون لي ولا لها . وقالت الاخرى: ادفعه اليها ايها الملك ولا تقتله . فعلم سليمان انه ابنها فدفعه اليها . فرأى بنو اسرائيل ذلك وتحققوا ان الله قد آتى سليمان حكمة وعلماً . وخضع الملوك له وهادنوه. وكان ارتفاع مملكته التي هي اربعمائة فرسخ في مثلها في عامٍ ستمائة الف وستين قنطاراً ذهباً سوى الهدايا وارباع المتاجر. والقنطار وهو الككر[١] على ما في التوراة ثلثة آلاف مثقال بمثاقيل القدس كل مثقال خمسة مثاقيل بمثقالنا . وكان ما يحتاج اليه سليمان لمائدته في كل يوم من الدقيق مائة كرّ . ومن الثيران ثلثين رأساً . ومن الغنم مائة رأس . سوى الظباء والايائل وانواع الطيور . وكان له سبعمائة زوجة من الحرائر وثلثمائة جارية من السراريّ واربعون الف رأس من الخيل . وفي رابع سنة لملكه شرع في بنيان بيت المقدس وهو المعروف بالمسجد الاقصى في جبل الاموريين في اندر اران[٢] اليبوسيِ وطوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وعلوه ثلثون ذراعاً . وتممه في سبع سنين . وفي سنة اربع وعشرين من ملكه خرب مدينة انطاكية وبنى سبع مدن من جملتها تدمر .

ولما شيَّد سليمان بيت الرب شكر الله ودعا لبني اسرائيل بالبركة وجثا على ركبتيه وبسط يديه الى السماء وقال: اللهم إله اسرائيل ليس مثلك في السموات العُلى ولا في الارضين السُّفلى قد وفيت لعبدك داود بالوعد الذي وعدته فأسألك انه ان اثم بنو اسرائيل وانهزموا من اعدائهم ودعوك في هذا البيت فاستجب لهم واغفر خطاياهم وانصرهم على اعدائهم . واذا اثموا فاحتبسَ عنهم المطر فأتوا هذا انبيت فاهطل لهم مطراً وارو ِ ارضهم بغيثك . واذا كان في الارض جوع او جراد او موت او مرض فاستغاثوا اليك فاستجب لهم . واذا اتى احد الأمم الغريبة الى هذا البيت ودعاك فاستجب له لتعلم شعوب الارض انك انت الله وحدك فيخافوك .

ثم قرّب قرابين من الذبائح اثنين وعشرين الف ثور ومائة وعشرين الف رأس غنم وجعل ذلك عيداً لله سبعة ايام . فكان الملوك يقصدونه ليسمعوا حكمته ويأتونه بالهدايا النفيسة من الذهب والفضة والجواهر والثياب والطيب والسلاح والخيل . واتته ملكة التيمن وقدمت له مائة وعشرين قنطاراً من الذهب وطيباً وجواهر ثمينة وقالت له: يا سليمان لقد

---

١ – الكر ر الككر . في العبراني ככר .

٢ – كذا في السريانية ܐܘܢ اما في العبرانية ארנן ارنان.

زاد خُبْرك على خَبَرك. طوبى نسائك طوبى عبيدك السامعين حكمتك. يكون الرب إلهك مباركاً. واعطاها سليمان من جميع الالطاف احسنها وعادت الى بلدها.

ولسليمان كتاب في الغزل ومراودة النساء يسمى شيرث شيرين [١] اي مدحة المدائح ظاهره ينبئ انه يغازل فيه ابنة فرعون السمراء وتغازله. والعلماء منا اوّلوه فقالوا ان العاشقة النفس الناطقة التي حال حسنها بالشوائب البدنية ومعشوقها باريها المعشوق لذاته من ذاته ومن المبتهجين به. وله ايضاً كتاب الامثال في الحكمة العملية ناهيك من كتاب [٢]. ومات سليمان ودفن في تربة ابيه داود [٣].

(رحبعم بن سليمان) لم يخلف سليمان ولداً سوى هذا رحبعم. فأجلسه بنو اسرائيل مكان ابيه في الملك وقالوا له: ان اباك جفا علينا في المعاملة فخفّف انت عنا. فأجابهم بعد ثلثة ايام شاور فيها أقرانه قائلاً: ان خنصري اغلظ من ابهام ابي وان كان ابي ادّبكم بالقضبان فانا اعاقبكم بالسياط. فقال بنو اسرائيل: لا سهم لنا مع بيت داود ولا قسمة لنا مع آل ايشي عليكم بمنازلكم يا بني اسرائيل. فمضى كل انسان الى بيته. وانفذ رحبعم رسوله الى قرى بني اسرائيل يستعطفهم فرجموه بالحجارة ومات.

وكان لسليمان غلام شجاع نجيب اسمه يوربعام بن ناباط فملكته العشرة الاسباط عليهم بارض السامرة. وبقي لرحبعم بن سليمان سبطا يهوذا وبنيامين وجعل كرسي مملكته باورشليم. فحاول يوربعام تزهيد بني اسرائيل عن زيارة بيت المقدس واتخذ عجلين من ذهب ونصبهما بمدينة دان [٤] وهي بانياس [٥] وقال لهم: اغتنموا قرب الطريق وترك الكلفة في السفر الى اورشليم فهذان إلاهاك يا اسرائيل اللذان اخرجاك من مصر. فأرسل الله نبياً اسمه شمعي الى يوربعام. فسار اليه وصادفه يبخر قدام عجليه بخوراً. فحلت روح الله على النبي وقال: ايها المذبح انصت لقول الرب. سيولد لآل داود ابن اسمه يوشيا يذبح عليك كهنتك ويحرق عظام قوّامك عليك. وآية ذلك انك تنصدع الآن وينزل الرماد عنك. فصار كما قال.

---

١ – هو اسم الكتاب في العبرانية שִׁיר הַשִּׁירִים .

٢ – ناهيك من كتاب ر ناهياً فيه عن الحرص على الدنيا.

٣ – راجع ما قاله الكتاب المقدس عن سليمان في سفر الملوك الثالث الفصل الحادي عشر.

٤ – دان س نصب واحداً بمدينة دان والآخر بيت إيل. – موقع مدينة دان على ساعة من قرية بانياس. وكانت المدينة تسمى قديماً لاَشم. ويسمى الموضع الآن تل القاضي. ويخرج من اسفل هذا التل نهر اللدّان. وفي الظن ان كلمة «اللدان» تصحيف كلمة «دان».

٥ – بانياس ر نابلس.

واما رحبعم بن سليمان فانه ملك على السبطين سبع عشرة سنة وفعل كل قبيح . وفي السنة الخامسة من ملكه صعد شيشق ملك مصر الى اورشليم وسلب جميع الآلات وتِرَسَة الذهب التي عملها سليمان لبيت الرب . وصاغ رحبعم عوضها نحاساً . ومات رحبعم ودفن في تربة بيت داود .

(ابيّا بن رحبعم) في السنة الاولى لجلوسه حاربه يوربعام ابن ناباط ملك العشرة الاسباط بثمانين الفاً من الجند . والتقاه باربعة آلاف وهزمه . وهلك من بني اسرائيل الذين مع يوربعام في ذلك اليوم خمسون الفاً من المقاتلة. وكان لابيّاً اربع عشرة زوجة وولد له ستة وعشرون ولداً[1] ذكراً وست عشرة بنتاً . وملك ثلث سنين ومات . وكان يتنبأ في زمانه احيّاً وشمعيّاً النبيّان .

(آسا بن ابيّاً) ملك احدى واربعين سنة . وكان جميل الطريقة . وفي السنة الثانية لملكه مرض يوربعام بن نابط ملك العشرة الاسباط ومات بعد ان ملك اثنتين وعشرين سنة. وولى بعده ناداب[2] ابنه مدة سنتين. ثم انتقل ملك الاسباط الى رجل من سبط ايساخر اسمه بعشا بن احيّاً وملك اربعاً وعشرين سنة. وفي السنة العاشرة لملك آسا ملك السبطين حاربه زرح ملك الزنوج بالف الف وستمائة الف رجل من البربر والحبشة والنوبة. فالتقاه آسا بفلاة جادر[3] وهزمه . وبعد خمس سنين احرق الاصنام وخلع أمّه الوثنية من الملك ونفى كل زان وزانية من ارضه .

(يوشافاط بن آسا) ملك خمساً وعشرين سنة على السبطين. وفي زمانه مات بعشا ملك الاسباط العشرة وملك بعده آلا ابنه سنتين ثم اغتاله زمري عبده وقائد جيشه وقتله وملك بعده سبعة ايام . ولما رأى مثاورة بني اسرائيل به طالبين ثأر ملكهم اضرم النار في داره واحرقها ونفسه وذريته[4] . وملك بعده عمري وبنى بالشام مدينة عمورية[5] . ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة ومات . وملك بعده احاب ابنه ثلثة وعشرين سنة وتزوج

١ – ستة وعشرون **س** اربعة وعشرون .

٢ – ناداب **ر** ناذاب .

٣ – جادر **ر** جاذر.

٤ – وذريته **ر** وذويه .

٥ – عمورّيَة **س** وابتني مدينة سمرية **ܫܡܪܝܢ** التي سميت فيما بعد سبسطية وهي ذات مدينة نابلس . – في هذا الاسم تصحيف ينسب للنساخ لان المدينة التي ابتناها عمري تسمى شامر وفي العبرانيـــة **שֹׁמְרוֹן** واما في السريانية فهي **ܫܡܪܝܢ** . وهذا نص الكتاب الكريم : « وابتاع جبل السامرة من شامر بقنطارين من الفضة وبنى على الجبل ودعا المدينة التي بناها باسم شامر صاحب جبل السامرة » (سفر الملوك الثالث ص ١٦ – ع ٢٤) .

امرأة وثنية اسمها ايزبيل ابنة ملك صور . وجدد بناء مدينة اريحا التي لعنها ايشوع ابن نون.ووبخه اليّا النبي لعبادة الاصنام وهرب الى البادية وكان الغراب يجيئه بالقوت . وامتنع المطر بدعائه ثلث سنين ونصف . وانزل النار من السماء واحرقت مائة نفس في مرتين . ثم دعا الى الله ونزل المطر وارو الارض . وهرب من شرّ ايزبل امرأة احاب الى القفر وصام اربعين يوماً بلياليها . ومضى بعد ذلك مع تلميذه اليشع وشق نهر الاردن وجاز في قعره . وارتفع في السحاب ومضى حياً الى حيث شاء الله تعالى . وفي هذا الزمان كان من انبياء الحق اليّا وتلميذه اليشع وعوبذيا وابيهوذ وعوزيل وميخا بن يمشي.ومن الكذّابين صدقيا واليعازر مع اربعمائة أخر . ومات احاب وملك بعده احاز ابنه سنة واحدة . ووقع من روشن دار له ومات . وملك بعده يورم اخيه اثنتي عشرة سنة .

(يورم بن يوشافاط) ملك ثماني سنين. وتزوج اخت احاب ملك العشرة الاسباط اسمها عثليا وقتل اخوته كلهم . فنزلت عليه البلوى ومات مبطوناً .

(احزيا بن يورم) ملك سنة واحدة . وفي زمانه انتقل ملك العشرة الاسباط من بيت احاب الى رجل اسمه ياهو بن نمشي . هذا قتل يورم بن احاب وجميع اهل بيته مع ايزبل امرأته مدحضاً اثرهم .

(عثليا ام احازيا) ملكت سبع سنين . هذه اباحت الزنا للرجال والنساء متظاهرين في مدينة القدس وابادت ذرّية المملكة لتستبد وحدها بها ولا يبقى من ينافسها عليها . ولم ينج سوى يواش حافدها اي ابن احزيا ابنها الذي سرقته عمته يوشبع امرأة يوياذع رئيس الكهنة وربّته سرًّا .

(يواش بن احزيا) ملك اربعين سنة . ولي الملك وله يومئذ سبع سنين وذلك لان يوياذع رئيس الكهنة قتل عثليا الباغية جدته وقلده الملك . ولم يعترف له بجميله لكنه بعد وفاة يوياذع قتل جميع اولاده . ثم اغتاله مماليكه . ومات ايضاً ياهو بن نمشي ملك العشرة الاسباط وكان مدة ملكه ثماني وعشرين سنة . وملك بعده ياهو احاز ابنه سبع عشرة سنة ومات . وملك بعده يهواش ابنه ثلث عشرة سنة . وفي سنة ست وثلاثين ليواش بن احزيا توفي اليشع النبي . وكان يتنبأُ زخريا النبي .

(اموصيا بن يواش) ملك تسعاً وعشرين سنة. هذا اباد جميع اعداء ابيه الاذوميّين واهل ساعير[1] ونقل آلهتهم الى اورشليم وعبدها . وغزاه يهواش ملك العشرة الاسباط وثلم

١ – ساعير س ܣܥܝܪ.

في سور اورشليم ثلمة قدرها اربعمائة ذراع ودخلها وسلب مال هيكل الله ودار الملك وعاد الى شمرين . وقُتل اموصيا في الحرب . ومات يهواش وملك بعده يوربعام ابنه احدى واربعين سنة .

(عوزيا بن اموصيا [١]) ملك اثنتين وخمسين سنة . وفي ايامـــه كان يونس بن متى المبعوث الى نينوا . وفي سنة اربع وعشرين من ملكه تعدّى طوره ودخل محراب [٢] البخور في هيكل الله ليعمل اعمال الكهنة . فبرص جسده كله دفعة ولم يطهر حتى مات [٣] . ولما لم ينهه اشعيا النبي ارتفع عنه الوحي ثماني وعشرين سنة حتى مات عوزيا ثم ردت عليه النبوة احدى وستين سنة اخرى وكان قد تنبّأ قبل اربعاً وعشرين سنة. وفي سنة ثماني واربعين لملك عوزيا اغار ثغلثفلسر ملك اثور على اورشليم وجميع ارض بني اسرائيل وجلا منهم كثيرين . وفي سنة تسع وعشرين لعوزيا مات يوربعام ملك العشرة الاسباط وملك بعده زخريا ابنه ستة اشهر . وقتله رجل اسمه شالوم وملك بعده شهراً واحداً . ثم قتله رجل اسمه محنيم [٤] وملك بعده عشر سنين ومات . وجلس مكانه فقحيا ابنه سنتين ثم قتله فقاح بن رومليا وجلس مكانه عشرين سنة [٥]. قال فرفوريوس المؤرخ ان اوميروس الشاعر وايسيدوس في هذا الزمان كانا .

(يوثم بن عوزيا) ولي الملك ست عشرة سنة وسلك السبيل المستقيم قدام ربه ورمم اورشليم وقهر العمونيّين واخذ منهم الجزية.

* * *

وفي هذا الزمان كان اوميروس الشاعر على ما نقل عن فرفوريوس . هذا عانى الصناعة الشعرية من انواع المنطق واجادها وهو معدود في زمرة الحكماء لعلو مرتبته . وقد وضع كتابين في الحروب التي جرت بين اليونانيين على مدينة ايليون ونسختاهما موجودتان

---

١ – عوزّيا س عزريَا ويسمى ايضاً عوزّيا ܥܘܙܝܐ . – كان لهذا الملك اسمان والمعنى واحد . فالاسم الاول عوزيَا وفي العبرانية עוזיהו وتأويله عِزّ الله . والاسم الثـــاني عزريا وفي العبرانية עזריה ويؤوّل عزر الله اي معونة الله . وقد ورد هذان الاسمان في سفر الملوك الرابع (ص ١٥ – ع ١ و ٣٢).

٢ – محراب ر مذبح .

٣ – قد ذكر الكتاب المقدس لبرص الملك عوزيا سبباً غير هذا قال: « وصنع ياهو قويم في عيني الرب على حسب كل مـــا عمل امصيا ابوه . الا ان المشارف لم تزل ولم يبرح الشعب يذبحون ويقترون على المشارف فضرب الرب الملك فكان ابرص الى يوم وفاته » (سفر الملوك الرابع ص ١٥ ع ٣ و ٤).

٤ – قوله « محنيم » تبعاً للنسخة السريانية . وفي العبرانية « منحيم » بتقديم النون .

٥ – عشرين سنة س اربع وثلاثين سنة .

عندنا بالسريانية وهما مشحونتان بالالغاز والرموز . وقيل ان انلينيا [١] الماجن جاءه فقال له : اهجني لافتخر بهجائك اذ لم اكن اهلا لمديحك . فقال له : لست فاعلا ذلك ابداً قال : فاني امضي الى رؤساء اليونانيين فأشعرهم بنكولك . قال اوميروس مرتجلاً : بلغَنا ان كلباً حاول قتال اسد بجزيرة قبرص . فامتنع عليه انفة . فقال له الكلب : انني امضي الى السباع فأشعرهم بضعفك . قال له الاسد : لان تعيِّرني السباع بالنكول عن مبارزتك احبّ اليّ من ان ألوث شاربي بدمك.

(احاز بن يوثم) ملك ست عشرة سنة واساء السيرة وقرب الذبائح للجن . حاربه فقاح بن روملبا مستنجداً برصبان ملك الشام واهلك من آل يهوذا مائة وعشرين الفاً . ومات فقاح وملك بعده هوشع بن آلا تسع سنين . وفي سنة ثماني لملك احاز غزاه شلمانعسر [٢] ملك بابل . وكتب احاز نفسه عبداً له . واخذ جميع ما وجد في بيت الرب والملك من الذهب والفضة والآنية . وحاصر مدينة شمرين ثلث سنين وفتحها وقتل هوشع وسبى العشرة الاسباط وفرقهم في جبال اثور واراضي بابل وبلاد الفرس. ومن افلت من هذا السبي انضاف الى ملك السبطين يهوذا وبنيامين وبطل بذلك ملك العشرة الاسباط. وفي هذا الزمان عمرت جزيرة رودس وبقيت الفاً واربعمائة وخمس سنين الى ان اخربها المسلمون . وبنيت في بلد فونطوس مدينة طرابيزونطا .

* * *

وفي هذا الزمان اشتهر في الفلسفة ثاليس الملطي على ما ذكره اوسابيوس القيصري [٣] في تاريخه المسمى خرونيقون . وقيل هو اول يوناني صار الى ارض مصر واخذ الحكمة من القبط ثم رجع الى ملطية . وكان اول ما اظهر لقومه من الحكمة انه انذرهم بكسوف الشمس انه سيقع في ساعة معيَّنة من نهار معيَّن. فلما صح حكمه مثل عندهم واستطرفوا [٤] انذاره وتلمذ له جماعة منهم . والقبط اخذوا الحكمة من الكلدانيين . ولم يكن لليونانيين قبل ثاليس شيء من الحكمة وانما كانت حالهم كحال العرب لم يعرفوا غير علم اللغة وتأليف الأشعار والامثال والخطب . وقيل اول من قال بالاطوماطون هو ثاليس اي ان الوجود لا موجد له واحتجّ بما شاهد في هذا العالم من الشرور. وهكذا يعتقد اهل الهند.

١ — انلينيا ر انابيا .

٢ — شلمانعسر ر شلمانسر . — كذا في السريانية ܫܠܡܢܐܣܪ . واما في العبرانية فهي שלמנאסר شلمنآسر .

٣ — القيصري ر القيصراني .

٤ — استطرفوا ر استظرفوا .

وبعد ثاليس اشتهر في العلوم الرياضية خاصة ابولونيوس النجار وله كتاب المخروطات المؤلف في علم احوال الخطوط التي ليست بمستقيمة ولا مقوّسة بل منحنية. أُخرج منه الى العربية في زمان المأمون سبع مقالات . ومقدمته تدل على انه ثماني مقالات . وهذا الكتاب مع كتاب آخر من تصنيف ابولونيوس كانا السبب في تصنيف اوقليدس كتابه بعد زمان طويل . واما اوقليدس النجار فهو من مدينة صور له يد طولى في علم الهندسة. وكتابه المعروف باسطوخيا اي الاركان كتاب جليل القدر عظيم النفع لم يكن لليونان كتاب جامع في هذا الشان ولا جاء بعده الا من دار حوله وقال قوله وما في القوم الا من سلَّم الى فضله وشهد بغزير نيله . وله في هذا النوع ايضاً كتاب المفروضات وكتاب المناظر وكتاب تأليف اللحون وغير ذلك . ومن مشاهير الرياضيين ارشيميديس وهو يوناني اخذ الحكمة من المصريين . وقيل ان الذي اردم اراضي اكثر قرى مصر واسس الجسورة المتوصل بها من قرية الى قرية في زيادة النيل ارشيميديس . وله مصنفات عدة مثل كتاب الكرة والاسطوانة والمسبَّع في الدائرة. وقيل ان الروم احرقت من كتبه خمسة عشر حملاً. وبعده عُرف منالاوس المتصدر[1] لافادة العلوم الرياضية . وله كتاب معرفة تمييز الاجرام المختلطة .

(حزقيا بن احاز) ملك تسعاً وعشرين سنة واطاع الله وازال الاصنام . فظفره الله باعدائه تظفيراً . وفي السنة الرابعة من ملكه صعد شلمانعسر ملك بابل الى ارض السامرة مرة ثانية وسبى جميع من تبقى من العشرة الاسباط . وفي السنة الثامنة من ملكه انفذ شلمانعسر قوماً من الاثوريين الى ارض شمرين ليحرثوها فكانت تخرج عليهم السباع وتقتلهم . فقيل لشلمانعسر : انما ابتلوا بذلك لانهم لا يعرفون سنّة إله تلك الارض. فأرسل اليهم عوزيا الكاهن ليعلّمهم التوراة. فلما تعلّموها وعملوا بسنّتها أمسكت السباع عن الاضرار بهم . ومن ذلك الزمان صار السمرة لا يقبلون من الكتب الالهية سوى التوراة . وفي السنة العاشرة من ملك حزقيا غزا سنحاريب[2] ملك اثور ديار القدس وبصلاة حزقيا خلصت اورشليم. ومرض حزقيا ليموت فبكى بكاءً شديداً وناح قائلاً : ان البركة التي جعلها الله في ذرّية داود انقطعت مني وعندي تنقضي سلالة ملك ابن ايشي . فزاد الله في حياته خمس عشرة سنة . وولد له ابن فسمّاه مناشا . وعلى هذا الولد تحمل اليهود

---

١ – المتصدر ر المتصدّي .

٢ – ومعنى سنحاريب « القمر يُكثر الاخوة » . ومن هنا يؤخذ ان الاثوريين كانوا يتفاءلون بالاسماء كالعرب حتى لعهدنا. فسُمي هذا سنحاريب تفاؤلا بكثرة الاخوة .

نبوءة اشعيا النبي حيث يقول: هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمه عمنوئيل. قالوا وانما سمّى النبي امرأة حزقيا عذراء لصدور النبوّة قبل ان يماسّها [1] بعلها. وكان سنحاريب عند نزوله يرسل الى حزقيا فيقول له: لا تغترّ بربك فسأهلكك. فذُعر منه حزقيا وانفذ الى اشعيا النبي يقول له: هذا يوم بلاء فادعُ الى ربك. فأوحى الله الى اشعيا قائلاً: قل لحزقيا: لا تخف من سنحاريب فاني رادّه في الطريق الذي جاء فيه. وبعث الله ملاكاً فقتل في معسكر سنحاريب مائة الف وخمسة وثمانين الفاً من الجند. فعاد منهزماً الى اثور وهنالك قتله ابناه وهو ساجد في بيت صنمه. ويقال ان هذا سنحاريب جدد عمارة مدينة طرسوس [2]. وعمل حزقيا بحيرة ماء خارج اورشليم وأدخل اليها الماء بالقناة وحفر لها خندقاً. وكان حزقيا لما اتاه رسول سنحاريب أطلعه على جميع ما في بيته. فغضب الله لذلك وقال له: ان جميع ما رأى الاثوريون في بيتك يكون لملك بابل وستكون بنوك خصياناً له. فقال حزقيا: ليت امناً كان في ايامي. وفي زمانه كان طوبيث الصديق من جالية بني اسرائيل قاطناً بنينوا. وقصة مناولة ملاك الرب اياه مرارة داوى بها عينه وبرئه من عماه مذكورة في كتابه.

(منشا بن حزقيا) ملك خمساً وخمسين سنة واجتمع له ملك الاسباط الاثني عشر بعد سبي شلمانعسر. وارتكب كل محظور ومحرّم وعمل صنماً ذا اربعة اوجه وامر بالسجود له. ونشر اشعيا النبي ناهيه عن المنكر بمنشار مشدوداً [3] بين دفّتين. وكان عمر اشعيا مائة وعشرين سنة منها في النبوءة خمس وثمانون سنة. فرذل الله مناشا واسلمه الى الاثوريين فأسروه وأخذوه مسلسلا الى اثور وسجنوه في برج النحاس بمدينة نينوا. وعند ذلك تاب الى الله ودعا دعاءه المشهور. فتاب الله عليه وردّه الى ملكه. وحال وصوله الى اورشليم اخرج الصنم ذا الوجوه الاربعة من الهيكل وطهّره وبنى سور اورشليم الجنوبي.

* * *

١ – ان نبؤة اشعيا المتضمنة هذه الآية: « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً الخ » كانت كما يظهر من الكتاب المقدس في عهد آحاز الملك. وآحاز هذا توفي في ٣٦ من عمره. وهنا نسأل اليهود أكان لحزقيا امرأة عند مجيء النبؤة. ثم نسألهم أكان مناشا اهلا لمثل هذه النبؤة الجليلة مع ما كان عليه من رداءة السيرة في بدء امره. امـا نحن فنؤمن لاسباب يضيق المقام عن ذكرها ان النبؤة تشير الى مريم العذراء عليها اشرف السلام والى ابنها يسوع المسيح لاسمه السجود. وحسبنا مصداقاً لذلك استشهاد القديس متى بالآية المشار اليها عند ميلاد المخلص (متى ص ١ – ع ٣٢).

٢ – ورد ذكر بناء مدينة طرسوس في الصفحة ٢٤.

٣ – مشدوداً ر مشدود.

وفي سنة احدى وعشرين لملك مناشا بُنيت مدينة خلقذونيا. والصقالبة ملكوا الى ارض فلسطين . وولي مدينة رومية الكبرى اوسطيليوس وهو اول من اختص بالحلى الارجوانية والقضيب السلطاني . وبنى بوزوس مدينة بوزنطيا. وبعد تسعمائة وسبعين [١] سنة عظمها قوسطنطينوس وسمّاها قوسطنطينوفوليس .

(امون بن مناشا) ملك اثنتي عشرة سنة وعلى رأي اليهود سنتين . هذا سلك الطريقة القبيحة وعبد آلهة الأمم الخارجة وقتله عبيده في الحرب [٢] .

* * *

وفي هذا الزمان اشتهرت في الحكمة بجزيرة رودس امرأة تسمّى سيبولاً . وبجزيرة سقيليا ارخيلوخوس الخطيب الملقّب بالغراب . وسار اليه الطلبة لاستفادة الخطابة منه . وكان من جملة قاصديه فتى من اليونان يقال له ثيسناس [٣] ورغب اليه في تعليم هذا الفن وضمن له عن ذلك مالاً معيّناً. فأجابه برغبته وعلمه. فلما لقنها [٤] حاول الغدر به ورام فسخ ما وافقه عليه فقال له: يا معلم ما حدّ الخطابة . فقال: انها المفيدة للاقناع . قال: اني اناظرك الآن في الاجرة فان اقنعتك بانني لا ادفعها اليك لم ادفعها اذ قد اقنعتك بذلك . وان لم اقدر على ذلك فلست اعطيك شيئاً لانني لم اتعلم منك الخطابة التي هي مفيدة للاقناع . فأجابه المعلم وقال: وانا ايضاً اناظرك فان اقنعتك بانه يجب لي اخذ حقي منك اخذته اخذ من اقنع . وان لم اقنعك فيجب ايضاً اخذه منك اذ قد نشأت تلميذاً يستظهر على معلّمه. فقيل: بيض رديء لغراب رديء اي تلميذ نكد ومعلم نكد.

(يوشيا بن امون) ملك احدى وثلاثين سنة. وجلس في الملك وله ثماني سنين. وكان جميل المذهب حسن الطريقة. وامر حلقيا الكاهن ابا ارميا النبي بان يدخل هيكل الرب ويرمّمه.وفي ترميمه وجد سفر الناموس وتلاه على يوشيا . فغار على نفسه وامته وكسر اصنام ابيه وقتل خدمها واحرق عظام قُوّامها على مذبحها كما تنبأ شمعي النبي ايام يوربعام ابن ناباط وجدد عيد الفصح باورشليم. وفي سنة احدى وثلثين من ملكه نزل فرعون نخاوث اي الاعرج على الفرات بقرب مدينة منبج طالباً حراب ملك اثور . فسار اليه يوشيا بجيوشه ليمنعه من العبور. فانتصر عليه فرعون وقتله. وحُمل ميتاً الى اورشليم. وكان

---

١ – تسعمائة وسبعين ر سبع وتسعين . وكذا في السرياني .

٢ – وصف النبي صفنيا (ص ٣ ع ١-٥) حالة اورشليم السيئة ايام هذا الملك المنافق .

٣ – تيسناس ر ثيسانس ولعل الصواب ثسياس .

٤ – لقنها ر اتقنها .

له اربعة بنين يهواحاز وصدقيا ويوخنيا ابو اب دانيال النبي ويوياقيم ابو الفتيان[١] الثلثة حننيا وعزريا وميشائل . وفي زمانه كان صفنيا النبي وارميا وحولدى النبيّة .

(يهواحاز بن يوشيا) ملك ثلثة اشهر . وكان فاسد الطريقة فسباه فرعون الاعرج في عوده وواثقه بالحديد وانفذه الى مصر ومات هناك . ونصب يوياقيم اخاه مكانه .

(يوياقيم بن يوشيا) ملك اثنتي عشرة[٢] سنة . وكان قبيح المذهب مذموم الطريقة . وقبل عليه الجزية لملك مصر كل سنة مائة قنطار ذهباً . وفي السنة الثالثة من ملكه صعد بختنصّر ملك بابل الى بيت المقدس وسباها وجلا اكثر اهلها الى بابل ومعهم دانيال النبي والفتية الثلثة اولاد يوياقيم اعمام دانيال النبي ووضع الجزية على يوياقيم ورجع عنه . ثم وصل فرعون الاعرج الى الفرات مرة ثانية والتقاه بختنصر هناك وقتله . وفي السنة الثامنة من ملك يوياقيم نزل بختنصر على اورشليم نزولاً ثانياً واخذ مالاً من يوياقيم وعاد . وبعد ثلث سنين مات يوياقيم .

(يوياخين[٣] بن يوياقيم) وهو المسمّى في انجيل متى يوخنيا[٤] . ولما مضت عليه ثلثة اشهر من ملكه قصده بختنصر وحاصر بيت المقدس . فخرج يوياخين اليه مستأمناً مع امه وحشمه وعبيده . فجلاهم كلهم الى بابل ولم يترك في اورشليم الا شيخاً مسناً وعجوزاً ضعيفة . وولى على من تخلف باورشليم صدقيا بن يوشيا عم يوياخين وبقي يوياخين معتقلاً في بابل سبعاً وثلثين سنة .

(صدقيا بن يوشيا) كان اسمه متنيا وبختنصّر سمّاه صدقيا . ملك احدى عشرة سنة . ثم عصى ومنع الجزية التي كان يؤديها الى بختنصر . فعاد اليه واسره وذبح اولاده بين يديه وسمل عينيه وسار به الى اثور وجعله يدير الرحى مثل الحمار . وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة . ولما مات رميت جثته وراء السور فأكلته الكلاب . وفي هذه المرة دخل بختنصر الى مصر وجزائر البحر وهدم مدناً كثيرة واحرق مدينة صور وقتل حيرم ملكها وكان عمره كما يقال خمسمائة سنة[٥] . وبعث بختنصر نبوزردن القائد الى اورشليم فدعثر

١ – الفتيان ر الفتية .

٢ – اثنتي عشرة س احدى عشرة .

٣ – يوياخين س ܝܘܝܟܝܢ ܕܗܘ ܝܘܝܩܝܡ ܐܒܘܗ ܕܕܢܝܐܝܠ ܒܪ ܝܘܝܩܝܡ ܕܗܘ ܟܘܢܝܐ . – يوياخين بن يوياقيم ر يوناخير بن يوياقيم هو ابو دانيال النبي . – او يوياكين . وفي بعض النسخ يوناخير وهو تصحيف . وفي تاريخ الطبري (الجزء الاول الصفحة ٦٩٣) « يوياحين » .

٤ – متى ص ١ – ع ١١ .

٥ – خمسمائة سنة.وكذا ايضاً في السرياني. اما المترجم برُنز فانه خصص بالمدينة ما يقوله المؤلف عن الملك حيرم.

سورها واحرق الهيكل . وكان لشمعون رئيس الكهنة عند هذا القائد منزلة فسأله في امر كتب الوحي فلم يحرقها فجمعها هذا شمعون باتفاق ارميا النبي ووضعاها مع لوحَي الناموس وعصا موسى ومجمرة البخور وباقي آلات القدس في تابوت العهد ورميا بها في بعض الآبار ولم يعرف مكانها الى الآن . وجلس ارميا النبي ينوح على اورشليم عشرين سنة . ثم انتقل الى مصر فقبض عليه قوم من اليهود وحبسوه في جب ثم اخرجوه ورجموه ومات ودُفن في مصر . ثم الاسكندر في زمانه نقل تابوته الى الاسكندرية فدفن هناك . وكان حزقيال النبي في جملة من سبي الى بابل . فقتله اليهود لاجل توبيخه لهم . فمن السنة الرابعة من ملك سليمان التي كان فيها الشروع في بنيان هيكل الرب الى خرابه الكلي وحريقه اربعمائة واثنتان واربعون سنة . وعلى رأي من جعل مدة ملك صدقيا تسعاً وستين سنة تكون مدة الهيكل عامراً خمسمائة سنة .

الدولة الرابعة
المنتقلة من ملوك بني إسرائيل الى ملوك الكلدانيين

الكلدانيُّون أمَّة قديمة الرئاسة نبيهة الملوك وكان منهم النماردة الجبابرة الذين كان اولهم نمرود بن كوش من بني حام باني المجدل. وكان من ولد نمرود بختنصَّر الذي غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى بقيتهم وغزا مصر وافتتحها ودوَّخ كثيراً من البلاد. ولم يزل ملك الكلدانيين ببابل الى ان ظهر عليهم الفرس وغلبوهم على مملكتهم وابادوا كثيراً منهم. فدرست اخبارهم وطمست آثارهم. وكانت من الكلدانيين حكماء متوسعون في فنون المعارف من المهن التعليميَّة والعلوم الرياضيَّة والالهيَّة وكانت لهم عناية بأرصاد الكواكب وتحقيق بعلم اسرار الفلك ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم واحكامها. وهم نهجوا لاهل الشقّ الغربي من معمور الارض الطريق الى تدبير الهياكل لاستجلاب قوى الكواكب واظهار طبائعها وطرح شعاعاتها عليها بأنواع القرابين الموافقة لها وضروب التدابير المخصوصة بها. فظهرت منهم الافاعيل الغريبة والنتائج الشريفة من انشاء الطلسمات وما اشبهها. ولم يصل الينا من مذاهب الكلدانيين في حركات النجوم ولا من ارصادهم غير الارصاد التي نقلها عنهم بطليموس القلوذي في كتاب المجسطي. فانه اضطرّ اليها في تصحيح حركات الكواكب المتحيِّرة اذ لم يجد لاصحابه اليونانيين ارصاداً يثق بها.

(بختنصَّر بن نبوفلسَّر) ملك قبل احراقه هيكل الرب واخرابه اورشليم تسع عشرة سنة وبعده اربعاً وعشرين سنة. واسمه بالسريانية نبوخذنصر اعني عطارد ينطق [1].

---

١ – اصل الاسم نبو (وهو عطارد). كدر. نصر. فيكون المعنى نبو ينصر من الكدر.

وانما سمّي بذلك لانه نطق بالعلوم والآداب المنسوبة الى عطارد . وفي السنة الثالثة من قمعه ملك اليهود رأى مناماً راعت روحه منه واقتصّه على علماء بابل . فقالوا : هذا خطب عسير لا يكشفه للملك الا آلهة السماء الذين ليس مسكنهم مع الارضيين . فاحتدم صدره لذلك غيظاً وتقدم الى اريوخ صاحب شرطه باهلاك المنجمين والسحرة واصحاب الرقي والزجر والفأل . فقال دانيال لاريوخ : مهلاً اتئد ولا تقتل حكيماً ولكن اوصلني الى الملك . فلما مثل بين يديه مثولاً قال له : اقادر انت على ان تخبرني بالرؤيا التي رأيت وتعبيرها . فأجابه دانيال قائلاً : إله السماء والارض هو الذي يبدي السرائر . وانت ايها الملك رأيت صنماً عظيماً ذا منظر رائع رأسه من الذهب الابريز وصدره وذراعاه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس وساقاه حديد ورجلاه خزف [1] . ورأيت حجراً انقطع من غير قاطع وضرب رجلي الصنم فهشمها هشماً شديداً . فهذه الرؤيا . واما التعبير فأنت رأس الذهب بما منحك الله ملكاً عزيزاً وكرامة وجلالة . ويقوم بعدك ملك يكون دونك في العزّة.والثالث الممثّل بالنحاس يكون دون الثاني. والرابع الممثّل بالحديد دون الثالث فيهشم ويدقّ كثيراً من مجاوريه . اما الارجل والاصابع التي من حديد وخزف فدليل ممالك مختلفة قوية وواهية . واما الحجر المنقطع من جبل من غير يد قاطعة فدليل ملك روحاني مُبيد كل معبود سوى الواحد الحقّ يظهر في آخر الايام. فخرّ بختنصر ساجداً لدانيال واعطاه الالطاف والهدايا ورأّسه على جميع حكماء بابل. وولّى اعمامه حننيا وعزريا وميشائل امر مدينة بابل وسمّاهم باسماء نبطيّة اعني شدراخ وميشاخ وعبدناغو. ثم اتّخذ بختنصر صنماً من ذهب طوله ستون ذراعاً في عرض ستة اذرع . وتقدم الى جميع عظماء دولته ان يوافوا عيد الصنم . وانهم اذا سمعوا صوت القرن وباقي انواع الزمر يخرّون سُجّداً للصنم. فامتثل الجميع امره ما عدا حننيا وعزريا وميشائل. فسعى بهم قوم الى بختنصر انهم لا يعتدّون بأمره . فاستشاط من ذلك غضباً وامر ان يُسجَر الآتون فوق ما كان يُسجَر سبعة اضعاف الوقود وان يُكتّفوا [2] بسراويلهم وقلانيسهم وبرانسهم وباقي ثيابهم ويُزجّوا في اتون النار. فلما فعل بهم ذلك احرقت النار الذين سعوا بهم . فأما هم فمكثوا في النار ممجّدين لله وملاك الطلّ نزل عليهم وامال عنهم لهيب النار فلم تنك فيهم ولا في ثيابهم ولا في لباسهم . فلما شاهد الملك ذلك بُهت تعجباً وقال : ارى الرابع منهم شبيه المنظر ببني الآلهة يعني الملاك . وناداهم بأسمائهم قائلاً : يا عباد الله العليّ اخرجوا .

---

١ – ر رجلاه حديد وخزف .

٢ – يكتّفوا ر يكفتوا.

فخرجوا من النار ولم يشِط شيءٌ من ثيابهم ولا شعورهم. فرفع بختنصَّر درجاتهم. ثم رأى بختنصر رؤيا ثانية كأنَّ شجرة في سواء الارض قد علت حتى بلغت الى السماء ولها ورق انيق وثمار كثيرة فيها مطعم لكل بشر. وجميع حيوانات البرّ وطيور الجوّ تأوي الى ظلّها. وكأنّ ملاكاً قدّيساً نزل من السماء وقال: اقلعوا هذه الشجرة وجذُّوا اغصانها وانثروا اوراقها وبدّدوا ثمارها وتتفرّق عنها حيوانات البرّ وطيور الجوّ وذَروا عروقها في الارض الى ان يحول عليها سبعة احوال. فاقتصّ بختنصَّر هذه الرؤيا ايضاً على دانيال وقال له: انت قادر على تعبيرها لانّ فيك روح الآلهة القديسين. فقال دانيال: ايها الملك الرؤيا لمن يشنأك وتعبيرها على اعدائك. اما الشجرة الموصوفة بتلك الصفات الجليلة فانك انت الذي عززت حتى ارتفع اسمك الى السماء. واما الملاك القديس الذي رأيت واقواله تلك فتدلّ على انّ الناس يُخرجونك من بينهم ليصير لك تعمُّر مع الوحوش وتُطعم العشب طعماً كالثور ويبلّك قطر السماء حتى تحول عليك سبعة احوال. ثم يثوب عقلك اليك وتستوي على كرسي ملكك. فكفّر خطاياك بالصدقات وآثامك بالترحُّم على الضعفاء لتبعد عنك هفواتك.

ومن بعد سنة لما رأى بختنصَّر ان رقاب امم المسكونة قد خضعت له ودانت له ملوكها هيبة له وخوفاً من شدَّة بأسه طغى بقلبه وشمخ بأنفه واخذته العزَّة في نفسه. فسمع صوت هاتف يهتف به هتافاً ويقول: لك يقولون يا بختنصَّر لقد لفظتك مملكتك وسيهيج عليك الناس. فتمّت الكلمة عليه في تلك الساعة وطرده الناس ورعى العشب كالثور. وطال شعره وصارت اظافيره كمخاليب سباع الطيور حتى اتت عليه سبع سنين. ثم راجعه عقله وطلبه قادته واستوى على سرير مملكته ومنح مزيداً من العظمة وحمد الله وعلم ان سلطانه الى دهر الداهرين يهب الملك لمن يشاء ويجعله في سفلة الناس وسُقّاطهم.

* * *

وجدت في كتاب عتيق سرياني مجهول ان اوطولوقيوس المهندس اليوناني عرف في زمان بختنصَّر وكان مشهوراً في وقته. والموجود من كتبه الآن كتاب الكرَّة المتحرّكة اصلاح الكندي وكتاب الطلوع والغروب ثلث مقالات. واما ثاوذوسيوس فلم نقف له على زمان معيَّن وهو من حكماء اليونان المشهورين وله تصانيف حسان. له كتاب الاكر الذي هو اجلّ الكتب المتوسطات بين كتاب اوقليدس والمجسطي.

وفي هذا الزمان كان فورون الفيلسوف الكلدي [١] . وكانت حكمته هي الحكمة الاولى التي لم تستقرّ . وكان صاحب فرقة وله جمع يتعلمون منه الفلسفة الطبيعية وذهب اليها فيثاغوروس وثاليس الملطيّ وعامّة الطلبة من اليونانيّين والمصريّين. وكانت هذه الفلسفة شائعة في يونان الى قبل زمان سقراطيس . ثم مال الناس عنها وقد انتصر لها اناس من المتأخرين منهم محمد بن زكريا الرازي لانه لم يتوغل في العلم الالهي ولا فهم غرض ارسطوطاليس فيه فاضطرب رأيه وتقلّد آراء سخيفة وانتحل مذهباً خبيثاً مذهب فورون وذمّ اقواماً لم يفهم عنهم ولا هُدِي سبيلهم . وفرقة فورون يُعرفون باصحاب اللّذة لانهم كانوا يرون ان الغرض المقصود اليه في تعلم الفلسفة اللذة الحاصلة للنفس بمعرفتها وهي مع البدن لانجائها من عذاب الجهل في الآخرة كما هو رأي ارسطو لان النفس لا بقاءَ لها بعد البدن عندهم .

(أوِل مرودخ بن بختنصر) ملك ثلثَ سنين . هذا اخرج يوياخين بن يوياقيم من السجن واكرمه وآكله مؤاكلة بعد سبع وثلاثين سنة وكان فيها معتقلاً. وقُتل مرودخ وملك بعده اخوه بلطشاصر .

(بلطشاصر بن بختنصّر) ملك سنتين . ثم عمل وليمة عظيمة لالف رجل من اكابر دولته وكان يشرب الخمر بازائهم . وامر وهو يشرب ان يؤتى بآنية هيكل الرب التي سباها ابوه من اورشليم وشرب فيها مع عظمائه. فظهرت قبالته كفُّ يدٍ كاتبة عقابه في ضوء المصباح على الحائط . فرابته الكتابة واحضر حكماء بابل ليترجموا الكتابة . فعجزوا عن حلّها. فامتعض لذلك امتعاضاً شديداً. فأخبرته أمّه عن دانيال النبي انه درّاك غيب وحلاّل عُقد. فاستدعاه وضمن له ان يلبسه الارجوان وان يولّيه ثلث الملك ان اوّل الكتابة. فقال دانيال: لتكن مواهبك لك واجعل ذخائر بيتك لغيري. اما الكتابة فقراءتها أُحصي احصاءً وزن وأُعري . وتأويلها: ان الله احصى ملكك واستلبه . ووزنك زنة فوجدك شائلاً فلذا اعراك من ملكك فأنت عارٍ عُرْية. وفي تلك الليلة اغتاله داريوش المادي [٢] وقتله.

---

١ – الكلدي ر الكلداني . – كان مولده في مدينة « أليس » من القسم المسمى « أليد » من بلاد اليونان القديمة. ولعل الكلدي تصحيف الالدي .

٢ – المادي ر الماهي .

الدولة الخامسة
المنتقلة من ملوك الكلدانيين الى ملوك الفرس

امّا الفرس فأهل الشرف الشامخ . والعزّ الباذخ . واوسط الأمم داراً . واشرفهم اقليماً . واسوسهم ملوكاً . تجمعهم وتدفع ظالمهم عن مظلومهم . وتحملهم من الامور على ما فيه حظهم على اتصال ودوام. واحسن التئام وانتظام. وخواصّ الفرس عناية بالغة بصناعة الطبّ ومعرفة ثاقبة بأحكام النجوم . وكانت لهم ارصاد قديمة . وقال بعض علماء العجم : اوّل من ملك بعد الطوفان كيومرت من بني سام بن نوح وكان ينزل فارس . واتخذ الآلات لاصلاح الطرق وحفر الانهار وذبح ما يؤكل من الحيوان وقتل السباع . وما زال الملك في ولده الى ان ملك دارا بن دارا[1] الذي غزاه الاسكندر وقُتل في المعركة. ثم ملكت الاشكانية اولهم اشك . ثم اشك بن اشك وهو اول من تسمّى بالشاهيّة. ودام الملك فيهم الى ان ظهرت المملكة الساسانية اولهم اردشير[2] بن بابك بن ساسان من بني كشتاسب . فأحسن السيرة وبسط العدل . وتوارث بنوه الملك الى ان ملك يزجرد[3] ابن شهريار بن قباذ بن فيروز بن هرمز بن كسرى انوشروان المعروف بالعادل. وهو آخر ملوك الفرس . فلما ملك انتقضت عليه الدولة وتفاقمت امورها وطلعت اعلام الاسلام بالنصرة وقُتل كما يأتي شرح ذلك في موضعه.

---

١ – دارا بن دارا ر داراب بن دارا .

٢ – اردشير ر ازدشير .

٣ – يزجرد ر يزدجرد .

(داريوش المادي[١]) واليونانيُّون يسمُّونه نابونيذس. ملك سنة واحدة . وقيل تسع سنين . وبه بطلت مملكة النبط الكلدانيين منتقلة الى الفرس المجوس . وهذا الملك استولى على الملك وهو من ابناء اثنتين وستين سنة . وحسنت منزلة دانيال النبي عنده . واقام في ولايته مائة وعشرين قائداً ورأَّس عليهم ثلثة رجال احدهم دانيال. وكان يرجع في سرائره اليه . فساء ذلك ارباب الدولة وجعلوا يطلبون عليه حجة يوقعونه بها عن مرتبته . فلم يظفروا منه بهفوة غير انه يدين بغير دين الملك . فساروا الى الملك وقالوا: ان دانيال يعبد إلهاً غريباً. وفي سنّتنا ان من دان في ارضنا بدين غير ديننا وتعدّى سنّة اهل ماه[٢] وفارس قذف به في جبّ الاسد . فلما لم يقدر الملك على ابطال شريعة قومه تقدَّم بقذف دانيال في جب الاسد وقال له: إلهك ينجيك . وانصرف الى منزله وبات طاوياً وطار عنه نومه اشفاقاً على دانيال . وكان حبقوق النبي في الشام قد طبخ طبيخاً ومضى يطعم الحوَاصيد فأخذه ملاك الرب بشعر رأسه ووضعه في بابل على فم الجبّ فقال: دانيال دانيال قم خذ الطعام الذي انفذ لك ربّك. فقال دانيال: ذكرني الله ولم يهملني . واخذ الملاك لحبقوق ووضعه في موضعه . وجاء الملك داريوش بعد سبعة ايام ليبكي على دانيال لكثرة اهتمامه له . فلما دنا من الجبّ ناداه : يا دانيال هل قدر معبودك ان ينجيك من السباع . اجابه دانيال قائلاً: ايها الملك عِشْ خالداً ان إلهي بعث لي ملاكه وسدّ افواه الاسد فلم تهلكني. فحسن موقع ذلك من الملك جدًّا واخرج دانيال من الجب وألقى وشاته فيه مع نسائهم وبنيهم وذريتهم . فما استقرّوا في قرار الجبّ الاّ ومزّقتهم الاسد ورضّت عظامهم رضاً .

* * *

وفي هذا الزمان اشتهر فراخوديس[٣] مصنف القصص معلم فيثاغورس .

(كورش الفارسي) ملك احدى وثلثين سنة واستولى على ملك العراق وخراسان وارمينية والشام وفلسطين وغزا بلاد الهند وقتل ملكها. هذا كورش تزوّج اخت زوربابيل ابن شلاثيل بن يوياخين بن يوياقيم ملك يهوذا . ولما دخل بها ارتفعت عنده وقال لها: اطلبي مني ما شئتِ. فطلبت منه عَود بني اسرائيل الى اورشليم وان يأذن لهم بعمارتها. فجمعهم كورش الملك وخيَّرهم قائلاً: من اختار الصعود فليصعد ومن أباه فليقم . فكان

---

١ — المادي ر الماهي . وهو مناسب للفظة ماه في السطر ٧ من هذه الصفحة . س ܡܕܝܐ مادي .
٢ — ماه ر ماد .
٣ — فراخوديس ر فراقوديس .

عدد موثري الصعود خمسين الفاً من الرجال غير النساء والاولاد . فحصل زوربابيل ملكهم ويشوع بن يوزاداق كاهنهم . وعنهما قال ملاك الرب لزخريا النبي : ان هٰذين ابنا الدلال وهما يقومان بين يدي ربّ العالمين . فصعدت هذه الشرذمة من بني اسرائيل في السنة الاولى من ملك كورش الى اورشليم وهمُّوا بعمارتها . ولأن الفلسطينيين مجاوريهم اعنتوهم كان تشييدهم الهيكل على التراخي في ستّ واربعين سنة كما قال يوحنا الانجيلي. ولاختلاط كورش بنسل داود قال عنه اشعيا النبي قبل ولاده : قال الله لمسيحه كورش الذي عضدت بيمينه . وعظم كورش ايضاً شأن دانيال وفوَّض اليه سياسة ملكه. فغار لله غيرة وكسر الصنم المسمَّى بيل وقتل التنين معبود البابليّين. فمُقت ورُمي في جب فيه سبعة أُسُد ونجا منها وهلك مبغضوه. ثم رأى الرؤيا على نهر الفرات وعرَّفه ملاك الرب مدَّة السنين التي بقينَ من السبي ومن ظهور السيد المسيح وآلامه وموته . ومات دانيال ودُفن في قصر شوشن اعني مدينة ششتر[1] .

(قمباسوس بن كورش) ملك ثماني سنين . وفي ايامه كانت يهوديث المرأة العبرية التي احتالت على الفرنا الماجوجي صاحب جيش قمباسوس وقطعت رأسه وامّنت اليهود بأسه .

* * *

وفي هذا الزمان كان زرادشت معلم المجوسية وأصله من بلد اذربيجان . وقيل: من بلاد اثور . وقيل: انه من تلامذة اليّا النبي . وهو عرَّف الفرس بظهور السيد المسيح وامرهم بحمل القرابين اليه واخبرهم ان في آخر الزمان بكراً تحبل بجنين من غير ان يمسها رجل وعند ولادته يظهر كوكب يضيء بالنهار ويرى في وسطه صورة صبية عذراء . وانتم يا اولادي قبل كل الأمم تحسّون بظهوره . فاذا شاهدتم الكوكب امضوا حيث يهديكم واسجدوا لذلك المولود وقرّبوا قرابينكم فهو الكلمة مقيمة السماء .

(داريوش بن بشتسب[2]): ملك ستاً وثلثين سنة على رأي قليميس واوسابيوس واندرونيقوس . وفي السنة الاولى من ملكه بالقرب من نجاز بنيان هيكل الرب باورشليم اعني قبله بست سنين تمَّت السبعون سنة التي للسبي كما اوحى الله الى ارميا النبي ان تبقى الأمّة جالية ببابل. ويؤكد ذلك حجي وزخريا النبيَّان بابتهالهما الى الله قائلين : حتَّامَ لا ترحم اورشليم وقد اتى على خرابها سبعون سنة . وذلك اذا عددناها مبتدئين من آخر

١ – ششتر ر تستر و شستر .

٢ – بشتسب ر بستسب و يشتسب و يستسب س ܐܘܫܬܣܦ .

ملك صدقيا وهي السنة الرابعة والعشرون من ملك بختنصّر التي فيها احترق الهيكل وخربت اورشليم وجُلي اليهود عن اوطانهم الى بابل الجلاء الكلي . واما افريقيانوس فانه يعدّها مبتدئاً من اول ملك صدقيا ليتم في اول ملك كورش عند ارساله الجماعة من بني اسرائيل الى اورشليم وتقدمه اليهم بعمارتها .

* * *

وفي هذا الزمان توفي فيثاغورس الحكيم ابن خمس وتسعين سنة . هذا جعل مبادئ الاكوان الاعداد بدليل ان المركبات مبادئها البسائط . ولا ابسط من الاعداد اذ كل ما عداها يلزمه التركيب من اضافة العدد اليه . واشتهر في الفلسفة ديموقراطيس وهو القائل بانحلال الاجسام الى اجزاء لا تتجزأ . وديوجانيس الكلبي وكان قد راض اصحابه رياضة فارق فيها اصطلاح اهل المدن من اطراح التكليف . وكان احدهم يتغوط غير مستتر عن الناس . . . . ويقول فيما يأتيه من ذلك: لا يخلو اما ان يكون ما يفعله قبيحاً على الاطلاق فلا يحسن في موضع دون موضع وعلى صورة دون صورة . وان كان ممّا يحسن في موضع دون موضع وعلى صورة دون صورة فهذا امر اصطلاحي فلا اقف معه . وكانوا يحبون من قرب منهم ويكرهون من بعد عنهم . فقال اهل زمانهم: هذه الافعال تشبه افعال الكلاب فسمّوهم الكلبيّين.

ومن مشاهير هذا الزمان انكساغورس الطبيعي وفينذارس وسيموندس الموسيقيّان وفروطوغورس واسوقراطيس السفسطانيان واريسطوفنيس واقحاليس الشاعران الهاجيان .

* * *

وفي هذا الزمان ايضاً عُرف ابقراط الطبيب. هذا كان يسكن مدينة حمص ويتردد الى مدينة دمشق ويأوي الى بستان كان له فيها ومكانه معروف الى يومنا هذا في واد هناك يسمّى النّيرب. وكان رجلاً إلهياً يداوي المرضى مجاناً . وقد احسن جالينوس في وصفه له حيث قال: ان جالينوس ادّبه الدرس وابقراط ادّبته الطبيعة . وقال ايضاً: ان ابقراط انغمس في الطبيعة وسرى معها حتى انتهى الى اعماقها واخبر عمّا شاهد هناك . وله من الكتب كتاب افوريسمون[1] اي الفصول وكتاب بروغنوسطيقون اي تقدمة المعرفة وكتاب ابيذيميا اي الامراض الوافدة وكتاب مـاء الشعير وكتاب الاخلاط وكتاب

---

١ – افوريسمون ر افوريسموا .

قسطران[1] اي كتاب المدن والماء والهواء وكتاب طبيعة الانسان وكتاب شجاج الرأس وكتاب دياثيقي اي العهد .

ومن الحكماء المعاصرين لابقراط فيليمون وكان عالماً في فنّ من فنون الطبيعة اعني الفراسة اذا رأى شخصاً استدلّ بتركيب اعضائه على اخلاقه . وله فيها كتاب عندنا نسخته بالسريانيّ . وحُكي انه اجتمع تلاميذ ابقراط وقال بعضهم لبعض: هل تعلمون في زماننا هذا اعلم من هذا الرجل يعنون ابقراط . فقالوا: لا . فقالوا: نمتحن به فيليمون فيما يدَّعي من الفراسة . فصوروا صورة ابقراط ثم نهضوا الى فيليمون . وكانت يونان تحكم الصورة بحيث تحكيها[2] على الوجه في قليل امرها وكثيرها لانهم كانوا يعبدون الصور فأحكموا لذلك التصورَ ويظهر التقصير في التصوير من غيرهم ظهوراً بيّناً. فلما انهم حضروا عند فيليمون وقف على الصورة وتأملها وانعم النظر فيها ثم قال: هذا رجل يحب الزنا . وهو لا يدري من هو المصوَّر . فقالوا: كذبت هذه صورة ابقراط . فقال: لا بد لعلمي ان يصدق فاسألوه . فلما رجعوا الى ابقراط واخبروه الخبر قال: صدق فيليمون أُحبّ الزنا ولكن املك نفسي .

(احشيرش بن داريوش) ملك احدى وعشرين سنة . وفي السنة الثانية من ملكه استولى على مصر . وبعد تسع سنين[3] فتح مدينة اثيناس واحرقها . وقيل في زمانه كانت قضية استير العفيفة ومردخاي البارّ من اهل يهوذا . وهذا القول غير سديد والاّ لما اهمل ذكرها في كتاب عزرا المستوعب جميع ما جرى لليهود في زمان هذا الملك . والصحيح انها جرت في ايام ارطحششت المدبّر .

(ارطبانس) ملك سبعة اشهر معدودة مع سني احشيرش .

(ارطحششت الطويل اليدين) ويسمى ايضاً اريوخ. ملك احدى واربعين سنة . وفي سنة سبع من ملكه امر عزرا الحبر وهو الذي تسميه العرب العُزَير ان يصعد الى اورشليم ويجتهد في عمارتها . وفي سنة عشرين من ملكه ارسل نحميا الساقي الخصيّ ايضاً ليجد في ترميمها .

وفي هذا الزمان لم يكن لليهود نار قدس لانهم رموها في بئر وقت جلائهم . فأتوا

---

١ – كتاب قسطران الخ. لعل الصواب : وكتاب قسطران اي المدن وكتاب الماء والهواء . وقسطران لفظة منحوتة من كلمتين في اليونانية (εν) αχαστη χωρη وهو ابتداء كتاب ابقراط في الماء والهواء.

٢ – تحكيها ر تحكيمها .

٣ – تسع سنين س احدى عشرة سنة .

بحمأة منها ووضعوها على حطب القربان فاشتعلت بأمر الله بعد ان طفئت مائة سنة واربعين[١] سنة بالتقريب . ولما رأى عزرا المعجز استف من سفساف[٢] تلك البئر ثلث سفّات فأعطي منحة روح القدس وأنطقه الله بجميع كتب الوحي واعادها كما كانت[٣] .

(احشيرش الثاني) ويسمى اردشير[٤] . ملك شهرين . ثم قتله سغدينوس[٥] وملك بعده مدة يسيرة .

(سغدينوس[٥]) ملك سبعة اشهر وهي مع الشهرين المتقدمين معدودة مع سني اريوخ .

(داريوش نوثوش[٦]) اي ابن الأمَة. ملك تسع عشرة سنة . وفي سنة خمس عشرة من ملكه خلع المصريون ربقة طاعة الفرس من اعناقهم ونصبوا لهم ملكاً بعد مائة واربع وعشرين سنة لتسلط الفرس عليهم .

(ارطحششت الثاني) المعروف بالمدبِّر[٧] واليونانيون يسمونه ارطاكسراكسيس . ملك اربعين سنة وتزوّج باستير العبرية الصالحة وصلب هامان العملقي الذي زاول زوال الجالية من بني اسرائيل . وذلك بدعاء استير ومردخاي الصدّيق صاحبها . وفي سنة خمس عشرة من مملكة هذا ارطحششت اخرب افريقيانوس قائد الافرنج مدينة قرخيذونيا وُسمي بلدها باسمه افريقية[٨] .

* * *

وفي هذا الزمـــان كان ميطن واقطمين[٩] وهما إمامان في علوم الفلك اجتمعا بالاسكندريّة على احكام آلات الارصاد ورصدا ما احبّا من الكواكب .وقيل ان بين

١ – واربعين ر وست واربعين س واستمرت النار متقدة بعد مائة وست واربعين سنة .

٢ – سفساف ر سفاف .

٣ – ان اسفار موسى وسائر الاسفار المقدسة القديمة لم يهلكها الجلاء البابلي . فجمعها عزرا الحبر وفسرها للشعب . فلا صحة اذاً للقول بان الله انطقه بجميع كتب الوحي واعادها كما كانت . انما هذه حكاية مأخوذة عن كتاب مصنوع ينحله بعضهم عزرا ويسمونه سفر عزرا الرابع .

٤ – اردشير يروى بالزاي المعجمة .

٥ – سغدينوس يروى بالعين المهملة .

٦ – نوثوش س نوثوس س ܢܘܬܘܣ .

٧ – بالمدّبر س ܡܕܒܪܢܐ .

٨ – ان النساخ قد صحفوا وافسدوا هذه العبارة . والصواب ان اميليانوس شيبيون لقب افريقيانوس نسبة الى بلاد افريقية . اما خراب مدينة قرطاجنة فحدث سنة ١٤٦ قبل المسيح . وارطحششت الثاني توفي نحو سنة ٣٦٢ قبل المسيح .

٩ – اقطيمن ر افطيمن .

زمانهما وبين بطليموس صاحب المجسطى خمسمائة سنة وسبعين سنة [١] .

(ارطحششت الثالث) المعروف بالاسود . واليونانيون يسمونه اوخوس . ملك سبعاً وعشرين سنة واستعاد ملك مصر وهزم نقطابيوس[٢] ملكها وصار يسيح في بلاد اليونانيين بزيّ منجِّم لانه كان ماهراً في علم الفلك واسرار الحركات السماوية . وقيل انه تلطف لمجامعة أُلـومفيذا امرأة فيليفوس ملك مقدونيا في تنجيمه لها . فحملت منه بالاسكندر ذي القرنين .

(ارسيس[٣] بن اوخوس) ملك اربع سنين. وفي زمانه اشتهر سقراطيس الحكيم المتألّـه. هذا زهد في الدنيا ومتاعها الى حد انه سكن الحبّ . وقيل له: ان انكسر الحبّ ماذا تعمل . فقال: ان انكسر الحب لم ينكسر مكانه . وكان يقول: حسن الظاهر تابع للحسن الباطن فيُستدل على حسن النفس بحسن البدن . ولانه كان يختار للتعليم الاحداث الوسام نسبه الاِثنيـّون الى الفحشاء. ولكثرة تقييده الملك المشتهر بالفجور علم ابنيه انطوس وميليطوس الافساد عليه وأماته مسموماً .

* * *

وبعد موت سقراط صار الصيت لافلاطون. هذا كان شريف الوالدين نَسب ابيه يرتقي الى فوسيديون ونسب أمّه الى سولون واضع النواميس للاثنيـّين. وقيل: انه تميز في حداثته في علم الشعر . فلما رأى سقراط يهجن هذا الفن من جملة العلوم احرق كتبه الشعرية وتلمذ له خمسين سنة ومنه اقتبس الحكمة الفيثاغورية وقال: ان المبادي ثلـثة الاله والهيولي والصورة . واثبت وجود الامثال النوعية في الخارج مجرَّدة عن الموادّ. وادّعى تناسخ النفوس وان وجودها قبل وجود الابدان . وكان يأذن لمن عجز عن مكابدة العزوبة من تلامذته ان يشاركه النفر منهم في زوجة واحدة لما في ذلك من قلة المؤنة وكثرة المعونة . وقد عدّ له ثاون الاسكندريّ ثلثة وثلثين كتاباً . والموجود منها الآن كتاب فادُن وكتاب طيماوس وكتاب النواميس وكتاب سياسة المدن . ومات وقد بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة . وخلّف بستانين[٤] ومملوكين وكأساً واحداً وقرطاً كان معلّقاً في شحمة أُذنه شعاراً

---

١ – ان ميطن واقطيمن كانا قبل المسيح بخمسمائة سنة. واما بطليموس صاحب المجسطي فكان في القرن الثاني للمسيح وكانت الاسكندرية موضع اقامته . والمجسطي (وهي لفظة يونانية معناها الاعظم) موضوع في علم الكواكب ومساحة البلدان .

٢ – نقطابيوس ر نقطانوس و نفطابيوس س ܢܩܛܢܒܘܣ نقطانبوس وهو الصواب .

٣ – ارسيس ر فرسيس س ܦܪܣܝܣ .

٤ – بستانين ر بساتين . وكذلك في السرياني .

بشرفه . وباقي ماله كان قد اخرجه على تزويج بنات اخيه . وكتب على قبره : هاهنا وُضع رجُل إلهي فاق الناس كلهم في العلم والعفة والنباهة والاخلاق العادلة. فكل مَن مدح الحكمة فقد مدحه اذ فيه اكثرها . وكتب في الجانب الآخر من التربة : يا ايتها الارض وان كنت مخفية جسد افلاطون لكنّك لا يمكنك الدنوّ من نفسه التي لا تموت. وتولّى بعده مدرسته سفوسيفوس[1] ابن عمه.

* * *

وفي هذا الزمان اشتهر في الطب روفس وتصدر للتعليم وله في ذلك تصانيف . الاّ انه كان ضعيف النظر مدخول الادلّة ردّ على اكثر اقواله ارسطوطاليس في كتبه الطبيعيات. وردّ عليه جالينوس ايضاً مثل ذلك واقاما الحجج الواضحة على غلطه . ولم تكن الصناعة تحققت في زمانه تحققها في زمان هَذين الفاضلين .

(داريوش بن ارشك) هو دارا بن دارا . ملك ست سنين . ولما بلغه خروج الاسكندر بن فيليفوس اليوناني المقدونيّ جيّش والتقاه في الشام. فانتصر اليونانيون على الفرس وانهزم داريوش طالباً الثغور . فأدركه الاسكندر عند مدينة اياس التي هي فرضة البحر ببلد قيليقيا وقتله وتزوّج ابنته المسماة روشنك. وبطلت وقتئذ مملكة الفرس باستيلاء الاسكندر على الارض .

* * *

وفي هذا الزمان اشتهر في الفلسفة ارسطوطاليس بن نيقوماخس الطبيب من قرية طاجيرا من اعمال مقدونيا . ونسبه من والديه يرتقي الى اسقليبياذيس . وأخذ الحكمة من افلاطون وهو ابن سبع عشرة سنة ولازمه عشرين سنة . وكان اذا لم يحضر في الدرس يقول افلاطون: العقل لم يحضر . كأن الغافلين[2] عن الحق صمٌّ هم عمًا هم سامعوه . وصار له منزلة عظيمة عند الملوك . وبرأيه كان يسوس الاسكندر ملكه ويتوجه الى محاربة ملوك الارض . وتفرّغ ارسطوطاليس لتصنيف الكتب المنطقية والحكمة العلمية والعملية . ويُسمّى معلماً اولَ لا لانه اخترع المنطق اختراعاً كما ظُنّ. لكن لانه جمع أشتاته ورتبه ترتيباً كما قال حاكياً عن نفسه : انه قد كان لنا في الصنائع المنطقية اصول مأخوذة ممّن سبقنا مستعملة في جزئيات برهانية مثلاً في الهندسة جدلية[3] وخطابية في السؤال والجواب.

---

١ – سفوسيوس ر سقوسيقوس س سفوسيفوس .
٢ – كأنّ الغافلين عن ر بان الفيلسوف عن .
٣ – جدلية ر وجدليّة.

واما في صورة القياس وصورة قياس القياس فأمر قد كددنا في طلبه مدة من العمر حتى استنبطناه. وكان لا يفتر عن الدرس والمطالعة الاّ عسى عند النوم. وكان اذا سُئل لا يبادر الجواب الا بعد الفكر. ولا قصد في البحث الا الحق دون الغلبة. وكان يقول في ابطاله التناسخ: افلاطون صديق والحق ايضاً صديق فاذا لحظتهما كان اختياري واكرامي للحق. وكان اذا شعر بتقصير من نفسه لم يستنكف من ان يدفعه. وكان معتدلا في الملابس والمأكل والمشرب والمنكح والحركات. ومات وله ثمان وستون سنة. وخلّف ابناً وابنة صغيرة وخلف مالاً كثيراً.

واعلم وفّقك الله ان الحكماء الذين نظروا في اصول الموجودات دهريّون وطبيعيّون وإلهيّون. فأما الدهريون فهم فرقة قدماء جحدوا الصانع المدبّر للعالم وقالوا ان العالم لم يزل موجوداً بنفسه لم يكن له صانع صنعه. والطبيعيون فهم قوم بحثوا عن افعال[1] الطبائع وانفعالاتها وما صدر عن تفاعلها[2] من الموجودات حيوان ونبات. وفحصوا عن خواص النبات وتركيب اعضاء الحيوانات فجدوا الله وتحققوا بمخلوقاته انه قادر حكيم عظيم[3]. الاّ انهم رأوا ان النفس تهلك بهلاك الجسد وان لا بقاء لها بعده. واما الآلهيون فهم المتأخرون من حكماء يونان مثـــل سقراط وهو شيخ افلاطون. وافلاطون شيخ ارسطوطاليس. وارسطو هو مرتّب هذه العلوم ومحرّرها ومقرّر قواعدها ومزيّن فوائدها ومخمّر فطيرها ومنضّج قديرها[4] وموضّح طرق الكلام وتحقيق قوانينه والرادّ على الدهرية والطبيعية والمندّد عليهم والقائم باظهار فضائحهم. وهذّب كلام افلاطون وسقراط وحقّقه ونمّقه ورتّبه فجاء كلامه ابضع[5] كلام وأحكم معاني. وكل من نقل كلامه من اليوناني الى لغة اخرى حرّف وجزّف وما انصف. واقرب الجماعة حالاً في تفهُّمه الفارابي وابن سينا فانهما تحمّلا علمه على الوجه المقصود. واعذبا منه لوارد منهله المورود[6]. وكان لارسطو ابن اخ اسمه ثاوفريسطس وهو احد تلاميذه الآخذين الحكمة عنه وهو الذي تصدّر بعده للاقراء بدار التعليم. وكان فهماً عالماً مقصوداً لهذا الشأن. وقرئت عليه

١ – افعال ر احوال.
٢ – تفاعلها ر تفاعيلها.
٣ – عظيم ر عليم.
٤ – قديرها ر قديدها.
٥ – ابضع كلام. يروى بعده: واسدّ نظام.
٦ – المورود ر الورود.

كتب عمه وصنّف التصانيف الجليلة واستفيدت منه ونقلت عنه . فمنها كتاب الآثار العلوية وكتاب الادب وكتاب ما بعد الطبيعة نقله من السرياني الى العربي يحيى بن عدي. وكتاب الحسّ والمحسوس نقله ايضاً ابراهيم بن بكوس [1] . وكتاب اسباب النبات نقله ايضاً ابرهيم المذكور . واما نيقوماخس والد ارسطوطاليس فكان متطبباً لفيليفوس ابي الاسكندر وكان حكيماً فيثاغوريّ المذهب وله من التصانيف كتاب الارثماطيقي وكتاب النغم .

١ – بكوس ر تكوين .

الدولة السادسة
المنتقلة من ملوك الفرس المجوس
الى ملوك اليونانيين الوثنيين

اما اليونانيون فكانوا أمّة عظيمة القدر في الأمم طائرة الذكر في الآفاق فخمة الملوك. منهم الاسكندر بن فيليفوس المقدوني الذي اجمع ملوك الارض طراً على الطاعة لسلطانه. وكان من بعده من ملوك اليونانيين البطالسة دامت لهم الممالك وذلّت لهم الرقاب. ولم يزل ملكهم متصلا الى ان غلب عليهم الروم وهم الافرنج . وكانت بلاد اليونانيين في الربع الغربي الشمالي من الارض . ويحدها من جهة الجنوب البحر الرومي ومن جهة الشمال بلاد اللان ومن جهة المغرب تخوم بلاد الامانية ومن جهة المشرق بلاد ارمينية وباب الابواب [1] . ويتوسط بلاد اليونانيين الخليج المعترض ما بين بحر الروم وبحر نيطس الشمالي فيصير القسم الاعظم منها في حيِّز المشرق والقسم الاصغر منها في حيِّز المغرب. ولغة اليونانيين تسمّى الاطيقيّة وهي اوسع اللغات واجلّها. وكانت عامة اليونانيين صابئة [2] معظمة للكواكب دائنة بعبادة الاصنام . والفلاسفة منهم من ارفع الناس طبقة واجلّ اهل العلم منزلة لما ظهر منهم من الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية والمعارف الطبيعية والالهية والسياسات المنزلية .

(الاسكندر بن فيليفوس): ملك ست سنين بعد قتله داريوش . وكان قد ملك

---

١ – ان باب الابواب هي مدينة . ويقال لها ايضاً « الباب » غير مضاف « والباب والابواب ».

٢ – ان اليونانيين عبدوا فضلا عن الكواكب آلهة كثيرة تصوروها كأناس واعاروها من عوائد البشر ورذائلهم .

قبل ذلك ستاً اخرى . وفتح بلاداً كثيرة حتى بلغ ملكه الى اقصى الهند وأوائل حدود الصين. وسُمّي ذا القرنين لبلوغه قرنَي الشمس وهما المشرق والمغرب . وقتل خمسةً وثلثين ملكاً وبنى اثنتي عشرة مدينة منها اثنتان في بلد خراسان وهما هراة ومرو . وواحدة في بلد السغد وهي سمرقند . واخرى في بلد القبط وهي الاسكندرية . وفي عودته من الهند ووصوله الى بابل مات مسموماً ووضع في تابوت ذهب وحُمل على اكتاف الملوك والاشراف الى اسكندرية القبط ودُفن بها . وكان لما احتُضر أمر ان يكتب الى أمّه بالتعزية وان تتخذ طعاماً وتأمر ان لا يدخل اليه الاّ من لم تصبه مصيبة . ففعلت كذلك فرجع جميع الخلق وحسُن بذلك عزاؤها . وبعد موت الاسكندر تقاسم الممالك اربعة من عبيده وهم بطلميوس بن لاغوس واريذاوس وانطيوخوس وسلوقوس .

* * *

وسأل الاسكندر بناء السدّ سدّ يأجوج فبناه بحجارة الحديد والنحاس وأضرم عليه صخراً واحداً طوله اثنا عشر ذراعاً وعرضه ثمانية اذرع . ولما فرغ من بناء سد يأجوج جاء الى موضع السد الاعظم وهو المكان الذي يعرف بالباب والابواب في مروج[1] بلدان القفجاق فحفر موضع الاساس ومدّه في الجبال حتى ألحقه بحر الروم . فلم تزل ملوك فارس في طلب هذا الاساس فتجشموا معرّة الترك والخزر من بلاد العراق والجبل واذربيجان وارّان وارمينية حتى وجد الاساس يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد ابن سابور. فابتدأ ببناء السد من حجارة ونحاس ورصاص ولم يتمّمه. وكان اكثر همّ ملوك الفرس بعده في بنائه فما اتفق لهم الفراغ منه حتى سهل الله ذلك على يدي كسرى انوشروان فأحكم بناءه وألصقه بروؤس الجبال ثم مدّه في البحر على ميل ثم غلق عليه ابواب الحديد واقام على بنائه سنة واكثر . فصار يحرسه مائة رجل بعد ان لم تكن تطيقه مائة الف رجل من الجند . وأذن للمرزبان الذي يقيم هناك بالجلوس على سرير الذهب ولذلك يسمّى ملك تلك الناحية ملك السرير .

وفي زمان الاسكندر كان اندروماخس الطبيب الذي زاد في معجون المثروديطوس لحوم الافاعي فصار نافعاً من نهوشها .

(بطلميوس بن لاغوس) اي ابن الارنب . ولي مصر وجميع ارض القبط والنوبة اربعين سنة . ومنه سمّوا ملوك مصر البطالسة . وهو جلا اليهود الى مصر في ايام حونيا رئيس الكهنة . وحصل لاريذاوس وهو فيليبوس المذكور في السونطاكسيس اي المجسطي

١ – مروج ر فروج .

مقدونيا وجميع بلاد اليونانيين . ولانطيوخس سوطير اي المخلص انطاكية وجميع بلاد الشام . وبعد اثنتي عشرة سنة من موت الاسكندر حصل لسلوقوس المسمّى نيقاطور اي القاهر مُلك بابل وكل العراق وخراسان الى الهند . ومن اول ولايتـه يبتدئ هذا التاريخ المعروف بتاريخ الاسكندر وهو الذي يورّخ به السريان والعبريون . ومن آدم الى اول هذا التاريخ على رأي ثاوفيل الرهاوي خمسة آلاف ومائة وسبع وتسعون سنة . فاذا زدنا على سني الاسكندر التامة اعني سني سلوقوس هذا المبلغ وعلى الشهور التامة من السنة المنكسرة التي اولها تشرين الاول شهراً واحداً حصل لنا سنون تامة وشهور من السنة المنكسرة التي اولها شهر ايلول وبهذا التاريخ يؤرّخ الروم في زماننا هذا .

(بطلميوس فيلاذلفوس) اي محب اخيه . ملك ثماني [١] وثلثين سنة. وفي زمانه خلع الارمن طاعة ملوك اليونان ونصبوا لهم ملكاً اسمه ارشك . ومن هنا سمّوا ارشكونية . ولما ملك هذا بطلميوس حُبِّب اليـه العلم والعلماء وسمع ان في السند والهند وفارس وجرجان وبابل واثور فنوناً من الحكمة غير التي عند اليونان فتقدم الى وزيره بالاجتهاد في جمع كتب هذه الأمم وتحصيلها والمبالغة في اثمانها وترغيب التجار في جلبها . ففعل ذلك فاجتمع من ذلك في مدة قريبة اربعة وخمسون الف كتاب ومائة وعشرون كتاباً . فلما علم الملك باجتماعها قال لوزيره: أترى بقي في الدنيا شيء من كتب العلوم لم يكن عندنا . فقال له الوزير : بقي عند اليهود كتب إلهيّة اوحى الله بها الى الانبياء فنطقوا بها. فأمرِ ان يجدّ في طلبها . فأطلق سبيل جالية اليهود وطلب من اليعازر رئيس الكهنة ان يسيِّر اليه جماعة من احبار اليهود المتبحّرين في لغتي العبريين واليونانيين لينقلوا له كتب الوحي من اللغة العبرية الى اللغة اليونانية . فأرسل اليه اثنين وسبعين حبراً ذوي مهارة في النقل من كل سبط ستاً. فرتب الملك كل اثنين منهم في بيت في جزيرة فوروا وامرهم ان ينقل كل اثنين منهم كلّ واحد واحد من الكتب الإلهية . وعند الفراغ قوبلت النسخ الستة والثلثون فوجدت مطابقة لم تتخالف لفظاً ولا معنى فاعتمد على صحة النقل. وهذا النقل السبعينيّ هو المعتبر عند علمائنا وهو الذي بأيدي الروم وباقي فرَق النصارى خلا السريان وخصوصاً المشارقة فان نسختهم المسماة بسيطة لترك البلاغة في نقلها تطابق نسخة اليهود . واما المغاربة فلهم النقلان البسيط المنقول من العبري الى السرياني بعد مجيء السيد المسيح في زمان ادي السليح. وقيل قبله في زمان سليمان بن داود وحيرم صاحب صور . والسبعيني

---

١ – ثماني ر خمساً س ثماني .

المنقول من اليوناني الى السرياني بعد ظهور المخلص بزمان طويل .

* * *

وفي هذا الزمان كان طيموخاريس الحكيم الرياضي . وكان عالماً بهيئة الفلك وصناعة آلات الارصاد . وقد ذكر بطلميوس الحكيم في المجسطي ان وقته كان متقدماً لوقته بأربع مائة وعشرين سنة .

(بطلميوس اورغاطيس) اي الصانع [1] ملك ستاً وعشرين سنة . وفي زمانه بنيت قرقيسياء [2] وقالونيقوس وهي الرقّة. وحونيا رئيس كهنة اليهود منع الجزية التي كان يعطيها لملوك مصر . فغضب اورغاطيس وهم باستئصال اليهود . فأرسل اليه يوسيفوس الحكيم العبري وهادنه فتهادنت [3] امور اليهود.

(بطلميوس فيليفاطور) اي محب ابيه . ملك سبع عشرة سنة واضطهد اليهود . وفي آخر ولايته قهره انطيوخس الكبير صاحب الشام . وهذا ايضاً اعتسف اليهود وعنف عليهم وجرت الوقائع المذكورة في القصة الاولى من كتاب المقبانيين .

(بطلميوس افيفانوس) اي المظهَر [4] . ملك احدى وعشرين سنة وارسل جيشاً مع اسقافوس[5] قائده الى بلد يهوذا والشام . فحاربه انطيوخس الكبير وانتصر عليه وهزمه واستولى على مدن كثيرة كانت للمصريين . وحينئذ أخلص له اليهود في الطاعة فأحسن اليهم ورصف الحجارة في الطرق المؤدية الى انطاكية وعقد القناطر على اكثر انهارالشام. وفي سنة احدى عشرة من ملك هذا انطيوخس قهره الافرنج وكان يعطيهم الجزية كل سنة الف قنطار ذهباً وسلم اليهم ولده رهينة . وصالح ايضاً بطلميوس افيفانوس وتزوج ابنته قلاوفطرا . ثم مات وقام بعده ابنه المسمى باسمه انطيوخس وهو الصغير الملقب بأفيفانوس وهو لقب صاحب مصر . هذا وردَّ البيت المقدس ونجس الهيكل بنصبه صنم زاوس وهو المشتري فيه . وألزم اليعازر الكاهن ان يضحّي للصنم الاضحية . ولأنه ابى أماته بالعقاب. ثم سُعي اليه بامرأة اسمها اشموني[6] مع سبعة بنيها انهم يسبّون الاصنام .

---

١ – اي المحسن .

٢ – ان مدينة قرقيسياء ليست كما زعم بعضهم مدينة كركميش القديمة التي ورد ذكرها في محاربة بختنصر لملك مصر نكو (راجع سفر الاخبار الثاني ص ٣٥ ع ٢٠) .

٣ – هادنه فتهادنت ر هاونه فتهاونت .

٤ – يعني التهير الشريف .

٥ – اسقافوس ر اسفانس س ܐܣܩܦܘܣ اسقافوس .

٦ – اشموني ر شموني س ܫܡܘܢܝ شموني .

فأحضرهم بين يديه وأمر بقطع لسان الاول واطراف جميع اعضائه والقائه في الطاجن [١] وسلخ جلدة رأس الثاني . وكذلك امات الباقين وبعدهم امهم بأنواع العذاب . ودُفنوا في اورشليم . ثم بعد مجيئ المخلص نقل مؤمنوا النصارى اجسادهم الى مدينة انطاكية وبنوا عليهم كنيسة .

(بطلميوس فيلوميطور) اي محب أمّه . ملك خمساً وثلثين سنة . وفي السنة السادسة عشرة من ملكه مات انطيوخس الصغير غازياً بالفرس . وملك بعده انطيوخس اوفاطور سنتين واضطهد اليهود اضطهاداً شديداً . وولي امر اليهود يهوذا المقبي وجمع بين الملك والكهنوت ونفى نوّاب انطيوخس من ارض يهوذا وطهّر الهيكل وصار اليهود يحاربون ملوك الروم .

وفي هذا الزمان بنى حونيا رئيس كهنة اليهود هيكلاً بأرض مصر كالذي باورشليم . وبعد اوفاطور ولي الشام ديميطريوس سوطير وهو ابن سلوقوس . وملك اثنتي عشرة سنة ثم قتله الاسكندروس وقام بعده عشر سنين واطاعه فيلوميطور صاحب مصر وزوجه ابنته قلاوفطرا .وتمّت نبوءة دانيال حيث قال : ابنة ملك التيمن تعطى لملك الجربياء . وقيل بالاخرى التي تزوجها انطيوخس الكبير تمّت هذه النبوءة.

(بطلميوس اورغاطيس الثاني) ويعرف بابن الهشيم [٢] . ملك تسعاً وعشرين سنة . وفي السنة الثالثة من ملكه مات الاسكندروس . وولي الشام بعده ديميطريوس الثاني ثلث سنين ثم خُلع وولي مكانه انطيوخس سيذيطوس سبع سنين ومات. وعاد ديميطريوس الى الملك اربع سنين . ثم مات وقام بعده انطيوخس اغريباس اثنتي عشرة سنة وحاصر اورشليم في ولاية هورقانس الملك الكاهن. ولانه ضيّق عليها فتح هرقانوس قبر داود النبي ووجد فيه ثلثة آلاف قنطار من الذهب كان قد خزنها القدماء هناك . فأعطى منها ثلثمائة قنطار لاغريباس فرحل عنه . وفي هذا الزمان اخرب هورقانس مدينة شمرين وهي نابلس [٣] وعصى جماعة من العبيد بجزيرة سقليا فحوصروا في بعض مدنها حتى أكل بعضهم بعضاً .

(بطلميوس فيسقوس) ويُسمّى ايضاً سوطير . ملك سبع عشرة سنة . وفي السنة

١ – الطاجن ر الطنجل س ܛܓܢܐ طنجن .

٢ – الهشيم س ܒܪ ܚܫܝܡܐ . ومعناه الهشيم.

٣ – ان المدينة التي بنيت في موضع شمرين هي سبسطية جدد بناءها هيرودوس لما وهبه اياها اوغسطوس ولقبها باليونانية سبسطية ايماء الى معنى اسم اوغسطوس باللاتيني وهو المبجل . اما نابلس ومعناها المدينة الجديدة فهي شكيم القديمة وهي على ساعتين عن سبسطية . وانما لقبها بهذا اللقب الجديد وسبسيانوس .

الرابعة من ملكه ولي الشام انطيوخس قوزيقوس ثماني عشرة سنة . وفي السنة الحادية عشرة من ملك سوطير مات هورقانس ملك اليهود . وقام بعده اريسطابولس بن يونثان سنة واحدة متتوّجاً. ثم اغتاله اخوه انطيغونيس واغتيل من يوحنا اخيه الآخر الذي سُمّي الاسكندر وولي سبعاً وعشرين سنة وكان ذا بأس . واما بطلميوس فيسقوس فعزلته أمه قلاوفطرا وفرّ منها الى جزيرة قبرس .

* * *

وفي هذا الزمان اشتهر ديسقوريدوس وهو حكيم فاضل حشائشيّ من اهل مدينة عين زربة . قال جالينوس: تصفحت اربعة عشر مصحفاً في الادوية المفردة لأقوام شتى فما رأيت فيها اتم من كتاب ديسقوريدوس . ويحيى النحوي الاسكندري يمدحه في كتابه في التاريخ ويقول: تقدمة[1] الأنفَس صاحب النفس الزكية النافع للناس المنفعة الجليلة المنعوت المنصوب السائح في البلاد المقتبس العلوم والادوية المفردة من البراري والجزائر والبحار والمصوّر لها .

وقد جاء في كتاب المجسطي ان بين رصَدَي ايبرخس وبطلميوس للاستواء الربيعي مائتين وخمساً وثمانين سنة . وهذا يدل على انه كان معاصراً لديسقوريدوس . وفـاق المتقدمين والمتأخرين وعلاهم بعلم الارصاد . ومن كتبه اخذ بطلميوس القلوذي وعلى ارصاده بنى . ولم يصل الينا من كتبه سوى كتاب واحد في اسرار الكواكب ومنه يُعرف تجدّد الممالك في العالم .

(بطلميوس الاكسندروس) هو اخو فيسقوس الفارّ الى قبرس . ملك عشر سنين. وفي السنة الرابعة من ملكه ظفر بقوزيقوس ملك الشام واحرقه بالنار حيًّا وولي في الشام سنة واحدة . ثم قام بالشام ملكاً فيليفوس سنتين ورذلته الرعية بسبب اعانته على هلاك قوزيقوس . ودخل الشاميون في طاعة ملوك رومية قبل ان يسمّوا قياصرة ولم يدخلوا في طاعة البطالسة نفوراً منهم بما فعلوا بملكهم قوزيقوس .

(بطلميوس فيسقوس) هو المسمّى سوطير هذا عاد من قبرس الى مصر ونازع اخاه الاسكندروس فاعتقله وملك بعده ثماني سنين اخرى. ثم مات وأقيم بعده ذيانوسيوس ابنـــه .

(بطلميوس ذيانوسيوس) ملك ثلثين سنة . وفي سنة خمس من ملكه مات يوحنا الاسكندر ملك اليهود وخلف ولدين هورقانس واريسطابولوس مسمَّيين باسمَي عمَّيهما.

١ – تقدمة ر تفدية .

وكانت أمها سيلينا اي القمر ذات سطْو. فنصبت هورقانس ابنهـا رئيس الكهنة واريسطابولوس ابنها الآخر ملكاً. وبعد قليل جلاه بومبيوس قائد جيش قيصر الى رومية واستقام هورقانس اخوه ملكاً لليهود اربعاً وثلثين سنة .

(قلاوفطرا) ابنة ذيانوسيوس ملكت اثنتين وعشرين سنة . وفي سنة ثلَث من ملكها ولي رومية الكبرى غابيوس[1] الملقب يوليوس وهو اول من دُعي قيصراً وتأويله السليل . وانما سُمّي بذلك لان أمّه وهي حامل به ماتت حين ولدت فشقّوا احشاءها وسلّوه منها. ثم صار هذا الاسم نبزاً لكل من ولي رومية. وسُمّي شهر تمّوز يوليوس باسمه وكان يُسمّى اولاً قنطاليس[2] . وبعد اربع سنين مات . وقام بعده اغوسطس قيصر ستاً[3] وخمسين سنة. وفي سنة ست من ملك اغوسطس سُبي هورقانس ملك اليهود الى فارس ووليهم هيروذيس بن انطيفطروس العسقلانيّ من قبل قيصر وهدم سورَي اورشليم واحتجز على تركة الكهنوت ولم يترك احداً يتولى رئاسة الكهنة الا سنة واحدة . وفي السنة الثالثة عشرة من ملك اغوسطس تمرد عليه انطونيوس قائد جيشه وانهزم منه الى مصر بسبب عشقه قلاوفطرا الملكة . فسار نحوه اغوسطس وأسر ولدَي قلاوفطرا المسمى احدهما شمساً والآخر قمراً وقتلهما . ولما سمع انطونيوس وقلاوفطرا بقتل الولدين وكانا محاصرين في بعض الحصون شربا سمًّا وماتا .

* * *

وكان في آخر مملكة البطالسة فطون[4] الفيلسوف ذو يد باسطة في نوعي العدد والمساحة وله كتاب في الحساب الى قلاوفطرا الملكة . وقلاوفطرا هذه كانت حكيمة تصنف الكتب في انواع الحكمة ولها القانون المنسوب اليها المختصر وهو قانون مبسوط سهل قريب المأخذ ويقال انه من تصانيف فطون لها ونحلها اياه فادّعته . والله اعلم .

١ – غابيوس س ܓܐܝܘܣ غايوس .
٢ – Quintilis اي الخامس .
٣ – ستاً س سبعاً .
٤ – فطون ر قوطون و فوطون .

الدولة السابعة
المنتقلة من اليونانيين الوثنيين
الى ملوك الافرنج

الروم هم الافرنج بلادهم مجاورة لبلاد اليونانيين ولغتهم مخالفة للغتهم . فلغة اليونانيين الاطيقية ولغة الروم اللاطينية . وحدّ بلاد الروم من جهة الجنوب البحر الرومي الممتدّ طولاً في المغرب الى المشرق ما بين طنجة الى الشام . وحدها من جهة الشمال بعض ممالك الأمم الشمالية من الروس وغيرها . وحدّها من جهة المشرق تخوم بلاد اليونانيين . وحدّها من جهة المغرب الى اقصى الاندلس البحر المغربي المحيط المعروف باوقيانوس . وهذه المملكة ثلث قطع اولها من جهة المشرق بلاد الامانيّة[1] ثم وسطها بلاد افرنسة ثم آخرها بلاد الاندلس. وقاعدة هذه المملكة كلها كانت مدينة رومية العظمى من بلاد الامانيّة الى ان تغلّب اغوسطس اول القياصرة على ملوك اليونانيين وأضاف الى مملكتهم مملكته فصارت مملكة واحدة روميّة عظيمة الشأن كما فعلت الفرس بمملكة الكلدانيين حتى استولت عليها وصيّرت المملكتين مملكة واحدة فارسية . وصارت رومية قاعدة هاتين المملكتين الى ان قام قسطنطينوس بن هيلاني بدين المسيح ورفض دين الصابئة وبنى مدينة بوزنطيا وعظّمها وسماها باسمه القسطنطينية واستوطنها فصارت حينئذ قاعدة ملك الروم الى سنة الف ومائتين واثنتين وستين للاسكندر حتى قوي العامل على رومية وكثرت جموعه فلبس التاج وسمي ملكاً بكافة ملك قسطنطينية ورضي بسلمه وتميّزت

---

١ – الامانية ر اللاتيّة .

مذ ذاك مملكة اللاطينيين من مملكة الاطيقيين من جهة مغاربها . وبعدت اعمالهم من اعمال رومية بمن توسط بينهما من فرق الترك المخيّمة هنالك والمخربة لكثير من عمائرها . فلا يصل احد اليوم من القسطنطينية الى رومية الا في البحر . وكان للروم بمدينة رومية وغيرها علماء بأنواع الفلسفة الا ان لليونانيين من المزية في ذلك والفضل ما لا ينكره الروميون ولا سواهم .

(اغوسطس قيصر) ملك ستاً وخمسين سنة . وباسمه سمي شهر آب اغوسطس وكان يسمى اولاً سجاسطيلوس [١] . وفي ايامه جدّد هيروذيس مدينة نابلس [٢] وعظم قصر اسطراطون وسمّاها قيصرية [٣] وهي [٤] المعروفة بفيليبوس . وبنى ايضاً مدينة جبلة .

* * *

وفي السنة الثالثة والاربعين من ملك اغوسطس قيصر وهي سنة تسع وثلثمائة [٥] من تأريخ الاسكندر وُلد السيد المسيح من مريم العذراء ليلة الثلثاء في الخامس والعشرين من كانون الاول . وفي تلك السنة كان قد ارسل قيصر الملك قورينوس القاضي مع اصحاب الجزية الى اورشليم . فصعد يوسف خطيب مريم من الناصرة مدينته الى اورشليم ليثبت اسمه. وعند موافاتهم قرية بيت لحم وَلدت مريم . وأتى المجوس بألطافهم من المشرق فأهدوها الى المسيح وهي ذهب ومر ولبان . وكانوا قد مروا اولا بهيروذيس وسألهم عن امرهم . فقالوا له: ان عظيماً كان لنا وهو قد انبأنا بكتاب وضعه ذاكراً فيه: سيولد في فلسطين مولود اصله من السماء ويتعبد له اكثر العالم . وآية ظهوره انكم ترون نجماً غريباً وهو يهديكم الى حيث هو . فاذا رأيتموه فاحملوا ذهباً ومرًّا ولباناً وانطلقوا اليه وألطفوه بها واسجدوا له وانصرفوا لئلاّ ينالكم بلاء عظيم. والآن قد ظهر لنا النجم وأتينا لنتمّ ما امرنا به . فقال لهم هيروذيس: قد اصبتم الرأي فانطلقوا وابحثوا عن الصبي نعمّا . فاذا وجدتموه فأعلموني لأنطلق انا ايضاً فأسجد له . فمضوا ولم يعودوا اليه . فغضب غضباً

١ – Sextilis اي السادس .

٢ – والصواب بانياس .

٣ – وسماها قيصرية الخ. ان هذه العبارة غامضة يتضح معناها من التاريخ السرياني حيث يروى : ان هيرودس جدد مدينة سمرية وسماها سبسطية اكراماً لاوغسطوس الملقب سبسطس وجدد قصر اسطراطون وسماه قيصرية .

٤ – يريد بانياس .

٥ – في الحساب الشائع المشهور ان ولادة السيد له المجد كانت في السنة الحادية عشرة والثلاثمائة من تاريخ الاسكندر .

شديداً وأمر بذبح جميع اطفال بيت لحم من ابن سنتين وما دون لعدم علمه بوقت ولادة المخلّص. وكانت مريم يومئذ ابنة ثلث عشرة سنة وعمّرت احدى وخمسين سنة . وكتب اوتغنيوس[1] الفيلسوف الى قيصر يعلمه عن مجيء المجوس قائلاً في رسالته : ان فرس المشرق دخلوا سلطانك وقرّبوا القرابين لصبي وُلد بأرض يهوذا. فأمّا من هو وابن من هو فلم يبلغنا بعد . فأجابه قيصر : ان هيروذيس عاملنا على اليهود هو يعلمنا ما أمر هذا المولود وقضيته . وكتب قيصر الى هيروذيس يستعلمه الخبر . فكتب اليه وعرفه قول المجوس له وانه ذبح اطفال بيت لحم اجمعين ليكون قد اتى على نفس الصبي معهم . وفي تلك الليلة التي اتت المجوس هرب يوسف مع مريم والمولود الى مصر ولبثوا بها سنتين . ولما بلغهم موت هيروذيس عادوا الى الناصرة مدينتهم . وقبل ان يموت هيروذيس قتل امرأته مريم التي كانت ابنة يوحنا الاسكندر ملك اليهود واخاها[2] وأمها وبالجملة كل من وجد من نسل الملوك. ثم حدث له استسقاء زقّي ونقرس شديد وبقي في عذاب أليم مدة سنتين ثم مات . وولي مكانه ارخيلاوس ابنه تسع سنين . ثم اعتقله اغوسطس وجعل ملك اليهود ارباعاً وولّى في الثلثة الارباع ثلثة من اخوة ارخيلاوس وهم هيروذيس وانطيفطرس وفيليفوس . وفي الربع الرابع لوسانيا .

(طيباريوس قيصر) ملك اثنتين[3] وعشرين سنة . وفي السنة الاولى من ملكه عرضت زلزلة عظيمة وسقط فيها مواضع كثيرة ومات خلق من الناس والمواشي . وفي السنة السابعة بنى هيروذيس بن هيروذيس مدينة طبريّة على اسم طيباريوس الملك. وفي السنة الرابعة عشرة ولي فيلاطوس القضاء على اليهود ونصب تمثال قيصر في الهيكل واضطرب لذلك اليهود . وبعد ثلث سنين اعتمد المسيح من يوحنا بن زكريا يوم الاربعاء وقيل: يوم الاحد لستّ خلَون من كانون الاخيرة . وكان ابن ثلثين سنة. ومن هاهنا بدأ باظهار الآيات الباهرة وافشاء سر ملكوت الله والحث على العمل بسنّة الفضيلة فضلاً عن سنّة العدالة . وفي السنة التاسعة عشرة من ملك طيباريوس وهي سنة ثلثمائة واثنتين واربعين من تاريخ الاسكندر ارسل ابجر ملك الرها فيجاً اسمه حنان الى المسيح بكتاب يقول فيه: من ابجر الاسود الى ايشوع المتطبب الظاهر باورشليم. امّا بعد فانه بلغني

---

١ – اوتغنيوس ر لونغنيوس س ܠܘܢܓܝܢܘܣ لونغينوس .

٢ – ويروى: اختها . والذي نعلمه من التاريخ انه قتل اولا هورقانس جد مريم ثم امرأته مريم ثم ابنيها اسكندر وارسطابولوس ثم ابنه الكبير انطيبطر .

٣ – اثنتين س ثلث .

عنك وعن طبّك الروحاني وانّك تبرئ الاسقام من غير ادوية فحدست انك امّا إلاه نزلت من السماء او ابن الاله . فأنا اسألك ان تصير اليّ لعلّك تشفي ما بي من السقم. وقد بلغني ان اليهود يرومون قتلك . ولي مدينة واحدة نزهة وهي تكفيني واياك نسكن فيها في هدو . والسلام . فأجابه المسيح بكتاب قائلاً: طوباك انك آمنت بي ولم ترني . واما ما سألتني من المصير اليك فانه يجب ان أتمم ما أرسلت له واصعد الى ابي. ثم أرسل اليك تلميذاً لي يبرئ سقمك ويمنحك ومن معك حياة الابد . فلما اخذ حنان الجواب من المسيح جعل ينظر اليه ويصوّر صورته في منديل لأنه كان مصوراً وأتى به الى الرها ودفعه الى ابجر الاسود . وقيل ان المسيح تمندل بذلك المنديل ماسحاً به وجهه فانتقشت فيه صورته . وبعد صعود المسيح الى السماء ارسل ادي السليّح احد الاثنين والسبعين الى الرها وابرأه من سقامه .

وفي هذه السنة تمّت الاربعمائة والتسعون سنة التي اوحى الله الى دانيال النبي ان سبعين اسبوعاً تطمئنُّ أمّتك ثم يأتي الملك المسيح ويُقتَل.وهذا اذا ابتدأنا بتعديدها من آخر سنة عشرين لملك ارطحششت الطويل اليدين وهي السنة التي أرسل فيها نحميا الساقي الى اورشليم وجدّد العهد بتقريب القرابين وكتب عزرا كتب الوحي. وفي هذه السنة اعني التاسعة عشرة من ملك طيباريوس قيصر صُلب المسيح يوم الجمعة في الثالث والعشرين [1] من آذار وكان فصح اليهود يوم السبت وانما أكله المسيح مع تلاميذه ليلة الجمعة لتعذر اتمامه في وقته بسبب صلبه نهار الجمعة. وكان الصعود يوم الخميس لثلاث خلون من ايّار. وصار الفنطيقوسطي يوم الاحد لثلث عشرة ليلة خلت من ايّار.

وفي هذا اليوم سمع كهنة اليهود من داخل الهيكل صوت هاتف يهتف بهم قائلاً: قد ازمعنا على الانتقال من هاهنا . فراعهم ذلك جداً .

* * *

فمن بدء العالم الى مجيء المسيح بمقتضى التوراة التي بأيدي اليهود اربعة آلاف ومائتان وعشر سنين بالتقريب . وبمقتضى التوراة السبعينية التي بأيدي الروم وسائر فرق النصرانية خلا السريان خمسة آلاف وخمسمائة وست وثمانون سنة بالتقريب . ينقص التاريخ الاول من الثاني الف وثلثمائة وخمس [2] وسبعون سنة . وهذا النقص منسوب الى احبار اليهود لان البشارة بالمسيح قد تقدمت في التوراة والانبياء انه يُبعث في آخر الازمان

١ – الثالث والعشرين ر ثالث عشر .
٢ – خمس ر ست .

ولم يكن لمن سلف من رباني اليهود حيلة في دفع مجيئ المسيح غير ان يبدلوا اعمار الآدميّين التي منها يوقف على تاريخ العالم فنقصوا من عمر آدم الى ان ولد شيث مائة سنة وزادوها في باقي عمره . وكذلك عملوا في اعمار باقي وُلد آدم الى ابرَهيم . فصار تاريخهم يدل على ان المسيح ظهر في الالف الخامس وهذا قريب من توسط سني العالم التي هي جميعها عندهم سبعة آلاف سنة . فقالوا: نحن بعد في توسط الزمان فلم يحن حين مجيء المسيح. واما التاريخ السبعيني فيدل على ان المسيح ظهر في الالف السادس فيكون قد حان حينه .

(غاييوس قيصر) ملك اربع سنين . وفي السنة الاولى من ملكه ولي هيروذيس اغريباس على اليهود سبع سنين . وفي هذه السنة قتل فنطيوس فيلاطوس نفسه وأُرسل فيليكوس قاضياً الى اورشليم وملأ محاريب اليهود اصناماً . فأرسلوا رسولَين حكيمَين هما فيلون ويوسيفوس العبريان الى قيصر يتضوّرون من صنيع الناظر . فمضيا واستعطفاه متقدماً بازالة ما كره اليهود عنهم . وفي السنة الرابعة ورد فطرونيوس الناظر من رومة الى اورشليم ونصب صورة زاوس اي المشتري في هيكل الرب . وتمّت نبوءة دانيال النبي الذي قال: علامة نجسة قائمة حيث لا ينبغي .

(قلوذيوس قيصر) ملك خمس عشرة[٢] سنة . وفي السنة الثانية من ملكه ظهر رجل مصري بأرض يهوذا وادعى النبوءة وافسد خلقاً[٣] من الناس واراد ان يكبس اورشليم قهراً . فتوجه اليه فيليكوس[١] البطريق فقتله وقتل عامة اتباعه. وظهر ايضاً رجل يُسمى قورينثوس وكان يقول: ان في ملكوت الله أكلاً وشرباً ونكاحاً .

وفي هذا الزمان امر قلوذيوس قيصر باحصاء اليهود الذين في سلطانه . فبلغ عددهم ستمائة واربعاً وتسعين ربوة واربعة آلاف نفس . وفي يوم عيد الفصح وقع اليهود في الحُلَّسيطى وضغط الناس بعضهم بعضاً فمات في الزحام ثلثون الف نفس. وكان اليهود متفرقين على سبع فِرق.

الاولى : الربّانيون وهم كتاب الناموس ومعلّموه.

والثانية : اللاويّون الذين لم يفارقوا خدمة الهيكل.

---

١ – فيليكوس ص فيليكس س ܦܝܠܝܟܣ Felix .

٢ – خمس عشرة س أربع عشرة .

٣ – خلقاً ر عقول خلق.

والثالثة : المعتزلة الذين يؤمنون بقيامة الموتى ويقولون بوجود الملائكة ويصومون يومين في الاسبوع .

والرابعة : الزنادقة الذين يجحدون القيامة والملائكة.

والخامسة: المغتسلون الذين يقولون لا يُثاب احد ان لم يغتسل كل يوم.

والسادسة: النسّاك الذين لا يأكلون شيئاً فيه روح.

والسابعة : السمرة الذين لا يقبلون من الكتب الآ التوراة وهي المجسّمة [١] .

(نارون قيصر) ملك اربع عشرة سنة . وفي السنة الثالثة عشرة من ملكه اضطهد النصارى وضرب عنق فطروس وبولوس وصلبهما منعكسين [٢] . وعصى اليهود عليه فغزاهم اسفسيانوس القائد مع جيوش كثيرة وحاصر اورشليم زماناً طويلا . فلما دنا من فتحها اتاه الخبر بموت نارون وانه اعتراه جنون في مرضه وقتل نفسه وابنه وزوجته . فنصب اسفسيانوس ابنه طيطوس مكانه في محاربة اليهود ونهض راجعاً الى رومية وغزا الاسكندرية وفتحها وركب في البحر وسار الى رومية وملكها.

(اسفسيانوس قيصر) ملك عشر سنين . وهو بنى قوقلس اي منارة الاسكندرية وطولها مائة وخمس وعشرون خطوة وفي السنة الثانية من ملكه افتتح طيطوس ابنه مدينة اورشليم وقتل فيها زهاء ستين الف نفس وسبى نيفاً ومائة الف نفس . ومات فيها من الجوع خلق كثير [٣] والباقون تشتتوا في البلاد . ودعثرها وأخرب [٤] هيكلها.وتمّت نبوءة يعقوب حيث قال: لن تفقد هراوة الملك من يهوذا ولا المنذر اي النبي من ذريته حتى يأتي من له الغلبة واياه تتوقع الشعوب . وتم ايضاً ما انذر به المخلص مخاطباً لاورشليم: انه سيأتي ايام تحيط بكِ اعداؤكِ ويكبسونكِ وبنيكِ فيكِ . وكان ذلك بعد اربعين سنة من صلب المسيح . وذكر يوسيفوس العبري انه ظهر قبل خراب اورشليم علامات فظيعة . وذلك انه ظهر فوق المدينة نجم طويل كسيفٍ [٥] من نار يلمع . وفي عيد الفصح

١ – اي القائلون بان الله ذو جسم .

٢ – منعكسين ر منكسين . – ان بولس لم يُصلب بل قطع رأسه بالسيف لانه كان وطنياً رومانياً . وهذا ما سطره المؤلف في تاريخه البيعي « ܕܝܢ ܦܘܠܘܣ ܒܣܝܦܐ ܐܬܦܣܩ ܪܫܗ . ܘܦܛܪܘܣ ܗܘ ܙܩܝܦܐ ܘܐܙܕܩܦ ܕܝܢ ܪܫܗ ܠܬܚܬ » . وهذا تأويله : قطع رأس بولس بالسيف واما بطرس فصلب منكساً كما سأل .

٣ – كثير . في هامش احدى نسختي اكسفرد يروى مائة وعشر ربوات .

٤ – واخرب ر واحرق س ܡܚܒ احترق .

٥ – كسيف ر كثيف .

جاءوا ببقرة الذبيحة فولدت حملاً في وسط الهيكل . وابواب النحاس التي كانت على باب الهيكل ولم تكن تُغلق وتُفتح دون اجتماع عشرين رجلاً وجدت نصف الليل مفتوحة من غير علة . وكانوا عامة السنة يسمعون في الهيكل اصواتاً مختلفة تقول : انّا سننتقل من هاهنا .

(طيطوس قيصر) ملك سنتين . وفي السنة الثانية لملكه انشق جبل بالروم وخرج منه شهب نار احرقت مدناً كثيرة . ووقع برومية حريق كثير. وخطب بعض الخطباء ذات يوم خطبة في حفل من الناس وفي جملة الانباز التي نبزها طيطوس اشتق له اسماً [1] من اسماء الله تعالى . ولانه سر بذلك فجأه الموت فجأة .

(ذوميطيانوس قيصر) ملك ستّ عشرة سنة . ونفى من رومية المنجمين واصحاب الزجر والفأل والعيافة والطيَرة. وأمر ان لا يغرس برومية كرم البتة . وفي السنة التاسعة لملكه اضطهد النصارى اضطهاداً شديداً ومع هذا كان الناس يدخلون في دين المسيح افواجاً ويتمسكون به تمسكاً اشد . فقال فطروفيلس المحصل لارسنيوس الحكيم معلمه ما الذي الجأ ديونوسيوس [2] رئيس حكماء اثيناس وافريقيانوس الاسكندري ومرطيانوس الباذوي الى ان يسجدوا لرجل مصلوب . فأجابه قائلا : ان آلهة السماء اقتضوا هـذا . فاستنار واختار اتّباع النصارى بالسيرة الحسنة وترك الدنيا وملاذّها يفيدهم الأيدَ بالقول والعمل .

* * *

وفي هذا الزمان عُرف افولونيوس الطلسماطيقي وكان يضادّ التلاميذ بأفاعيله المخالفة لافاعيل المسيح ويقول : الويل لي ان سبقني ابن مريم . وهذا الملك نفى يوحنا الانجيلي الى بعض الجزائر. وكتب اليه ديونوسيوس اسقف اثيناس كتاباً يقول فيه : لا يعترينّك الضجر والملل فانه لا يطول سجنك فالمسيح يعمل لك الخلاص فألهم نفسك بالصبر . وبعد قليل قُتل دوميطيانوس قيصر على بساطه في مجلسه.

(نارون [3] قيصر الصغير) ملك سنة واحدة. وأمر ان يُردّ المنفيون . ورجّع يوحنا الانجيلي الى مدينة افسوس بعد ست سنين لنفيه. ثم جُذم نارون ومات في بستان خارج رومية .

---

١ – اسماً ر لقباً .

٢ – ديونوسيوس ر ثاوذوسيوس س ثاودوروس ܬܐܘܕܘܪܘܣ .

٣ – نارون ر ناران .

(طريانوس قيصر) ملك تسع عشرة سنة . وفي السنة العاشرة لملكه اضطهد النصارى . واستشهد شمعون بن قليوفا اسقف اورشليم ويوحنا السلّيح وايغناطيوس النورانيّ [١] اسقف انطاكية رمي للسباع فافترسته. وفيلِنيوس صاحب الشرط لما عجز من قتل النصارى لكثرتهم طالع قيصر ان اهل هذا المذهب عاملون بجميع سنن الفلاسفة غير انهم لا يكرمون الاصنام . فأمر قيصر ان لا يجدّ في اذاهم الا اذا وجد منهم من يتفوه بسب الآلهة فليُدَن . وفي آخر سنة من ملكه عصت اليهود الذين بجزيرة قبرس والشام والحبشة . ويهود مصر ايضاً نصبوا لهم ملكاً اسمه لومينوس[٢] . فجيّش وتوجه الى فلسطين . فطلبته جيوش الروم وقتلته مع ربوات من اليهود في كل مكان .

* * *

وفي هذا الزمان ظهر بأنطاكية رجل اسمه سوطرنينوس[٣] وكان يقول : ان سبعة من الملائكة خلقوا العالم واياهم عنى الله بقوله هلموا نخلق انساناً بشبهنا وصورتنا . وقال : ان التزويج وهيئة اعضاء البضاع للرجال والنساء من فعل الشيطان ولهذا يستقبح الناس كشفها . وظهر ايضاً بسيليذيس القائل باكرام الحية وتعظيمها لانها المشيرة على حواء بالمجامعة ولولاها لما تناسل الناس . وظهر ايضاً رجل اسمه قورنثوس [٤] وكان يقول : ان العالم خلق الملائكة وان المسيح وُلد من المباضعة . وقيل : ان بيعة الله الى هذه الغاية التي ظهر فيها هؤلاء المخالفون كانت عذراء من مثل هذه العلوم الشيطانية وخرافات البدع .

(اذريانس قيصر) ملك احدى وعشرين سنة . وفي اول سنة من ملكه اطلق الديون وأمر المديونين ان لا يقضوا مما عليهم شيئاً البتة وأطلق للناس الاخاريج والاتاوى الديوانية ايضاً . وفي السنة الرابعة بطل الملك من الرها وولي امرها القضاة من قبل الروم. وأمر اذريانس ببناء مدرسة بمدينة اثيناس ورتب فيها قوماً من الحكماء وحمل اليهم نواميس سولون وذراقون ومن هنالك فاضت الحكم في اثيناس .

وفي هذه السنة ظهر باورشليم رجل يقال له ابن الكوكب واضل اليهود مدعياً انه نزل من السماء كالكواكب ليخلصهم من عبودية الروم . فتبعه خلق كثير منهم . وبلغ الخبر الى اذريانس فوجّه اليه جيوشاً فقتلوه وغزوا اورشليم واهلكوا اليهود وخربوا اورشليم

١ – لقّب السريان هذا القديس بالنوراني اشارة لمعنى اسمه اللاتيني ايغناطيوس .

٢ – لومينوس ر لويقس او لوسقس س لومفيس ܠܘܡܦܣ .

٣ – سوطرنينوس ر سوطرنيوس او سوطرينوس.

٤ – قد مر ذكر قورنثوس في الصفحة ٦٨ ولا ريب في ان المؤلف اراد هنا ذكر قربوقراطس لان المذهب المذكور هو مذهبه .

غاية الخراب وبنوا قريباً منها مدينة سموها هيليا اذريانس وأسكنوها قوماً غرباء . وأمر اذريانس بصرم آذان الذين تخلفوا من اليهود وسنّ لهم سنّة ان لاينظروا الى اورشليم ولا من بعيد .

(طيطوس انطونيانس قيصر) المسمى اوسابيوس ويسمى ايضاً بارّاً وأب البلد . ملك اثنتين وعشرين سنة وازال عن النصارى الاضطهاد وأباح للناس ان يتديّنوا بأيّ دين شاءوا .

* * *

وفي هذا الزمان نبغ في البيعة من المخالفين شخص اسمه ولنطيانوس وكان يقول : ان المسيح انزل معه جسداً من السماء واجتازه بمريم كاجتياز الماء بالميزاب اي لم يأخذ منها شيئاً . وظهر ايضاً رجل يسمى مرقيون وقال : ان الآلهة ثلثة عادل وصالح وشرير وان العادل اظهر افاعيله في الشرير وهو الهيولي فخلق منها العالم . ولما رأى الصالح العالم قد انجذب الى جهة الشرير ارسل ابنه ليدعو الناس الى عبادة ابيه الصالح . فأتي ونسخ التوراة المتضمّنة سنّة العدل بالانجيل الذي هو متضمن سنّة الفضل . فهيج العادل عباده عليه فأمكنهم من نفسه حتى قتلوه وبقيامته من بين الاموات سبى الناس واصارهم الى عبادة ابيه . فلما اظهر مرقيون هذه الخزعبلة وعظته الاساقفة زماناً طويلاً فلم يرجع عن خزعبلته وتمادى في اباطيله فنفوه الجماعة [١] وصار لعنة.

وفي هذا الزمان اشتهر جالينوس في الطب ووضع فيه كتباً كثيرة . والموجود في ايدي الناس منها الآن زهاء مائة كتاب . وكان شيخه في الطب طبيباً اسمه اليانوس . وهو الذي توجه الى مدينة انطاكية في السنة التي وقع الموتان في اهلها ومعه ترياق الفاروق فمن شرب منه قبل ان يمرض نجا والذين شربوه بعد المرض بعضهم نجا وبعضهم هلك . وكان اصل جالينوس من مدينة برغاموس . وكان اشتغاله في الاسكندرية . والدليل على انه لم يكن في زمان المسيح كما ظُن ولكن بعده [٢] قوله في المقالة الاولى من كتاب التشريح انه صنفه في مبدإ ملك انطونيانس في اول مرة صعد الى رومية . فمن صعود المسيح الى هذه الغاية ما ينيف على مائة سنة . وقال ايضاً في شرحه لكتاب افلاطون في الاخلاق وهو المسمى فادُن : ان هؤلاء القوم الذين يسمّون نصارى تراهم قد بنوا مذهبهم على الرموز والمعجزات وليسوا بأقل من الفلاسفة الحقيقيين بأعمالهم . يحبون العفة

١ – الجماعة ر عن الجماعة .

٢ – كان مولد جالينوس سنة ١٣١ مسيحية .

ويدمنون[١] الصوم والصلاة ويجتنبون المظالم. وفيهم أناس لا يُدنّسون بالنساء. اقول: يريد بالرموز الامثال المضروبة لملكوت السماء في الانجيل الطاهر . ومات جالينوس بجزيرة سيقيليا وقد بلغ من العمر ثمانياً وثمانين سنة .

وقد دلت التواريخ ان بطلميوس القلوذي الرياضي كان في هذا الوقت . وهو اول من سطح الكرة واخترع خط الاسطرلاب الذي[٢] بأيدي الناس . وكتبه المشهورة في زماننا اربعة: الكتاب الكبير المسمى سونطاكسيس وهو المجسطي. وكتاب جاوغرافيا في صورة الارض واطوال وعروض البلدان . وكتاب الاربع مقالات في احكام النجوم. وكتاب الثمرة منها ايضاً .

ومن ورود ذكر ثاون الرياضي الاسكندري[٣] في المجسطي وذكر بطلميوس في القانون يستدل على انهما كانا متعاصرين . ولثاون من الكتب الزيج المسمى بالقانون . وكتاب ذات الحلق وهي الآلة التي بها ترصد حركات الكواكب . وكتاب الاسطرلاب وكتاب المدخل الى المجسطي .

وممن اشتهر عند الناس فضيلته في هذا الزمان الاسكندر الافروديسي شارح كتب ارسطاطاليس المنطقية والحكمية . وقد جرى بينه وبين جالينوس محاورات عديدة . وكان يسمى جالينوس رأس البغل لقوة رأسه في البحث .

(مرقوس اورليوس قيصر) ملك تسع عشرة سنة وأشرك معه في الملك ولديه انطونيانس ولوقيوس . وفي اول ملكهم ولكش ملك الارمن اخرب بلاداً كثيرة من اعمال اليونانيين فغزاهم ابنا مرقوس قيصر وانتصرا عليهم واطاعوهما . وغزا ايضاً لوقيوس الصقالبة والترك وقهرهم . ولذلك يسمى اوطوقراطور اي ضابط الكل . ومات بعد تسع سنين . وولي مكانه قومذوس ابنه ومات مختنقاً . ٥

* * *

وفي هذا الوقت ظهر رجل اسمه طيطيانوس وكان يقول بوجود عوالم كثيرة كعالمنا هذا . وان التزويج كله زنى وشر . وان بعد الموت اكلاً وشرباً ونكاحاً .

وظهر ايضاً في بلد آسيا مونطانس القائل عن نفسه انه الفارقليط الذي وعد المسيح ان يوجهه الى العالم .

١ – يدمنون ر يديمون .
٢ – الاسطراب الذي ر الاسطرلابات التي .
٣ – الاسكندري ر الاسكندراني . ثاون ر تادن و تاون .

وظهر ايضاً رجل يسمى ابن ديصان لانه وُلد على نهر ديصان فوق مدينة الرُّها. وكان يسمي الشمس اب الحياة والقمر ام الحياة وان في اول كل شهر تخلع ام الحياة النور الذي هو لباسها وتدخل على اب الحياة فيجامعها فتلد اولاداً يمدون العالم السفلي بالنمو والزيادة .

(فرطيناخس قيصر) ملك ستة اشهر وقُتل غيلة في مجلسه.

(سوريانس قيصر) ملك ثماني عشرة سنة . وفي السنة الاولى من ملكه ثارت فتنة عظيمة بين اليهود والسمرة فتحاربوا وقُتل من الفريقين خلق كثير . ومن السنة التاسعة من ملكه الى آخر عمره اضطهد النصارى اضطهاداً شديداً واعتسفهم بالسجود للاصنام والأكل من ذبائحهم . ثم قُتل في غزو الصقالبة.

(انطونيانس قيصر) ملك سبع[1] سنين وازال عن النصارى الاضطهاد وغزا ما بين النهرين وقُتل بين الرها وحرّان.

(ماقرينوس قيصر[2]) ملك سنة واحدة . وفي زمانه وقع حريق فظيع في رومية . ووثب عليه غلمانه وقتلوه .

(انطونيانس قيصر المعروف باليوغالي) ملك اربع سنين[3] . وفي زمانه بنيت مدينة نيقوبوليس . وهي التي يسميها الكتاب الالهي عماوس[4] . وكان يتولى بنيانها افريقيانوس المؤرخ .

(الاسكندروس قيصر) ملك ثلث عشرة سنة . وكان اسم أمّه ماما. هذه آمنت بالمسيح وكان منها معونة كثيرة للمؤمنين . وفي السنة الثالثة من ملك هذا الاسكندروس قيصروهي سنة خمسمائة واثنتين واربعين للاسكندر ابتدأت مملكة الفرس الاخيرة المعروفة ببيت ساسان . ودامت اربعمائة وثماني عشرة سنة اعني الى ظهور الاسلام وملكهم .

(مكسيميانوس قيصر) ملك ثلث سنين واضطهد النصارى وقتل سرجيس وباخوس الشاهدَين وقوفريانوس الاسقف مع جماعة من المؤمنين.

(غورديانس[5] قيصر) ملك ست سنين . وغزا بلاد فارس وقُتل هناك. وفي هذا

---

١ – سبع س اربع .

٢ – ماقرينوس ر مقاريوس .

٣ – اربع سنين ر سنتين .

٤ – ܥܡܐܘܣ .

٥ – غورديانس ر غوذريانس .

الوقت افريقيانوس المؤرخ وضع كتباً كثيرة في الازمنة وسير الملوك والفلاسفة .

(فيليبوس قيصر) ملك سبع سنين واحسن الى النصارى ورام الاجتماع مع المؤمنين . فقال له الاسقف: لا يمكنك الدخول الى البيعة حتى تنتهي عن المحارم وتقتصر على زوجة واحدة من غير ذوات القربى . فكان يحضر وقت الصلاة ويقف خارج البيعة مع الذين ألِفوا الدين ولم يكملوا فيه بعد . وفي اول سنة من ملك هذا فيليبوس ملك بفارس سابور بن اردشير احدى وثلثين سنة . وفي السنة الثالثة ظهر قوم من اصحاب البدع قائلين: ان من كفر بلسانه وأضمر الايمان بقلبه فليس بكافر . وفي هذا الزمان بدأت اعمال الرهبان على يدي انطونيوس وفولى[1] المصريَّين. وهما اول من اظهر لبس الصوف والتخلّي في البراري.

(ذوقيوس قيصر) ملك سنة واحدة . ولبغضه فيليبوس قيصر المحسن الى النصارى عاداهم وشدد عليهم جداً. فكفر كثيرون من المؤمنين الى ان قُتل فقدموا التوبة . وكان ناباطيس القسيس لا يقبل توبتهم قائلاً: انه لا مغفرة لمن اخطأ بعد المعمودية . فوعظه الآباء كثيراً وسألوه الرجوع الى رأي الجمهور . فلم يقبل . فاجتمع عليه ستون اسقفاً وابعدوه عن البيعة وزيفوا تعليمه .

وفي زمان ذوقيوس كان الفتية السبعة اصحاب الكهف الذين هربوا منه واختفوا في مغارة فوق الكهف. ورفع خبرهم اليه فأمر ان يُسَد باب المغارة عليهم . فألقى الله عليهم سباتاً الى يوم انبعاثهم من رقادهم .

(غالوس قيصر) هذا اشرك معه في الملك رجلا يسمى ولسيانوس[2] وملكا سنتين. ثم قُتلا في سوق من اسواق رومية يسمى فلامنيوس[3] .

وفي هذا الزمان ظهر في مدينة بوزنطيا قسيس اسمه سابيليوس وقال ان الاقانيم الثلثة هي الوجود والحكمة والحياة ليست معاني زائدة على ذات الله تعالى بل هي صفات اعتبارية لا مسمى لشيء منها في الخارج اذ الباري تعالى موجود لابوجود وحكيم لا بحكمة وحيّ لا بحياة . اقول هذا مذهب انبيذوقليس بعينه في الصفات وقد انتحله فرقة من علماء الاسلامية ايضاً وهي نفاة الصفات .

١ – فولى ر فولي .
٢ – لسيانوس ر لوسيانوس و لوسيانس .
٣ – فلامنيوس ر فلامينوس س فلامينوس ܦܠܐܡܝܢܘܣ.

(اولارينوس قيصر) ملك تسع سنين وشدد على النصارى وعسفهم جداً . ثم غزاه سابور بن اردشير بن بابك ملك فارس ومصر وأسره في المعركة وحدره الى بابل وسجنه هناك وملك غالوس ابنه مكانه .

(غالوس قيصر الثاني) ملك ست سنين وازال الاضطهاد عن النصارى خوفاً ممّا نزل بأبيه من العقوبة .

وفي هذا الزمان ظهر من المبتدعة فولى الشميشاطيّ وكان يقول : ان جميع معلولات الله تعالى ارادية وليس له معلول ذاتي بتةً ولذلك لم يلد ولم يولد . ولهذا لم يكن المسيح كلمة الله ولا ايضاً ولد من عذراء كما ورد في ظاهر المذهب وانما حصل له الكمال بالاجتهاد . فكل من تعاطى رياضته[1] نال درجته . وذكر اوسابيوس المؤرخ عن هذا فولي انه استعان بامرأة يهودية رأّسها غالوس قيصر على الشام وكانت تستحسن علمه وكلامه . وفوضت اليه بطركية انطاكية . فكان يجلس على سرير عال وصبايا حسنات النغمة يزمّرنَ زبور داود بين يديه. وكان متهماً بالزنى معهنَّ. فاجتمع عليه عدة من الاساقفة وحرموه واتباعه .

(قلوذيس قيصر) ملك سنتين . وفي اول سنة من ملكه ظهرت في السماء آية اكليل من نار .

(اورلينوس قيصر) ملك ست سنين وهادن سابور ملك فارس وزوّجه ابنته . فبنى لها سابور بفارس مدينة شبه بوزنطيا وسماها جنديسابور . وكان قد ارسل اورلينوس في خدمة ابنته جماعة من الاطباء اليونانيين وهم بثوا الطب البقراطي بالمشرق . وفي السنة السادسة لاورلينوس همَّ بالتضييق على النصارى . وبينا هو يفكر بذلك برق فاستظلمه[2] ومات . وفي هذه السنة ملك بفارس هرمزد سنة واحدة .

* * *

وفي هذا الزمان عُرف ماني الثنويّ . هذا كان اول أمره يظهر النصرانية وصار قسيساً بالاهواز وكان يعلّم ويفسر الكتب ويجادل اليهود والمجوس والوثنيين. ثم مرق من الدين وسمى نفسه مسيحاً واتخذ اثني عشر تلميذاً وأرسلهم الى بلاد المشرق بأسرها حتى الهند والصين وزرعوا فيها علم الثنوية وهو ان للعالم إلهين احدهما خير وهو معدن النور

١ – رياضته . درجته ر رياضة . درجة .

٢ – فاستظلمه ر فاظلمه .

والآخر شر وهو معدن الظلمة . وانهما تمازجا[1] فانتصر الخير على الشر فانتقل الشر الى جهة الجنوب ليعمل هناك عالماً ويتسلط عليه . ولما شرع وعمل بنات نعش حول القطب الجنوبي كهذه التي حول القطب الشمالي اصلحت الملائكة بينهما بأن ألقى الخير شيئاً من نوره على الهيولي فوُجد عالَم قابل للكون والفساد وتسلط عليه الشر .ولأن الخير انما فعل ذلك مكرهاً ومجبراً خلق في السماء سفينتين كبيرتين هما الشمس والقمر وصار يجمع فيهما انفس الناس ويسترجع نصيبه الذي صار الى الشر ليخلو الهيولي رويداً رويداً من آثار الخير فيبطل سلطان الشر . وكان يقول بالتناسخ وان في كل شيء روحاً مستنسخة . وكان يفرط في تمجيد النار وتعظيم شأنها ويؤهلها للتقديس والتسبيح كل ذلك لنورها واضاءتها وتوسطها في المكان بين الفلكيات والعنصريات . واهّل الارض للتحقير لكونها مظلمة لا يستضيء باطنها بالفعل ولا بالقوة . وهذا المذهب قد كان قديماً للفرس ولم يبتدعه ماني ولكن شيَّده بالحجج الاقناعية. ونِعم ما اجاب عنه الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا اذ قال : كيف السبيل الى ان يوجد في النار كل معنى واقع في حيّز الخير وفي الارض كل معنى واقع في حيّز الشر. فان الارض حيز البقاء والحياة للحيوان والنبات . والنار مفرطة الكيفية مفسدة بتفريق اجزاء المركّب وتشتيتها. وقيل ان سابور ملك الفرس قَتَل ماني وسلخ جلده وحشاه تبناً وصلبه على سور المدينة لانه كان يدّعي الدعاوي العظيمة وعجز عن ابراء ابنه من مرض عرض له .

(ططقيطوس قيصر) ملك ستة اشهر وقتل في المركب وملك بفارس هرمزد .

(فلوريانس[2] قيصر) ملك شهرين وقُتل بمدينة طرسوس.

(فروبوس قيصر) ملك سبع سنين . وفي اول سنة من ملكه ملك بفارس ورهران[3] ثلث سنين وبعده ورهران ابنه سبع عشرة سنة . ثم ان فروبوس قيصر قُتل في الحرب بمدينة سرمين .

(قاروس قيصر) ملك سنتين ومات ما بين النهرين. وقُتل نوميروس ابنه في الحرب ببلد افريقية . وقورينوس ابنه الآخر قُتل ايضاً في حرب الجرامقة وهم قوم بالموصل اصلهم من الفرس . وفي السنة الثانية لملك قاروس قُتل قوزما ودومياني الشهيدان.

(ذيوقليطيانوس قيصر) ملك عشرين سنة وأشرك معه في الملك ثلثة نفر أُخر .

---

١ – تمازجا ر تهارجا .

٢ – فلوريانس ر فيلوريانس س ܦܠܘܪܝܐܢܘܣ فيليوريانوس .

٣ – ورهران ر ورهزان س ܘܪܗܪܐܢ .

احدهم مكسانطيس ابنه وهو كان مقيماً برومية . وقسطنطينوس ببوزنطيا . ومكسيميانوس ختن ذيوقليطيانوس بمصر والشام .

وفي هذا الزمان عصى اهل مصر فأرسل اليهم ذيوقليطيانوس جيوشاً فأهلكوهم . وفي السنة الحادية عشرة له ملك بفارس نرسي سبع سنين . وملك بعده هرمزد خمس سنين . وفي السنة التاسعة عشرة أمر بهدم كنائس النصارى فهدمت كلها . وضيّق عليهم جداً وقتل منهم خلقاً كثيراً واحرق كتبهم . وفي هذه السنة عرض جوع عظيم حتى بلغ المُدْي[1] اعني القفيز الشامي من الحنطة الفين وخمسمائة[2] درهم . ثم ان ذيوقليطيانوس اعتزل من الملك وخلط نفسه بالعامة الى وقت وفاته . وفعل مكسيميانوس ختنه ايضاً كذلك . وبقي في الملك مكسانطيس وقسطنطينوس . ومن اول سنة ملك[3] ذيوقليطيانوس وهي سنة خمسمائة وست وتسعون للاسكندر يبتدئ تاريخ ذيوقليطيانوس الذي يؤرخ به القبط ويسمونه تاريخ الشهداء اي الذين استشهدوا في هذه السنة[4] .

* * *

وفي دولة ذيوقليطيانوس هذا اشتهر في علم الفلسفة فرفوريوس الصوري وله النباهة فيه والتقدم . ولما صعب على صديق له يسمى خروساوريوس معرفة كلام ارسطاطاليس شكا اليه ذلك . فقال : كلام الحكيم يحتاج الى مقدمة قصّر عن فهمها طلبة زمـــاننا لفساد اذهانهم . وشرع في تصنيف كتاب ايساغوجي ومعناه المدخل . فأخذ عنه وأُضيف الى كتاب ارسطو وجعل اولاً لها وسار مسير الشمس الى يومنا هذا . فمن تصانيفه هذا الكتاب وكتاب المدخل الى القياسات الحمْلية . وكتابان له الى رجل اسمه لبانوا[5] . وكتاب في الرد لحيوس[6] في العقل والمعقول تسع مقالات توجد سريانياً . وكتاب اخبار الفلاسفة وجد منه المقالة الرابعة بالسرياني . وكتاب الاسطقسات مقالة توجد سريانياً .

---

١ – المُدي ر المدّ .

٢ – الفين وخمسمائة س مائتين وخمسين .

٣ – ملك ر من آخر ملك .

٤ – اعلم ان ذيوقليطيانوس لم يصدر الامر بالاضطهاد العام الا في السنة التاسعة عشرة لملكه اي سنة ٣٠٣ . اما التاريخ المعزو اليه فيبتدئ في السنة الاولى اي في ٢٩ آب سنة ٢٨٤ للمسيح . على انه قد غلب الاستعمال ان يكون بدء تاريخ الشهداء بدء ملك ذيوقليطيانوس نفسه .

٥ – لبانوا ر ابانو واباتو .

٦ – ويروى : لحيوس .

(قسطنطيس قيصر الكبير) ملك اثنتي عشرة سنة أخرى بعد موت ذيوقليطيانوس [١] . وكان به برص فأشار عليه خدم الاصنام ان يذبح اطفال المدينة ويغتسل بدمائهم فيبرأ من مرضه[٢] . فأخذ جماعة من الاطفال ليذبحهم فصارت مناحة عظيمة في المدينة فأحجم عن قتلهم . وفي تلك الليلة رأى في منامه فطروس وفولوس يقولان له: وجـه الى سيليبيطريس اسقف رومية فجئ به فهو يبرئ مرضك[٣] . فلما اصبح وجه في طلبه . فأتوه به ووعظ الملك وأوضح له سر النصرانية فدعا له . وتعمّد فذهب مرضه وأمر ببناء كنائس النصارى المهدومة . ومع هذا كان تمسكه بالدين واهياً [٤] .

(قسطنطينوس قيصر القاهر) ملك اثنتين وثلثين سنة . وفي السنة الثانية له ملك على الفرس سابور بن هرمزد تسعاً وستين سنة. وفي السنة الثالثة لملكه أمر فَبُني[٥] لبوزنطيا سور فزاد في ساحتها اربعة اميال وسماها قسطنطينية ونقل الملك اليها . وفي السنة السابعة استعد لغزو مكسانطيس ابن بنت ذيوقليطيانوس لانه عصى ولم يبايعه وغلب على رومية. وكان قسطنطينوس يتفكر الى اي الآلهة يلجئُ امره في هذا الغزو. فبينما هو في هذا الفكر رفع رأسه الى السماء نصف النهار فرأى راية الصليب في السماء مثال النور وكان فيه مكتوب ان بهذا الشكل تغلب . فصاغ له صليباً من ذهب وكان يرفعه في حروبه على رأس الرمح. ثم انه غزا رومية فخرج اليه مكسانطيس ووقع في نهر فاختنق . فافتتح قسطنطينوس مدينة رومية . واعتمد في هذا الوقت برومية من اليهود وعبدة الاصنام زهاء اثني عشر الف خلا النساء والصبيان . ثم تنصرت هيلاني أمه بعد ذلك واعتمدت وشخصت الى اورشليم حاجّة وطلبت صليب المسيح بعناية وأمرت ببناء كنائس المسيح فيها وأخذت الصليب وحملته الى قسطنطينية . ولم يزل دين النصرانية يظهر ويقوى الى ان دخل فيه اكثر الأمم المجاورة للروم من الجلالقة والصقالبة وبرجان والروس واللان والارمن والكرج وجميع اهل مصر من القبط وغيرهم وجمهور اصناف السودان من الحبشة والنوبة وسواهم . وآمن بعد هؤلاء اصناف من الترك ايضاً.

١ – والصواب انه ملك سنتين أخريين بعد ان اعتزل ذيوقليطيانوس الملك . ومات قبله بسبع سنين .

٢ – مرضه ر برصه .

٣ – مرضك ر برصك .

٤ – ان ما رواه المؤلف من مرض قسطنطيس والرؤيا التي رآها في المنام قد وافقه عليه سائر المؤرخين . الا انهم ينسبون ذلك الى ابنه قسطنطينوس القاهر . واعلم ان قسطنطيس لم يتنصر وان كان له عطفة على النصارى . وكان مقامه ببلاد الفرنجة المسماة لذلك العصر «غاليا» لا بمدينة رومية .

٥ – فبني سور ر فبنى سوراً .

وبنى قسطنطينوس بيعة عظيمة بالقسطنطينية وسماها أجيا سوفيا اي حكمة القدوس . وبيعة أخرى على اسم السلّيحين .وبنى بيعة بمدينة بعلبك وكان اهلها يتشاركون في النساء ولم يخلص لأحدهم نسب فكفّهم عن ذلك فكفّوا. وبنى بأنطاكية هيكلا ذا ثماني زوايا على اسم السيدة . وفي ايامه حاصر سابور ملك الفرس مدينة نصيبين ثلثين يوماً . وبدعاء مار يعقوب اسقفها ومار افريم تلميذه رحل عنها خائباً . وفي عودته غزا ما بين النهرين . فنهض قسطنطينوس لمحاربته وعند وصوله الى نيقوموذيا ادركته المنية سنة اثنتين واربعين وستمائة للاسكندر [1] وذلك يوم الاحد لثمانٍ بقينَ من ايار وكان عمره خمساً وستين سنة. وفي مرضه قسم الملك على اولاده الثلثة وملّك الكبير المسمى باسمه قسطنطينوس على قسطنطينية.ورتّب الآخر المسمى قسطنطيس على مصر والشام وما بين النهرين وارمينية . ورتب الصغير المسمى قوسطوس على رومية واسفانيا وما يليها من ناحية المغرب .

* * *

وفي هذا الزمان ظهر آريوس المبتدع . هذا كان قسيساً خطيباً بالاسكندرية . فعلا ذات يوم مشهود[2] المنبر ليخطب كعادته وابتدأ بخطبته من كلام سليمان بن داود وهو قوله: الرب خلقني في اول خلائقه . وأخذ يقرر انه عنى بذلك كلمة الله فهي مخلوقة مباينة بالجوهر لذات الله لانها عبارة عن العقل الذي هو المعلول الاول وهو اول ما خلق الله . فكتب الملك كتاباً الى جميع الاساقفة وقال فيه: انه لا شيء آثر عندي ولا أزين في عيني من خشية الله ومراقبته . وقد رأيت الآن ان تعزموا على القدوم الى مدينة نيقيا من غير وني لكي تفحصوا عن أمرٍ دينيّ دعت الحاجة الى تحقيقه . فاجتمع ثلثمائة وثمانية عشر اسقفاً ونظروا فيما تفوه به آريوس فوجدوه مخالفاً لاصل المذهب فزيّفوا علمه الفاسد ورتبوا الامانة المشهورة واجتمعت الفرَق المسيحية كلها على صحتها الى يومنا هذا . وكان اجتماعهم سنة ستمائة وست وثلثين للاسكندر . وكان في هذا المجمع اسقف يرى رأي ناباطيس . فقال له الملك: لمَ لا توافق الجمهور في قبول من تاب عن معاصيه منيباً الى الله . فأجابه الاسقف : انه لا مغفرة لمن فرطت منه كبيرة بعد الايمان والعماد بدليل قول فولوس الرسول حيث يقول: لا يستطيع الذين ذاقوا كلمة الله ان يدنّسوا بالخطيئة ليطهروا بالتوبة ثانية . فقال له الملك هازئاً به: ان كان الامر كما تزعم فانصب

---

١ – والصواب سنة ثمان واربعين وستمائة .

٢ – مشهود ر مشهور .

لك سلماً لترقى فيه وحدك الى السماء . ونهض بعض الاساقفة فرفع الى الملك كتاباً فيه سعاية ببعض الاساقفة . فلما قرأه الملك أمر ان يحرق الكتاب بالنار وقال : لو وجدت احداً من الكهنة في ريبة لسترته بأرجوانيتي.

(قسطنطينوس وقسطوس وقسطنطيس) بنو القاهر ملكوا خمساً وثلثين سنة [١] . ثم ان قسطنطينوس صار الى نيقوموذيا فأخذ جسد ابيه فحنطه ووضعه في صندوق ذهب وحمله الى قسطنطينية ووضعه في هيكل السليحين . وفي هذه السنة صعد سابور ملك الفرس فغزا نصيبين لما بلغه وفاة قسطنطينوس القاهر فحاصرها ثلثين يوماً ورجع عنها الى مملكته خائباً وذلك بدعاء القديس مار افريم . فان الله استجاب دعاءه.وارسل على جيش الفرس بقّاً وهمجاً هزم فيلتهم وخيلهم. ثم ان سابور اضطهد النصارى الذين في سلطانه جداً . وفي هذه السنة مات مار يعقوب اسقف نصيبين وقام مكانه بابويه .

وفي هذا الزمان عُرف الحكيم الفارسي ووضع كتباً كثيرة في تشييد مذهب النصارى ونقض مذهب المجوس. وفي السنة السادسة لملك هؤلاء عرض بأنطاكية رجفات وزلازل كثيرة ولم تزل الارض ترتجّ عامّة السنة مع سلامة من الفساد . ثم ان قسطنطينوس صاحب القسطنطينية وهو الاخ الكبير قُتل في حرب وقعت بينه وبين اخيه الصغير وهو قسطوس صاحب رومية . وخلف ابنين غالوس ويوليانوس . ثم ان قسطنطيس وهو الاخ الاوسط صاحب مصر والشام نصب غالوس ملكاً على القسطنطينية مكان ابيه . فعصى على عمه الذي نصبه. فسيّر عمّه عليه جيشاً وقتله ونصب اخاه يوليانوس مكانه. وبعد قليل قُتل قسطوس صاحب رومية. ومات ايضاً قسطنطيس صاحب مصر والشام. واستقل يوليانوس بجميع الممالك .

(يوليانوس قيصر) ملك سنتين بعد موت عمّيه وسمي بارابطيس [٢] اي المارق لانه خلع ربقة النصرانية من عنقه وعبد الاصنام . ولذلك وثب الوثنيون على النصارى ووقع بينهم بلاء عظيم بالاسكندرية وقُتل من الجانبين خلق كثير . ثم ان يوليانوس الملك منع النصارى من الاشتغال في شيء من كتب الفلسفة وسلب آنية الكنائس والديورة واستصفى مال من لم يطعه من النصارى في أكل ذبائح الاصنام وأهلك كثيرين منهم . ثم انه عزم على غزو الفرس ودخل على افولون الحبر الخادم للصنم ليستعلم منه هل ينجح في

١ – خمساً وثلاثين س أربع وعشرين . – والصواب خمساً وعشرين سنة .
٢ – وهي لفظة يونانية Παραβάτης .

غزوه ام لا . فحكم له انه يقهر اعداءه على نهر دجلة . فاستكبر لذلك يوليانوس وصال جداً وجمع جيوشه وغزا الفرس. فلما وصل الى حرّان وأراد الخروج منها نكّس رأسه ساجداً لآلهة الحرّانيين. فسقط تاجه عن رأسه وصُرع فرسه الذي كان تحته . فقال له خادم الصنم : ان النصارى الذين معك هم جلبوا عليك هذه البلايا . فأسقط منهم يومئذ زهاء عشرين الف رجل . وسار حتى وافى المدائن . ولما نشب الحرب بينه وبين الفرس على دجلة صار يسير في صفوف مقاتليه وينشطهم للحرب . فرماه بعض الفرس بسهم فأصاب جنبه فسقط عن دابته . وبينما هو يتعذب اذ أخذ ملء حفنته دماً من دمه فرشّه في الجو نحو السماء وقال : انك غلبتني يا ابن مريم فرِثْ مع ملك السماء ملك الارض ايضاً . فمات وحمل الى مدينته طرسوس ودفن بها .

* * *

وكان ليوليانوس هذا كاتب اسمه ثامسطيوس فيلسوف مشهور في زمانه فسّر اكثر كتب ارسطوطاليس وصنّف كتاباً ليوليانوس في التدبير وسياسة الممالك ورسالة له ايضاً تتضمن الكف عن اضطهاد النصارى وذكر فيها ان الله عزّ وجلّ يحب[1] ان يعبد بوجوه مختلفة فان الفلاسفة ايضاً متشعبة الى ثلثمائة مذهب . فأقنعه كلامه فيها وكفه عن أذيتهم فانكف . ومن الفلاسفة القريبة العهد من هذا الزمان نيقولاوس قد تقدم في معرفة الحكمة. وله من التصانيف كتاب من جُمَل فلسفة ارسطوطاليس ولنا نسخته بالسرياني نقل حُنين بن اسحق . وكتاب النبات. وكتاب الرد على جاعل العقل والمعقولات شيئاً واحداً . قال ابن بطلان : ان اصله من اللاذقية وبها وُلد. ومنهم دوروثيوس وهو رياضي له اليد الطولى في علم الفلك والاحكام النجومية . وتصانيفه مشهورة عند اهل هـذا العلم في المواليد والادوار . ومنهم ديوفنطس وكتابه اب اسمه[2] في الجبر والمقابلة مشهور واذا تبحر فيه الناظر رأى بحراً في هذا النوع .

(يوينيانس قيصر) لما قُتل يوليانوس المارق بقي عسكر الروم بغير ملك. فاختاروا صاحب جيشه وهو يوينيانس المؤمن بمشورة سابور ملك الفرس . فامتنع وقال : انني نصراني لا ارضى ان اكون ملكاً للوثنيين . فأعلموه انهم ايضاً نصارى ومن خوفهم من المارق لم يظهروا اديانهم . فأخرج لهم صليباً من الخزانة ونصبه لهم في العسكر . وجرى الصلح بينهم وبين الفرس فشيعه سابور الى نصيبين ووهبها له . ونقل من كان بها من

---

١ – يحبّ ر يجب .

٢ – اسمه ر قسمة و يسميه .

الروم الى آمد . ومن هذا اليوم صارت نصيبين للفرس . ثم ان يوينيانس توفي بعد ان ملك سنة واحدة .

(اولنطيانس قيصر) ملك ثلاث عشرة سنة . وولّى واليس [١] اخاه على المشرق . وخرج على واليس رجل خارجي بقسطنطينية يسمى فروقرينوس [٢] . فلزمه واليس وأمر بشد رجليه بشجرتين أدنيت احداهما من الاخرى فانفسخ بينهما . وسقط برد بقسطنطينية كالحجارة وعرضت رجفات وزلازل وخسْف في مواضع كثيرة وانخسفت مدينة نيقيا ايضاً . وظهر قوم يُعرفون بالمصلّين وكانوا يقولون : كل من صلّى وصام اثنتي عشرة سنة يأمر الجبل ان ينتقل من مكانه فينتقل كما جاء في الانجيل المقدس . فكان اذا تعبد احدهم هذه المدة خرج فقال للجبل : ايّاك آمر انتقل عن مكانك . فاذا لم يكن ذلك يئس من قبول عبادته وأخذ في الأكل والشراب والفساد . وفي السنة الثالثة عشرة لاولنطيانس تجاوز الناموس وتزوّج بامرأة حسنة الصورة في حال حياة زوجته الناموسيّة وأطلق للناس ان يجمعوا بين زوجتين ان ارادوا الجمع بينهما . وفي تلك السنة مات .

(واليس قيصر) لما مات اخوه اولنطيانس استقلّ هو وحده بالملك واستعدّ لغزو الفرس . فبينا هو يحاربهم اذ دخل الى قرية كانت الى جانبه مع نفر من اصحابه . فأُخبر الاعداء انه هناك فأحاطوا بالقرية وألقوا فيها ناراً . فاحترق واليس ومن كان معه من اصحابه بعد ان ملك سنتين بعد اخيه .

(غراطيانس قيصر) هو ابن اولنطيانس . ملك سنة واحدة . وفي هذه السنة مات سابور ملك الفرس بعد ان ملك سبعين سنة . وقام بعده اردشير [٣] اخوه اربع سنين . ثم غراطيانس اشرك معه في ملكه رجلاً يقال له ثاوذوسيوس وكان وثنياً وآمن بالمسيح واعتمد . وتوفي غراطيانس .

(ثاوذوسيوس قيصر الكبير) ملك سبع عشرة [٤] سنة وأمر ان يلزم كل احد دينه . وفي السنة الخامسة خرج برومية خارجي يسمى مكسيموس . فوجّه اليه ثاوذوسيوس

---

١ – في اللاتيني Valens والنس . وقال واليس تبعاً للسرياني ܐܘܠܣ .

٢ – فروقرينوس ر فرفونيوس س ܦܪܘܩܘܦܝܘܣ . – كذا في الاصل وهو تصحيف فروقوبيوس .

٣ – وقام بعده اردشير س ان اردشير ملك في السنة العاشرة لاولنطيانس .

٤ – سبع عشرة س ست عشرة .

جيوشاً فقُتل. وفي السنة السادسة وُلد له ولد فسمّاه انوريس. وفي هذه السنة ظهرت في السماء آية كعمود من نار ولبثت شهراً. وفيها عرضت ظلمة شديدة نصف النهار في شهر آذار. ثم ان ثاوذوسيوس مرض فوجّه في طلب انوريس ابنه وبايع له ووجهه الى المغرب. وبايع لارقاذيوس ابنه الآخر ووجّهه الى المشرق. وتوفي وعمره ستون سنة.

(ارقاذيوس قيصر) ملك ثلث عشرة سنة. وفي هذه السنة قام يوحنّا فم الذهب بطركاً على قسطنطينية ووضع تفسير الانجيل وهو ابن ثماني وعشرين سنة. ومنع الكهنة من امور كثيرة من الفساد. فحسدوه وجعلوا يطلبون عليه عثرة. ونهى الملكة اودكسيا امرأة ارقاذيوس عن اختلاسها كرم امرأة ارملة. ولأنها أبت رشقَها في بعض خطبه ذات يوم وشبهها بازبيل امرأة احاب ملك يهوذا التي أخذت كرماً ايضاً من ارملة. فركبت يوماً من الايام وأخذت معها تسعة وعشرين اسقفاً ممّن عادى يوحنا فم الذهب واجتمعوا بمدينة خلقيذونيا وحرموه وأسقطوه من مرتبته بحجّة انه لم يدَع النظر في كتب اوريغانيس المخالف. فاضطرب اهل القسطنطينية لذلك وهمّوا باحراق دار الملك. فخافهم الملك وبعث الى فم الذهب وردّه الى مرتبته. فلما رجع رفع تمثالاً كان للملكة بالقرب من الكنيسة. وخطب ذات يوم وسمّى الملكة الملكة هيروذيا اي الملكة التي قتلت يحيى بن زكريا المعمدان. فغضبت غضباً شديداً ووجّهت الى افيفانوس اسقف جزيرة قبرس وسائر الاساقفة فجمعتهم كلهم الى قسطنطينية. فحرموه ثانيةً ونفوه وكان ذلك في السنة الثامنة لارقاذيوس. فنفي الى جزيرة في بحر نيطوس وتوفي هناك. وكان عمره ثمانياً واربعين سنة. وثارت الفتن بين الروم والمصريين بسبب عظام يوحنا فم الذهب حتى اتوا بها بعد ثلث وثلثين سنة لموته فدفنوها بقسطنطينية واثبتوا اسمه في سفر الحياة مع باقي الآباء القديسين. وفي السنة الخامسة لارقاذيوس ملك على الفرس يزدجرد ابن سابور احدى وعشرين سنة. ثم ان ارقاذيوس مات وهو ابن ثلثين سنة وخلّف ابنه ثاوذوسيوس ابن ثماني سنين.

(ثاوذوسيوس قيصر الصغير) ملك اثنتين واربعين سنة. وفي هذا الزمان كثر النصارى في سلطان الفرس وظهرت النصرانية جداً على يدي مروثا اسقف ميّافارقين الذي ارسله ثاوذوسيوس الصغير الى الفرس. ثم ان يزدجرد ملك الفرس مات. وملك بعده ورهران ابنه وتشدّد على النصارى. وتواقع الروم والفرس وقُتل من الفريقين خلق كثير وكانت الهزيمة على الفرس. وزال التشديد عن النصارى. وفي السنة العاشرة لثاوذوسيوس الصغير عُرف شمعون صاحب العمود بانطاكية وكان يُظهر الآيات والعجائب

وكان في هذا الزمن من العلماء قوريلوس بطريرك الاسكندرية ونسطوريوس بطريرك القسطنطينية القائل باتّحاد المشيئة دون نفس الكلمة. فأُسقط لذلك.ومار اسحق تلميذ مار افريم صاحب الميامر المنظومة .

وفي هذا الزمان انبعث اصحاب الكهف من رقدتهم التي رقدوا على عهد ذاقيوس الملك بعد مائتين واربعين سنة بالتقريب . فخرج ثاوذوسيوس الملك مع اساقفة وقسيسين وبطاركة فنظروا اليهم وكلموهم . فلما انصرفوا من عندهم ماتوا في مواضعهم . وكانت في هذه السنة زلزلة عظيمة بقسطنطينية فهرب عامّة الناس الى خارج المدينة وسقطت بها مواضع كثيرة . وفي سنة ثلث وثلثين لثاوذوسيوس مات ورهران ملك الفرس وملك بعده يزدجرد ثماني سنين [1] . وفي هذا الزمان خطب يهيبا اسقف الرُّها ذات يوم خطبة وقال فيها: اني لست احسد المسيح على تألّهه لان كل ما صار فيه فانا مثله . فحُرم ونُفي من كرسيّه.وفي سنة احدى واربعين لثاوذوسيوس وُجد رأس يوحنا المعمدان بحمص. وتوفي ثاوذوسيوس وعمره خمسون سنة .

(مرقيانوس قيصر) ملك سبع سنين وتزوّج فوليخريا اخت ثاوذوسيوس الصغير التي كانت راهبة لان جماعة من الاساقفة المرائين أفتوها في أمر الزواج وقد كانت قبل ذلك متهمة بالزناء معه [2] . وفي السنة الثانية لمرقيانوس اجتمع ستمائة وثلثون اسقفاً بمدينة خلقيذونيا وحرموا ديوسقوروس[3] بطرك الاسكندرية وقالوا بالطبيعتين والاقنوم الواحد على ما هم عليه الروم والافرنج . ولما ملك مرقيانوس سبع سنين مات وعمره خمس وستون سنة .

(لاون قيصر): ملك ثماني عشرة سنة . وفي اول ملكه ملك على الفرس فيروز ابن يزدجرد سبعاً وعشرين سنة . وفي هذه السنة التي ملك فيها لاون وهي سنة تسع وسبعين[4] وثمانمائة [5] للاسكندر صارت زلزلة قوية بمدينة انطاكية وخسف بها مواضع

١ – والصواب ثماني عشرة سنة .

٢ – اعلم ان فولخيريا لم تترهب وانما نذرت التبتل لله فقط . وهي ملكة عظيمة ذات عقل ثاقب وتدبير صائب . وقد ساست المملكة في صغر اخيها سياسة حسنة. ولما توفي اخوها اقترنت بمرقيانوس على شرط ان تبقى بتولاً . ولم تتهم بتهمة مطلقاً . وهي من القديسات العظام المكرمات في البيعة . وكانت لها اكبر يد في التئام المجمع المسكوني الرابع وهو الخلقيدوني الذي حكم على بدعة اليعاقبة وهي البدعة التي كان عليها المؤلف .

٣ – ديوسقوروس ر ديسقوروس .

٤ – سبعين ر ستين .

٥ – كذا في الاصل . والصواب تسع وستين وسبعمائة .

كثيرة . وفي السنة التاسعة له انكسفت الشمس وظهرت النجوم نهاراً . وبعد ذلك بسنة غزا الفرس آمد وخربوها بعد ما حاصروها . ولما مرض لاون بايع لاونطيوس ابن ابنته وعمره ست سنين .

(لاونطيوس قيصر) ملك سنة واحدة . هذا لكونه صبياً خدعته أمه قائلة له : اذا حضر زينون ابوك في الخدمة يجب عليك ان تكرمه وتجلسه معك على السرير وتضع تاجك على رأسه . فلما عمل الصبي بقول أمه صار يجلس زينون معه على السرير . وبعد ايام قلائل مرض الصبي ومات . واستراب الناس بأبوَيه انهما قتلاه مستبدَّين بالمملكة .

(زينون قيصر) ملك خمس عشرة سنة . وفي آخر ايامه عصى السمرة بنابلس ونصبوا لهم ملكاً قتل جمعاً كثيراً من النصارى . فسيَّر عليه زينون جيشاً وقتل الخارجي السامري . ثم مرض زينون ومات وعمره احدى وستون سنة .

(انسطس قيصر) ملك سبعاً وعشرين سنة . وفي اول ملكه قتل كثيرين من صبيان المكتب لانهم هجوه . وفي السنة الثالثة له بُنيت دارا التي فوق نصيبين . ثم ان انسطس الملك اراد ان يوضع[١] في البيعة قول المؤمنين في صلواتهم انك صُلبت من اجلنا . فاضطرب اهل القسطنطينية كلهم وأخذوا الحجارة ليرجموه بها . فهاله امرهم وجبن عنهم فوضع تاجه عن رأسه قائلاً : اني انتهي الى امركم فيما تريدون . فكفَّ الشعب عنه . وفي السنة الحادية عشرة له عرض في بلاد الروم جوع شديد وظهر جراد كثير وافسد عامَّة غلاّتهم. ووضع يعقوب السروجي ميامر على ذلك[٢] .

وفي هذا الزمان عُرف ساويروس[٣] بطرك انطاكية ووضع كتباً كثيرة في تصحيح القول بالطبيعة الواحدة من طبيعتي اللاهوت والناسوت بغير امتزاج ولا اختلاط وفساد بل مع بقائهما على ما كانتا عليه ككون طبيعة الانسان من طبيعتَي النفس والبدن وطبيعة الجسم من طبيعتَي الهيولي والصورة من غير انقلاب النفس بدناً ولا الهيولي صورة وبالعكس.

(يوسطينيانس قيصر[٤]) ملك تسع سنين . وكان اصله من رومية[٥] . هـــذا

---

١ – يوضع : يرفع .

٢ – اي اشعاراً دينية لارشاد العوام وحثهم على التوبة .

٣ – ان ساويروس كان من اهل البدع لانه لم يعتقد في المسيح بعد التجسد الا طبيعة واحدة خلافاً لما قرره المجمع الخلقيدوني .

٤ – ان الملك الذي يسميه المؤلف هنا يوسطينيانوس كان يسمى بالحقيقة يوسطينوس الاول . والمؤلف يسميه مرتَّين في تاريخه السرياني يوسطينوس ܝܘܣܛܝܢܘܣ .= ثم خلفه على العرش يوسطينيانوس الاول. وملك بعد هذا يوسطينوس الثاني . الا ان السريان كانوا يطلقون اسم يوسطينيانوس على الثلاثة وكانوا يلقبون الثاني منهم بالصغير ليميزوه .

٥ – رومية س ܗܘܐ ܡܢ ܬܪܩܐ ܐܬܪܘܣ ܡܢ ܡܕܝܢܬܐ ܒܕܪܝܢܘܣ .

اصلح جميع البيع وردّ كل من نفاه الملوك قبله . وفي السنة السابعة لملكه اقتتل الروم والفرس على شاطئ الفرات وغرق من الروم خلق كثير . وفي هذه السنة سقط ثلج كثير وجليد وافسد عامّة الاشجار مع الكروم. وبعد سنة قلّت الامطار وعزت الغلات ونقص الماء في الينابيع ثم تبع ذلك حرّ قوي ووباء شديد ودام ست سنين . وفي هذه السنة وجه يوسطينيانس وفداً الى المنذر ملك العرب ليصالحه لانه كان غزا الروم وخرب وسبى. وكان سبب الفتنة بين العرب والروم[1] اضطهاد الملك يوسطينيانس الآباء القائلين بالطبيعة الواحدة لان النصارى العرب يومئذ انما كانوا يعتقدون اعتقاد اليعقوبية لا غير[2] . وفي هذا الوقت غزا كسرى ملك الفرس مدينة الرها وقتل فيها خلقاً كثيراً . فظهر نجم ذو ذؤابة وثبت اربعين ليلة . وفي السنة التاسعة لملكه اشرك معه في الملك يوسطينيانس الصغير وكان ابن اخته . وبعد ثلثة اشهر مات .

(يوسطينيانس قيصر الصغير) ملك ثماني وثلثين سنة وأمر ان يجتمع جميع اساقفة اصحاب ساويروس القائلين بالطبيعة الواحدة الى قسطنطينية . فلما اجتمعوا وعظهم وعظاً كثيراً وسألهم ان يوافقوا مجمع خلقيذونيا بالقول بالطبيعتين والاقنوم الواحد. فلما لم يقبلوا قوله صرفهم الى مواضعهم . وفي السنة التاسعة له انكسفت الشمس وثبت كسوفها السنة كلها وزيادة شهرين ولم يكن يظهر من نورها الا شيء يسير . وكان الناس يقولون انه قد دخل عليها عرض لا يزول عنها ابداً . وفي هذه السنة ظهر جراد كثير في عامة الارض وكان الشتاء صعب البرد غزير الثلج ومات فيه خلق كثير . وبعد سنة ظهرت في السماء آية عجيبة وبردت حرارة الشمس السنة بأسرها ولم تنضج الثمار في تلك السنة.

وفي هذا الزمان عُرف سرجيس الرأس عينيُّ الفيلسوف المترجم الكتب من اليوناني الى السرياني ومصنفها. وكان على مذهب ساوري.وفي السنة الرابعة عشرة ليوسطينيانس غزا كسرى ابن قباذ انطاكية وافتتحها وسبى اهلها وحدرهم الى بابل وبنى لهم مدينة وسمّاها انطاكية وتعرف اليوم بالماحوزى[3] الجديدة. وفتح ايضاً فامية والرقّة ودارا وحلب .

١ – سبب الفتنة بين العرب والروم . ان المؤلف يعطي السبب الحقيقي في تاريخه السرياني حيث يقول ان ملك الفرس ... طلب من يوسطينوس ... خمسمائة وخمسين قنطاراً من الذهب . فلما لم يحصل على طلبه أرسل العرب محالفيه لغزو بلاد الروم وليفسدوا فيها وينهبوها فهجم المنذر ملك العرب الخ .

٢ – ان قول المؤلف هذا في عامة العرب غير سديد وحجتنا عليه ان نصارى نجران لذلك العصر كانوا مستمسكين بعروة الايمان الكاثوليكي منتهى الاستمساك . ومنهم الملك الحرث الــذي اثبتت البيعة اسمه في جريدة القديسين. وكان الملك المشار اليه موالياً لملك الحبشة السبان ولملك الروم يوسطينوس الاول الذي استنجد ملك الحبشة للأخذ بثأر شهداء نجران . ومن المسلم ان هذين الملكين كانا على العقيدة الكاثوليكية .

٣ – بالماحوزى ر بالماحوزه .

وكان الروم مشتغلين مع الصقالبة المتاخمين لرومية . فلما فرغوا من مجاهدتهم عطفوا على الفرس وبقيت الحرب بينهم سنتين . وعرض في المشرق جوع شديد ووباء عظيم في الناس والبقر حتى صار الناس يحرثون ارضهم بالحمير والخيل . وفي السنة الثامنة والعشرين ليوسطينيانس اصطلح الروم والفرس . وفي السنة الخامسة والثلثين له كتب الى جميع الاساقفة ان يعملوا عيد الميلاد في الخامس والعشرين من كانون الاول . والدنح [١] لستة ايام من كانون الاخير . فامتثلوا امره خلا الارمن فانهم داموا على العادة الاولى في تعييد العيدَين في يوم واحد. وفي هذا الوقت ظهر يولياني[٢] القائل ان جسد المسيح غير مخلوق وهو جوهر لطيف روحاني لم يصلب بالحقيقة ولم يمت وانما كان ذلك كله خيالا . ومع هذا كان يقول بالطبيعة الواحدة .

(يوسطينيانس قيصر الثالث) ملك ثلث عشرة سنة . وهو ابن اخت الذي قبله . وفي السنة الثانية لملكه ظهر في السماء نار تضطرم من ناحية القطب الشمالي وثبتت السنة كلها . وكانت الظلمة [٣] تغشي العالم من تسع ساعات من النهار الى الليل حتى لم يكن احد يبصر شيئاً . وكان ينزل من الجو شبه الهشيم والرماد . وفي السنة الثالثة له قلت الامطار وصار الشتاء كالصيف وصار زلزلة شديدة ووباء عظيم . وفي السنة الرابعة له غزا كسرى دارا وأقام عليها ستة اشهر وافتتحها . واستعد يوسطينيانس لغزو الفرس فمرض مرضاً اختلط به عقله فبطل الغزو . ثم تعالج فبرئ وبايع رجلاً يونانياً يسمى طيباريوس وكان من خاصته وجعله قيصراً بعده .

---

١ – دنح لفظة سريانية معناها ظهور . وهو العيد المدعو في الكنائس الشرقية الغطاس وتسميه الكنيسة اللاتينية Epiphania وهي لفظة يونانية تأويلها الظهور .

٢ – يولياني و توليانى .

٣ – كانت هذه الظلمة مسببة عن انتشار الرماد في الجو وقت حدوث الزلازل وتفجر جبال النار .وقد شوهد مثل هذا الحادث من بضع سنوات في اكثر اصقاع الدنيا ولم تعين له العلماء سبباً غير الذي اوردناه . ويؤيد قولنا ما يذكره المؤلف من نزول الهشيم والرماد من الجو .

الدولة الثامنة
المنتقلة من ملوك الافرنج
الى ملوك اليونانيين المتنصرين

من عهد اغسطوس قيصر الى ان أقام طيباريوس قيصر والمدة قريبة من ستمائة سنة كان الملوك على القسطنطينية والبطارقة وجلّ الجند روميين اعني افرنجاً. غير ان الوزراء والكتّاب والرعايا كافة كانوا يونانيين . ثم صارت المملكة ايضاً يونانية . والسبب في ذلك ان يوسطينيانس الاخير لما ابتُلي بالمرض الشديد ويئس من حياته لم يرَ في اهل بيته وخاصته من يفي بسياسة الملك غير وزيره طيباريوس وهو رجل يوناني فبايعه ووضع له التاج بيده . ومن حينئذٍ صارت مملكة القسطنطينية يونانية . الى ان استعادها الافرنج في سنة الف وخمسمائة وخمس عشرة للاسكندر وهي سنة ستمائة للهجرة . ثم فتحها اليونانيون في ايامنا سنة الف وخمسمائة وثماني وستين للاسكندر وهي سنة خمس وخمسون[1] وستمائة للهجرة .

(طيباريوس قيصر) ملك اربع سنين. وغزت الفرْس رأس العين فوجّه اليهم طيباريوس كبير بطارقته المسمى موريقي . فلقيهم هناك فهزمهم . ثم لحق طيباريوس موريقي مع اجناده فغزا الفرس وسبى منهم زهاء الف نفس ومضى بهم فأسكنهم جزيرة قبرس . وعرضت في هذه السنة زلزلة عظيمة . وعرض في الصيف امطار كثيرة وبرد شديد وأظلم الجوّ وظهر جراد كثير فأكل عامّة الزروع والعنب والبقول. وفيها عرض

---

١ – خمس وخمسون . والصواب أربع وخمسين .

وباء شديد . ووجد أناس يعبدون الاوثان فقتلوا . وفي السنة الرابعة لطيباريوس زوّج ابنته لموريقي عظيم قوّاده وبايع له بالعهد وملّكه وتوفي.

(موريقي قيصر) ملك عشرين سنة . وكان حسن السيرة سهل المعاملة كثير الصدقة. وكان في كل سنة يهيئ طعاماً للفقراء والمساكين ستّين مرّة ويقوم هو وزوجته من ملكها فيتولّيان خدمتهم واطعامهم واسقاءهم. وفي السنة الرابعة لموريقي عرض وباء شديد بقسطنطينية ومات من اهلها زهاء اربعمائة الف نفس . وفي السنة الثامنة لموريقي وثب الفرس على هرمز ملكهم فسملوا عينيه ثم قتلوه وملّكوا عليهم بهرام المرزبان. وكان لهرمز ابن حدث اسمه كسرى وهو المعروف بأنوشروان العادل فتنكّر كأنه سائل وشقّ سلطان الفرس حتى جاء نصيبين وصار الى الرها ومنها الى منبج وكتب الى موريقي كتاباً نسخته: للاب المبارك والسيّد المقدّم موريقي ملك الروم من كسرى بن هرمز ابنه السلام . اما بعد فاني أُعلم الملك ان بهرام ومن معه من عبيد ابي جهلوا قدرهم ونسوا انهم عبيد وانا مولاهم وكفروا نعم آبائي لديهم فاعتدوا عليّ وأرادوا قتلي . فهممت ان افزع الى مثلك فأعتصم بفضلك واكون خاضعاً لك لانّ الخضوع لملك مثلك وان كان عدوا ايسر من الوقوع في ايدي العبيد المرَدة ولأن يكون موتي على ايدي الملوك أفضل وأقل عاراً من ان يجري على ايدي العبيد. ففزعت اليك ثقةً بفضلك ورجاء ان تترأف على مثلي وتمدني بجيوشك لأقوى بهم على محاربة العدو وأصير لك ولداً سامعاً ومطيعاً ان شاء الله تعالى . فلما قرأ موريقي كتاب كسرى بن هرمز عزم على اجابة مسئلته لانه لجأ اليه وأنجده بعشرين الفاً وسيّر له من الاموال اربعين قنطاراً ذهباً . وكتب اليه كتاباً نسخته: من موريقي عبد ايشوع المسيح الى كسرى ملك الفرس ولدي واخي السلام . اما بعد فقرأتُ كتابك وفهمتُ ما ذكرت فيه من أمر العبيد الذين تمرّدوا عليك وكونهم غمطوا أنعُم آبائك وأسلافك غمطاً وخروجهم عليك ودحضهم ايّاك عن ملكك. فداخلني من ذلك أمرٌ حرّكني على الترأف بك وعليك وامدادك بما سألت. فأما ما ذكرت من ان الاستتار تحت جناح ملك عدوّ والاستظلال بكنفه آثر من الوقوع في ايدي العبيد المرَدة والموت على ايدي الملوك افضل من الموت على ايدي العبيد. فانّك اخترت افضل الخصال ورغبت الينا في ذلك. فقد صدقنا قولك وقبلنا كلامك وحقّقنا أملك وأتممنا بغيتك وقضينا حاجتك وحمدنا سعيك وشكرنا حسن ظنّك بنا ووجّهنا اليك بما سألت من الجيوش والاموال وصيّرتك لي ولداً وكنت لك أباً . فاقبض الاموال مباركاً لك فيها وقُد الجيوش وسِر على بركة الله وعونه. ولا يعترينّك الضجر والهلع بل تشمّر لعدوّك ولا

تقصّر فيما يجب لك اذا تطأطأت من درجتك وانحططت عن مرتبتك . فاني ارجو ان يُظفرك الله بعدوّك ويكبّه تحت موطئ قدميك ويردّ كيده في نحره ويُعيدك الى مرتبتك برجاء الله تعالى. فلما وردَت الجيوش على كسرى وقبض الاموال وتشجّع بقراءة كتاب موريقي سار مع جيوش الروم نحو بهرام فلقيه بين المدائن وواسط . فصارت الهزيمة على بهرام وقُتل اصحابه كلّهم. واستباح كسرى عساكر بهرام ورجع الى مملكته فجلس فيها وبايعه الناس كلهم . ودعا بالروم فأحسن جائزتهم وصرفهم الى صاحبهم . وبعث الى موريقي من الالطاف والاموال اضعاف ما كان أخذ منه. وردّ دارا وميّافارقين الى الروم وبنى هيكلين للنصارى بالمدائن وجعل احدهما باسم السيدة والآخر باسم مار سرجيس الشهيد .

وفي السنة السادسة عشرة لموريقي كان مطر شديد غرقت به مدن كثيرة مع اهلها ودوابها ومواشيها. ولأن موريقي بعد مصالحته للفرس قطع ارزاق جنوده فاجتمع عظماءُ الروم الى مدينة هرقلة وارادوا تمليك فطري اخي موريقي . فهرب منهم ومضى الى قسطنطينية . وهرب ايضاً موريقي الى خلقيذونية . فلحقته الروم فألفوه وعليه خلقان في ذي الفقراء والسؤّال فقتلوه وملّكوا عليهم رجلاً من بطارقتهم يقال له فوقا .

(فوقا قيصر) . ملك ثماني سنين . ولم يكن من بيت الملك . فلما بلغ كسرى بن هرمز قتل موريقي نقض العهد وغزا دارا فافتتحها وافتتح ايضاً آمد وحلب . ثم عطف على قنّسرين ورجع الى الرها. وفي السنة الثامنة لفوقا خرج عليه خارجيّان احدهما هرقل والآخر غريغور بافريقية ووجّها جيوشاً مع ابنيهما وهما هرقل بن هرقل ونقيطا بن غريغور وتقدّما اليهما بقتل فوقا وتعاقدا بينهما ان الملك للسابق الى قسطنطينية اذا قتل فوقا . فركب هرقل البحر وسار نقيطا في البرّ والفى هرقل البحر هادئاً ساكناً فسبق ودخل المدينة وقتل فوقا وملك .

(هرقل قيصر) ملك احدى وثلثين سنة وخمسة اشهر .وفي اول سنة من ملكه ارسل وفداً الى ملك الفرس ليصالحه . فلم يجبه الى ذلك بل غزا انطاكية وفامية وحمص وقيسارية وافتتحها . وفي هذه السنة عرض بالروم جوع شديد حتى أكل الناس الجيَف وجلود البهائم . وقصد نقيطا بن غريغور مدينة الاسكندرية فاستولى عليها . وفي السنة الرابعة لهرقل ملكت العرب وهي سنة تسعمائة وخمس وثلثين للاسكندر [1] . وفي السنة الخامسة لهرقل افتتح الفرس البيت المقدس . وبعد ثلث سنين افتتحوا الاسكندرية ومصر

١ – والصواب تسعمائة وثلث وثلثين . وهكذا ايضاً في س .

ووصلوا الى النوبة وغزوا خلقيذونيا فافتتحوها. وفي السنة العاشرة لهرقل تحرّكت العرب بيثرب . وفي السنة الخامسة عشرة لهرقل غزا الفرس جزيرة رودس فافتتحوها . وأمر كسرى ان يؤخذ رخام الكنائس التي في جميع المدن التي فتحها وتحدر الى المدائن . ولقي فيه الناس جهداً جهيداً . وفي هذه السنة غزا اهل هرقل الفرس فافتتحوا مدينة كسرى وسبوا منها خلقاً كثيراً وانصرفوا . وفي السنة السابعة عشرة لهرقل انكسف نصف جرم الشمس وثبت كسوفها من تشرين الاول الى حزيران ولم يكن يظهر من نورها الاّ شيء يسير .

* * *

وفي هذا الزمان.كان الحرث بن كلدة طبيب العرب اصله من ثقيف من اهل الطائف رحل الى ارض فارس وأخذ الطبّ عن أهل جنديسابور وغيرها في الجاهلية قبل الاسلام وطبّب بأرض فارس وحصّل مالاً. ثم ان نفسه اشتاقت الى بلاده فرجع الى الطائف واشتهر وأدرك الاسلام. وكان النبيّ عليه السلام يأمر من كان به علّة ان يأتيه فيستوصفه . وكان الحرث يقول: من سرّه البقاء ولا بقاء فليباكر الغذاء وليخفف الرداء وليُقلّ من غشيان النساء. يُريد بخفة الرداء ان لا يكون عليه دَين [1] وقيل مات الحرث في اول الاسلام ولم يصحّ اسلامه . وفي هذا الزمان كان يُعرف اهرون القسّ الاسكندري. وكنّاشهُ في الطبّ موجود عندنا بالسريانية وهو ثلثون مقالة . وزاد عليها مقالتين أُخرَيين .

---

١ – قال ابن أبي أصيبعة: «سمي الدين رداء لقولهم: هو في عنقي وفي ذمتي .فلما كانت العنق موضع الرداء سمي الدَين رداء» .

الدولة التاسعة

المنتقلة من ملوك اليونانيين المتنصّرين

إلى ملوك العرب المسلمين

قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي صاحب قضاء مدينة طليطلة: ان العرب فرقتان فرقة بائدة وفرقة باقية. اما الفرقة البائدة فكانت امماً ضخمة كعاد وثمود وطسم وجديس. ولتقادم انقراضهم ذهبت عنّا حقيقة اخبارهم وانقطعت عنّا اسباب العلم بآثارهم. واما الفرقة الباقية فهي متفرّعة من جذمَين[1] قحطان وعدنان. ويضمّهما حالان حال الجاهلية وحال الاسلام. فأما حال العرب في الجاهلية فحالٌ مشهور عند الأمم من العزّ والمنعة وكان ملكهم في قبائل قحطان وكان بيت الملك الاعظم في بني حميَر وكان منهم الملوك السادة الجبابرة التبابعة. واما سائر عرب الجاهلية بعد الملوك فكانوا طبقتين أهل مدَر[2] وأهل وبَر. فامّا اهل المدَر فهم الحواضر وسكّان القرى. وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والماشية والضرب في الارض للتجارة. واما اهل الوَبر فهم قطّان الصحارى. وكانوا يعيشون من ألبان الابل ولحومها منتجعين بمنابت[3] الكلإ مرتادين لمواقع القطر فيخيمون هنالك ما ساعدهم الخصب وامكنهم الرعي ثم يتوجهون لطلب العشب وابتغاء المياه فلا يزالون في حلّ وتَرحال كما قال بعضهم عن ناقته:

تقولُ اذا درأتُ لها وضيني أهـذا دينهُ ابداً وديني
أكلَّ الدهر حلٌّ وارتحالٌ أمـا يُبقي عليَّ ولا يقيني

١ – جذمين ر جدّين.
٢ – مدر . وبر ر مدن . وبرّ .
٣ – بمنابت ر لمنابت .

وكان ذلك دأبهم زمان الصيف والربيع . فاذا جاء الشتاء واقشعرّت الارض انكمشوا الى ارياف العراق واطراف الشام. فشتّوا هناك مقاسين جهد الزمان ومصطبرين على بؤس العيش . وكانت اديانهم مختلفة. فكانت حميَر تعبد الشمس . وكنانة القمر. وميسم الدبَران. ولخم وجُذام المشتري. وطيّ سهيلاً. وقيس الشعرى العبور . واسد عطارد . وثقيف بيتاً بأعلى نخلة يقال لها اللاّت . وكان فيهم من يقول بالمعاد ويعتقد ان من نُحرت ناقته على قبره حُشر راكباً ومن لم يفعل ذلك حُشر ماشياً.فأما علم العرب الذين كانوا يتفاخرون به فعلم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الاشعار وتأليف الخطب . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلمٌ بأنواء الكواكب وامطارها على حسب ما ادركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لا على طريق تعلّم الحقائق. واما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئاً منه ولا هيأ طبائعهم للعناية به . فهذه كانت حالهم في الجاهلية . واما حالهم في الاسلام فعلى ما نذكره بأوجز ما يمكننا وأقصر ان شاء الله .

(محمد بن عبد الله عليه السلام) ذكر النسّابون ان نسبته ترتقي الى اسماعيل ابن ابرهيم الخليل الذي ولدت له هاجر امةَ سارة زوجته. وكان ولاده بمكة سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة للاسكندر[١] . ولما مضى من عمره سنتان بالتقريب مات عبد الله ابوه وكان مع أمّه آمنة بنت وهب ست سنين . فلما توفيت اخذه اليه جدّهُ عبد المطلب وحنا عليه . فلما حضرته الوفاة اوصى ابنه ابا طالب بحياطته[٢] فضمه اليه وكفله . ثم خرج به وهو ابن تسع سنين الى الشام . فلما نزلوا بُصرى خرج اليهم راهب عارف اسمه بحيرا من صومعته وجعل يتخلل القوم حتى انتهى اليه فأخذه بيده وقال : سيكون من هذا الصبي أمر عظيم ينتشر ذكره في مشارق الارض ومغاربها فانه حيث اشرف اقبل وعليه غمامة تظلله. ولما كمل له من العمر خمس وعشرون سنة عرَضت عليه امرأة ذات شرف ويسار اسمها خديجة ان يخرج بمالها تاجراً الى الشام وتعطيه افضل ما تعطي غيره. فأجابها الى ذلك وخرج . ثم رغبت فيه وعرضت نفسها عليه فتزوجها وعمرها يومئذٍ اربعون سنة . واقامت معه الى ان توفيت بمكة اثنتين وعشرين سنة . ولما كمل له اربعون سنة اظهر الدعوة. ولما مات ابو طالب عمّهُ وماتت ايضاً خديجة زوجته اصابته قُرَيش بعظيم اذًى. فهاجر عنهم الى المدينة وهي يثرب . وفي السنة الاولى من هجرته احتفل الناس اليه

١ – والصواب سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة .
٢ – بحياطته ر بحفاظته .

ونصروه على المكّيين اعدائه . وفي السنة الثانية من هجرته الى المدينة خرج بنفسه الى غزاة بدر وهي البطشة الكبرى وهزم بثلثمائة وثلثة عشر رجلاً من المسلمين الفاً من اهل مكة المشركين. وفي هذه السنة صُرفت القبلة عن[1] جهة البيت المقدس الى جهة الكعبة . وفيها فرض صيام شهر رمضان . وفي السنة الثالثة خرج الى غزاة أُحد . وفيها هزم المشركون المسلمين وشُجّ في وجهه وكسرت رباعيته . وفي السنة الرابعة غزا بني النُّضير اليهود وأجلاهم الى الشام . وفيها اجتمع احزاب شتى من قبائل العرب مع اهل مكة وساروا جميعاً الى المدينة فخرج اليهم. ولأنه هال المسلمين أمرُهم أمر بحفر خندق وبقوا بضعةً وعشرين يوماً لم يكن بينهم حرب. ثم جعل واحد من المشركين يدعو الى البراز . فسعى نحوه عليٌّ بن ابي طالب وقتله وقتل بعده صاحباً له . وكان قتلها سبب هزيمة الاحزاب على كثرة عددهم ووفرة عُدَدهم. وفي السنة الخامسة كانت غزاة دومة الجندل وغزاة بني لحيان . وفي السنة السادسة خرج بنفسه الى غزاة بني المصطلق وأصاب منهم سبياً كثيراً. وفي السنة السابعة خرج الى غزاة خيبَر مدينة اليهود . وينقل عن عليّ بن ابي طالب انه عالج باب خيبر واقتلعه وجعله مجناً وقاتلهم . وفي الثامنة كانت غزاة الفتح فتح مكة وعهد الى المسلمين ان لا يقتلوا فيها الا من قاتلهم وأمَّن من دخل المسجد ومن أغلق على نفسه بابه وكفَّ يده ومن تعلّق بأستار الكعبة سوى قوم كانوا يؤذونه. ولما أسلم ابوسفيان وهو عظيم مكة من تحت السيف ورأى جيوش المسلمين قال للعبَّاس يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيماً . فقال له : ويحك انها النبوَّة. قال نعم اذن . وفي السنة التاسعة خرج الى غزاة تبوك من بلاد الروم ولم يحتجْ فيها الى حرب. وفي السنة العاشرة حجّ حجَّة الوداع . وفيها تنبأ باليمامة مسيلمة الكذَّاب وجعل يسجع مضاهياً للقرآن فيقول: لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمةً تسعى من بين صفاق وحشاً . وفي هذه السنة وعك عليه السلام ومرض وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر. وكان عمره بجملته ثلاثاً وستين سنة منها اربعون سنة قبل دعوة النبوّة ومنها بعدها ثلث عشرة سنة مقيماً بمكة ومنها بعد الهجرة عشر سنين مقيماً بالمدينة. ولما تُوفي اراد اهل مكة من المهاجرين ردَّه اليها لانها مسقط رأسه . وأراد أهل المدينة من الانصار دفنه بالمدينة لانها دار هجرته ومدار نصرته . وأرادت جماعة نقله الى بيت المقدس لانه موضع دفن الانبياء . ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة فدفنوه بحجرته حيث قُبض. واختلفوا في عدد ازواجه . واكثر ما قالوا سبع عشرة امرأة سوى السراري. ووُلد له سبعة اولاد

١ — عن ر من .

ثلثة بنين واربع بنات كلهم من خديجة الآ ابرهيم ابنه فانه من ماريّة القبطية التي بعث بها المقوقس الى الاسكندرية مع اختها شيرين . ولم يمت من نسائه قبله الآ اثنتان . ولم يعش من اولاده بعده الآ ابنة واحدة هي فاطمة زوجة عليّ بن ابي طالب وتُوفيت بعد ابيها بثلثة اشهر .

* * *

وقد وقع في الاسلام اختلافات شتى كما وقع في غيره من الاديان بعضها في الاصول وهي موضوع علم الكلام وبعضها في الفروع وهي موضوع علم الفقه . والخلاف في الاصول فينحصر في اربع قواعد الاولى الصفات والتوحيد . الثانية القضاء والقدَر . الثالثة الوعد والوعيد . الرابعة النبوّة والامامة.

وكبار فرَق الاصوليّين ستّ. المعتزلة ثم الصفاتية وهما متقابلتان تقابُل التضادّ. وكذلك القدريّة تضادّ الجبريّة. والمرجئة الوعيديّة. والشيعيّة الخوارج. ويتشعّب عن كل فرقة اصناف فتصل الى ثلث وسبعين فرقة [١] . اما المعتزلة فالذي يعمُّهم من الاعتقاد القول بنفي الصفات القديمة عن ذات الباري تعالى هرباً من اقانيم النصارى . فمنهم من قال انه تعالى عالم لذاته لا بعلم وكذلك قادرٌ وحيّ . ومنهم من قال انه عالم بعلمٍ وهو ذاته وكذلك قادرٌ وحيّ. فالاول نفى الصفة رأساً والثاني اثبت صفةً هي بعينها ذاتٌ. واتّفقوا على انّ كلامه تعالى محدث بخلقهِ [٢] في محلّ وهو حرف وصوت وكتب مثاله [٣] في المصاحف . وبالجملة نفي الصفات مقتبس من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذات الله تعالى واحدة لا كثرة فيها بوجهٍ. وبازاء المعتزلة الصفاتيّة وهم يثبتون لله صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة وغيرها . وبلغ بعضهم في اثبات الصفات كالسمع والبصر والكلام الى حدِّ التجسيم فقال: لا بدّ من اجراء الآيات الدّالّة عليها كالاستواء على العرش والخلق باليد وغيرهما على ظاهرها من غير تعرُّض للتأويل. الآ ان قوماً منهم كأبي

---

١ – دونك ما قاله الشهرستاني في الصفحة ٢ و٣ من كتابه الملل والنحل :
« والمسلمون على ثلث وسبعين فرقة والناجية ابداً من الفرق واحدة اذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة ولا يجوز ان يكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائع التقابل الا وان تقتسما الصدق والكذب فيكون الحق في احديهما دون الاخرى ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين في اصول المعقولات بأنهما محقان صادقان واذا كان الحق في كل مسئلة عقلية واحداً فالحق في جميع المسائل يجب ان يكون مع فرقة واحدة » .

٢ – بخلقه ر بخلقة .

٣ – مثاله ر أمثاله .

الحسن الاشعريّ وغيره لمّا باشروا علم الكلام منعوا التشبيه وصار ذلك مذهباً لأهل السنّة والجماعة وانتقلت سنّة[1] الصفاتيّة الى الاشعريّة.

وامّا القدريّة فهم معتزلة ايضاً وانما لُقّبوا بالقدريّة لنفيهم القدَر لا لاثباتهم ايّاه فانهم يقولون ان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرّها مستحقّ على ما يفعله ثواباً وعقاباً. فالرّب تعالى منزّه عن ان يضاف اليه شرّ وظلم. وسمّوا هذا النمط عدلاً. وحدّوه بأنه اصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة لمقتضى[2] العقل من الحكمة. وبازاء القدريّة الجبريّة الذين ينفون الفعل والقدرة على الفعل عن العبد ويقولون ان الله تعالى يخلق الفعل ويخلق في الانسان قدرة متعلّقة بذلك الفعل ولا تأثير لتلك القدرة على ذلك الفعل. ومنهم من يُثبت للعبد قدرة ذات اثر ما في الفعل ويقولون ان الله مالك في خلقه يفعل فيهم ما يشاء ولا يُسأل عمّا يفعل. فلو ادخل الخلائق بأجمعهم الجنّة لم يكن حيفاً. ولو أدخلهم بأجمعهم النار لم يكن جوراً بل هو في كل ذلك عادل لأنّ العدل على رأيهم هو التصرّف فيما يملكه المتصرّف.

واما المرجئة فهم يقولون بارجاء حكم صاحب الكبيرة من المؤمنين الى القيامة اي بتأخيره اليها. فلا يقضون عليه بحكم ما في الدنيا من كونه ناجياً او هالكاً ويقولون ايضاً انه لا يضرّ مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وبازاء المرجئة الوعيدية القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار وان كان مؤمناً لكن يكون عقابه اخف من عقاب الكفّار. واما الشيعة فهم الذين شايعوا عليّ بن ابي طالب وقالوا بامامته بعد النبيّ. وان الامامة لا تخرج من اولاده الا بظلم. ويجمعهم القول بثبوت عصمة الأيمّة وجوباً عن الكبائر والصغائر. فان الامامة ركن من اركان الدين لا يجوز للنبي اغفاله ولا تفويضه الى العامّة. ومن غلاة الشيعة النصيريّة القائلون بان الله تعالى ظهر بصورة علي ونطق بلسانه مخبراً عمّا يتعلّق بباطن الاسرار. وقوم منهم غلوا في حق أيمّتهم حتى اخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الالهية. وبازاء الشيعة الخوارج فمنهم من خطّأ عليّ بن ابي طالب فيما تصرّف فيه ومنهم من تخطّى عن تخطئته الى تكفيره ومنهم من جوّز ان لا يكون في العالم امام اصلاً وان احتيج اليه فيجوز ان يكون عبداً او حرّاً او نبطيّاً او قرشيّاً اذا كان عادلاً. فان عدل عن الحق وجب عزله وقتله. فهذا اقتصاص مذهب الأصوليين على سبيل الاختصار.

* * *

١ – سنّة ر سمة.
٢ – لمقتضى ر يقتضي.

واما مذاهب الفروعيّين المختلفين في الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية فالمشهورة منها اربعة: مذهب مالك بن أنس. ومذهب محمد بن ادريس الشافعي. ومذهب احمد ابن حنبل. ومذهب ابي حنيفة النعمان بن ثابت. واركان الاجتهاد ايضاً اربعة: الكتاب والسنّة والاجماع والقياس. وذلك لانه اذا وقعت لهم حادثة شرعيّة من حلال وحرام فزعوا الى الاجتهاد وابتدأوا بكتاب الله تعالى. فان وجدوا فيه نصّاً تمسّكوا بـه والا فزعوا الى سنّة النبي فان رأوا[1] لهم في ذلك خبراً نزلوا الى حكمه والا فزعوا الى اجماع الصحابة لانهم راشدون حتى لا يجتمعون على ضلال. فان عثروا بما يناسب مطلوبهم اجروا حكم الحادثة على مقتضاه والا فزعوا الى القياس لان الحوادث والوقائع غير متناهية والنصوص متناهية فلا يتطابقان فعلم قطعاً ان القياس واجب الاعتبار ليكون بصدد كل حادثة شرعية اجتهاد قياسيّ. ومن الأيمّة داود الاصفهاني نفى القياس اصلاً. وابو حنيفة شديد العناية به وربما يقدّم القياس الجليّ على آحاد الاخبار. ومالك والشافعي وابن حنبل لا يرجعون الى القياس الجليّ ولا الخفيّ ما وجدوا خبراً او امراً. وبينهم اختلاف في الاحكام ولهم فيهـا تصانيف وعليها مناظرات ولا يلزم بذلك تكفير ولا تضليل. وبالجملة اصول شريعة الاسلام الطهارة في حواشي الانسان واطرافه لارسالها وملاقاتها النجاسات. والصلاة وهي خضوع وتواضع لرب العزّة. والزكاة وهي مؤاساة ومعونة وافضال. والصيام وهو رياضة وتذليل وقمع الشهوة تحصل به رقة القلب وصفاء النفس. والحجّ وهو مثال الخروج عن الدنيا والاقبال على الآخرة واكثر ما فيه من المناسك امتحان وابتلاء العبد بامتثاله ما شرع له وذلك كالسعي والهرولة في الطواف ورمي الجمار. واما الجمعة والاعياد فجعلت مجمعاً للأمّة يتلاقون ويتزاورون ويستريحون فيها عن كدّ الكدح. واما الختان فهو سنّة فيه ابتلاء وامتحان وتسليم. واما تحريم الميتة والدم ففي كراهية النفس ونفار الطبع ما يوجب الامتناع منها.

(ابو بكر الصديق) اعظم خلاف بين الأيمّة الاسلامية خلاف الامامة وعليه سلّ السيوف. وقد اتفق ذلك في الصدر الاول فاختلف المهاجرون والانصار فيها. فقالت الانصار: منا امير ومنكم امير. فاستدركهم ابو بكر وعمَر في الحال. وقبل ان يشتغلوا بالكلام مد عمر يده الى ابي بكر فبايعه وبايعه الناس وسكنت الثائرة. وبُويع له في شهر ربيع الاول في اول سنة احدى عشرة يوم توفي النبي عليه السلام في سقيفة

---

١ – راوا ... خبراً ر روي ... خبر.

بني ساعدة . وقيل لما بلغ ذلك عليّ بن ابي طالب لم ينكره[١] . واكثر ما رُوي انه قال : ما شاورتني . فقال له ابو بكر : ما اتسع الوقت للمشورة وانا خفنا ان يخرج الامر منا . ثم صعد المنبر فقال : أقيلوني من هذا الامر فلست بخيركم . فقال عليّ : لا نقيلك ولا نستقيلك . فأجمع المهاجرون والانصار على خلافته . ولما ذاع خبر وفاة النبي عليه السلام ارتدّ خلق كثير من العرب ومنعوا الزكاة واشتد رعب المسلمين بالمدينة لاطباقهم على الردة . فأوَوا الذراري والعيال الى الشعاب. فأمّر ابو بكر خالد بن الوليد على الناس وبعثه في اربعة آلاف وخمسمائة . فسار حتى وافى المرتدة وناوشهم القتال وسبى ذراريهم وقسم اموالهم . وضجّ ايضاً المسلمون الى ابي بكر فقالوا: الا تسمع ما قد انتشر من ذكر هذا الكذاب مسيلمة بأرض اليمامة وادعائه النبوّة. فأمر خالد بن الوليد بالمسير الى محاربته . فسار بالناس حتى نزل بموضع يسمى عقرباء . وسار مسيلمة في جمع من بني حنيفة فنزل حذاء خالد . وكان بينهما وقعات واشتدت الحرب بين الفريقين واقتحم المسلمون بأجمعهم على مسيلمة واصحابه فقاتلوهم حتى احمرت الارض بالدماء . ونظر عبد اسود اسمه وحْشي الى مسيلمة فرماه بحربة فوقعت على خاصرته فسقط عن فرسه قتيلاً . ومن هناك توجه خالد الى ارض العراق فزحف الى الحيرة ففتحها صلحاً . وكان ذلك اول شيء افتتح من العراق . وقد كان ابو بكر وجّه قبل ذلك ابا عبيدة بن الجرّاح في زهاء عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى ارض الشام فوجه اليهم سرجيس البطريق في خمسة آلاف رجل من جنوده ليحاربهم . وكتب ابو بكر الى خالد عند افتتاحه الحيرة يأمره ان يسير الى ابي عبيدة بأرض الشام . ففعل والتقى العربُ الرومَ فانهزم الروم وقتل سرجيس البطريق وذلك انه في هربه سقط من فرسه فركبه غلمانه فسقط فركّبوه ثانياً فهبط ايضاً وقال لهم: فوزوا بأنفسكم واتركوني أُقتل وحدي . وفي سنة ثلث عشرة للهجرة مرض ابو بكر خمسة عشر يوماً ومات رحمه الله يوم الاثنين لثمان خلونَ[٢] من جمادى الآخرة وهو ابن ثلث وستين سنة . وكانت خلافته سنتين واربعة اشهر الا ثمانية ايام . وفيها وهي سنة تسعمائة وستّ واربعين للاسكندر خالف هرقل الناموس وتزوّج مرطياني ابنة اخيه وولدت منه ابناً غير ناموسيّ وسماه باسمه مصغَراً هريقل.

(عمر بن الخطاب) ويكنى ابا حفص. قيل انّ ابا بكر لما دنا أجله قال لعثمان

---

١ – لما بلغ ... لم ينكره ر لم يبلغ ... واذا بلغ ينكره .

٢ – وفي الكامل لابن الاثير « لثمان بقين من جمادى الآخرة » ولعله هو الصواب .

ابن عفان كاتبه : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد عبد الله بن ابي قحافة وهو في آخر ساعات الدنيا وبأول ساعات الآخرة . ثم غمي عليه. فكتب عثمان: الى عمَر ابن الخطاب. فلما أفاق قال: من كتبت. قال: عمر. قال: قد اصبتَ ما في نفسي . ولو كتبتَ نفسك لكنتَ اهلاً له. واجمعوا على ذلك. وكان يُدعى خليفةَ خليفةِ رسول الله . قالوا: هذا يطول . فسمّي امير المؤمنين . وهو اول من سمّي[1] بذلك. ولما استخلف قام في الناس خطيباً فقال بعد الحمدلة: ايها الناس لولا ما أرجوه من خيركم وقوامكم عليه لما اوليتكم الى غير ذلك . فلما ولي الامر لم يكن له همة الآ العراق . فعقد لأبي عبيد[2] بن مسعود على زُهاء الف رجل وأمره بالمسير الى العراق ومعه المثنّى بن حارثة وعمرو بن حزم وسليط بن قيس. فساروا حتى نزلوا الثعلبية. فقال سليط : يا ابا عُبيد اياك وقطع هذه اللجة فاني ارى للعجم جموعاً كثيرة . والرأي ان تعبر بنا الى ناحية البادية وتكتب الى امير المؤمنين عُمَر فتسأله المدد. فاذا جاءك عبرت اليهم فتناجزهم الحرب . فقال ابو عبيد: جبنتَ والله يا سليط . فقال المثنى : والله ما جبن ولكن اشار عليك بالرأي فاياك ان تعبر اليهم فلتني نفسك واصحابك وسط ارضهم فتنشب بك مخاليبهم[3] . فلم يقبل منهما ابو عُبيد وعقد الجسر وعبر بمن معه على كره منهما . فعبرا معه. وعبّى ابو عُبيد اصحابه ووقف هو في القلب . فزحف اليهم العجم فرشقوهم بالنشاب حتى كثرت في المسلمين الجراحات . فحمل العرب حملة رجل واحد وكشفوا العجم . ثم ان العجم ثابوا وحملوا على المسلمين. فكان ابو عُبيد اول قتيل وقُتل من المسلمين عالم . فولّى الباقون مارّين نحو الجسر والمثنى يقاتل من ورائهم لجميعهم حتى عبروا جميعاً وعبر المثنى في آخرهم وقطعوا الجسر. وكتب الى عُمَر بما جرى من المحاربة . وكتب اليه عُمر ان يُقيم الى ان يأتيه المدد. وكانت هذه الوقعة في شهر رمضان يوم السبت سنة ثلث عشرة من التاريخ . ثم ان عُمر أرسل رسله الى قبائل العرب يستنفرهم[4] . فلما اجتمعوا عنده بالمدينة ولّى جرير بن عبد الله البجليّ أمرَهم. فسار بهم حتى وافى الثعلبية . وانضم اليه من هناك . ثم سار حتى نزل دير هند . ووجه سراياه للغارة بأرض السواد مما يلي الفرات . فبلغ ذلك ازرميدخت ملكة العجم فأمرت ان ينتدب من مقاتليها اثنا عشر

---

١ – سمي ر تسمى.
٢ – عُبيد ر عبيدة.
٣ – مخاليبهم ر مخالبهم.
٤ – يستنفرهم ر يستفزهم.

الف فارس من ابطالهم . فانتدبوا وولت عليهم مهران بن مهرويه عظيم المرازبة . فسار بالجيش حتى وافى الحيرة . ورجعت سرايا العرب واجتمعوا وتهيأ الفريقان للقتال وزحف بعضهم الى بعض وتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالسيوف . وتوسط المثنى العجم يجالدهم بسيفه . ثم رجع منصرفاً الى قومه . وصدقهم العجم القتال فثبت بعض العرب وانهزم البعض . فقبض المثنى على لحيته ينتفها . فحملت قبائل العرب وحملت عليهم العجم فاقتتلوا من وقت الزوال الى ان توارت الشمس بالحجاب . ثم حملوا على العجم . وخرج مهران فوقف امام اصحابه . فحمل عليه المثنى . فضربه مهران فنبا السيف عن الضربة . وضربه المثنى على منكبه فخرّ ميتاً وانهزم العجم لاحقين بالمدائن . وثاب المسلمون يدفنون موتاهم ويداوون جرحاهم[1] . فلما نظرت العجم الى العرب وقد أخذت اطراف بلادهم وشنّوا الغارة في ارضهم قالوا: انما أوتينا من تمليكنا النساء علينا. فاجتمعوا على خلع ازرميدخت[2] بنت كسرى وتمليك غلام اسمه يزدجرد[3] وقد كان نجم من عقب كسرى بن هرمز . فأجلسوه وبايعوه على السمع والطاعة . فاستجاش يزدجرد جنوده من آفاق مملكته وولى عليهم رجلاً عظيماً من عظماء مرازبته له سنٌّ وتجربة يقال له رستم . فوجهه الى الحيرة ليحارب من ورد عليه هناك من العرب . وعقد ايضاً لرجل آخر من حرّ سادات العجم يسمى الهرمزان في جنود كثيرة ووجهه الى ناحية الاهواز لمحاربة ابي موسى الاشعري ومَن معه. وعند الالتقاء قتل هاذان المرزبانان العظيمان . ومرّت العرب في اثر العجم يقتلون من ادركوا منهم.

وفي خلافة عُمَر فتح ابو عُبيدة دمشق بعد حصار سبعة اشهر. وصالح اهل مَيْسان وطبرية وقيسارية وبعلبك . وفتح حمص بعد حصار شهرين. وفيها كتب عمر الى معاوية بن ابي سفيان بولاية دمشق . وفيها دخل ميسرة بن مسروق العبسي ارض الروم في اربعة آلاف وهو اول جيش دخل الى الروم . وفيها فتح عمرو بن العاص مصر عنوةً وفتح الاسكندرية صلحاً.وفيها دخل عياض بن غنم سروج والرها صلحاً . وفيها افتتح ايضاً الرقة وآمد ونصيبين وطور عبدين وماردين صلحاً . وفتح حبيب بن مسلمة قرقيسياء صلحاً.وفيها فتح عُتبة بن غزوان قرى[4] البصرة ثم سار حتى وافى الأبلّة

---

١ — جرحاهم ر جراحاتهم .

٢ — ارزمي دخت ر ازرميدخت س ܐܙܪܡܝܕܘܟܬ زريمن دخت .

٣ — جلس يزدجرد على سرير الملك وعمره ٢١ سنة .

٤ — قُرى ر قرا و فرات و قراة . غزوان ر عرفان .

فافتتحها عنوة . ثم صار الى المدائن فحارب مرزبانها وضرب عنقه وقتل من جنوده مقتلة عظيمة. ثم ان عُتبة كتب الى عمر يستأذنه في الحج . فاستعمل عمر على عمله المغيرة بن شُعبة . ثم عزله واستعمل على ارض ميسان ابا موسى الاشعريّ وأمره ان يبتني بأرض البصرة خططاً لمن عنده من العرب ويجعل كل قبيلة في محلّة. وابتنوا لانفسهم المنازل . وبنى بها مسجداً جامعاً متوسطاً . وعند فراغه من بناء مدينة البصرة اسكن فيها ذرية من كان بها من العرب وسار في جنوده الى جميع كوَر الاهواز فافتتحها الآ مدينة تستر فانهم امتنعوا لحصانتها . وفيها رحل هرقل من انطاكية الى القسطنطينية وهو يقول باليونانية سوزه[1] سورية . وهي كلمة وداع لارض الشام وبلادها . ثم مات هرقل وقام ابنه قسطنطين مكانه وبعد اربعة اشهر قتلته مرطياني امرأة ابيه بالسم وأقامت ابنها هريقل وسمته داود الحديث . فنقم ارباب الدولة أمره وخلعوه وملكوا قسطوس ابن القتيل. وفيها افتتح عبد الله بن بديل[2] اصفهان صلحاً . وفيها فتح جرير البجليّ همذان. وفيها كانت وقعة نهاوند . وفيها افتتح معاوية عسقلان بصلح في شهر رمضان . ومات عمر يوم الاربعاء لخمسٍ بقين من ذي الحجة سنة ثلث وعشرين للهجرة وعمره ثلث وستون سنة . وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر وسبعة عشر يوماً . قتله ابو لؤلؤة فتى المغيرة بن شعبة في صلاة الفجر . وكان السبب في ذلك ان ابا لؤلؤة جاء اليه يشكو ثقل الخراج وكان عليه كل يوم درهمان . فقال له عمر : ليس بكثير في حقك فاني سمعت عنك انك لو اردتَ ان تدير الرحى بالريح لقدرتَ عليه . فقال : لأديرنّ لك رحىً لا تسكن الى يوم القيامة . فقال : ان العبد أَوعد ولو كنت اقتل احداً بالتهمة لقتلت هذا . ثم ان الغلام ضربه بالخنجر في خاصرته طعنتين . فدعا عمر طبيباً لينظره فسقاه لبناً فخرج اللبن بيّناً[3] . فقال له : أعهد يا امير المؤمنين .

* * *

وفي هذا الزمان اشتهر بين الاسلاميين يحيي المعروف عندنا بغرماطيقوس اي النحويّ . وكان اسكندرياً يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبية ويشيد عقيدة ساوري . ثم رجع عما يعتقده النصارى في التثليث . فاجتمع اليه الاساقفة بمصر وسألوه الرجوع عما

---

١ – شوره ر سوره تصحيف سوزه . وسوزه كلمة يونانية σωζου س ܣܘܙܘ ܣܘܪܝܐ ܗܝ ܦܘܫ ܒܫܠܡܐ ܣܘܪܝܐ . وتأويله : كوني بسلام يا سوريا .

٢ – بديل ر نديل .

٣ – راجع التاريخ الكامل لابن الاثير الجزء الثالث الصفحة الحادية والعشرين السطر الاخير . والطبيب الذي داواه قال ابن الاثير انه من بني الحرث بن كعب .

هو عليه . فلم يرجع . فأسقطوه عن منزلته . وعاش الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية [١] . ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من الفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها انسة ما هاله ففتن به . وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه .

ومن الاطباء المشهورين في هذا الزمان بولس الاجانيطي طبيب مذكور في زمانه وكان خبيراً خبيراً بعلل النساء كثير المعاناة لهنّ . وكانت القوابل يأتينه ويسألنه عن الامور التي تحدث للنساء عقيب الولادة فينعم بالجواب لهنّ ويجيبهنّ عن سؤالهنّ بما يفعلنه . فلذلك سمّوه بالقوابلي. وله كتاب في الطب تسع مقالات نقل حُنين بن اسحق. وكتاب في علل النساء . ومنهم مغنوس له ذكر بين الاطباء ولم نرَ له تصنيفاً .

(عثمان بن عفّان) ويكنى ابا عمرو. بويع له لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلث وعشرين للهجرة . قيل لما ضرب ابو لؤلؤة عمر بالخنجر وشرب اللبن فخرج من جراحته فقالوا له: اعهد الى من تكون الخلافة بعدك . قال: لو كان سالم حياً لم اعدل به . قيل له: هذا عليّ بن ابي طالب وقد تعرف قرابته وتقدمه وفضله . قال: فيه دعابة اي مزاح. قيل: فعثمان بن عفّان . قال: هو كلف بأقاربه . قيل: فهذا الزُبير بن العوام حواريّ النبي عليه السلام . قال: بخيل . قيل: فهذا سعد. قال: فارس مقنَب . والمقنب ما بين الثلثين الى الاربعين من الخيل . قيل: فهذا طلحة ابن عم ابي بكر الصديق . قال: لولا بأوٌ فيه اي كبر وخيلاء . قيل: فابنك. قال: يكفي ان يُسأل واحد من آل الخطاب عن امرة امير المؤمنين . ولكن جعلت هذا الامر شورى بين ستة نفر وهم عثمان وعليّ وطلحة والزبير وابو عبيدة وسعد بن ابي وقاص الى ثلثة ايام . فلما دُفن عمر جاء ابو عـُبيدة الى عليّ بن ابي طالب فقال له: هل انت مبايعي على

١ – « وكان مقامهم (المسلمين) على حصار الاسكندرية اربعة عشر شهراً فلما فتحوا الاسكندرية وهرب من هرب من الروم مضى عمرو بن العاص في طلب من هرب من الروم في البر . فرجع من كان هرب منهم في البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعاً . وقاتلوه قتالا شديداً على الحصن ثم فتحها . وهرب الروم ايضاً الى المراكب . فكتب عمرو بن العاص الى عمر ابن الخطاب اني فتحت مدينة لا اصف ما فيها . غير اني اصبت فيها اربعة آلاف مسيد (مسجد) واربعة آلاف حمام واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعمائة ملهى للملوك واثني عشر الف بقال يبيعون البقل الاخضر . واني فتحتها عنوة بغير عهد . ويعلمه ان المسلمين طلبوا قسمتها . فكتب اليه عمر بن الخطاب يقبح رأيه ويأمره ان لا يتجاوزها ولا يقسمها ويترك خرجها فيها للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم . فأقر بها عمرو وأحصى اهلها وفرض عليهم الخراج » (من نسخة خطية من تاريخ سعيد بن البطريق) .

كتاب الله وسنّة نبيه وسنّة الشيخين. قال: اما كتاب الله وسنّة نبيه فنعم. وامّا سنّة الشيخين فأجتهد رأيي. فجاء الى عثمان فقال له: هل انت مبايعي على كتاب الله وسنّة نبيه وسنّة الشيخين. قال: اللهمّ نعم. فبايعه ابو عبيدة والجماعة ورضوا به. واول ما فتح في خلافته ماهُ البصرة وما كان بقى من حدود اصفهان والرّيّ على يد ابي موسى الاشعريّ. ثم بعث عثمان عبد الله بن عامر الى اسطخر وبها يزدجرد. فخرج الى دارابجرد[1]. فأرسل عبد الله مجاشع بن مسعود في اثر يزدجرد. فركب المفازة حتى أبي كرمان وأخذ على طريق سجستان يريد الصين. وجاء مجاشع الى سجستان. ثم انصرف لمّا لم يدرك يزدجرد وعاد الى فارس. فاشتد خوف يزدجرد واستمدّ طرخان التركي لنصرته. ولما ورد استخف به وطرده لكلام تكلم به بعض الترك. وعند انصرافهم ارسل ماهويه مرزبان مرو وكان قد خامر على يزدجرد[2] الى طرخان أن: كرّ عليه فاني اظاهرك. فكرّ طرخان على يزدجرد. فولّى يريد المدينة. فاستقبله ماهويه فمزقه كل ممزق. وقيل ان يزدجرد انتهى الى طاحونة بقرية من قرى مرو فقال للطحان: اخفني ولك منطقتي وسواري وخاتمي. فقال الرجل: ان كرى الطاحونة كل يوم اربعة دراهم. فان اعطيتنيها عطلتها والا فلا. فبينا هو في راجعته اذ غشيته الخيل فقتلوه. وانتزع عثمان عمرو بن العاص عن الاسكندرية وأمّر عليها عبد الله بن مسعود اخاه لأمّه. فغزا افريقية وغزا معاوية قبرس وانقرة فافتتحها صلحاً. ثم ان الناس نقموا على عثمان اشياء منها كلفه بأقاربه. فآوى الحكم بن العاص بن أُميّة طريد النبي عليه السلام. وأعطى عبد الله بن خالد اربعمائة الف درهم. واعطى الحكم مائة الف درهم. ولما ولي صعد المنبر فتسنم ذروته حيث كان يقعد النبي عليه السلام. وكان ابو بكر ينزل عنه درجة وعمر درجتين. فتكلم الناس عن ذلك واظهروا الطعن. فخطب عثمان وقال: هذا مال الله اعطيه من شئت وامنعه ممن شئت. فارغم الله انف من رغم انفه. فقام عمّار[3] بن ياسر فقال: انا اول من رُغم انفه. فوثب بنو أمية عليه وضربوه حتى غشي عليه. فحنقت العرب على ذلك وجمعوا الجموع ونزلوا فرسخاً من المدينة وبعثوا الى عثمان من يكلمه ويستعتبه ويقول له: إما أن تعدل او تعتزل. وكان اشد الناس على عثمان طلحة والزُبير وعائشة. فكتب عثمان اليهم كتاباً يقول فيه: اني انزع عن كل شيء انكرتموه وأتوب الى الله. فلم يقبلوا

---

١ – دارابجرد ر داربجرد.

٢ – خامر على يزدجرد ر خامر يزدجرد.

٣ – عمار ر عماد.

منه وحاصروه عشرين يوماً . فكتب الى عليّ: اترضى ان يُقتل ابن عمك ويُسلب ملكك . قال عليّ: لا والله . وبعث الحسن والحسين الى بابه يحرسانه . فتسوّر محمد ابن ابي بكر مع رجلين حائط عثمان فضربه احدهم بغتةً بمشقص في اوداجه وقتله الآخر والمصحف في حجره وذلك لعشر مضينَ من ذي الحجة سنة خمس وثلثين وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة بالتقريب وعمره نيّف وثمانون سنة [1] .

(عليّ بن ابي طالب) لما قُتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار فأتوا عليًّا وفيهم طلحة والزبير ليبايعوه. فقال عليّ لطلحة والزُبير : ان احببتما ان تبايعاني وان احببتما بايعتكما . قالا له : لا بل نبايعك . فخرجوا الى المسجد وبايعه الناس يوم الجمعة لخمس بقينَ من ذي الحجة سنة خمس وثلثين للهجرة . وكان اول مبايعيه طلحة . وكان في اصبعه شلل فتطيَّر منها حبيب بن ذوئيب وقال : يد شلاء لا يتمّ هذا الامر ما اخلقه ان ينتكث. وتخلّف عن بيعة عليّ بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد ابن عقبة. ولم يبايعه العثمانية من الصحابة وكانت عائشة تؤلّب[2] على عثمان وتطعن فيه وكان هواها في طلحة . فبينا هي قد اقبلت راجعة من الحج استقبلها راكب . فقالت: ما وراءَك. قال : قُتل عثمان . قالت : كأني انظر الى الناس يبايعون طلحة . فجاء راكب آخر . فقالت: ما وراءَك. قال : بايع الناس عليًّا. قالت : وا عثماناه ما قتله الاّ عليّ. لَاصبع من عثمان خير من طباق الارض امثالهم. فقال لها رجل من اخوالها : والله اوّل من أمال حرفه لأنتِ. ولقد كنتِ تقولين : اقتلوا نَعْثَلاً فقد كفر . قالت : انهم استتابوه ثم قتلوه. ونعثل اسم رجل كان طَويل اللحية وكان عثمان اذا نيل منه وعُيِّب شُبِّه به لطول لحيته . ثم انصرفت عائشة الى مكة وضربت فسطاطاً في المسجد . واراد عليّ ان ينزع معاوية عن الشام فقال له المغيرة بن شعبة: اقرر معاوية على الشام فانه يرضى بذلك . وسأل طلحة والزُبير ان يولّيهما البصرة والكوفة. فأبى وقال : تكونان عندي اتجمّل بكما فاني استوحش لفراقكما. فاستأذناه في العُمرة فأذن لهما. فقدما على عائشة وعظّما أمر عُثمان. ولما سمع معاوية بقول عائشة في عليّ ونقض طلحة والزبير البيعة ازداد قوة وجراءة وكتب الى الزُبير : اني قد بايعتك ولطلحة من بعدك فلا يفوتكما[3] العراق. واعانهما بنو أُميّة وغيرهم وخرجوا بعائشة حتى قدموا البصرة فأخذوا ابن حنيف اميرها من قِبل

---

١ – وسمي يوم قتله يوم الدار لانهم هجموا عليه في داره وقتلوه بها .
٢ – تؤلّب ر تولّت .
٣ – يفوتكما ر يفوتنّكما .

عليّ فنالوا من شعره ونتفوا لحيته وخلّوا سبيله فقصد عليّاً وقال له: بعثتني ذا لحية وقد جئتك امرد. قال: أصبت اجراً وخيراً. وقتلوا من خَزَنة بيت المال خمسين رجلاً وانتهبوا الاموال. وبلغ ذلك عليّاً فخرج من المدينة وسار بتسعمائة رجل. وجاءه من الكوفة ستة آلاف رجل. وكانت الوقعة بالخُرَيْبة. فبرز القوم للقتال وأقاموا الجمل وعائشة في هودج ونشبت الحرب بينهم فخرج عليّ ودعا الزُبير وطلحة وقال للزُبير: ما جاء بك. قال: لا اراك لهذا الامر أهلاً. وقال لطلحة: أجئتَ بعرس النبي تقاتل بها وخبّيت عرسك في البيت. اما بايعتماني. قالا: بايعناك والسيف على عنقنا. واقبل رجل سعديّ من اصحاب عليّ فقال بأعلى صوته: يا امّ المؤمنين والله لقتل عُثمان أهون من خروجكِ من بيتكِ على هذا الجمل الملعون انه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكتِ ستركِ وأبحتِ حرمتكِ. ثم اقتتل الناس. وفارق الزُبير المعركة فاتبعه عمرو بن جرموز وطعنه في جُرُبّان درعه فقتله. واما طلحة فأتاه سهم فأصابه فأردفه غلامه فدخل البصرة وأنزله في دار خربة ومات بها. وقتل تسعون رجلا على زمام الجمل. وجعلت عائشة تنادي: البقيّةَ البقيّة. ونادى عليّ: اعقروا الجمل. فضربه رجل فسقط. فحمل الهودج موضعاً واذا هو كالقنفذ لما فيه من السهام. وجاء عليّ حتى وقف عليه وقال لمحمد بن ابي بكر: انظر أحيّة هي أم لا. فأدخل محمد رأسه في هودجها. فقالت: من انت: قال: اخوكِ البرّ. فقالت: عُقَق. قال: يا أُخيّة هل اصابكِ شيء. فقالت: ما انت وذاك. ودخل عليّ البصرة ووبخ اهلها وخرج منها الى الكوفة. ولما بلغ معاوية خبر الجمل دعا اهل الشام الى القتال والمطالبة بدم عثمان. فبايعوه اميراً غير خليفة. وبعث عليّ رسولاً الى معاوية يدعوه الى البيعة. فأبى. فخرج عليّ من الكوفة في سبعين الف رجل. وجاء معاوية في ثمانين الف رجل فنزل صفّين وهو موضع بين العراق والشام فسبق عليّاً على شريعة الفرات. فبعث عليّ الأشتر النخعي فقاتلهم وطردهم وغلبهم على الشريعة. ثم ناوشوا الحرب أربعين صباحاً حتى قُتل من العراقيين خمسة وعشرون الفاً ومن الشاميّين خمسة واربعون الفاً. ثم خرج عليّ وقال لمعاوية: علامَ تُقتل[1] الناس بيني وبينك. أحاكمك الى الله عزّ وجلّ فايّنا قتل صاحبه استقام الامر له. فقال معاوية لاصحابه: يعلم انه لا يبارزه احد الاّ قتله. فأمرهم ان ينشروا المصاحف وينادوا: يا اهل العراق بيننا وبينكم كتاب الله ندعوكم اليه. قال عليّ: هذا كتاب الله فمن يحكم بيننا. فاختار الشاميّون عمرو بن العاص والعراقيّون ابا موسى الاشعري. فقال الاحنف: ان ابا موسى

١ – تقتل ر نقتل.

رجلٌ قريب القعر كليل الشفرة اجعلني مكانه آخذ لك بالوثيقة واضعك من هذا الامر بحيث تحبّ . فلم يرضَ به اهل اليمن . فكتبوا القضية على ان يحكم الحكمان بكتاب الله والسنّة والجماعة وصيّروا الأجل شهر رمضان. ورحل عليّ الى الكوفة ومعاوية الى الشام . فلما دخل عليّ الكوفة اعتزل اثنا عشر الفاً من القرّاء وهم ينادونه : جزعت من البليّة ورضيت بالقضيّة وحكمت الرجال والله يقول : انِ الحكم الاّ لله . ثم اجتمع ابو موسى الاشعري وعمرو بن العاص للتحكم بموضع بين مكّة والكوفة والشام بعد صِفّين بثمانية اشهر وحضر جماعة من الصحابة والتابعين . فقال ابن عباس لابي موسى : مهما نسيت فلا تنسَ ان علياً ليست فيه خلّة واحدة تباعده من الخلافة وليس في معاوية خصلة واحدة تقرّبه من الخلافة . فلما اجتمع ابو موسى وعمرو للحكومة ضربا فسطاطاً. وقال عمرو : يجب ان لا نقول شيئاً الا كتبناه حتى لا نرجع عنه . فدعا بكاتب وقال له سراً : ابدأ باسمي . فلما اخذ الكاتب الصحيفة وكتب البسملة بدأ باسم عمرو . فقال له عمرو : امحه وابدأ باسم ابي موسى فانه افضل مني وأولى بأن يُقدَّم. وكانت منه خديعة . ثم قال : ما تقول يا ابا موسى في قتل عثمان . قال : قُتل والله مظلوماً. قال : اكتب يا غلام. ثم قال : يا ابا موسى ان اصلاح[1] الأمة وحقن الدماء خير ممّا وقع فيه عليّ ومعاوية . فان رأيت أن تخرجها وتستخلف على الأمة من يرضى به المسلمون فان هذه امانة عظيمة في رقابنا . قال : لا بأس بذلك . قال عمرو : اكتب يا غلام . ثم ختما على ذلك الكتاب. فلما قعدا من الغد للنظر قال عمرو : يا ابا موسى قد اخرجنا علياً ومعاوية من هذا الامر فسمِّ له من شئت . فسمّى عدّة لا يرتضيهم عمرو. فعرف ابو موسى انه يتلعّب به.

ثم قال عمرو : ان هذا قد خلع صاحبه وانا ايضاً خلعته كما خلعت هذا الخاتم من يدي . وافترقا . وعزم عليّ المسير الى معاوية . وبايعه ستون الفاً على الموت . فشغلته الخوارج وقتالهم . واخذ معاوية في تسريب السرايا الى النواحي التي يليها عمّال[2] عليّ وشنّ الغارات وبعث جيشاً الى المدينة ومكّة. فبايعه بقية اهلها . ثم تعاقد ثلثة نفر من الخوارج داود[3] والبرك وابن ملجم ان يقتلوا عمرو بن العاص ومعاوية وعلياً ويريحوا العباد من أيمة الضلال . اما داود فانه أتى الى مصر ودخل المسجد وضرب خارجة

---

١ – اصلاح ر صلاح .

٢ – عمال ر اعمال .

٣ – ويروى زادويه ودادويه . ويروى : عمرو بن بكير .

ابن حذافة فقتله وهو يظنه عمراً. وأخذ داوديه فقُتل. واما البرك فانه مضى الى الشام ودخل المسجد وضرب معاوية فقطع منه عرقاً فانقطع منه النسل. فأخذ البرك فقُطعت يداه ورجلاه وخلّي عنه. فقدم البصرة ونكح امرأة فولدت له. فقال له زياد: يولد لك ولا يولد لمعاوية. فضرب عنقه. واما ابن ملجم فانه أتى الى الكوفة وسمّ سيفه وشحذه وجاء فبات بالمسجد. فدخل عليّ المسجد ونبّه النيام فركل ابن ملجم برجله وهو ملتفّ بعباءة وفتح ركعتي الفجر. فأتاه ابن ملجم فضربه على ضلعه ولم تبلغ الضربة مبلغ القتل ولكن عمل فيه السمّ. فثار الناس اليه وقبضوا عليه. فقال عليّ: لا تقتلوه فان عشت رأيت فيه رأيي وان متّ فشأنكم به. فعاش ثلثة ايام ثم مات يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان [1]. فقُتل ابن ملجم.

(الحسن بن عليّ بن ابي طالب) ثم بُويع الحسن بن عليّ بالكوفة. وبُويع معاوية بالشام في مسجد ايليا. فسار الحسن عن الكوفة الى لقاء معاوية. وكان قد نزل مسكِن من ارض الكوفة. ووصل الحسن الى المدائن وجعل قيسَ بن سعد على مقدمته في اثني عشر الفاً. وقدّم معاوية على مقدّمته بشر بن ارطاة. فكانت بينه وبين قيس مناوشة. ثم تحاجزوا ينتظرون الحسن. (قالوا) فنظر الحسن الى ما يُسفك من الدماء وينتهك من المحارم فقال: لا حاجة لي في هذا الامر وقد رأيت ان أسلّمه الى معاوية فيكون في عنقه تباعته وأوزاره. فقال له الحسين: انشدك الله ان تكون اول من عاب اباه ورغب عن رأيه. فقال الحسن: لا بدّ من ذلك. وبعث الى معاوية يذكر تسليمه الامر اليه. فكتب اليه معاوية: اما بعد فأنت أولى مني بهذا الامر لقرابتك وكذا وكذا. ولو علمت انك اضبط له وأحوط على حريم هذه الأمّة وأكيد للعدو لبايعتك. فاسأل ما شئت. فكتب الحسن اموالاً وضياعاً واماناً لشيعة عليّ وأشهد على ذلك شهوداً من الصحابة. وكتب في تسليم الامر كتاباً. فالتقى معاوية مع الحسن على منزل من الكوفة ودخلا الكوفة معاً. ثم قال: يا ابا محمد جدتَ بشيءٍ لا تجود بمثله نفوس الرجال فقمْ وأعلِم الناس بذلك. فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ايها الناس ان الله عزّ وجلّ هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا. وان معاوية نازعني حقاً لي دونه فرأيت ان امنع الناس الحرب وأسلّمه اليه. وان لهذا الامر مدة. والدنيا دُوَل. فلما قالها قال له معاوية: اجلس. وحقدها عليه. ثم قام خطيباً فقال: اني كنت شرطت شروطاً اردت بها نظام

---

[1] —وكان عمره ثلاثاً وستين سنة ومدة خلافته اربع سنين وتسعة اشهر ويوماً واحداً. وللناس خلاف في مدة عمره وفي قدر خلافته.

الالفة . وقد جمع الله كلمتنا وأزال فرقتنا . فكل شرط شرطته فهو مردود . فقام الحسن وقال: ألا وانا اخترت العار على النار . وسار الى المدينة وأقام بها الى ان مات سنة سبع واربعين من الهجرة [١] . وكانت خلافته خمسة اشهر .

(معاوية بن ابي سفيان) وصار الامر الى معاوية سنة اربعين من الهجرة . وكان وليَ لعمر وعثمان عشرين سنة. ولمّا سلّم الحسن الامر اليه ولى الكوفة المغيرة بن شعبة وولّى البصرة وخراسان عبد الله بن عامر وولى المدينة مروان بن الحكم . وانصرف معاوية الى الشام فولى عبد الله بن حازم . ومات عمرو بن العاص بمصر يوم عيد الفطر فصلّى عليه ابنه عبد الله ثم صلى بالناس صلاة العيد. وكان معاوية قد اذكى العيون على شيعة عليّ فقتلهم اين أصابهم .

وفي سنة ست واربعين من الهجرة وهي سنة تسعمائة وسبع وثمانين [٢] للاسكندر ارسل سابور المتغلب على ارمانيا الى معاوية رسولاً اسمه سرجي يطلب منه النجدة على الروم. وارسل قسطنطين الملك ايضاً رسولاً الى معاوية لاندراا [٣] الخصيّ وهو من اخص خواصه . فأذن معاوية لسرجي ان يدخل اولاً فدخل ثم دخل اندراا . فلما رآه سرجي نهض له لانه كان عظيماً. فوبّخ معاوية لسرجي وقال: اذا كان العبد هالكَ فكيف مولاه . فقال سرجي : خدعت من العادة . ثم سأل معاوية لاندراا: لماذا جئت . فقال: الملك سيّرني لئلاّ تصغوا الى كلام هذا المتمرد ولا يكون الملك والمملوك عندك بالسواء. فقال معاوية: كلّكم اعداء لنا . فأيكم زاد لنا من المال راعيناه . فلما سمع ذلك اندراا خرج . ومن الغد حضر وسرجي قد سبقه بالدخول . فلما دخل اندراا لم ينهض لــه. فشتمه اندراا فقال له: يا يؤوس استخففت بي. فقذفه سرجي قذف المخانيث . قال اندراا: سوف ترى . ثم اعاد كلامه الاول على معاوية فقال له معاوية: ان اعطيتمونا كل خراج بلادكم نبقي لكم اسم المملكة والا ازحناكم عنها . قال اندراا: كأنك تزعم ان العرب هم الجسم والروم الخيال . نستعين بربّ السماء. ثم استأذن للرحيل وسار مجتازاً على ملَطية. وتقدّم الى مستحفظي الثغور ان يكمنوا لسرجي في الطريق ويلزموه ويحملوه الى ملطية وينزعوا خصيتيه ويعلقوهما في رقبته ثم يسمروه . ففعلوا به كذلك .

---

١ – قال الدميري: «كانت وفاته سنة تسع واربعين وقيل سنة خمسين» . وقال ابن الاثير : «في هذه السنة (اي سنة تسع واربعين) توفي الحسن بن علي سمّته زوجته جعدة بنت الاشعث الكندي».

٢ – والصواب: تسعمائة وتسع وسبعين . س تسعمائة وسبع وسبعين .

٣ – لاندراا ر لاندر و لاندرا و اندرا س ابوۋاا اندرا .

وقيل ان معاوية اول من خطب قاعداً لانه كان بطيناً بادناً . واول من قدّم الخطبة على الصلاة خشية ان يتفرق الناس عنه قبل ان يقول ما بدا له . ثم اخذ بيعة اهل المدينة ومكة ليزيد ابنه بالسيف وبايعه الشاميّون ايضاً. ثم مات معاوية بدمشق في رجب سنة ستين وهو ابن ثمانين سنة . وبايع اهل الشام يزيد بن معاوية .

(يزيد بن معاوية) لما مات معاوية استدعى الوليد بن عتبة بن ابي سفيان وهو على المدينة الحسينَ بنَ عليّ وعبدَ الله بن الزبير في جوف الليل ونعى اليهما معاوية واخذهما بالبيعة لابنه يزيد. فقالا: مثلنا لا يبايع سراً ولكن اذ نُصبح. وانصرفا من عنده وخرجا من تحت الليل الى مكة وأبيا ان يبايعا . وبلغ اهل الكوفة امتناعهما عن بيعة يزيد فكتبوا الى الحسين في القدوم عليهم. فأرسل الحسينُ مُسْلِم بن عَقيل بن ابي طالب الى الكوفة ليأخذ بيعة اهلها . فجاء واجتمع اليه خلق كثير من الشيعة يبايعون الحسين . وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد وهو بالبصرة فتمّ الى الكوفة [1] . فسار اليه الشيعة وقاتلوه حتى دخل القصر واغلق بابه . فلما كان عند المساء وتفرق الناس عن مسلم بعث ابن زياد خيلاً في خفية فقبضوا عليه ورفعوه بين شرف القصر ثم ضربوا عنقه . ولما بلغ الخبر الحسين هم بالرجوع الى المدينة . وبعث اليه ابن زياد الحر بن يزيد التميمي في الف فارس . فلقي الحسين بزبالة وقال له: لم أُؤمر بقتالك انما أُمرت ان أقدمك الكوفة . فاذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الى الكوفة ولا يردك الى المدينة حتى اكتب الى ابن زياد . فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحرُّ يسايره حتى انتهى الى الغاضرية فنزل بها . وقدم عليه عمر بن سعد بن ابي وقاص في اربعة آلاف ومعه شَمِر ذو الجيوش فنزلوا بين نهري كربلاء وجرت الرسل بينهم وبين الحسين ومنعوه ومن معه الماء ان يشربوا وناهضهم القتال يوم عاشوراء وهو يوم الجمعة ومعه تسعة عشر انساناً من اهل بيته فقُتل الحسين عطشاناً وقُتل معه سبعة من ولد عليّ بن ابي طالب وثلاثة من ولد الحسين. وتركوا عليّ ابن الحسين لانه كان مريضاً . فمنه عقبُ الحسين الى اليوم . وقتل من اصحابه سبعة وثمانون انساناً . وساقوا عليّ بن الحسين مع نسائه وبناته الى ابن زياد . فزعموا انه وضع رأس الحسين في طست [2] وجعل ينكُت في وجهه بقضيب ويقول: ما رأيت مثل حسن هذا الوجه قط . ثم بعث به وبأولاده الى يزيد بن معاوية . فأمر نساءه وبناته فأقمن

---

١ – لما بلغ يزيد مراسلة اهل الكوفة الحسين عزل عنها النعمان بن بشير وأمرّ عليها عبيد الله بن زياد امير البصرة سابقاً واستخلف على البصرة عثمان بن زياد اخا عبيد الله .

٢ – طست ر طشت .

بدرجة المسجد حيث توقف الاسارى[1] لينظر الناس اليهم. وقُتل الحسين سنة احدى وستين من الهجرة يوم عاشوراء وهو يوم الجمعة . وكان قد بلغ من السن ثمانياً وخمسين سنة . وكان يخضب بالسواد . ثم بعث يزيد بأهله وبناته الى المدينة . وللروافض في هذه القصة زيادات وتهاويل كثيرة . ولما احتُضر يزيد بن معاوية بايع ابنه معاوية ومات وهو ابن ثماني وثلثين سنة . وكان ملكه ثلث سنين وثمانية اشهر .

(معاوية بن يزيد) ولما مات يزيد صار الامر الى ولده معاوية وكان قدريّاً لان عمر المقصوص كان علمه ذلك فدان به وتحققه . فلما بايعه الناس قال للمقصوص: ما ترى . قال: اما ان تعتدل او تعتزل . فخطب معاوية بن يزيد فقال: ان جدّي معاوية نازع الامر من كان اولى به واحق . ثم تقلده ابي . ولقد كان غير خليق به . ولا احبُّ ان ألقى الله عزّ وجلّ بتبعاتكم. فشأنكم وأمركم ولّوه من شئتم . ثم نزل واغلق الباب في وجهه وتخلّى بالعبادة حتى مات بالطاعون. وكانت ولايته عشرين يوماً[2] . فوثب بنو أميّة على عمر المقصوص وقالوا: انت افسدته وعلّمته. فطمروه ودفنوه حيّاً. واما ابن الزبير فلما مات يزيد دعا الناس الى البيعة لنفسه وادّعى الخلافة فظفر بالحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام الاّ الاردنّ .

(مروان بن الحكم) بويع بالاردن سنة اربع وستين للهجرة وهو اول من اخذ الخلافة بالسيف . وسار اليه الضحاك بن قيس فاقتتلوا بمرج راهط من غوطة دمشق . فقُتل الضحاك. وخرج سليمان بن صرد الخزاعيّ من الكوفة في اربعة آلاف من الشيعة يطلبون بدم الحسين فبعث اليه مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد فالتقوا برأس العين فقُتل سليمان وتفرق اصحابه . ومات مروان بدمشق وكانت ولايته سبعة اشهر واياماً[3] . وبايع اهل الشام عبد الملك بن مروان .

* * *

قال ابن جلجل الاندلسي ان ماسرجويه الطبيب البصري سريانيّ اللغة يهودي

١ – الاسارى ر اليسارى.

٢ – وقيل كانت ولايته اربعين يوماً . وقيل: ثلاثة اشهر. ويروى انه مات مسموماً .

٣ – وقيل تسعة اشهر وبعض شهر . واخبر الفخري عن سبب موته قال : « كان مروان حين بويع قد تزوج أم خالد زوجة يزيد بن معاوية ليصغر بذلك شأن خالد فيسقط عن درجة الخلافة . فدخل خالد يوماً على مروان فقال له مروان: يا ابن الرطبة ونسبه الى الحمق ليصغر أمره عند اهل الشام . فخجل خالد ودخل على أمه واخبرها بما قاله له مروان. فقالت: لا يعلمن احد انك اعلمتني وانا اكفيك . ثم ان مروان نام عندها ليلة فوضعت على وجهه وسادة ولم ترفعها حتّى مات . واراد ابنه عبد الملك ان يقتلها فقيل له: يتحدث الناس ان اباك قتلته امرأة . فتركها » .

المذهب . وهو الذي تولى في ايام مروان تفسير كناش اهرون القس الى العربي. وحدّث ايوب بن الحكم انه كان جالساً عند ماسرجويه اذ اتاه رجل من الخوز فقال: اني بُليت بداء لم يُبلَ احد بمثله. فسأله عن دائه. فقال: أُصبح وبصري مظلم عليّ وانا اصيب مثل لحس الكلاب في معدتي فلا تزال هذه حالي الى ان اطعم شيئاً فاذا طعمت سكن ما اجد الى وقت انتصاف النهار . ثم يعاودني ما كنت فيه . فاذا عاودت الأكل سكن ما بي الى وقت صلاة العتمة . ثم يعاودني فلا اجد له دواء الا معاودة الأكل . فقال له ماسرجويه: على دائك هذا غضب الله . فانه أساء لنفسه الاختيار حين قرنه بسفلة مثلك ولوددت ان هذا الداء تحوّل اليّ والى صبياني فكنت اعوّضك مما نزل بك مثل نصف ما أملك. فقال له الخوزيّ: ما أفهم عنك . قال ماسرجويه: هذه صحة لا تستحقها أسأل الله نقلها عنك الى من هو احقّ بها منك.

(عبد الملك بن مروان) بويع سنة خمس وستين بالشام. واما ابن الزبير فبعث اخاه مصعباً على العراق . فقدم البصرة واعطاه اهلها الطاعة واستولى مصعب على العراقَين. فسار اليه عبد الملك بن مروان فالتقوا بسَكِن [1] . وقُتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحجّاج بن يوسف على شرطه . فرأى عبد الملك من نفاذه وجلادته ما أُعجب به ورجع الى الشام ولا همّ له دون ابن الزبير. فأتاه الحجّاج فقال: ابعثني اليه فاني ارى في المنام كأني اقتله واسلخ جلده . فبعثه اليه . فقتله وسلخ جلده وحشاه تبناً وصلبه . وكانت فتنة ابن الزبير تسع سنين منذ موت معاوية الى ان مضت ست سنين من ولاية عبد الملك . وولي الحجاج الحجاز واليمامة . وبايع اهل مكة لعبد الملك بن مروان. وزعم قوم ان الحجاج بلاءٌ صبّه الله على اهل العراق. ولما قدم الكوفة دخل المسجد وصعد يوماً المنبر وسكت ساعة ثم نهض وقال: والله يا اهل العراق اني ارى رؤوساً قد اينعت وحان قطافها واني لَصاحبها. فكأني انظر الى الدماء من فوق العمائم واللحى . وفي سنة سبعين للهجرة وهي سنة الف للاسكندر استجاش يوسطينيانوس ملك الروم على من بالشام من المسلمين . فصالحه عبد الملك على ان يؤدّي اليه كل يوم جمعة الف دينار . وقيل كل يوم الف دينار وفرساً ومملوكاً . وفي سنة ثلث وثمانين بنى الحجّاج مدينة واسط . وفي سنة ست وثمانين توفي عبد الملك بن مروان . وكان يقول: اخاف الموت في شهر رمضان . فيه ولدت وفيه فطمت وفيه جمعت القرآن وفيه

١ – في الكامل لابن الاثير: مسكن . وفي معجم البلدان: «سكن بفتح اوله وكسر ثانيه موضع بارض الكوفة عن العمراني قال وفيه نظر. واخاف ان يكون اراد مَسكِن» .

بايع لي الناس . فمات في النصف من شوال حين امن الموت على نفسه . وكان ابن ستين سنة وكانت خلافته من لدن قتل ابن الزُبير ثلث عشرة سنة .

واختصّ بخدمة الحجاج بن يوسف تياذوق وثاودون الطبيبان. اما تياذوق فله تلاميذ اجلاّء تقدموا بعده ومنهم من أدرك الدولة العباسية كفُرات بن شحناثا في زمن المنصور . واما ثاودون فله كناش كبير عمله لابنه . وقيل دخل الى الحجاج يوماً فقال له الحجاج : اي شيء دواء اكل الطين . فقال : عزيمة مثلك ايها الامير . فرمى الحجاج بالطين ولم يعد الى اكله بعدها .

(الوليد بن عبد الملك) لما ولي الامر اقر العمال على النواحي. وفي ولايته خرج قتيبة بن مسلم الى ما وراء النهر . فجاشت الترك والسغد والشاش وفرغانة واحدقوا به اربعة اشهر . ثم هزمهم وافتتح بخارا . ثم مضى حتى اناخ على سمرقند فافتتحها صلحاً . وفي ايامه مات الحجاج . ذكروا انه اخذه السل وهجره النوم والرقاد. فلما احتُضر قال لمنجم عنده : هل ترى ملكاً يموت . قال : نعم ارى ملكاً يموت اسمه كُليب. فقال : انا والله كليب بذلك سمتني أمي . قال المنجم : انت والله تموت كذلك دلّت عليه النجوم . قال له الحجاج : لاقدمنّك امامي. فأمر به فضُرب عنقه . ومات الحجاج وقد بلغ من السن ثلثاً وخمسين سنة . وولي الحجاز والعراق عشرين سنة . وكان قتل من الاشراف والرؤساء مائة الف وعشرين الفاً سوى العوام ومَن قتل في معارك الحروب. وكان مات في حبسه[1] خمسون الف رجل وثلثون الف امرأة . ومات الوليد سنة ست وتسعين وكانت ولايته تسع سنين وثمانية اشهر . وبنى مسجد دمشق وكان فيه كنيسة فهدمها . وبنى مسجد المدينة والمسجد الاقصى . واعطى المجذّمين ومنعهم من السؤال الى الناس. وأعطى كل مُقعد خادماً وكل ضرير قائداً. ومنع الكتّاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية لكن بالعربية . وفتح في ولايته الاندلس وكاشغر والهند . وكان يمرُّ بالبقّال فيقف عليه يأخذ منه حزمة بقل فيقول : بكم هذا . فيقول : بفلس . فيقول : زدْ فيها . وكان صاحب بناء واتّخاذ للمصانع والضياع . وقيل انه كان لحّاناً لا يحسن النحو. دخل عليه اعرابيّ فمتّ اليه بصهر له. فقال له الوليد : مَن ختَنَك بفتح النون. فقال : بعضُ الاطباء. فقال سليمان : انما يُريد امير المؤمنين من ختَنُك وضمّ النون . فقال الاعرابي : نعم فلان. وذكر ختَنه . وعاتبه ابوه عبد الملك على ذلك وقال له : لا يلي العربَ الاّ مَن يُحسن كلامهم. فجمع أهل النحو ودخل بيتاً ولم يخرج منه ستة

١ – حبسه ر جيشه .

اشهر . ثم خرج وهو أجهل منه يوم دخله . فقال عبد الملك : قد أعذرَ .

(سليمان بن عبد الملك) وفي سنة ستّ وتسعين بُويع سليمان بن عبد الملك في اليوم الذي فيه مات الوليد اخوه . قالوا انه كان خيّراً فصيحاً نشأ بالبادية عند اخواله بني عبس. وردّ المظالم وآوى المشترين وأخرج المحبسين . وفي سنة ثماني وتسعين من الهجرة وهي سنة الف وسبعة وعشرين للاسكندر جهز سليمان جيشاً مع اخيه مسلمة ليسير الى القسطنطينية . وسار حتى بلغها في مائة الف وعشرين الفاً وعبر الخليج وحاصر المدينة . فلما برّح بأهلها الحصار ارسلوا الى مسلمة يعطونه عن كل رأس ديناراً . فأبى ان يفتتحها الاّ عنوةً . فقالت الروم للاون البطريق : ان صرفتَ عنّا المسلمين ملّكناك علينا. فاستوثق منهم وأتى مسلمة وطلب الامان لنفسه وذويه ووعده ان يفتح له المدينة غير انه ما يتهيأ ذلك ما لم يتنحَّ عنهم ليطمئنوا ثم يكرّ عليهم . فارتحل مسلمة وتنحى الى بعض الرساتيق . ودخل لاون فلبس التاج وقعد على سرير الملك . واعتزل الملك ثاوذوسيوس ولبس الصوف منعكفاً في بعض الكنائس. ولأنّ مسلمة لما دنا من القسطنطينية أمر كل فارس ان يحمل معه مدّين من الطعام على عجز فرسه الى القسطنطينية لما دخل لاون المدينة وتنحى مسلمة اعدّ لاون السفن والرجال فنقلوا في ليلةٍ ذلك الطعام ولم يتركوا منه الاّ ما لم يُذكر واصبح لاون محارباً وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت امرأة لعيبت بها. وبلغ الخبر لمسلمة فأقبل راجعاً ونزل بفناء القسطنطينية ثلثين شهراً فشتا فيها وصاف وزرع الناس . ولقي جنده ما لم يلقهُ جيش آخر حتى كان الرجل يخاف ان يخرج من العسكر وحده من البلغاريين الذين استجاشهم لاون ومن الافرنج الذين في السفن ومن الروم الذين يحاربونهم من داخل . وأكلوا الدوابّ والجلود واصول الشجر والورق . وسليمان بن عبد الملك مقيم بدابق ونزل الشتاء فلم يقدر ان يمدهم حتى مات لعشرٍ بقينَ من صفر سنة تسع وتسعين . فرحل مسلمة عن القسطنطينية وانصرف وكانت خلافته اعني سليمان سنتين وثمانية اشهر . وكان بايع ابنه ايوب فمات قبله فاستخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم. ولما احتُضر سليمان قيل له : اوصِ . فقال : ان بنيّ صبية صغار . افلح مَن كانت له كبار.

(عمر بن عبد العزيز) لما استخلف عمر بن عبد العزيز [1] وبُويع له صعد المنبر وأمر بردّ المظالم ووضع اللعنة عن أهل البيت وكانوا يلعنونهم على المنابر وحضّ على

١ - ويلقب بالأشج لشجة كانت في وجهه من رمح دابة .

التقوى والتواصل وقال: والله ما اصبحت ولي[1] على أحد من أهل القبلة موجدة الاّ على اسراف ومظلمة . ثم تصدّق بثوبه ونزل . وتوفي عمر بن عبد العزيز في رجب لخمس بقينَ منه سنة احدى ومائة . وكانت شكواه عشرين يوماً[2] . ولما مرض قيل له: لو تداويت . فقال: لو كان دوائي في مسح أذني ما مسحتها نِعم المذهوب اليه ربي. وكان موته بدير سمعان ودُفن به . وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر . وكان عمره تسعاً وثلثين سنة . قال مسلمة بن عبد الملك: دخلت على عمر أعوده فاذا هو على فراش من ليف وتحته وسادة من أديم مسجًى بشملة ذابل الشفة كاسف اللون وعليه قميص وسخ . فقلت لاختي فاطمة وهي امرأته: اغسلوا ثياب امير المؤمنين . فقالت: نفعل . ثم عدت فاذن القميص على حاله . فقلت: ألم آمركم ان تغسلوا قميصه . فقالت: والله ما له غيره. فسبّحت لله وبكيت وقلت: يرحمك الله لقد خوّفتنا بالله عزّ وجلّ وأبقيت لنا ذكراً في الصالحين . قيل وكانت نفقته كل يوم درهمين . وفي ايامه تحركت دولة بني هاشم .

(يزيد بن عبد الملك) يكنى ابا خالد . عاشر بني مروان . ولما ولي الامر استعمل على العراقين وخراسان عمر بن هبيرة الفزاريّ وبعث مسلمة بن عبد الملك لقتال يزيد ابن المهلّب.فقتله وبعث برأس يزيد الى يزيد وكان يزيد بن عبد الملك صاحب لهوٍ وقصفٍ وشُغف بحبّابة المغنية واشتهر بذكرها . وقيل كان يزيد قد حجّ ايام سليمان اخيه فاشترى حبابة باربعة آلاف دينار فقال سليمان: لقد هممت ان أحجر على يزيد . فلما سمع يزيد ردّها فاشتراها رجل من اهل مصر . فلما أفضت الخلافة اليه قالت له امرأته سعدة: هل بقي من الدنيا شيء تتمناه. فقال: نعم حبّابة. فأرسلت فاشترتها وصنعتها وأتت بها يزيد واجلستها من وراء الستر فقالت: يا امير المؤمنين أبقي من الدنيا شيء تتمناه. قال: قد اعلمتكِ. فرفعت الستر وقالت: هذه حبّابة . وقامت وتركتها عنده . فحظيت سعدة عنده واكرمها . وقال يوماً وقد طرب بغناء حبّابة: دعوني أطير. وأهوى ليطير . فقالت: يا امير المؤمنين ان لنا فيك حاجة . فقال: والله لأطيرنّ. فقالت: فعلى مَن تدع الأمّة والملك. قال لها: عليكِ والله. وقبّل يدها. فخرج بعض خدمه وهو يقول: سخنت عينك ما اسخفك . وخرجت معه الى ناحية الاردن يتنزهان . فرماها

١ – ولي ر وبي .
٢ – قال ابو الفداء : «كان مونه بالسم عند اكثر اهل التاريخ . فان بني أمية علموا انه اذا امتدت ايامه اخرج الامر من ايديهم وانه لا يعهده بعده الا لمن يصلح للامر فعالجوه وما امهلوه» .

بحبة عنب فاستقبلتها بفيها فدخلت حلقها فشرقت ومرضت بها وماتت . فتركها ثلثة ايام لا يدفنها حتى نتنت وهو يشمّها ويقبّلها وينظر اليها ويبكي. فلما دُفنت بقي بعدها خمسة عشر يوماً ومات ودُفن الى جانبها سنة خمس ومائة . وكانت ولايته اربع سنين وشهراً وله اربعون سنة .

(هشام بن عبد الملك) وفي هذه السنة استخلف هشام بن عبد الملك لليالٍ بقينَ من شعبان . وكان عمره يومئذ اربعاً وثلثين سنة. اتاه البريد بالخاتم والقضيب وسلّم عليه بالخلافة وهو بالرصافة . فركب منها حتى أتى دمشق . وفي ايامه خرج زيد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن ابي طالب فقدم الكوفة وأسرعت[1] اليه الشيعة وقالوا: لنرجو ان يكون هذا الزمان الذي تهلك فيه بنو أميّة. وجعلوا يبايعونه سراً . وبايعه اربعة عشر الفاً على جهاد الظالمين والرفع عن المستضعفين . وبلغ الخبر يوسف بن عمر وهو امير البصرة فجدّ في طلب زيد . وتواعدت الشيعة بالخروج وجاءوا الى زيد فقالوا: ما تقول في ابي بكر وعمر . قال: ما اقول فيهما الا خيراً . فتبرأوا منه ونكثوا بيعته وسعوا به الى يوسف . فبعث في طلبه قوماً . فخرج زيد ولم يخرج معه الا اربعة عشر رجلاً . فقال: جعلتموها حُسينية . ثم ناوشهم القتال . فأصابه سهم بلغ دماغه فحمل من المعركة ومات تلك الليلة ودُفن . فلما اصبحوا استخرجوه من قبره فصلبوه . فأرسل هشام الى يوسف: احرق عجل العراق . فأحرقه . وهرب ابنه يحيى حتى أتى بلخ. قيل كان هشام محشوّاً عقلاً . وتفقد هشام بعض ولده فلم يحضر الجمعة . فقال: ما منعك من الصلاة . قال: نفقت دابتي. قال: أفعجزتَ عن المشي. فمنعه الدابة سنة. وأُتي هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط . فقال: اكسروا الطنبور على رأسه . فبكى الرجل لما ضربه . فقيل: عليك بالصبر . فقال: أتراني ابكي للضرب بل انما ابكي لاحتقاره البربط اذ سمّاه طنبوراً . وقيل: وكتب اليه بعض عماله: قد بعثت الى امير المؤمنين بسلة دراقن . فكتب اليه: قد وصل الدراقن فأعجبنا فزد منه واستوثق من الوعاء . وكتب الى عامل آخر قد بعث بكمأة: قد وصلت الكمأة وهي اربعون وقد تغير بعضها . فاذا بعثت شيئاً فأجد حشوها في الظرف بالرمل حتى لا يضطرب ولا يصيب بعضها بعضاً . وقيل له: اتطمع في الخلافة وانت بخيل جبان . قال: ولِمَ لا اطمع فيها وانا حليم عفيف . ومات

---

١ – وأسرعت ر واهرعت.

هشام بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة . وكانت ولايته عشرين سنة وعمره خمساً وخمسين سنة وكان مرضه الذبحة .

* * *

قيل اول من قدم خراسان من دعاة بني العبّاس سنة تسع ومائة زياد في ولاية أسد بعثه محمد الامام ابن عليّ بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب وقال له: الطف بمُضَر. ونهاه عن رجل من نيسابور يقال له غالب لانه كان مفرطاً في حب بني فاطمة. فلما قدم زياد دعا الى بني العباس وذكر سيرة بني أميّة وظلمهم . وقدم عليه غالب وتناظرا في تفضيل آل عليّ وآل العباس وافترقا . وأقام زياد بمرو. ورُفع أمره الى أسد وخوّف من جانبه فأحضره وقتله وقتل معه عشرة من اهل الكوفة. وفي سنة ثماني عشرة ومائة توجه عمّار[1] ابن يزيد الى خراسان ودعا الى محمد بن عليّ بن عبدالله ابن عبّاس. فأطاعه الناس وتسمى بخداش وأظهر دين الخُرَّميَّة[2] ورخص لبعضهم في نساء بعض وقال لهم: انه لا صوم ولا صلاة ولا حج . وان تأويل الصوم ان يصام عن ذكر الامام فلا يباح باسمه . والصلاة فالدعاء له والحجّ فالقصد اليه .

(الوليد بن يزيد بن عبد الملك) كان يزيد ابوه عقد ولاية العهد له بعد اخيه هشام ابن عبد الملك . فلما ولي هشام اخو يزيد اكرم الوليد بن يزيد حتى ظهر من الوليد مجون وشرب الشراب وتهاون بالدين واستخف به. فتنكّر له هشام وأضرّ به وكان يعتبه ويتنقصه ويقصر به . فخرج الوليد ومعه ناس من خاصته ومواليه فنزل بالازرق . وكان يقول لاصحابه: هذا المشؤوم قدّمه ابي على أهل بيته فصيّره ولي عهده ثم يصنع بي ما ترون لا يعلم ان لي في احد هوًى الاّ عبث به . ولم يزل الوليد مقيماً في تلك البرّية حتى مات هشام . وأتاه رجلان على البريد فسلما عليه بالخلافة . فوجم ثم قال: أمات هشام . فقالا: نعم. فأرسل الى الخُزّان فقال: احتفظوا بما في ايديكم . فأفاق هشام فطلب شيئاً . فمنعوه . فقال: انّا لله كأنّا كنّا خُزّاناً للوليد . ومات في ساعته. وخرج عياض كاتب الوليد من السجن فختم ابواب الخزائن وأنزل هشاماً عن فراشه . وما وجدوا له قمقماً يسخن له فيه الماء حتى استعاروه . ولا وجدوا كفناً من الخزائن . فكفّنه غالب مولاه. وضيّق الوليد على اهل هشام واصحابه وكان يقول: كِلناهُ بالصاع الذي كاله وما ظلمناه به اصبعاً . فلما ولي الوليد أجرى على زمنى اهل الشام وعميانهم وكساهم وأخرج

---

١ – عمار ر عمان .

٢ – الخرّمية ر الحرامية .

لعيالات الناس الطيب والكسوة وزاد الناس في العطاء عشرات ولم يقل في شيء يُسأله : لا . ثم عقد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده وجعلهما وليّي عهده احدهما بعد الآخر. وفي هذه السنة اعني سنة خمس وعشرين ومائة قُتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ابن عليّ ابن ابي طالب بجرجان وصُلب ثم أنزل وأحرق ثم رُض وحمل في سفينة وذُرّ في الفرات. وفيها قُتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك قتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبدالملك وكان سبب قتله ما تقدم من خلاعته ومجانته . فلما ولي الخلافة ولم يزدد من الذي كان فيه من اللهو والركوب للصيد وشرب الخمر ومنادمة الفساق الا تمادياً ثقل ذلك على رعيته وجنده وكرهوا امره . ولما حاصروه في قصره دنا من الباب وقال لهم : ألم أزدْ في اعطياتكم[1] ألم ارفع المؤن عنكم . ألم أعطِ فقراءكم. فقالوا : انّا ما ننقم عليك في انفسنا انما ننقم عليك في انتهاك ما حرّم الله وشرب الخمر ونكاح امهات اولاد ابيك . قال : حسبكم فلعمري لقد اكثرتم واغرقتم والله لا يرتقُ فتقكم ولا يُلمّ شعثكم ولا تجمع كلمتكم . فنزل من الحائط اليه عشرة رجال فاحتزّوا رأسه وسيّروه الى يزيد. فنصبه على رمح وطاف به بدمشق . وسجن ابنيه الحكم وعثمان . وكان قتله لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة . وكانت مدة خلافته سنة وثلثة اشهر . وكان عمره اثنتين واربعين سنة .

* * *

وفي هذه السنة وجّه ابراهيم بن محمد الامام ابا الهاشم بُكير الى خراسان. فقدم مرو وجمع النقباء والدعاة فنعى لهم محمد الامام ودعاهم الى ابنه ابراهيم الامام . فقبلوه ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة شيعة بني العباس .

(يزيد بن الوليد بن عبد الملك) سُمّي الناقص لانه نقص الزيادة التي كان الوليد زادها في عطيّات الجند. وكان محمود السيرة مرضيّ الطريقة . أمر بالبيعة لاخيه ابراهيم ومن بعده لعبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك. وتوفي بدمشق لعشر بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة . وكانت خلافته ستة اشهر . وكان عمره ستاً واربعين سنة. وكانت أمّه أمّ ولد اسمها شاه فرند[2] ابنة فيروز ابن يزدجرد بن شهريار بن كسرى وهو القائل :

انا ابن كسرى وابي مروانُ وقيصر جدّي وجدّي خاقانُ

١ – اعطياتكم ر عطياتكم .
٢ – فرند ر فريد .

وانما جعل قيصر وخاقان جدَّيه لأن امّ فيروز ابنة كسرى وأمّها ابنة قيصر وام كسرى ابنة خاقان ملك الترك .

(ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك) فلما مات يزيد بن الوليد قام بالامر اخوه ابراهيم بعده غير انه لم يتم له الامر وكان يسلّم عليه تارةً بالخلافة وتارة بالامارة وتارة لا يسلّم عليه بواحدة منهما . فمكث سبعين يوماً ثم سار اليه مروان بن محمد فخلعه . ثم لم يزل حيًّا حتى أصيب سنة اثنتين وثلثين ومائة.

(مروان بن محمد بن مروان بن الحكم) [١] لما مات يزيد بن الوليد بن عبد الملك سار مروان في جنود الجزيرة الى الشام لمحاربة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك . ولما دخل دمشق اتى بالغلامين الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك مقتولَين فدفنهما وبايعه الناس. فلما استقرّ له الامر رجع الى منزله بحرّان فطُلب منه الامان لابراهيم ابن الوليد وسليمان بن هشام بن عبد الملك فأمّنهما.وفي هذه السنة اعني سنة سبع وعشرين ومائة حارب سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد وانهزم اصحاب سليمان وقُتل منهم نحو ستة آلاف . وفيها توجه سليمان بن كثير ولاهز بن قريط وقحطبة الى مكة فلقوا ابراهيم بن محمد الامام بها واوصلوا الى مولًى له عشرين الف دينار ومائتي الف درهم ومسكاً ومتاعاً كثيراً . وكان معهم ابو مسلم [٢] . فقال سليمان لأبراهيم الامام: هذا مولاك . فأمّر ابراهيم ابا مسلم على خراسان. وفي سنة تسع وعشرين ومائة بعث ابراهيم الامام الى ابي مسلم بلواء يدعى الظل وراية تُدعى السحاب فعقدهما على رمحين واظهر الدعوة العباسية بخراسان وتأوّل الظل والسحاب ان السحاب يطبق الارض وكما ان الارض لا تخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عباسي آخرَ الدهر . وفي سنة احدى وثلثين ومائة حجّ ابراهيم بن محمد الامام ومعه اخواه ابو العبّاس وابو جعفر وولده وعمّه ومواليه على ثلثين نجيباً عليهم الثياب الفاخرة والرحال والاثقال . فشهره اهل الشام واهل البوادي والحرمين معاً انتشر في الدنيا من ظهور امرهم . وبلغ مروان خبر حجّهم فكتب الى عامله بدمشق يأمره بتوجيه خيل اليه . وكان مروان بأرض الشام . ووجه العامل خيلاً

١ — ويقال له الجعدي: ويقال له الحمار . وقيل لقب بالحمار لانه آخر الخلفاء الامويين لان الحمار يراد به الآخر . وفي التاريخ السرياني انه لقب بهذا اللقب لكلفه بزهر الزعفران لان هذا الزهر يسمى الحمار . قيل لقب بالحمار لصبره في الحرب .

٢ — قيل ان ابا مسلم حر من ولد بزرجمهر وانه ولد باصبهان ونشأ بالكوفة. فاتصل بابراهيم الامام فغير اسمه وكناه بابي مسلم .

فهجموا على ابراهيم فأخذوه وحملوه الى سجن حران فأثقلوه بالحديد وضيقوا عليه الحلقة حتى مات[١] . ولما احس ابراهيم بالطلب أوصى الى اخيه ابي العبّاس ونعى نفسه اليه وأمره بالمسير الى الكوفة بأهل بيته . فسار معه اخوه ابو جعفر وعمه وستة رجال حتى قدموا الكوفة مستخفين .

(ابو العباس السفاح) وفي سنة اثنتين وثلثين ومائة خرج ابو العباس بن محمد الامام بن عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ليلة الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول من دار ابي مسلمة[٢] بالكوفة فصلى المغرب في مسجد بني ايوب ودخل منزله . فلما اصبح غدا عليه القواد في التعبية والهيئة وقد اعدوا له السواد والمركب والسيف . فخرج ابو العباس فيمن معه الى القصر الذي للامارة . ثم خرج الى المقصورة وصعد المنبر وبايعه الناس. ثم وجه عمه عبدالله الى مروان وهو نازل بالزاب. فواقع عبدالله مروان فهزمه . فمرّ مروان على وجهه ومضى فعبر جسر الفرات فوق حران وجمع جمعاً عظيماً بنهر فطرس من ارض فلسطين. وعبر ايضاً عبدالله الفرات وحاصر دمشق حتى افتتحها وقتل من بها من بني أمية وهدم سورها حجراً حجراً ونبش عن قبور بني أميّة واحرق عظامهم بالنار . ثم ارتحل نحو مروان فهزمه واستباح عسكره . وهرب مروان الى ارض مصر فاتّبعه جيش عبدالله واستدلّوا عليه وهو في كنيسة في بوصير فطعنه رجل فصرعه واحتز آخر رأسه وبعث به الى ابي العباس السفّاح. وكان قتله لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة اثنتين وثلثين ومائة . وفي سنة ست وثلثين ومائة مات السفاح بالانبار مدينته التي بناها واستوطنها لثلث عشرة سنة مضت من ذي الحجة بالجدري . وكان له يوم مات ثلث وثلثون سنة . وكانت ولايته من لدن قتل مروان اربع سنين . وكان ابو العباس رجلاً طويلاً[٣] ابيض اللون حسن الوجه يكره الدماء ويحامي[٤] على اهل البيت

(ابو جعفر المنصور) هو عبدالله بن محمد الامام بن عليّ بن عبدالله بن العباس بويع لـه سنة سبع وثلثين ومائة . وفي هذه السنة قُتل ابو مسلم الخراساني قتله المنصور بسبب انهما حجّا معاً في ايام السفاح. وكان ابو مسلم يكسو الاعراب ويصلح الآبار والطرق . وكان الذكر له . فحقد ابو جعفر ذلك عليه . ولما صدر الناس عن الموسم تقدم ابو مسلم في الطريق على ابي جعفر فأتاه خبر وفاة السفاح فكتب الى ابي جعفر يعزيه

١ – وقيل انه مات مسموماً .
٢ – مسلمة ر سلمة.
٣ – طويلاً ر طوالاً .
٤ – يحامي ر يحابي .

عن اخيه ولم يهنه بالخلافة ولم يُقم حتى يلحقه ولم يرجع اليه . فخافه ابو جعفر المنصور واجمع الرأي وعمل المكايد وهجر النوم الى ان اقتنصه . وكان ابو مسلم استشار رجلاً من اصحابه بالريّ في رجوعه الى المنصور فقال: لا أرى ان تأتيه وارى ان تمتدّ الى خراسان . فلما لم يقبل منه وسار نحو المنصور قيل له: تركت الرأي بالريّ فذهب مثلاً . فلما دنا ابو مسلم من المنصور امر الناس بتلقيه واكرامه غاية الكرامة . ثم قدم فدخل على المنصور وقبل يده. فأمره أن ينصرف ويروّح نفسه ليلته ويدخل الحمّام. فانصرف . فلما كان من الغد أعد المنصور من اصحاب الحرَس اربعة نفر واكمنهم خلف الرواق وقال لهم : اذا انا صفّقت بيديّ فشأنكم. وأرسل الى ابي مسلم يستدعيه ودخل على المنصور فأقبل عليه يعاتبه ويذكر عثراته . فما عدّ عليه ان قال: ألستَ الكاتب اليّ تبدأ بنفسك. ودخلتَ الينا وقلت: اين ابن الحارثيّة. ويأتيك كتابي فتقرأه استهزاءً ثم تلقيه الى مالك ابن الهيثم ويقرأه وتضحكان . فجعل ابو مسلم يعتذر اليه ويقبّل الارض بين يديه. فقال المنصور: قتلني الله ان لم اقتلك. وصفّق بيديه فخرج الحرس يضربونه بسيوفهم وهو يصرخ ويستأمن ويقول: استبقِني لعدوّك يا امير المؤمنين . فقال له المنصور: وايّ عدوّ لي أعدى منك . وقيل كانت عند ابي مسلم ثلث نسوة وكان لا يطأ المرأة منهن في السنة الا مرة واحدة. وكان من أغير الناس لا يدخل قصره احد غيره وفيه كوًى يطرح منها لنسائه ما يحتجنَ اليه. قالوا ليلة زفّت اليه امرأته أمر بالبرذون الذي ركبته فذبح وأحرق سرجه لئلا يركبه ذكر بعدها . قالوا وكان من اشد الناس طمعاً واكثرهم طعاماً يخبز كل يوم في مطبخه ثلثة آلاف قرف ويطبخ مائة شاة سوى البقر والطير . وكان له الف طبّاخ وآلة المطبخ تحمل على الف ومائتي رأس من الدوابّ . وقيل كان ابو مسلم شجاعاً ذا رأي وعقل وتدبير وحزم ومروءة . وقيل بل كان فاتكاً قليل الرحمة قاسي القلب سوطه سيفه قتل ستمائة الف ممن يُعرف صبراً سوى مَن لا يُعرف ومَن قُتل في الحروب والهيجات. وسُئل بعضهم: ابو مسلم كان خيراً او الحجّاج .قال: لا اقول ان ابا مسلم خير من احد ولكن الحجاج كان شراً منه . وزعم قوم ان ابا مسلم كان من قرية من قرى مرو . ويقال: بل كان من العرب سمع الحديث وروى الاشعار . وقيل كان عبداً . وقد نسبه بعض الشعراء الى الاكراد حين هجاه . وفي سنة اربعين ومائة سيّر المنصور عبد الوهاب ابن اخيه ابراهيم بن محمد الامام في سبعين الف مقاتل الى ملَطية. فنزلوا عليها وعمروا ما كان خرّبه الروم منها . ففرغوا من العمارة في ستة اشهر. واسكنها المنصور اربعة آلاف من الجند واكثر فيها من السلاح والذخائر وبنى حصن

قلوذية. وفي هذه السنة خرج الراوندية على المنصور بمدينة الهاشمية وهم قوم من اهل خراسان يقولون بتناسخ الارواح ويزعمون ان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور. وجعلوا يطوفون بقصره ويقولون: هذا قصر ربنا. فأنكر ذلك المنصور وخرج اليهم ماشياً اذ لم يكن في القصر دابة. ونودي في اهل السوق فاجتمعوا وحملوا عليهم وقاتلوهم فقُتلوا اعني الراوندية جميعاً وهم يومئذ ستمائة رجل. وفي السنة الرابعة والاربعين أخذ المنصور من اولاد الحسين بن علي بن ابي طالب اثني عشر انساناً ورحّلهم من المدينة الى الكوفة وحبسهم في بيت ضيّق لا يمكّن احد من مقعده يبول بعضهم على بعض ويتغوط ولا يدخل عليهم روح الهواء ولا تخرج عنهم رائحة القذارة حتى ماتوا عن آخرهم. فخرج محمد [1] بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن ابي طالب بالمدينة وجمع الجموع وتسمى بالمهدي. وخرج ابراهيم اخوه بالبصرة في ثلثين الفاً. وقُتلا ولم ينجحا. وفي سنة خمس واربعين ومائة ابتدأ المنصور في بناء عمارة مدينة بغداد. وسبب ذلك انه كان قد ابتنى الهاشمية بنواحي الكوفة. فلما ثارت الراوندية به فيها كره سُكناها لذلك ولجوار اهل الكوفة ايضاً فانه كان لا يأمن اهلها على نفسه وكانوا قد افسدوا جنده. فخرج بنفسه يرتاد موضعاً يسكنه هو وجنده. فقال له اهل الحذق: انّا نرى يا امير المؤمنين ان يكون على الصراة [2] وبين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر فاذا قطعته لم يصل اليك. وانت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والموصل والسواد. ودجلة والفرات والصراة خنادق مدينتك. وتجيئك الميرة فيها من البر والبحر. فازداد المنصور حرصاً على النزول في ذلك الموضع. ولما عزم على بناء بغداد أمر بنقض المدائن وايوان كسرى. فنقضه ونقله الى بغداد. فنقضت ناحية من القصر الابيض وحُمل نقضه. فنظر وكان مقدار ما يلزمهم له اكثر من ثمن الجديد فأعرض عن الهدم. وجعل المدينة مدوّرة لئلاّ يكون بعض الناس اقرب الى السلطان من بعض. وعمل لها سورين الداخل اعلى من الخارج. وبنى قصره في وسطها والمسجد الجامع بجانب القصر وقبلته غير

---

١ – وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه.

٢ – قال ياقوت في معجم البلدان: «صراة نهران ببغداد الصراة الكبرى والصراة الصغرى ولا اعرف انا الا واحدة وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المحوّل بينها وبين بغداد فرسخ ويسقي ضياع بادوريا ويتفرع منه انهار الى ان يصل الى بغداد فيمر بقنطرة العباس ثم قنطرة الصبيبات ثم قنطرة رحا البطريق ثم القنطرة العتيقة ثم القنطرة الجديدة ويصب في دجلة ولم يبق عليه الآن الا القنطرة العتيقة والجديدة يحمل من الصراة نهر يقال له خندق طاهر بن الحسين اوله اسفل من فوهة الصراة يدور حول مدينة السلام مما يلي الحربية وعليه قنطرة باب الحرب ويصير في دجلة امام باب البصرة من مدينة المنصور. واما اهل الأثر فيقولون: الصراة العظمى حفرها بنو ساسان بعد ما ابادوا النبط».

مستقيمة يحتاج المصلّي ان ينحرف الى باب البصرة . وكانت الاسواق في مدينته فجاءه رسول لملك الروم . فأمر الربيع فطاف به في المدينة . فقال : كيف رأيت . قال : رأيت بناء حسناً الا اني رأيت اعداءك معك وهم السوقة . فلما عاد الرسول عنه أمر باخراجهم الى ناحية الكرخ وأمر ان يُجعل في كل ربع من مدينته بقّال يبيع البقل والخل حسبُ . في سنة خمسين ومائة مات ابو حنيفة النعمان بن ثابت الامام . وفي سنة ثماني وخمسين ومائة سار المنصور من بغداد ليحجّ فنزل قصر عبدويه فانقضّ في مقامه هنالك كوكب بعد اضاءة الفجر وبقي اثره بيّناً الى طلوع الشمس. فأحضر المهدي ابنه وكان قد صحبه ليودّعه فوص ه بالمال والسلطان . وقال له ايضاً : اوصيك بأهل بيتك ان تظهر كرامتهم فانّ عزّك عزّهم وذكرهم لك وما اظنّك تفعل.وانظر مواليك وأحسن اليهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشدّةٍ ان نزلت بك وما اظنك تفعل . وانظر هذه المدينة واياك ان تبني المدينة الشرقية فانك لا تتم بناءها واظنك ستفعل . واياك ان تدخل النساء في امرك واظنك ستفعل . هذه وصيتي اليك والله خليفتي عليك . ثم ودّعه وبكى كل منهما الى صاحبه . ثم سار الى الكوفة وكلما سار منزلاً اشتد وجعه الذي مات به وهو القيام. فلما وصل الى بئر ميمون مات بها مع السحر لستّ خلونَ من ذي الحجة سنة ثماني وخمسين ومائة . وحمل الى مكة وحفروا له مائة قبر ليعمّوا على الناس ودُفن في غيرها مكشوف الرأس لاحرامه وكان عمره ثلثاً وستين سنة وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة . وقيل في صفته وسيرته انه كان اسمر نحيفاً خفيف العارضين وكان من احسن الناس خلقاً ما لم يخرج الى الناس واشدّهم احتمالاً لما يكون من عبث الصبيان . فاذا لبس ثيابه وخرج هابه الاكابر فضلاً عن الاصاغر. ولم يُرَ في داره لهو ولا شيء من اللعب والعبث . قال حماد التركي : كنت واقفاً على رأس المنصور فسمع جلبة فقال: انظر ما هذا . فذهبت فاذا خادم له قد جلس وحوله الجواري وهو يضرب لهن بالطنبور وهنّ يضحكن فأخبرته فقال: واي شيء الطنبور . فوصفته له. فقال: ما يُدريك انت ما الطنبور . قلت: رأيته بخراسان . فقام ومشى اليهنّ. فلما رأينه تفرّقن. فأمر بالخادم فضُرب رأسه بالطنبور حتى تكسّر الطنبور وأخرجه فباعه . ولما افضى اليه الامر أمر بتغيير الزي وتطويل القلانس . فجعلوا يحتالون لها بالقصب من داخل . وأمر بعدّ دور اهل الكوفة وقسمة خمسة دراهم على كل دار . فلما عرف عددهم جباهم اربعين درهماً اربعين درهماً .

* * *

وكان المنصور في صدر امره عندما بنى بغداد ادركه ضعف في معدته وسوء استمراء وقلة شهوة . وكلما عالجه الاطباء ازداد مرضه . فقيل له عن جيورجيس بن بختيشوع[1] الجنديسابوريّ انه افضل الاطباء . فتقدم باحضاره . فأنفذه العامل بجنديسابور بعد ما اكرمه . فخرج ووصّى ولده بختيشوع بالبيمارستان واستصحب معه تلميذه عيسى ابن شهلاثا ولما وصل الى بغداد أمر المنصور باحضاره. فلما وصل الى الحضرة دعا له بالفارسية والعربية . فعجب المنصور من حسن منطقه ومنظره وأمره بالجلوس وسأله عن اشياء فأجابه عنها بسكون. وخبّره بمرضه. فقال له جيورجيس: انا ادبّرك بمشيّة الله وعونه . فأمر له في الوقت بخلعة جليلة وتقدم الى الربيع بانزاله في اجمل موضع من دوره واكرامه كما يكرم اخص الاهل . ولم يزل جيورجيس يتلطف له في تدبيره حتى برئ من مرضه وفرح به فرحاً شديداً . وقال له يوماً: من يخدمك ههنا . قال: تلامذتي . فقال له الخليفة: سمعت انه ليست لك امرأة . فقال: لي زوجة كبيرة ضعيفة لا تقدر على النهوض من موضعها . وانصرف من الحضرة ومضى الى البيعة . فأمر المنصور خادمه سالماً ان يحمل من الجواري الروميّات الحسان ثلاثاً الى جيورجيس مع ثلثة آلاف دينار . ففعل ذلك. فلما انصرف جيورجيس الى منزله عرّفه عيسى بن شهلاثا تلميذه بما جرى وأراه الجواري . فأنكر أمرهن وقال لعيسى : يا تلميذ الشيطان لمَ ادخلتَ هؤلاء الى منزلي . اردتَ ان تنجسني. امضِ وردّهنّ على اصحابهنّ. فمضى الى دار الخليفة وردهنّ على الخادم.فلما اتصل الخبر الى المنصور احضره وقال له: لِمَ رددتَ الجواري. قال: لا يجوز لنا معشر النصارى ان نتزوّج بأكثر من امرأة واحدة وما دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها . فحسن موقع هذا من الخليفة وزاد موضعه عنده . وهذا ثمرة العفة . ولما كان في سنة اثنتين وخمسين ومائة مرض جيورجيس مرضاً صعباً . ولما اشتد مرضه أمر المنصور بحمله الى دار العامة وخرج ماشياً اليه وتعرّف خبره. فخبّره وقال له: ان رأى امير المؤمنين ان يأذن لي في الانصراف الى بلدي لانظر اهلي وولدي وان متُّ قُبرت مع آبائي . فقال له: يا حكيم اتقِ الله وأسلم وانا اضمن لك الجنة. قال جيورجيس قد رضيت حيث آبائي في الجنة او في النار . فضحك المنصور من قوله ثم قال: انني منذ رأيتك وجدت راحة من الامراض التي كانت تعتادني . فقال جيورجيس: انا اخلف بين يدَي امير المؤمنين عيسى تلميذي فهو ماهر . فأمر لجيورجيس بعشرة آلاف دينار واذن له بالانصراف وانفذ معه خادماً وقال: ان مات في الطريق فاحمله

١ – يريد جيورجيس بن جبريل بن بختيشوع .

الى منزله ليدفن هناك كما احب . فوصل الى بلده حياً . ثم أمر المنصور باحضار عيسى ابن شهلاثا. فلما مثـَل بين يديه سأله عن اشياء فوجده ماهراً فاتخذه طبيباً. ولما استصحبه [١] المنصور بدأ في التشاور والأذية خاصة على المطارنة والاساقفة ومطالبتهم بالرشى . ولما خرج المنصور في بعض اسفاره وصل الى قريب نصيبين . فكتب عيسى الى قوفريان مطران نصيبين يتهدده ويتوعده ان منع عنه ما التمسه منه . وكان عيسى قد التمس ان ينفذ له من آلات البيعة اشياء جليلة ثمينة لها قدر . وكتب في كتابه الى المطران: ألستَ تعلم أن أمر الخليفة في يدي ان اردت أمرضته وان اردت شفتيه . فلما وقف المطران على الكتاب احتال في التوصل الى الربيع وشرح له صورة الحال فأقرأه الكتاب واوصله الربيع الى الخليفة ووقفه على حقيقة الامر . فأمر المنصور بأخذ جميع ما يملكه عيسى الطبيب وتأديبه ونفيه. ففعل به ذلك ونُفي اقبح نفي . وهذا ثمرة الشره . وكان نوبخت المنجم الفارسي يصحب المنصور وكان فاضلاً حاذقاً خبيراً باقتران الكواكب، وحوادثها . ولما ضعف عن الصحة قال له المنصور: أحضر ولدك ليقوم مقامك . فسير ولده ابا سهل . قال ابو سهل: فلما دخلت على المنصور ومثلت بين يديه قيل لي: تسمَّ لأمير المؤمنين . فقلت: اسمي خرشاذماه طيماذاه[٢] ماباذار خسرو ابهمشاذ[٣] . فقال لي المنصور: كل ما ذكرتَ فهو اسمك . (قال) قلت: نعم . فتبسم المنصور ثم قال: ما صنع ابوك شيئاً فاختر مني احدى خلتين اما ان اقتصر بك من كل ما ذكرت على طيماذ واما ان تجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي ابو سهل . قال ابو سهل: قد رضيت بالكنية . فبقيت كنيته وبطل اسمه .

(المهدي بن المنصور) لما مات المنصور ببئر ميمون لم يحضره عند وفاته الا خدمه والربيع مولاه. فكتم الربيع موته وألبسه وسنده وجعل على وجهه كلّة خفيفة يُرى شخصه منها ولا يفهم أمره وأدنى اهله منه . ثم قرب منه الربيع كأنه يخاطبه . ثم رجع اليهم وأمرهم عنه بالبيعة للمهدي بن المنصور بن محمد الامام ولابن عمه عيسى بن موسى بن محمد الامام بعده . فبايعوا . ثم اخرجهم . وبعد ذلك خرج اليهم باكياً مشقوق الجيب لاطماً رأسه . ثم وجه الى المهدي بخبر وفاة المنصور وبالبيعة له ولابن عمه عيسى بن موسى بعده . فأبى عيسى بن موسى من البيعة للمهدي وامتنع بالكوفة واراد ان يتحصن بها .

---

١ – استصحبه ر استخصّه .
٢ – ر وطيماذاه .
٣ – ر خسير و أبهشاد .

فبعث المهدي ابا هريرة في الف فارس فأخذه الى المهدي . ولم يزل يراوضه ويراوده حتى اجاب الى خلع نفسه . فعوضه عنها عشرة آلاف دينار وبايع للمهدي ولابنه موسى الهادي. وفي ايام المهدي خرج بخراسان [١] رجل يقال له يوسف البرْم واستغوى خلقاً فبعث اليه المهدي جيوشاً ففضوا جموعه وأسروه وحملوه الى المهدي . فأمر بـه فصلب. وخرج المقنّع وادعى النبوة وقال بتناسخ الارواح واتّبعه اناس كثيرون . وكان هذا رجلاً قصيراً اعور من قرية بمرو يقال لها كـَرَه. وكان لا يسفر عن وجهه لاصحابه فلذلك قيل له المقنع. وكان يُحسن شيئاً من الشعبذة وابواب النيرنجيات فاستغوى اهل العقول الضعيفة واستمالهم ، فبعث المهدي في طلبه فصار الى ما وراء النهر وتحصن في قلعة نكس [٢] وجمع فيها من الطعام والعلوفة وبثّ الدعاة في الناس وادعى احياء الموتى وعلم الغيب . وألح المهدي في طلبه فحوصر . فلما اشتد الحصار عليه وأيقن بالهلاك جمع نساءه واهله كلهم وسقاهم السم فماتوا عن آخرهم . واحرق كلما في القلعة من دابة وثوب وطعام . وألقى نفسه في النار لئلا يلقى جسده العدوّ . ودخل العسكر القلعة ووجدوها خالية خاوية . وكان ذلك مما زاد في افتتان من بقي من اصحابه بما وراء النهر . وكان وعدهم ان تتحول روحه الى قالب رجل اشمط على برذون اشهب وانه يعود اليهم بعد كذا سنة ويملكهم الارض . فهم بعد ينتظرونه ويسمّون المبيضة . وفي سنة خمس وستين ومائة سير المهدي ابنه الرشيد لغزو الروم . فسار حتى بلغ خليج القسطنطينية . وصاحب الروم يومئذٍ ايريني امرأة لاون الملك . وذلك ان ابنها كان صغيراً قد هلك ابوه وهو في حجرها . فجزعت المرأة من المسلمين وطلبت الصلح من الرشيد . فجرى الصلح بينهم على الفدية وان تقيم له الادلاّء والاسواق في طريقه . وذلك انه دخل مدخلا ضيقاً مخوفاً من احد جانبيه جبل وعر ومن جانبه الآخر نهر ساغريس . فأجابته الى ذلك ومقدار الفدية سبعون الف دينار لكل سنة . ورجع عنها . ولو كانت ذات همة لامكنها منع المسلمين من الخروج والفتك بهم . وفي سنة تسع وستين ومائة عزم المهدي على خلع ابنه موسى الهادي والبيعة للرشيد بولاية العهد . فبعث اليه وهو بجرجان في المعنى . فلم يفعل وامتنع من القدوم ايضاً . فسار المهدي يريده . فلما بلغ ماسبذان عمدت حسنة جاريته الى كمثرى فأهدته الى جارية أخرى كان المهدي يتحظاها وسمّت منـه

---

١ – خرج بخراسان الخ ر خرج رجل يقال له يوسف الزم (ر اليزم) واستغوى خلقاً وخرج بوسا (ر بوشا) وادعى النبوءة فبعث الخ .

٢ – نكس و تكش .

كمثراة هي احسن الكمثرى . فاجتاز الخادم بالمهدي وكان يعجبه الكمثرى فأخذ تلك الكمثراة المسمومة فأكلها . فلما وصلت الى جوفه صاح : جوفي جوفي . فسمعت حسنة بموته فجاءت تبكي وتلطم وجهها وتقول : اردت ان انفرد بك فقتلتك . فمات من يومه وكان موته في المحرم لثمان بقين منه سنة تسع وستين ومائة وكانت خلافته عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلث واربعين سنة ودُفن تحت جوزة كان يجلس تحتها .

* * *

حُكي انه لما همّ المهدي بالخروج الى ماسبذان تقدم الى حسنة حظيّته ان تخرج معه . فأرسلت الى توفيل بن توما النصراني المنجّم الرهاوي وهو رئيس منجمي المهدي قائلة له : انك اشرت على امير المؤمنين بهذا السفر فجشمتنا سفراً لم يكن في الحساب . فعجل الله موتك واراحنا منك . فلما بلّغته رسالتها قال للجارية التي اتته بها : ارجعي اليها وقولي لها ان هذه الاشارة ليست مني . واما دعاؤك عليّ بتعجيل الموت فهذا شيء قد قضى الله به وموتي سريع فلا تتوهمي ان دعوتك استُجيبت . ولكن اعدّي لنفسك تراباً كثيراً . فاذا انا متُّ فاجعليه على رأسك . فما زالت متوقعة تأويل قوله منذ توفي حتى توفي المهدي بعد عشرين يوماً . وكان توفيل هذا على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى. وله كتاب تاريخ حسن ونقل كتابَيَ اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة .

وفي هذا الزمان اشتهر في الطب ابو قريش طبيب المهدي وهو المعروف بعيسى الصيدلاني. ولم يُذكر هذا في جملة الاطباء لانه كان ماهراً بالصناعة وانما يذكر لظريف خبره وما فيه من العبرة وحسن الاتفاق . وهو ان هذا الرجل كان صيدلانياً ضعيف الحال جداً . فتشكّت الخيزران حظية المهدي وكانت من مولدات المدينة . وتقدمت الى جاريتها بأن تخرج القارورة الى طبيب غريب لا يعرفها . وكان ابو قرَيش بالقرب من القصر الذي للمهدي . فلما وقع نظر الجارية عليه ارته القارورة . فقال لها : لمن هذا الماء . فقالت : لامرأة ضعيفة . فقال : بل لملكة جليلة عظيمة الشأن وهي حبلى بملك . وكان هذا القول منه على سبيل الرزق . فانصرفت الجارية من عنده واخبرت الخيزران بما سمعت منه . ففرحت بذلك فرحاً شديداً وقالت : ينبغي ان تضعي علامة على دكانه حتى اذا صحّ قوله اتخذناه طبيباً لنا . وبعد مدة ظهر الحبل وفرح به المهدي فرحاً شديداً . فأنفذت الخيزران الى ابي قرَيش خلعتين فاخرتين وثلثمائة دينار وقالت : استعن بهذه على أمرك . فان صحّ ما قلته استصحبناك . فعجب ابو قريش من ذلك وقال :

هذا من عند الله جلّ وعزّ لانني ما قلته للجارية الا وقد كان هاجساً من غير اصل . ولما ولدت الخيزران موسى الهادئ سر المهدي سروراً عظيماً . وحدثته الخيزران الحديث فاستدعى ابا قريش وخاطبه . فلم يجد عنده علماً بالصناعة الا شيئاً يسيراً من علم الصيدلة . الا انه اتخذه طبيباً لما جرى منه واستصحبه واكرمه الاكرام التام وحظي عنده [1].

(الهادي بن المهدي) لما توفي المهدي كان الرشيد معه في ماسبذان . فكتب الى الآفاق بوفاة المهدي والبيعة لموسى الهادي . وسار نصير الوصيف الى الهادي بجرجان يعلمه بوفاة المهدي والبيعة له . فنادى بالرحيل . ولما قدم بغداد استوزر الربيع . وفي هذه السنة وهي سنة تسع وستين ومائة تتبع الهادي الزنادقة وقتل منهم جماعة كانوا اذا نظروا الى الناس في الطواف يهزلون ويقولون: ما اشبههم ببقر تدوس البيدر . وقتل ايضاً يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب .

وفي سنة سبعين ومائة توفي الهادي . وسبب وفاته انه لما ولي الخلافة كانت أمه الخيزران تستبد بالامور دونه . وكلمته يوماً في أمر لم يجد الى اجابتها سبيلا . فقالت: لا بد من الاجابة اليه . فغضب الهادي وقال: والله لا قضيتها لك . قالت: اذاً والله لا اسألك حاجة ابداً . قال: لا أبالي . فقامت مغضبة . فقال: مكانك . والله لئن بلغني انه وقف في بابك احد من قوادي لأضربنّ عنقه . ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك. اما لك مغزل يشغلكِ او مصحف يذكركِ او بيت يصونكِ. فانصرفت وهي لا تعقل . ووضعت جواريها عليه لما مرض فقتلنَه بالغم وبالجلوس على وجهه. فمات ليلة الجمعة للنصف من ربيع الاول . وكانت خلافته سنة وثلاثة اشهر وكان عمره ستاً وعشرين سنة .

(هرون الرشيد بن المهدي) لما توفي الهادي بويع الرشيد هرون بالخلافة في الليلة التي مات فيها الهادي . وكان عمره حين ولي اثنتين وعشرين سنة . وأمه الخيزران . ولما مات الهادي خرج الرشيد فصلى عليه بعيساباذ . ولما عاد الرشيد الى بغداد وبلغ الجسر دعا الغوّاصين وقال: كان ابي قد وهب لي خاتماً شراؤه مائة الف دينار . فأتاني رسول

١ – قال ابن ابي اصيبعة: « فوجه المهدي الى ابي قريش فأحضره وأقيم بين يديه. فلم يزل يطرح عليه الخلع وبدر الدنانير والدراهم حتى علت رأسه وصير هرون وموسى في حجره وكناه ابا قريش اي ابا العرب...فصار ابو قريش نظير جيورجيس ابن جبريل بل اكبر منه حتى تقدمه في المرتبة . وتوفي المهدي واستخلفه هرون الرشيد وتوفي جيورجيس وصار ابنه تبع ابي قريش في خدمة الرشيد . ومات ابو قريش وخلف اثنين وعشرين الف دينار مع نعمة سنية » .

الهادي اخي يطلب الخاتم وانا ههنا فألقيته في الماء. فغاصوا عليه وأخرجوه فسُرّ به. ولما مات الهادي هجم خزيمة بن خازم تلك الليلة على جعفر بن الهادي فأخذه من فراشه وقال له لتخلعنها او لأضربنّ عنقك. فأجاب الى الخلع. وأشهد الناس عليه. فحظي بها خزيمة.

وقيل لما مات الهادي جاء يحيى بن خالد البرمكيّ الى الرشيد فأعلمه بموته. فبينا هو يكلمه اذ اتاه رسول آخر يبشره بمولود. فسماه عبد الله وهو المأمون. فقيل: في ليلة مات خليفة وقام خليفة وولد خليفة. وفي هذه السنة ولد الامين واسمه محمد في شوال وكان المأمون اكبر منه. ولما ولي الرشيد استوزر يحيى البرمكي.

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة بايع الرشيد لعبد الله المأمون بولاية العهد بعد الامين وولّاه خراسان وما يتصل بها الى همذان ولقبه المأمون وسلمه الى جعفر بن يحيى البرمكيّ. وفيها حملت بنت خاقان الخزر الى الفضل بن يحيى البرمكيّ. فماتت ببرذعة فرجع من معها الى ابيها فأخبروه انها قُتلت غيلة فتجهز الى بلاد الاسلام. وفيها سملت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن لاون وأقرّوا أمه ايريني. وغزا المسلمون الصائفة فبلغوا افسوس مدينة اصحاب الكهف. وفي سنة ثلث وثمانين ومائة خرج الخزر بسبب ابنة خاقان من باب الابواب فأوقعوا بالمسلمين واهل الذمة وسبوا اكثر من مائة الف رأس وانتهكوا أمراً عظيماً لم يسمَع بمثله في الارض.

وفي سنة ست وثمانين ومائة أخذ الرشيد البيعة للقاسم ابنه بولاية العهد بعد المأمون وسمّاه المؤتمن. وفي سنة سبع وثمانين ومائة خلعت الروم ايريني الملكة وملكت نيقيفور وهو من اولاد جبلة. فكتب الى الرشيد: من نيقيفور ملك الروم الى هرون ملك العرب. اما بعد فان الملكة ايريني حملت اليك من اموالها ما كنتَ حقيقاً بحمل اضعافه اليها. لكن ذلك ضعف النِساء وحمقهن[1]. فاذا قرأت كتابي هذا فاردد ما اخذت والاّ فالسيف بيننا وبينك. فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزّه الغضب وكتب في ظهر الكتاب: من هرون امير المؤمنين الى نيقيفور زعيم الروم. قد قرأت كتابك والجواب ما تراه دون ما تسمعه. ثم سار من يومه حتى نزل على هرقلة فأحرق وخرّب ورجع. وفي هذه السنة اوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى البرمكي وحبس اخاه الفضل واباه يحيى بالرقة حتى ماتا. وكتب الى العمال في جميع النواحي بالقبض على البرامكة واستصفى

١ – حمقهن ر عجزهن.

اموالهم[١] . وفي سنة تسعين ومائة ظهر رافع بن الليث بما وراء النهر مخالفاً للرشيد بسمرقند . وفي سنة اثنتين وتسعين ومائة سار الرشيد من الرقة الى بغداد يريد خراسان لحرب رافع . ولما صار ببعض الطريق ابتدأت به العلة . ولما بلغ جرجان في صفر اشتد مرضه . وكان معه ابنه المأمون . فسيره الى مرو ومعه جماعة من القواد . وسار الرشيد الى طوس . واشتد به المرض حتى ضعف عن الحركة . ووصل اليه هناك بشير بن الليث اخو رافع اسيراً فقال له الرشيد: والله لو لم يبق من اجلي الا ان احرك شفتي بكلمة لقلت: اقتلوه . ثم دعا بقصّاب فأمر به ففصل اعضاءه . فلما فرغ منه أغمي عليه ثم مات ودفن بطوس سنة ثلث وتسعين ومائة . وكانت خلافته ثلثاً وعشرين سنة . وكان عمره سبعاً واربعين سنة . وكان جميلاً وسيماً ابيض جعداً قد وخطه الشيب . وكان بعهده ثلثة الامين وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور ثم المأمون وأمّه ام ولد اسمها مراجل ثم المؤتمن وأمه ام ولد . قيل: وكان الرشيد يصلي كل يوم مائة ركعة الى ان فارق الدنيا الاّ من مرض . وكان يتصدق من صلب ماله كل يوم بالف درهم بعد زكاته .

* * *

قيل ان الرشيد في بدء خلافته سنة احدى وسبعين ومائة مرض من صداع لحقه . فقال ليحيى بن خالد بن برمك: هؤلاء الاطباء ليسوا يفهمون شيئاً وينبغي ان تطلب لي طبيباً ماهراً . فقال له عن بختيشوع بن جيورجيس[٢] . فأرسل البريد في طلبه الى جنديسابور[٣] . ولما كان بعد ايام ورد ودخل على الرشيد . فأكرمه وخلع عليه خلعة سنية ووهب له مالاً وافراً وجعله رئيس الاطباء . ولما كان في سنة خمس وسبعين ومائة مرض جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك . فتقدم الرشيد الى بختيشوع ان يخدمه . ولما افاق جعفر من مرضه قال لبختيشوع : أريد ان تختار لي طبيباً ماهراً اكرمه واحسن

١ – وقد اختلف العلماء في سبب نكبة الرشيد للبرامكة. والارجح ان سبب ذلك ما كان من امر جعفر مع العباسة بنت المهدي وهذا هو رأي المؤرخ . وقد اورد الاتليدي هذا الخبر مطولاً في الصفحة ١٦٥ من كتابه اعلام الناس. واخبر عن عظم النكبة فقال: «ثم اظهر وجهه لقصور جعفر ودوره وقبض على ابيه واخيه وجميع اولاد البرامكة ومواليهم وغلمانهم واستباح ما فيها ووجه مسروراً الى العسكر فاخذ جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك. فلما اصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو الف انسان وترك من بقي منهم لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم في البلاد ولم يقدر واحد منهم على كسرة خبز» (١٧٤) .

٢ – بختيشوع ثلاثة اطباء وهم بختيشوع بن جيورجيس وبختيشوع بن جبريل وبختيشوع بن يوحنا وسيأتي ذكر هذا في الكلام على خلافة المقتدر . قال ابن ابي اصيبعة : « معنى بختيشوع عبد المسيح لان في اللغة السريانية البخت العبد ». وعندي ان البخت لفظة فارسية معناها الحظ والسعد .

٣ – طلبه الى جنديسابور ر حمله من نيسابور .

اليه . قال له بختيشوع : لست اعرف في هؤلاء الاطباء احذق من ابني جبريل . فقال له جعفر : أحضرنيه . فلما أحضره شكا اليه مرضاً كان يخفيه. فدبّره في مدة ثلثة ايام وبرئ. فأحبه جعفر مثل نفسه. وفي بعض الايام تمطّت حظيّة الرشيد ورفعت يدها فبقيت مبسوطة لا يمكنها ردّها والاطباء يعالجونها بالتمريخ والادهان فلا ينفع ذلك شيئاً . فقال له جعفر عن جبريل ومهارته . فأحضره وشرح له حال الصبية . فقال جبريل: ان لم يسخط امير المؤمنين عليّ فلها عندي حيلة . قال له الرشيد: ما هي . قال: تخرج الجارية الى هاهنا بحضرة الجمع حتى اعمل ما اريد وتتمهّل عليّ ولا تسخط عاجلاً . فأمر الرشيد فخرجت وحين رآها جبريل اسرع اليها ونكس رأسها وأمسك ذيلها فانزعجت الجارية ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت اعضاؤها وبسطت يدها الى اسفل وأمسكت ذيلها . فقال جبريل: لقد برِئت يا أمير المؤمنين . فقال الرشيد للجارية ابسطي يدك يمنة ويسرة . ففعلت . فعجب الرشيد وكل من حضر وأمر لجبريل في الوقت بخمسمائة الف درهم واحبه . ولما سُئل عن سبب العلة قال: هذه الصبية انصبّ الى اعضائها وقت الغشيان خلط رقيق بالحركة وانتشار الحرارة ولاجل ان سكون حركة الغشيان تكون بغتة جمدت الفضلة في بطون الاعصاب وما كان يحلّها الاّ حركة مثلها فاحتلّت حتى انبسطت حرارتها وحلّت الفضلة فبرئت.

ومن اطباء الرشيد يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني ولاّه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة . وخدم الرشيد ومن بعده الى ايام المتوكل وكان معظماً ببغداد جليل القدر وله تصانيف جميلة . وكان يعقد مجلساً للنظر ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة. وكان يدرّس ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون . وكان في يوحنا دعابة شديدة يحضره مَن يحضره لاجلها في الاكثر. وكان من ضيق الصدر وشدّة الحدّة على اكثر مما كان عليه جبريل بن بختيشوع . وكانت الحدة تُخرج من يوحنا الفاظاً مضحكة. فمما حفظ من نوادره ان رجلاً شكا اليه علة كان شفاه منها الفصد فأشار عليه به . فقال له: لم اعتد الفصد . قال له يوحنا: ولا احسبك اعتدتَ العلة من بطن أمّك. وصار اليه قسيس وقال: قد فسدت عليَّ معدتي . فقال له يوحنا: استعمل جوارشن الخوزي . فقال له: قد فعلت . قال: فاستعمل الكموني . قال: قد استعملت منه ارطالاً . فأمره باستعمال البنداذيقون . فقال: قد شربت منه جرة . قال: استعمل المروسيا . فقال له: قد فعلت واكثرت . فغضب يوحنا وقال له: ان اردت ان تبرأ فأسلم فان الاسلام يصلح المعدة . وكان بختيشوع بن جبريل يداعب يوحنا كثيراً . فقال له في مجلس ابراهيم بن

المهدي وهم في معسكر المعتصم بالمدائن سنة عشرين ومائتين : انت ابا زكريا اخي ابن ابي . فقال يوحنا لابرهيم : اشهد على اقراره فوالله لأقاسمنّه ميراثه من ابيه. فقال له بختيشوع : ان اولاد الزنا لا يرثون . فانقطع يوحنا ولم يحِر جواباً. ومن الاطباء في ايام الرشيد صالح بن بهلة[1] الهندي . ومن عجيب ما جرى له ان الرشيد في بعض الايام قدّمت له الموائد . فطلب جبريل بن بختيشوع يحضر اكله على عادته في ذلك فلم يوجد فلعنه الرشيد . فبينما هو في لعنته اذ دخل عليه . فقال له: اين كنت وطفق يذكره بشرّ. فقال: ان اشتغل امير المؤمنين بالبكاء على ابن عمه ابرهيم بن صالح وترك تناولي بالسب كان اشبه. فسأله عن خبر ابرهيم . فأعلمه انه خلّفه وبه رمق ينقضي آخره وقت صلاة العتمة . فاشتد جزع الرشيد من ذلك وأمر برفع الموائد وكثر بكاؤه . فأشار جعفر ابن يحيي البرمكي ان يمضي صالح الطبيب الهندي اليه ويعاينه ويجس نبضه . فمضى وتأمله ورجع الى جعفر قائلاً: ان مات هذا من هذه العلة كل امرأة لي طالق ثلاثاً بتاتاً . فلما كان وقت العتمة ورد كتاب صاحب البريد بوفاة ابرهيم على الرشيد فأقبل يلعن الهند وطبهم . فحضر صالح بين يدي الرشيد فقال: الله الله ان تدفن ابن عمك حياً فوالله ما مات . قم حتى اريك عجباً . فدخل اليه الرشيد ومعه جماعة من خواصه . فأخرج صالح ابرة كانت معه وادخلها بين ظفر ابهام يده اليسرى ولحمه . فجذب ابراهيم يده وردها الى بدنه . فقال صالح: يا امير المؤمنين هل يحس الميت بالوجع . ثم نفخ شيئاً من الكندس في أنفه . فمكث مقدار سدس ساعة ثم اضطرب بدنه وعطس وجلس وكلّم الرشيد وقبّل يده.وسأله الرشيد عن قضيته. فذكر انه كان نائماً نوماً لا يذكر انه نام مثله قط طيباً الا انه رأى في منامه كلباً قد اهوى اليه فتوقّاه بيده فعض ابهام يده اليسرى عضة انتبه بها وهو يحسّ بوجعها وأراه موضع الابرة . وعاش ابراهيم بعد ذلك دهراً وولي مصر وتوفي بها وهناك قبره .

(الامين بن الرشيد) انتهى الامر اليه بعد ابيه باثني عشر يوماً. بويع له في عسكر الرشيد وكان المأمون حينئذ بمرو . وفي سنة اربع وتسعين ومائة قدم الفضل ابن الربيع العراق من طوس ونكث عهد المأمون وسعى في اغراء الامين وحثه على خلع المأمون والبيعة لابنه موسى بولاية العهد . فأمر الامين بالدعاء على المنابر لابنه موسى ونهى عن الدعاء للمأمون . وأمر بابطال ما ضرب المأمون من الدراهم والدنانير بخراسان. وندب الامين عليّ بن عيسى بن ماهان للقاء المأمون . ولما عزم على المسير من بغداد

١ – بهلة ر نهلة .

ركب الى باب زبيدة ام الامين ليودّعها . فقالت له: يا عليّ اعرف لعبد الله المأمون حق ولادته ولا تقتسره اقتسار العبيد اذا ظفرت به ولا تعنف عليه في السير وان شتمك فاحتمله . ثم دفعت اليه قيداً من فضة وقالت: قيده بهذا القيد . ثم خرج عليّ في عشرة آلاف فارس . وبلغ الخبر المأمون فتسمى بامير المؤمنين وانهض هرثمة بن اعين في اقل من اربعة آلاف فارس وعلى مقدمته طاهر بن الحسين . ثم خرج طاهر في اصحابه من الري على خمسة فراسخ . وسار اليه عليّ وزحف الناس بعضهم الى بعض وحملت ميمنة عليّ وميسرته على ميسرة طاهر وميمنته فأزالتاهما عن موضعيهما . وحمل قلب طاهر على قلب عليّ فهزموه . ورجع المنهزمون من معسكر طاهر على مَن بازائهم فهزموهم . ورمى رجل اسمه داود شاه علياً بسهم فقتله. وحمل راسه الى طاهر وأنفذه الى المأمون . وكان عليّ قليل الاحتياط من طاهر . وكان يقول لاصحابه: ما بينكم وبين ان ينقصف طاهر انقصاف الشجر من الريح الا ان نعبر[1] عقبة همذان . ولما قتل عليّ بعث المأمون الى طاهر بالهدايا وأمره ان يمضي الى العراق . فأخذ طاهر على طريق الاهواز وأخذ هرثمة على طريق حلوان . فشغب الجند على محمد الامين ووثبوا عليه وخلعوه وحبسوه مع أمه زبيدة وولده . ثم اخرجوه وبايعوه وكان حبسه يومين . ثم حاصر طاهر وهرثمة محمداً الامين وجعلا يحاربان اصحابه سنة ببغداد فقل اصحابه وخفت يده من المال وضعف أمره . فوجه الى هرثمة يسأله الامان . فأمنه وضمن له الوفاء من المأمون . فلما علم ذلك طاهر اشتد عليه وأبى ان يدعه يخرج الى هرثمة وقال: هو في حيّزي والجانب الذي انا فيه وانا اخرجته بالحصار حتى طلب الامان فلا ارضى ان يخرج الى هرثمة فيكون له الفتح دوني . وكان الامين يكره الخروج الى طاهر لمنام رآه . فلما كان ليلة الاحد لخمس بقين من محرم سنة ثماني وتسعين ومائة خرج بعد العشاء الآخرة الى صحن الدار ودعا بابنيه وضمهما اليه وقبلهما وقال: استودعكما الله عز وجل . ثم جاء راكباً الى الشط . فاذا حراقة هرثمة فصعد اليها وأمر هرثمة الحراقة ان تدفع . فأدركهم اصحاب طاهر في الزواريق وحملوا على الحراقة بالنفط والحجارة فانكفأت بمن فيها وسقط هرثمة الى الماء فتعلّق الملاح بشعره فأخرجه . واما الامين فانه لما سقط الى الماء شق ثيابه وسبح حتى خرج بشط البصرة . فأخذه اصحاب طاهر وجاءُوا الى بيت وهو عريان عليه سراويل وعمامة وعلى كتفه خرقة خلقة فحبسوه هناك . فلما انتصف الليل دخل عليه قوم من العجم معهم

---

١ – نعبر ر يعبر .

السيوف مسلولة. فلما رآهم جعل يقول: ويحكم انا ابن عمّ رسول الله انا ابن هرون انا اخو المأمون. الله الله في دمي. فضربه رجل منهم بالسيف في مقدم رأسه ونخسه آخر في خاصرته وركبوه فذبحوه ذبحاً وأخذوا رأسه ومضوا به الى طاهر. فبعث به الى المأمون. وكانت خلافة الامين اربع سنين وثمانية اشهر وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة. وقيل: لما ملك الامين وكاتبه المأمون واعطاه بيعته طلب الخصيان وابتاعهم وغالى فيهم وصيرهم لخلوته في ليله ونهاره وأمره ونهيه ووجّه الى جميع البلدان في طلب اصحاب اللهو وضمّهم اليه وأجرى عليهم الارزاق وقسم ما في بيوت الاموال من الجواهر في خصيانه ونسائه الاحرار وعمل خمس حراقات في دجلة على صورة الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس. فقال ابو نواس في ذلك:

عجب الناس اذ رأوك على صو ... رة ليث يمرّ مرّ السحابِ
سبّحوا اذ رأوك سرت عليه ... كيف لو أبصروك فوق العقابِ

واحتجب عن اخوته واهل بيته واستخف بهم وبقواده وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ولهوه واحبته. وأمر قيّمة جواريه ان تهيئ له مائة جارية صانعة فتصعد اليه عشر عشر بأيديهن العيدان يغنين بصوت واحد. وقيل انه لما اتاه نعي عليّ بن عيسى كان يصطاد السمك. فقال للذي اخبره بذلك: دعني فان كوثراً قد اصطاد سمكتين وانا ما اصطدت شيئاً بعد. وبالجملة لم يوجد في سيرته ما يستحسن ذكره من حكمة ومعدلة او تجربة حتى تذكر.

(المأمون بن الرشيد) لما خلص الامر للمأمون بعث الى عليّ بن موسى بن جعفر ابن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن ابي طالب فأقدمه خراسان وجعله ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده وزوجه ابنته ام حبيبة ولقبه الرضا من آل محمد. وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة وكتب بذلك الى الآفاق انه نظر في بني العباس وبني عليّ فلم يجد احداً افضل ولا اروع ولا اعلم من عليّ بن موسى فلذلك عقد له العهد من بعده. فشق ذلك على بني هاشم وغضب بنو العباس فقالوا: لا تخرج[1] الخلافة منّا الى اعدائنا. فخلعوا المأمون وبايعوا ابراهيم بن المهدي بن المنصور بن محمد الامام ابن عليّ بن عبد الله بن عباس وسموه المبارك. وفي سنة ثلث ومائتين مات علي بن موسى الرضا وكان سبب موته انه اكل عنباً فأكثر منه فمات فجأة في آخر صفر بمدينة طوس فدفنه المأمون عند قبر ابيه الرشيد. وفي هذه السنة خلع أهل بغداد ابراهيم بن المهدي فاختفى

١ – تخرج ر نخرج.

ليلة الاربعاء لثلث عشرة بقيت من ذي الحجة ولم يزل متوارياً . وقدم المأمون بغداد وانقطعت الفتن . وفي هذه السنة وهي سنة اربع ومائتين مات الامام محمد بن ادريس الشافعي. وفي سنة عشر ومائتين في ربيع الآخر أُخذ ابراهيم بن المهدي وهو متنقّب مع امرأتين وهو في زيّ امرأة أخذه حارس اسوَد ليلاً فقال: من انتنّ واين تردنَ هذا الوقت. ولما استراب بهنّ رفعهنّ الى صاحب المسلحة . فأمرهنّ ان يسفرنَ. فامتنع ابراهيم . فجذبه فبدت لحيته فرفعه الى باب المأمون واحتفظ به الى بكرة . فلما كان الغد أقعد ابرهيم في دار المأمون والمقنعة في عنقه والملحفة على صدره ليراه بنو هاشم. ثم عفا عنه وامّنه ونادمه. وفي سنة سبع عشرة ومائتين سار المأمون الى بلد الروم فأناخ على لؤلؤة مائة يوم . ثم رحل عنها وترك عليها عجيفاً . فخدعه اهلها وأسروه فبقي عندهم ثمانية ايام ثم اخرجوه . وفي سنة ثماني عشرة ومائتين كتب المأمون الى اسحق بن ابرهيم في امتحان القضاة والمحدّثين بالقرآن فمن اقر انه مخلوق محدَث خلّى سبيله ومن أبى أعلمه به ليأمر فيه برأيه . وفي هذه السنة مرض المأمون مرضه الذي مات به لثلث عشرة خلت من جمادى الآخرة . وكان سبب مرضه انه كان جالساً على شاطئ البدندون واخوه ابو اسحق المعتصم عن يمينه وهما قد دلّيا ارجلهما في الماء. فبينما هو متعجب من عذوبته وصفائه وشدة برده اذ جاءته الالطاف من العراق وكان فيها رُطب ازاذ كأنما جني تلك الساعة . فأكل منه وشرب من ذلك الماء فما قام الا وهو محموم وكانت منيته من تلك العلة . فلما انه مرض خلع اخاه القاسم المؤتمن وأخذ البيعة لاخيه ابي اسحق المعتصم وأمر ان يكتب الى البلاد الكتب من عبد الله المأمون امير المؤمنين واخيه الخليفة من بعده ابي اسحق المعتصم بن هرون الرشيد . ولما حضره الموت كان عنده ابن ماسويه الطبيب . وكان عنده من يلقّنه فعرض عليه الشهادة. فأراد الكلام فعجز عنه . ثم انه تكلم فقال: يا من لا يموت ارحم من يموت . ثم توفي من ساعته . فحمله ابنه العباس واخوه المعتصم الى طرسوس[1] فدفناه بدار خاقان خادم الرشيد . وكانت خلافته عشرين سنة . وكان ربعة ابيض جميلاً طويل اللحية رقيقها قد وخطه الشيب وقيل كان اسمر تعلوه صفرة . وكان عمره ثمانياً واربعين سنة .

* * *

قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي ان العرب في صدر الاسلام لم تُعنَ بشيء من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطب فانها كانت موجودة عند

١ — طرسوس ر طرطوس .

افراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طراً اليها . فهذه كانت حال العرب في الدولة الاموية . فلما ادال الله تعالى للهاشمية وصرف الملك اليهم ثابت الهمم من غفلتها وهبّت الفطن من ميتتها . وكان اول من عُني منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور . وكان مع براعته في الفقه كلفاً في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم . ثم لما افضت الخلافة فيهم الى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هرون الرشيد تمّم ما بدأ به جده المنصور فأقبل على طلب العلم في مواضعه وداخل ملوك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة. فبعثوا اليه منها ما حضرهم فاستجاد لها مهَرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما امكن . ثم حرّض الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها[١] فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظراتهم ويلتذ بمذاكرتهم علماً منه بان اهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لانهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا فيما يرغب فيه الصين والترك ومَن نزع منزعهم من التنافس في دقة الصنائع العملية والتباهي بأخلاق النفس الغضبية والتفاخر بالقوى الشهوانية اذ علموا ان البهائم تشركهم فيها وتفضلهم في كثير منها . اما في احكام الصنعة فكالنحل المحكمة لتسديس مخازن قوتها . واما في الجرأة والشجاعة فكالأسد وغيره من السباع التي لا يتعاطى الانسان اقدامها ولا يدّعي بسالتها . واما في الشبق فكالخنزير وغيره مما لا حاجة الى ابانته . فلهذا السبب كان اهل العلم مصابيح الدجى وسادة البشر وأوحشت الدنيا لفقدهم . فمن المنجمين في ايام المأمون حبش الحاسب المروزي الاصل البغدادي الدار . وله ثلثة ازياج . اولها المؤلف على مذهب السند هند. والثاني الممتحن وهو اشهرها ألّفه بعد ان رجع الى معاناة الرصد وأوجبه الامتحان في زمانه . والثالث الزيج الصغير المعروف بالشاة[٢] . وله كتب غير هذه . وبلغ من عمره مائة سنة . ومنهم احمد بن كثير الفرغاني صاحب المدخل الى علم هيئة الافلاك يحتوي على جوامع كتاب بطليموس[٣] بأعذب لفظ وأبين عبارة . ومنهم عبد الله بن سهل بن نوبخت كبير القدر في علم النجوم . ومنهم محمد بن موسى الخوارزمي . كان الناس قبل الرصد وبعده يعولون على زيجه الاول والثاني ويعرف بالسند هند . ومنهم ما شاء الله اليهودي . كان في زمن المنصور وعاش الى ايام المأمون وكان فاضلاً اوحد زمانه له حظّ قويّ في سهم الغيب . ومنهم يحيى

---

١ – تعليمها ر تعلمها .
٢ – بالشاة ر بالشاه .
٣ – بطليموس ر بطلميوس .

ابن ابي المنصور رجل فاضل كبير القدر اذ ذاك مكين المكان. ولما عزم المأمون على رصد الكواكب تقدم اليه والى جماعة من العلماء بالرصد واصلاح آلاته . ففعلوا ذلك بالشماسية ببغداد وجبل قاسيون بدمشق . قال ابو معشر : اخبرني محمد بن موسى المنجم الجليس وليس بالخوارزمي قال: حدثني يحي بن منصور قال: دخلت الى المأمون وعنده جماعة من المنجمين وعنده رجل يدّعي النبوّة وقد دعا له المأمون بالعاصمي[1] ولم يحضر بعد ونحن لا نعلم . فقال لي ولمن حضر من المنجمين : اذهبوا وخذوا الطالع لدعوى الرجل في شيء يدّعيه وعرّفوني ما يدل عليه الفلك من صدقه وكذبه. ولم يعلمنا المأمون انه متنبئ . (قال) فحملنا[2] الى بعض تلك الصحون فأحكمنا أمر الطالع وصورنا موضع الشمس والقمر في دقيقة واحدة وسهم السعادة منهم وسهم الغيب في دقيقة واحدة مع دقيقة الطالع والطالع الجدي والمشتري في السنبلة ينظر اليه والزهرة وعطارد في العقرب ينظران اليه . فقال كل من حضر من القوم: ما يدعيه صحيح . وانا ساكت . فقال لي المأمون: ما قلتَ انت . فقلت: هو في طلب تصحيحه وله حجة زهرية عطاردية . وتصحيح الذي يدّعيه لا يتمّ له ولا ينتظم. فقال لي: من اين قلت هذا . قلت: لان صحة الدعاوي من المشتري ومن تثليث الشمس وتسديسها اذا كانت الشمس غير منحوسة وهذا الطالع يخالفه لانه هبوط المشتري والمشتري ينظر اليه نظر موافقة الا انه كاره لهذا البرج والبرج كاره له فلا يتم التصديق والتصحيح. والذي قال من حجة زهرية وعطاردية. انما هو ضرب من التخمين والتزويق والخداع يتعجب منه ويستحبّ . فقال لي المأمون: انت لله درُّك. ثم قال: أتدرون مَن الرجل . قلنا له: لا. قال: هذا يدّعي النبوّة. فقلت: يا امير المؤمنين أمعه شيء يحتج به . فسأله . فقال: نعم معي خاتم ذو فصّين ألبسه فلا يتعين منه شيء يحتج به ويلبسه غيري فيضحك ولا يتمالك من الضحك حتى ينزعه . ومعي قلم شامي آخذه فأكتب به ويأخذه غيري فلا ينطلق اصبعه . فقلت : يا سيدي هذه الزهرة وعطارد قد عملا عملها . فأمره المأمون بعمل ما ادّعاه . فقلنا له : هذا ضرب من الطلسمات. فما زال به المأمون اياماً كثيرة حتى اقرّ وتبرّأ من دعوة النبوّة ووصف الحيلة التي احتالها في الخاتم والقلم . فوهب له الف دينار. فتلقيناه بعد ذلك فاذا هو اعلم الناس بعلم التنجيم . قال ابو معشر : وهو الذي عمل طلسم الخنافس في دور كثيرة من دور بغداد. قال ابو معشر : لو كنت مكان القوم لقلت اشياء ذهبت

١ – بالعاصمي ر بالعصي و بالعصمي .
٢ – فحملنا ر فجئنا .

عليهم كنت اقول: الدعوى باطلة لان البرج منقلب والمشتري في الوبال والقمر في المحاق والكوكبان الناظران في برج كذاب وهو العقرب. ومن الحكماء يوحنا بن البطريق الترجمان مولى المأمون كان اميناً على ترجمة الكتب الحكمية حسن التأدية للمعاني ألكن اللسان في العربية وكانت الفلسفة اغلب عليه من الطبّ. ومن الاطباء سهل بن سابور ويعرف بالكوسج. كان بالاهواز وفي لسانه لكنة خُوزية وتقدّم بالطب في ايام المأمون. وكان اذا اجتمع مع يوحنا ابن ماسويه وجيورجيس بن بختيشوع وعيسى بن الحكم وزكريا الطيفوري قصر عنهم في العبارة ولم يقصر عنهم في العلاج. ومن دعاباته انه تمارض واحضر شهوداً يشهدهم على وصيته وكتب كتاباً اثبت فيه اولاده فأثبت في اوله جيورجيس ابن بختيشوع والثاني يوحنا بن ماسويه وذكر انه اصاب أمَّيهما زناً فأحبلها. فعرض لجيورجيس زمع من الغيظ وكان كثير الالتفات. فصاح سهل: صُريَ وَهَكْ المسيهِ انْخرَوُا في أذنه آية خرسي. اراد بالعجمة التي فيه: صُرعَ وحق المسيح اقرؤا في أذنه آية الكرسي. ومن دعاباته انه خرج في يوم الشعانين يريد المواضع التي تخرج اليها النصارى فرأى يوحنا بن ماسويه في هيئة احسن من هيئته. فحسده على ذلك فصار الى صاحب مسلحة الناحية فقال له: ان ابني يعقُّني وان انت ضربته عشرين درّة موجعة اعطيتك عشرين ديناراً. ثم اخرج الدنانير فدفعها الى من وثق به صاحب المسلحة ثم اعتزل ناحية الى ان بلغ يوحنا الموضع الذي هو فيه فقدمه الى صاحب المسلحة وقال: هذا ابني يعقُّني ويستخف بي. فجحد ان يكون ابنه. فقال: يهذي هذا. قال سهل: انظر يا سيدي. فغضب صاحب المسلحة ورمى يوحنا من دابته وضربه عشرين مقرعة ضرباً موجعاً مبرّحاً. ومن اطباء المأمون جبريل الكحّال. كانت وظيفته في كل شهر الف درهم وكان اول من يدخل اليه في كل يوم. ثم سقطت منزلته بعد ذلك. فسئل عن سبب ذلك فقال: اني خرجت يوماً من عند المأمون فسألني بعض مواليه عن خبره فأخبرته انه قد اغفى. فبلغه ذلك فأحضرني ثم قال: يا جبريل اتخذتك كحّالاً او عاملاً للاخبار عليّ. اخرج من داري. فأذكرته حرمتي فقال: ان لـه لحرمةً فليقتصر به على اجراء مائة وخمسين درهماً في الشهر ولا يؤذن له في الدخول.

(المعتصم بن الرشيد) هو ابو اسحق محمد بن هرون الرشيد. بويع له بعد موت المأمون فشغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون. فخرج اليهم العباس فقال: ما هذا الحب البارد وقد بايعت عمي. فسكنوا. ودخل كثير من اهل الجبال وهمذان

واصفهان وماسبذان وغيرهم في دين الخُرَّميَّة[١] وتجمعوا فعسكروا في عمل همذان. فوجّه اليهم المعتصم العساكر فأوقعوا بهم فقتل منهم ستون الفاً وهرب الباقون الى بلد الروم. وفي سنة تسع عشرة ومائتين احضر المعتصم احمد بن حنبل وامتحنه بالقرآن. فلما لم يجب بكونه مخلوقاً أمر به فجلد جلداً شديداً حتى غاب عقله وتقطع جلده. وكان ابو هرون بن البكاء من العلماء المنكرين لخلق القرآن يقر بكونه مجعولا لقول الله: انا جعلناه قرآناً عربياً. ويسلم ان كل مجعول مخلوق ويحجم عن النتيجة ويقول: لا اقول مخلوق ولكنه مجعول. وهذا عجب عاجب. وفي سنة عشرين ومائتين عقد المعتصم للأفشين حيدر بن كاوس على الجبال ووجّهه لحرب بابك فسار اليه. وكان ابتداء خروج بابك سنة احدى ومائتين وهزم من جيوش السلطان عدّةً وقتل من قواده جماعة ودخل الناس رعب شديد وهول عظيم واستعظموه واحتوى[٢] اليه القطاع واصحاب الفتن وتكاثفت جموعه حتى بلغ فرسانه عشرين الفاً سوى الرجالة وأخذ يمثل[٣] بالناس. وكان اصحابه لا يدَعون رجلاً ولا امرأة ولا صبيّاً ولاطفلاً مسلماً او ذمياً الآ قطعوه وقتلوه وأحصي عدد القتلى بأيديهم فكان مائتي الف وخمسة وخمسين الفاً وخمسمائة انسان. فلما انتدب الافشين لحرب بابك قاومه الافشين سنة وانهزم من بين يديه غير مرة وعاوده. وآل الامر الى ان انتحى[٤] بابك الى البذ[٥] مدينته. فلما ضاق أمره خرج هارباً ومعه اهله الى بلاد الروم في زي التجار. فعرفه سهل بن سنباط[٦] الارمني البطريق فأسره. فافتدى نفسه منه بمال عظيم. فلم يقبل منه وبعثه الى الافشين بعد ما ركب الارمن من أمه واخته وامرأته الفاحشة بين يديه. وكذا كان يفعل الملعون بالناس اذا اسرهم مع حرمهم. وحمل الافشين بابك الى المعتصم وهو بسر من رأى. فأمر باحضار سياف بابك فحضر فأمره ان يقطع يديه ورجليه فقطعها فسقط. فأمر بذبحه وشق بطنه. وأنفذ رأسه الى خراسان وصلب بدنه بسامرّا. وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم الى بلاد الاسلام فبلغ زبطرة فقتل من بها من الرجال وسبى الذرّية والنساء. واغار على ملطية وغيرها وسبى المسلمات ومثّل بمن صار في يده من المسلمين

---

١ – الخرّميّة ر الحرامية.
٢ – واحتوى ر واجتوى و انطوى.
٣ – يمثل ر يميل.
٤ – انتحى ر التجأ.
٥ – البذّ ر النبل و النبذ او البند.
٦ – سنباط ر شباط.

فسمل اعينهم وقطع آنافهم وآذانهم . فلما بلغ الخبر المعتصم استعظمه وتوجه الى بلاد الروم وفتح عمورية وقتل ثلثين الفاً وأسر ثلثين الفاً . وفي سنة خمس وعشرين ومائتين تغير المعتصم على الافشين لانه كاتب مازيار أصْبَهْبُذ[١] طبرستان وحسّن له الخلاف والمعصية واراد ان ينقل الملك الى العجم فقتله وصلبه بازاء بابك . ووجده بقلفته لم يختن. واخرجوا من منزله اصناماً فأحرقوه بها . وفي سنة سبع وعشرين ومائتين توفي المعتصم ابو اسحق يوم الخميس لثماني عشرة مضت من ربيع الاول عن ثمانية بنين وثماني بنات وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية اشهر وكان عمره سبعاً واربعين سنة. وحُكي ان المعتصم بينما هو يسير وحده قد انقطع عن اصحابه في يوم مطر اذ رأى شيخاً معه حمار عليه شوك وقد زلق الحمار وسقط في[٢] الارض والشيخ قائم . فنزل عن دابته ليخلّص الحمار . فقال له الشيخ : بأبي انت وأمي لاتهلك ثيابك . فقال له : لا عليك . ثم انه خلّص الحمار وجعل الشوك عليه وغسل يده ثم ركب. فقال له الشيخ : غفر الله لك يا شابّ . ثم لحقه اصحابه فأمر له باربعة آلاف درهم . وهذا دليل على غاية ما يمكن ان يكون من طيب اعراق الملوك وسعة اخلاقهم .

* * *

قال حُنين : ان سلمويه كان عالماً بصناعة الطبّ فاضلاً في وقته. ولما مرض عاده المعتصم وبكى عنده وقال له : أَشِرْ عليّ بعدك بمن يصلحني . فقال : عليك بهذا الفضولي يوحنا بن ماسويه. واذا وصف شيئاً خذ أقلّه اخلاطاً . ولما مات سلمويه قال المعتصم : سألحق به لانه كان يمسك حياتي ويدبّر جسمي. وامتنع عن الأكل في ذلك اليوم وأمر باحضار جنازته الى الدار وان يصلّى عليها بالشمع والبخور على رأي النصارى. ففعل ذلك وهو يراهم . وكان سلمويه يفصد المعتصم في السنة مرتين ويسقيه عقيب كل فصد دواء . فلما باشره يوحنا اراد عكس ما كان يفعله سلمويه فسقاه الدواء قبل الفصد . فلما شربه حمي دمه وحمّ وما زال جسمه ينقص حتى مات وذلك بعد عشرين شهراً من وفاة سلمويه . وخدم الافشين زكريا الطيفوريّ وذكر : اني كنت مع الافشين في معسكره وهو في محاربة بابك . فجرى ذكر الصيادلة فقلت : اعزّ الله الامير ان الصيدلاني لا يطلب منه شيء كان عنده او لم يكن الا اخبر بأنه عنده . فدعا الافشين

---

١ – اصبهبذ ر اصهيد و اصبهيد .
٢ – وسقط في ر ووقع الى .

بدفتر من دفاتر الاسروشنية[١] فأخرج منه نحواً من عشرين اسماً ووجّه الى الصيادلة من يطلب منهم ادوية مسماة بتلك الاسماء . فبعض انكرها وبعض ادّعى معرفتها واخذ الدراهم من الرسل ودفع اليهم شيئاً من حانوته . فأمر الافشين باحضار جميع الصيادلة فمن انكر معرفة تلك الاسماء اذن له بالمقام في معسكره ونفى الباقين .

(الواثق بالله هرون بن المعتصم) بويع له في اليوم الذي مات فيه ابوه . وفي هذه السنة مات ثوفيل ملك الروم وكان ملكه اثنتي عشرة سنة وملكت بعده امرأته ثاودورا وابنها ميخائيل بن ثوفيل وهو صبيّ . وفي سنة ثماني وعشرين ومائتين غزا المسلمون في البحر جزيرة صقلية وفتحوا مدينة مسيني . وفي سنة احدى وثلثين ومائتين كان الفداء بين المسلمين والروم على يد خاقان خادم الرشيد واجتمع المسلمون على نهر اللامس على مسيرة يوم من طرسوس وأمر الواثق خاقان خادم الرشيد ان يمتحن اسارى المسلمين فمن قال القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة فُوديَ به واعطي ديناراً ومن لم يقل ذلك ترك في ايدي الروم . فلما كان في يوم عاشوراء اتت الروم ومن معهم من الاسارى وكان الامر بين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلق الروم اسيراً فيلتقيان في وسط الجسر فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا واذا وصل الرومي الى الروم صاحوا: كرياليسون حتى فرغوا . فكان عدة اسارى المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين نفساً والنساء والصبيان ثمانمائة. واهل ذمة المسلمين مائة نفس . ولما فرغوا من الفدية غزا المسلمون شاتين فأصابهم ثلج ومطر فمات منهم مائتا نفس وأسر نحوهم وغرق بالبدندون خلق كثير . وفي سنة اثنتين وثلثين ومائتين مات الواثق في ذي الحجة لست بقين منه وكانت علته الاستسقاء فعولج بالاقعاد في تنُّور مسخن فوجد بذلك خفّة فأمرهم من الغد بالزيادة في اسخانه ففعل ذلك وقعد فيه اكثر من اليوم الاول فحمي عليه فأخرج منه في محفّة فمات فيها ولم يشعر بموته حتى ضرب وجهه[٢] المحفة. ولما اشتدّ مرضه احضر المنجمين منهم الحسن بن سهل بن نوبخت فنظروا في مولده فقدروا له ان يعيش خمسين سنة مستأنفة من ذلك اليوم فلم يعش بعد قولهم الا عشرة ايام وكانت خلافته خمس سنين وتسعة اشهر وكان عمره اثنتين وثلثين سنة .

* * *

لهذا حسن المذكور تصنيف وهو كتاب الانواء . فآل نوبخت كلهم فضلاء ولهم

١ — الاسروشنية ر الاسروسغية و الاسروشينة .

٢ — وجهه ر بوجهه .

فكرة صالحة ومشاركة في علوم الاوائل ولا مثل هذا . حدث احمد بن هرون الشرابيّ بمصر ان المتوكل على الله حدثه في خلافة الواثق ان يوحنا بن ماسويه كان مع الواثق على دكان في دجلة وكان مع الواثق قصبة فيها شصّ وقد ألقاها في دجلة ليصيد بها السمك فحرم الصيد فالتفت الى يوحنا وكان على يمينه وقال: قم يا مشؤوم عن يميني . فقال يوحنا: يا امير المؤمنين لا تتكلم بمحال يوحنا ابوه ماسويه الخوزي وأمه رسالة الصقلبية المبتاعة بثمانمائة درهم واقبلتْ به السعادة الى ان صار نديم الخلفاء وسميرهم وعشيرهم حتى غمرته الدنيا فنال منها ما لم يبلغه أمله فمن اعظم المحال ان يكون هذا مشؤوماً ولكن ان احبَّ امير المؤمنين بأن أخبره بالمشؤوم مَن هو اخبرته. فقال: من هو . فقال: من ولده اربع خلفاء ثم ساق الله اليه الخلافة فترك خلافته وقصورها وقعد في دكان مقدار عشرين ذراعاً في مثلها في وسط دجلة لا يأمن عصف الريح عليه فيغرقه ثم تشبه بأفقر قوم في الدنيا وشرّهم صيادو السمك . قال المتوكل: فرأيت الكلام قد نجع فيه الا انه امسك لمكاني .

(المتوكل على الله جعفر بن المعتصم) بويع له بعد موت اخيه الواثق وكان عمره يوم بويع ستاً وعشرين سنة . وفي سنة ثلث وثلثين ومائتين وثب ميخائيل بن توفيل بأمه ثاودورا فألزمها الدير وقتل القتيط[1] لانه اتهمها به وكان ملكها ست سنين . وفي سنة خمس وثلثين ومائتين عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلثة بولاية العهد وهم المنتصر والمعتزّ والمؤيَّد وعقد لكل واحد منهم لواءً وولّى المنتصر العراق والحجاز واليمن والمعتزّ خراسان والريّ والمؤيَّد الشام. وفي سنة ست وثلثين ومائتين أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن عليّ وان يبذر ويسقى موضعه وان يمنع الناس من اتيانه. وفي سنة سبع وثلثين ومائتين ولّى المتوكل يوسف بن محمد ارمينية واذربيجان ولما صار الى اخلاط أتى بقراط بن اشوط[2] البطريق فأمر بأخذه وتقييده وحمله الى المتوكل فاجتمع بطارقة ارمينية مع ابن اخي بقراط وتحالفوا على قتل يوسف ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة وهو صهر بقراط[3] على ابنته فوثبوا بيوسف واجتمعوا عليه في قلعة موش في النصف من شهر رمضان وذلك في شدة من البرد وكلَب من الشتاء فخرج اليهم يوسف وقاتلهم فقتلوه وكل من قاتل معه. واما من لم يقاتل فقالوا له: انزع ثيابك وانج بنفسك عرياناً ففعلوا ومشوا عراة حفاة

١ – القتيط ر القنبط و للقنبط.
٢ – اشوط ر اسوط .
٣ – بقراط ر ابي بقراط .

فهلك اكثرهم من البرد . فلما بلغ المتوكل الخبر وجه بغا الكبير اليهم طالباً بدم يوسف فسار وأباح[١] على قتلة يوسف فقتل منهم زهاء ثلثين الفاً وسبى خلقاً كثيراً ثم سار الى مدينة تفليس وحاصرها ودعا النفّاطين فضربوا المدينة بالنار فأحرقوها وهي من خشب الصنوبر فاحترق بها نحو خمسين الف انسان . وفي سنة ثماني وثلثين ومائتين جاءت ثلثمائة مركب للروم مع ثلثة رؤساء فأناخ احدهم في مائة مركب بدمياط وبينها وبين الشط شبيه بالبحيرة يكون ماؤها الى صدر الرجل فمن جازها الى الارض أمن من مراكب البحر فجازه قوم من المسلمين فسلموا وغرق كثير من نساء وصبيان . ومن كان به قوة سار الى مصر . واتفق وصول الروم وهي فارغة من الجند فنهبوا واحرقوا وسبوا واحرقوا جامعها وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستمائة امرأة وساروا الى مصر ونهبوها ورجعوا ولم يعرض لهم احد . وفي سنة اثنتين واربعين ومائتين كانت زلازل هائلة واصوات منكرة بقومس ورساتيقها في شعبان فتهدمت الدور وهلك تحت الهدم بشر كثير قيل كانت عدتهم خمسة واربعين الفاً وستة وتسعين نفساً . وكان اكثر ذلك[٢] بالدامغان . وكان بالشام وفارس وخراسان وباليمن مع خسف . وتقطع الجبل الاقرع وسقط في البحر فمات اهل اللاذقية من تلك الهدّة . وفي سنة سبع واربعين ومائتين قُتل المتوكل وهو ثمل بسرّ مرّأى ليلة الاربعاء ثالث[٣] يوم من شوال قتله غلام تركي اسمه باغر وكانت خلافته اربع عشرة سنة وتسعة[٤] اشهر وعمره اربعين سنة وقُتل معه الفتح ابن خاقان لانه رمى بنفسه على المتوكل وقـال: ويلكم تقتلون امير المؤمنين فبعجوه بسيوفهم فقتلوه. ويقال ان ابنه المنتصر دسّ لقتله فعاش بعده ستة اشهر . وفي سنة الزلازل اخرج المتوكل احمد ابن حنبل من الحبس ووصله وصرفه الى بغداد وأمر بترك الجدَل في القرآن وان الذمة بريئة ممن يقول بخلق او غير خلق .

* * *

قال بعض الرواة: دخل بختيشوع بن جبريل الطبيب يوماً الى المتوكل وهو جالس على سدّة في وسط داره الخاصة فجلس بختيشوع على عادته معه فوق[٥] السدة وكان عليه درّاعة ديباج رومي وكان قد انشقّ ذيلها قليلاً. فجعل المتوكل يحادث بختيشوع ويعبث

١ –وابا‍ح ر وناح و اناخ على قتل .
٢ – ذلك ر من ذلك .
٣ – ثالث ر اول .
٤ – وتسعة ر وسعة .
٥ – فوق ر على .

بذلك الفتق حتى بلغ الى حـد النَّيفق ودار بينهما الكلام يقتضي[١] ان سأل المتوكل بختيشوع بماذا تعلمون ان الموسوس يحتاج الى الشدّ . قال بختيشوع : اذا بلغ الى فتق درّاعة طبيبه الى حد النيفق شددناه. فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره وأمر له بخلعة حسنة ومال جزيل . وهذا يدل على لطف منزلة بختيشوع عند المتوكل وانبساطه معه. وقال المتوكل يوماً لبختيشوع : ادعُني. قال: نعم وكرامة . فاضافه واظهر من التجمُّل والثروة ما اعجب المتوكل والحاضرين . واستكثر المتوكل لبختيشوع ما رآه من نعمته وكمال مروءته فحقد عليه ونكبه بعد ايام يسيرة فأخذ له مالاً كثيراً وحضر الحسين ابن مخلد فختم على خزائنه وباع شيئاً كثيراً وبقي بعد ذلك حطب وفحم ونبيذ وامثال هذه فاشتراه الحسين بستة آلاف دينار وذكر انه باع من جملته باثني عشر الف دينار وكان هذا في سنة اربع واربعين ومائتين وتوفي بختيشوع سنة ستّ وخمسين ومائتين . وفي ايام المتوكل اشتهر حنين بن اسحق الطبيب النصراني العباديّ ونسبته الى العباد وهم قوم من نصارى العرب من قبائل شتى اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة وتسمّوا بالعباد لانه لا يضاف الا الى الخالق واما العبيد فيضاف الى المخلوق والخالق. وكان اسحق والد حُنين صيدلانياً بالحيرة فلما نشأ حنين احب العلم فدخل بغداد وحضر مجلس يوحنا بن ماسويه وجعل يخدمه ويقرأُ عليه. وكان حنين صاحب سؤال وكان يصعب على يوحنا فسأله حنين في بعض الايام مسألة مستفهم فحرِد يوحنا وقال: ما لأهل الحيرة والطب عليك ببيع الفلوس في الطريق . وأمر به فأخرج من داره . فخرج حنين باكياً وتوجه الى بلاد الروم واقام بها سنتين حتى احكم اللغة اليونانية وتوصل في تحصيل كتب الحكمة غاية امكانه وعاد الى بغداد بعد سنتين ونهض من بغداد الى ارض فارس ودخل البصرة ولزم الخليل بن احمد حتى برع في اللسان العربي ثم رجع الى بغداد. قال يوسف الطبيب: دخلت يوماً على جبريل بن بختيشوع فوجدت عنده حُنيناً وقد ترجم له بعض التشريح وجبريل يخاطبه بالتبجيل ويسميه الربان فأعظمت ما رأيت وتبين ذلك جبريل مني فقال : لا تستكثر هذا مني في أمر هذا الفتى فوالله لئن مدّ له في العمر ليفضحنّ سرجيس. وسرجيس هذا هو الرأس عينيّ اليعقوبي ناقل علوم اليونانيين الى السرياني. ولم يزل أمر حُنين يقوى وعلمه يتزايد وعجائبه تظهر في النقل والتفاسير حتى صار ينبوعاً للعلوم ومعدناً للفضائل واتصل خبره بالخليفة المتوكل فأمر باحضاره. ولما حضر اُقطع اقطاعاً سنياً وقُرِّر له جارٍ جيد . واحبّ امتحانه ليزول عنه

١ – يقتضي ر اقتضى.

ما في نفسه عليه اذ ظن ان ملك الروم ربما كان عمل شيئاً من الحيلة فاستدعاه وأمر ان يُخلع عليه وأخرج له توقيعاً فيه اقطاع يشتمل على خمسين الف درهم فشكر حنين هذا الفعل. ثم قال له بعد اشياء جرت: اريد ان تصف لي دواءً يقتل عدواً نريد قتله وليس يمكن إشهار هذا ونريده سراً . فقال حنين: ما تعلمت غير الادوية النافعة ولا علمت ان امير المؤمنين يطلب مني غيرها فان احبّ ان امضي واتعلم فعلت . فقال: هذا شيء يطول بنا . ثم رغّبه وهدّده وحبسه في بعض القلاع سنة ثم احضره وأعاد عليه القول واحضر سيفاً ونطعاً . فقال حُنين: قد قلت لامير المؤمنين ما فيه الكفاية . قال الخليفة: فانني اقتلك . قال حنين: لي رب يأخذ لي حقي غداً في الموقف الاعظم . فتبسم المتوكل وقال له: طب نفساً فاننا اردنا امتحانك والطمأنينة اليك. فقبّل حنين الارض وشكر له . فقال الخليفة: ما الذي منعك من الاجابة مع ما رأيته من صدق الامر منّا في الحالين . قال حنين: شيئان هما الدين والصناعة . اما الدين فانه يأمرنا باصطناع الجميل مع اعدائنا فكيف ظنُّك بالاصدقاء . واما الصناعة فانها موضوعة لنفع ابناء الجنس ومقصورة على معالجاتهم ومع هذا فقد جعل في رقاب الاطباء عهد مؤكد بايمان مغلظة ان لا يعطوا دواءً قتالاً لاحد. فقال الخليفة: انهما شرعان جليلان . وأمر بالخلع فافيضت[1] عليه وحمل المال معه فخرج وهو احسن الناس حالاً وجاهاً . وكان الطيفوري النصراني الكاتب يحسد حنيناً ويعاديه . واجتمعا يوماً في دار بعض النصارى ببغداد وهناك صورة المسيح والتلاميذ وقنديل يشتعل بين يدي الصورة . فقال حنين لصاحب البيت: لمَ تضيع الزيت فليس هذا المسيح ولا هؤلاء التلاميذ وانما هي صوَر . فقال الطيفوري: ان لم يستحقوا الاكرام فأبصق عليهم فبصق فأشهد عليه الطيفوري ورفعه الى المتوكل فسأله اباحة الحكم عليه لديانة النصرانية فبعث الى الجاثليق والاساقفة وسئلوا عن ذلك فأوجبوا حرم حنين فحرم وقطع زناره وانصرف حنين الى داره ومات من ليلته فجأةً وقيل انه سقى نفسه سماً . وكان لحنين ولدان داود واسحق . فاما اسحق فخدم على الترجمة وتولاها واتقنها وأحسن فيها وكانت نفسه أميل الى الفلسفة . واما داود فكان طبيباً للعامة وكان له ابن اخت يقال له حُبيش بن الاعسم احد الناقلين من اليوناني والسرياني الى العربي . وكان يقدمه على تلاميذه ويصفه ويرضى نقله . وقيل من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له فان اكثر ما نقله حبيش نسب الى حنين . وكثيراً

---

١ – فافيضت ر فانصبَّت .

ما يرى الجهال شيئاً من الكتب القديمة مترجماً بنقل حبيش فيظن الغرّ منهم انه حنين وقد صُحّف فيكشطه ويجعله حنين.

(المنتصر بن المتوكل) بايع له[1] قتلة ابيه تلك الليلة التي قتلوا المتوكل. فلما اصبح يوم الاربعاء حضر القوّاد والكتّاب والجند والوجوه الجعفرية فقرأ عليهم احمد بن الخصيب[2] كتاباً يخبر فيه عن المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتله به فبايع الناس وانصرفوا. وفي سنة ثماني واربعين ومائتين جدّ وصيف وبُغا وباقي الاتراك في خلع المعتزّ والمؤيّد وألحّوا على المنتصر وقالوا: نخلعهما ونبايع لابنك عبد الوهاب. فلم يزالوا به حتى اجابهم وخلعهما بالكره منه ومنهما. ثم دعاهما وقال لهما: أترياني خلعتكما طمعاً في ان اعيش حتى يكبر ولدي وابايع له والله ما طمعت في ذلك ساعة قط ولكن هؤلاء (وأومأ الى سائر الموالي الاتراك ممن هو قائم وقاعد) ألحوا عليّ في خلعكما. وفي هذه السنة وهي سنة ثماني واربعين ومائتين مات المنتصر يوم الاحد لخمس ليالٍ تخلون من ربيع الآخر بالذبحة وكانت علته ثلثة ايام. قيل وكان كثير من الناس حين افضت الخلافة اليه الى ان مات يقولون: انما مدة حياته ستة اشهر مدة شيرويه بن كسرى قاتل ابيه تقوله العامة والخاصة. وكان عمره خمساً وعشرين سنة وستة اشهر وخلافته ستة اشهر.

(المستعين احمد بن محمد بن المعتصم) لما توفي المنتصر اجتمع الموالي في الهاروني من الغد وفيهم بغا الكبير وبغا الصغير وأتامش وتشاوروا وكرهوا ان يتولى الخلافة واحد من ولد المتوكل لئلا يغتالهم فاجمعوا على المستعين احمد بن محمد بن المعتصم وبايعوه. وفي سنة تسع واربعين ومائتين شغب الجند والشاكرية ببغداد لما رأوا من استيلاء الترك على الدولة يقتلون من يريدون من الخلفاء ويستخلفون من احبوه من غير ديانة ولا نظر للمسلمين. فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء والنفير وفتحوا السجون وأخرجوا مَن فيها واحرقوا احد الجسرين وقطعوا الآخر وانتهبوا دور اهل اليسار واخرجوا اموالاً كثيرة ففرقوها فيمن نهض الى حفظ الثغور واخرجوا المعتزّ من الحبس واخذوا من شعره وكان قد كثر وبايعوا له بالخلافة وخلعوا المستعين وكانت ايامه سنتين وتسعة اشهر. فسار المستعين الى بغداد سنة احدى وخمسين ومائتين وحوصر بها. ثم في سنة اثنتين وخمسين ومائتين خلع نفسه من الخلافة فبايع للمعتزّ بن المتوكل وخطب للمعتزّ ببغداد. فلما بايع المستعين للمعتز وجهه الى البصرة ومنها الى اواسط وتقدم بقتله فقتل وحُمل رأسه الى المعتزّ

---

١ – بايع له الخ ر بويع له ليلة قُتل ابوه المتوكل.

٢ – الخصيب ر الخطيب.

فقال: ضعوه حتى افرغ من الدست. فلما فرغ نظر اليه وأمر بدفنه. وفي هذه السنة حبس المعتزّ المؤيد اخاه ثم اخرجه ميتاً لا اثر فيه ولا جرح فقيل انه أدرج في لحاف سمُّور وأمسك طرفاه حتى مات. وفي سنة اربع وخمسين ومائتين ولّى الاتراك احمد بن طولون مصر وكان طولون مملوكاً تركياً للمأمون ووُلد له ولده احمد في سنة عشرين ومائتين ببغداد. وكان احمد عالي الهمّة يستقلّ بعقول الاتراك واديانهم يثقون به في العظائم وتشاغل بالخير والصلاح فتمكنت في القلوب محبته وآل أمره الى ان استولى على مصر وجميع مدن الشام. وفي سنة خمس وخمسين ومائتين صار الاتراك الى المعتزّ يطلبون ارزاقهم فماطلهم بحقهم. فلما رأوا انه لا يحصل منه شيء دخل اليه جماعة منهم فجروا برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس في الدار وكان يرفع رجلاً ويضع رجلاً لشدّة الحرّ. ثم سلّموه الى من يعذبه فمنعه الطعام والشراب ثلثة ايام ثم ادخلوه سرداباً وجصصوا عليه فمات. وكانت خلافته من لدن بُويع بسامرّا الى ان خلع اربع سنين وسبعة اشهر [1].

وفي هذه السنة مات سابور بن سهل صاحب بيمارستان جنديسابور وكان فاضلاً في وقته وله تصانيف مشهورة منها كتاب الأقراباذين المعوّل عليه في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة اثنان وعشرون باباً. وتوفي نصرانياً في يوم الاثنين لتسع [2] بقين من ذي الحجة

(المهتدي بن الواثق) بويع له لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين [3] ولم تقبل بيعته حتى أتى المعتزّ فخلع نفسه وأقر بالعجز عما أسند اليه وبالرغبة في تسليمها الى محمد بن الواثق فبايعه الخاصة والعامة. وبعد قتل المعتزّ طلبت أمه الامان لنفسها فأمنوها وظفروا لها بخزائن في دار تحت الارض ووجدوا فيها الف الف دينار وثلثمائة الف دينار وقدر مكوك زمرُّد ومقدار مكوك من اللؤلؤ الكبار ومقدار كيلجة من الياقوت الاحمر. وكان طلب منها ابنها المعتزّ مالاً يعطي الاتراك فقالت: ما عندي شيء. فسبُّوها وقالوا: عرضت ابنها للقتل في خمسين الف دينار وعندها هذا المال جميعه. وفي منتصف رجب خُلع المهتدي وتوفي لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه سنة ست وخمسين ومائتين وكانت خلافته احد عشر شهراً وعمره ثمانياً وثلثين سنة.

(المعتمد بن المتوكل) ولما أخذ المهتدي وحُبس احضر ابو العباس احمد بن المتوكل

---

١ — وكان عمره اربعاً وعشرين سنة.

٢ — لتسع ر لسبع.

٣ — خمس وخمسين ر خمسين.

وكان محبوساً بالجوسق فبايعه الاتراك وغيرهم ولُقّب المعتمد على الله. ثم ان المهتدي مات ثاني يوم بيعة المعتمد. وفي سنة احدى وستين ومائتين ولّى المعتمد ابنه جعفر العهد ولقبه المفوَّض الى الله وولّى اخاه ابا احمد العهد بعد جعفر ولقبه الموفَّق بالله. وفي سنة اربع وستين ومائتين دخل عبد الله بن رشيد بن كاووس بلد الروم في اربعة آلاف فارس فغنم وقتل. فلما رحل عن البدندون خرج عليه بطريق سلوقية وبطريق خرشنة واصحابها واحدقوا بالمسلمين. فنزل المسلمون فعرقبوا دوابّهم وقاتلوا فقُتلوا الآ خمسمائة فانهم حملوا حملة رجل واحد ونجوا على دوابهم وقتل الروم مَن قتلوا وأُسر عبدالله بن رشيد وحمل الى ملك الروم. وفي سنة خمس وستين ومائتين وقع خلاف بين المعتمد واحمد بن طولون فسار الى سيما والي حلب وبقية العواصم فوجده بانطاكية فحاصره بها وفتحها فظفر بسيما وقتله وجاء الى حلب وملكها وملك دمشق وحمص وحماة وقنسرين الى الرقة. وأمر المعتمد بلعن ابن طولون على المنابر فلعن ببغداد وسائر العراق ولعن ابن طولون المعتمد على المنابر في جميع اعماله بمصر وغيرها. وفي سنة سبعين ومائتين مات ابن طولون في ذي القعدة [1] وخلف سبعة عشر ابناً احدهم خمارويه وسبع عشرة بنتاً وترك اموالاً جمة ومماليك كثيرة. وكان كثير الصدقات والخيرات. وقام ولده خمارويه بعده بالملك احسن قيام ودبّر احسن تدبير. وفي سنة ثماني وسبعين ومائتين عرض للموفق وجع النقرس واشتدّ به فلم يقدر على الركوب. فعمل له سرير عليه قبّة وكان يقعد عليه هو وخادم له يبرد رجله بالثلج ثم صارت علّة رجله داء الفيل وكان يحمل سريره اربعون رجلاً بالنوبة. فقال لهم يوماً: قد ضجرتم من حملي بودّي لو كنت كواحد منكم احمل على رأسي وآكل وانا في عافية. فوصل الى داره لليلتين خلتا من صفر وشاع موته. وعلى يديه جرى اكثر الحروب مع الزنج وباقي الخوارج. ولما مات الموفق اجتمع القواد وبايعوا ابنه ابا العباس بولاية العهد بعد المفوّض ولُقب المعتضد بالله. وفي سنة تسع وسبعين ومائتين توفي المعتمد ليلة الاثنين لاحدى عشرة بقيت من رجب وكان قد شرب على الشط في الحَسَنيّ يوم الاحد شراباً كثيراً وتعشى فأكثر فمات ليلاً. وكانت خلافته ثلثاً وعشرين سنة [2]. وكان في خلافته محكوماً عليه قد تحكم [3] عليه ابو احمد الموفق اخوه وضيّق عليه

---

١ – القعدة ر الحجة. – كانت امارته نحو ست وعشرين سنة.

٢ – وكان عمره خمسين سنة وستة اشهر وكان اسن من الموفق بستة اشهر. وهو اول الخلفاء انتقل من سر من رأى مذ بنيت ثم لم يعد اليها احد منهم.

٣ – تحكَّم ر يحكم.

حتى انه احتاج في بعض الاوقات الى ثلثمائة دينار فلم يجدها .

* * *

وكان استخصّ الموفق اخو المعتمد جعفر بن محمد المعروف بابي معشر البلخي واتخذه منجماً له وكان معه في محاصرته للزنج بالبصرة . وقيل ان ابا معشر كان في اول امره من اصحاب الحديث ببغداد وكان يضاغن ابا يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ويغري به العامة ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة. فدسّ عليه الكندي من حسّن له النظر في علم الحساب والهندسة فدخل في ذلك فلم يكمل له فعدل الى علم احكام النجوم وانقطع شرُّه عن الكندي . ويقال انه تعلم النجوم بعد سبع واربعين سنة من عمره . وكان فاضلا حسن القريحة صنف كتباً عدة في هذا الفن . فضربه المستعين اسواطاً لانه اصاب في شيء أخبر به قبل وقته . وكاى يقول : اصبتُ فعوقبت . وجاوز ابو معشر المائة من عمره ومات بواسط . وقيل كان ابو معشر مدمناً على شرب الخمر مشتهراً [١] بمعاقرتها وكان يعتريه صرع عند اوقات الامتلاآت القمرية . واما يعقوب الكندي فكان شريف الاصل بصرياً وكان ابوه اسحق اميراً على الكوفة للمهدي والرشيد . وكان يعقوب عالماً بالطب والفلسفة والحساب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة والهيئة وله في اكثر هذه العلوم تآليف مشهورة من المصنفات الطوال . ولم يكن في الاسلام من اشتهر عند الناس بمعاناة علم الفلسفة حتى سمّوه فيلسوفاً غير يعقوب هذا وعاصر قسطا بن لوقا البعلبكي وقسطا هذا الفيلسوف نصراني في الدولة الاسلامية دخل الى بلاد الروم وحصّل من تصانيفهم الكثيرة وعاد الى الشام واستدعي الى العراق ليترجم الكتب وله تصانيف مختصرة بارعة . وقيل اجتذبه سنحاريب الى ارمينية واقام بها الى ان مات هناك وبنى على قبره قبة اكراماً له كاكرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع. قال المؤرخ: لو قلت حقاً قلت انه افضل مَن صنّف كتاباً بما احتوى عليه من العلوم والفضائل وما رزق من الاختصار للالفاظ وجمع المعاني .

وفي آخر دولة المعتمد تحرّك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة وكان ابتداء امرهم ان رجلاً فقيراً قدم من ناحية خوزستان الى سواد الكوفة وكان يظهر الزهد والتقشف ويسفُّ [٢] الخوص ويأكل من كسبه فأقام على ذلك مدة . وكان اذا قعد اليه رجل ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا واعلمه انه يدعو الى امام من اهل بيت النبيّ عليه السلام .

---

١ – مشتهراً ر مستهتراً .

٢ – ويسف ر ويتعاطى نسف .

فلم يزل على ذلك حتى استجاب له جمع كثير واتخذ منهم اثني عشر نقيباً على عدد الحواريين وأمرهم ان يدعوا الناس الى مذهبهم . فبلغ خبره عامل تلك الناحية فأخذه وحبسه وحلف انه يقتله واغلق باب البيت عليه وجعل المفتاح تحت وسادته واشتغل بالشرب . فسمعت جارية له بيمينه فرقّت للرجل. فلما نام العامل اخذت المفتاح وفتحت الباب وأخرجته ثم اعادت المفتاح الى مكانه . فلما اصبح العامل فتح الباب ليقتله فلم يره وشاع ذلك في الناس وافتتن به اهل تلك الناحية وقالوا رُفع . ثم ظهر في ناحية اخرى ولقي جماعة من اصحابه وغيرهم وقال لهم : لا يمكن ان ينالني احد بسوء . فعظم في اعينهم. ثم خاف على نفسه فخرج الى ناحية الشام ولم يوقف له على خبر وسمّي باسم رجل كان ينزل عنده وهو كرمتية[1] ثم خُفّف فقيل قرمطة. وكان فيما حكي عن القرامطة من مذهبهم انهم جاءُوا بكتاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة ان المسيح تصوّر له في جسم انسان وقال له: انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك يحيى بن زكريا وانك روح القدس وعرّفه ان الصلاة اربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل[2] غروبها والصوم يومان في السنة وهما المهرجان والنيروز . وان النبيذ حرام والخمر[3] حلال ولا يؤكل كل ذي ناب ولا كل ذي مخلب .

(المعتضد بن الموفق) بويع في صبيحة الليلة التي مات فيها عمّه المعتمد. ولما ولي المعتضد بعث خمارويه بن احمد بن طولون له هدايا والطافاً شريفة ورسولاً وسأله ان يزوج ابنة خمارويه المسماة قطر الندى بعليّ بن المعتضد . فقال المعتضد: انا اتزوجها. فسُرّ خمارويه بذلك . وفي سنة احدى وثمانين ومائتين خرج المعتضد الى الموصل قاصداً للاعراب والاكراد فسار اليهم فأوقع بهم وقتل منهم وغرق منهم في الزاب خلق كبير . وسار المعتضد الى الموصل يريد قلعة ماردين وكانت لحمدان فهرب حمدان منها وخلف ابنه بها فنازلها المعتضد وقاتل من فيها يومه ذلك . فلما كان الغد ركب المعتضد فصعد الى باب القلعة وصاح : يا ابن حمدان . فأجابه . فقال: افتح الباب . ففتحه فقعد المعتضد في الباب وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها . ثم ظفر بحمدان بعد عوده الى بغداد جاءه مستأمناً اليه . وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين جهز خمارويه ابنته احسن جهاز وبعث

---

١ – كرمتية ر كرمينة .
٢ – قبل . روى ابن الاثير « بعد » .
٣ – والخمر ر والشراب .

بها الى المعتضد في المحرَّم . وفي هذه السنة لثلث خلون من ذي الحجة قُتل خمارويه بدمشق ذبحه على فراشه بعض خاصته. ولما قُتل اقعدوا مكانه ابنه هرون والتزم انه يحمل من مصر الى خزانة المعتضد في كل سنة الف الف دينار وخمسمائة الف دينار . وفي سنة ثلث وثمانين ومائتين سارت الصقالبة الى الروم فحاصروا القسطنطينية وقتلوا من اهلها خلقاً كثيراً وخربوا البلاد . فلما لم يجد ملك الروم منهم خلاصاً جمع من عنده من أسارى المسلمين واعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا وكشفوهم وازاحوهم عن القسطنطينية . فلما رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسه فأخذ سلاحهم وفرقهم في البلدان حذراً من جنايتهم عليه . وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم وكان جملة من فودي به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة واربعة انفس . وفي هذه السنة وهي سنة اربع وثمانين ومائتين كان المنجمون يوعدون بغرق اكثر الاقاليم الا اقليم بابل فانه يسلم منه اليسير واذ ذلك يكون بكثرة الامطار وزيادة المياه في الانهار والعيون . فقحط الناس وقلت الامطار وغارت المياه حتى استسقى الناس ببغداد مرات . وفي سنة خمس وثمانين ومائتين ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد بالبحرين واجتمع اليه جماعة من الاعراب والقرامطة وقوي أمره فقاتل ما حوله من القرى ثم صار الى القطيف واظهر انه يريد البصرة . فأمر المعتضد ببناء سور على البصرة فعمل وكان مبلغ الخرج عليه اربعة عشر الف دينار . وفي سنة ثماني وثمانين ومائتين وقع الوباء باذربيجان فمات منه خلق كثير الى ان فقد الناس ما يكفنون به الموتى وكانوا يطرحونهم في الطريق . وفيها سارت الروم الى كيسوم فنهبوها وغنموا اموال اهلها واسروا منها نحو خمسة عشر الف انسان من رجل وصبي وامرأة . وفي سنة تسع وثمانين ومائتين انتشر القرامطة بسواد الكوفة فأُخذ رئيسهم وسيِّر الى المعتضد وأحضره وقال له : اخبرني هل تزعمون ان روح الله تحل في اجسادكم . فقال له الرجل : يا هذا ان حلت روح الله فينا فما يضرك وان حلت روح ابليس فما ينفعك فلا تسأل عمّا لا يعنيك وسلّ عما يخصك . فقال : ما تقول فيما يخصني . فقال : اقول ان النبي عليه السلام مات وابوكم العباس حيّ فهل طلب الخلافة ام هل بايعه احد من الصحابة على ذلك . ثم مات ابو بكر واستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوصِ اليه. ثم مات عمر وجعلها شورى في ستة انفس ولم يوصِ الى العباس ولا ادخله فيهم فبماذا تستحقون انتم الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها . فأمر به المعتضد فعذب

وُخلعت عظامه ثم قطعت يداه ورجلاه ثم قُتل. وبعد قليل في هذه السنة في ربيع الآخر لثمان بقين منه توفي المعتضد فاجتمع القواد وجددوا البيعة لابنه المكتفي وكانت خلافة المعتضد تسع[١] سنين وتسعة اشهر وعمره سبع واربعين سنة . وقيل كان المعتضد اسمر نحيفاً شهماً شجاعاً وكان فيه شحّ وكان عفيفاً مهيباً عند اصحابه يتقون سطوته ومع ذلك جاوز الحد في الحلم . قال الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب: كنت عند المعتضد يوماً وخادم بيده المذبة اذ ضربت[٢] قلنسوة المعتضد فسقطت فكدت اختلط إعظاماً للحال ولم يتغير المعتضد وقال: هذا الغلام قد نعس . ولم ينكر عليه . فقبّلت الارض وقلت: والله يا امير المؤمنين ما سمعت بمثل هذا ولا ظننت ان حلماً يسعه . قال: وهل يجوز غير هذا انا اعلم انّ هذا الصبي البائس لو دار في خلده ما جرى لذهب عقله وتلف والانكار لا يكون الا على المعتمد دون الساهي الخاطئ .

* * *

وفي ايام المعتضد علت منزلة بني موسى بن شاكر وهم ثلثة محمد واحمد والحسن . وكان موسى بن شاكر يصحب المأمون ولم يكن موسى من اهل العلم بل كان في حداثته حرامياً يقطع الطريق ثم انه تاب ومات وخلّف هؤلاء الاولاد الثلثة صغاراً فوصى بهم المأمون اسحق بن ابرهيم المصعبي واثبتهم مع يحيى بن ابي منصور في بيت الحكمة وكانت حالهم رثة رقيقة . على ان ارزاق اصحاب المأمون كلهم كانت قليلة . فخرجَ بنو موسى ابن شاكر نهاية في علومهم وكان اكبرهم واجلّهم ابو جعفر محمد وكان وافر الحظ من الهندسة والنجوم ثم خدم وصار من وجوه القوّاد الى ان غلب الاتراك على الدولة. وكان احمد دونه في العلم الاّ صناعة الحيل فانه فُتح له فيها ما لم يفتح مثله لاحد . وكان الحسن وهو الثالث منفرداً بالهندسة وله طبع عجيب فيها لا يدانيه احد علم كل ما علم بطبعه ولم يقرأ من كتب الهندسة الا ست مقالات من كتاب اوقليدس في الاصول فقط وهي اقل من نصف الكتاب ولكن ذكره كان عجيباً وتخيله كان قوياً. وحُكي ان المروزي قال عنه يوماً للمأمون انه لم يقرأ من كتاب اوقليدس الا ست مقالات . اراد بذلك كسره . فقال الحسن: يا امير المؤمنين لم يكن يسألني عن شكل من اشكال المقالات التي لم اقرأها الا استخرجته بفكري وأتيته به[٣] ولم يكن يضرّني انني لم اقرأها

١ – تسع . روى ابن الاثير « سبعاً » س تسع سنين وتسعة اشهر .
٢ – ضربت ر ضرب .
٣ – وأتيته به ر واثبتّه .

ولا تنفعه قراءته لها اذ كان من الضعف فيها بحيث لم تغنه قرآته في اصغر مسئلة من الهندسة فانه لا يحسن ان يستخرجها . فقال له المأمون : ما ادفع قولك ولكني ما اعذرك ومحلُّك من الهندسة محلُّك ان يبلغ بك الكسل ان لا تقرأه كله وهو للهندسة كحروف ا ب ت ث للكلام والكتابة. وفي دار محمد بن موسى تعلّم ثابت بن قرّة بن مروان الصابئ الحرّاني نزيل بغداد فوجب على محمد حقُّه فوصله بالمعتضد وادخله في جملة المنجمين. وبلغ ثابت هذا مع المعتضد اجلّ المراتب وأعلى المنازل حتى كان يجلس بحضرته في كل وقت ويحادثه طويلاً ويضاحكه ويُقبل عليه دون وزرائه وخاصّته. وله مصنَّفات كثيرة في التعليمات الرياضيّة والطبّ والمنطق وله تصانيف بالسريانية فيما يتعلق بمذهب الصابئة في الرسوم والفروض والسنن وتكفين الموتى ودفنهم وفي الطهارة والنجاسة وما يصلح من الحيوان للضحايا وما لا يصلح وفي اوقات العبادات وترتيب القراءة في الصلاة . والذي تحققنا من مذهب الصابئة ان دعوتهم هي دعوة الكلدانيين القدماء بعينها وقبلتهم القطب الشماليّ ولزموا فضائل النفس الاربع. والمفترض عليهم ثلث صلوات اولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة او اقلّ لتنقضي مع الطلوع ثماني ركعات في كل ركعة ثلث سجدات . والثانية انقضاؤها مع نصف النهار والزوال خمس ركعات في كل ركعة ثلث سجدات . والثالثة مثل الثانية تنقضي مع الغروب . والصيام المفروض عليهم ثلثون يوماً اولها الثامن من اجتماع آذار. وتسعة ايام اولها التاسع من اجتماع كانون الاول. وسبعة ايام اولها ثامن إشباط . ويدعون الكواكب . وقرابينهم كثيرة لا يأكلون منها بل يحرقونها. ولا يأكلون الباقلي والثوم وبعضهم اللوبياء والقُنَّبيط والكرنب والعدس. واقوالهم قريبة من اقوال الحكماء ومقالاتهم في التوحيد على غاية من التقانة ويزعمون ان نفس الفاسق تعذَّب تسعة آلاف دور ثم تصير الى رحمة الله تعالى . وكان في دولة المعتضد احمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي احد فلاسفة الاسلام وله تآليف جليلة في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب وكان حسن المعرفة جيِّد القريحة بليغ اللسان مليح التصنيف وكان اولاً معلّماً للمعتضد ثم نادمه وخصّ به وكان يُفضي اليه بأسراره كلها ويستشيره في امور مملكته وكان الغالب على احمد هذا علمه لا عقله واتفق ان افضى اليه بسر فاذاعه فأمر المعتضد بقتله فقتل .

(المكتفي بن المعتضد) لما توفي المعتضد كتب الوزير الى ابي محمد عليّ بن المعتضد وهو المكتفي وعرّفه أخذ البيعة له وكان بالرقّة فأخذ له البيعة على من عنده من الاجناد وسار الى بغداد فدخلها لثمانٍ خلون من جمادى الاولى سنة تسع وثمانين ومائتين.

وفيها ظهر بالشام رجل من القرامطة وجمع جموعاً من الاعراب وأتى دمشق وبها طغج ابن جف[١] من قبل هرون بن خمارويه بن احمد بن طولون وكانت بينهم وقعات. وفي سنة احدى وتسعين ومائتين خرجت الترك في خلق كثير لا يحصون الى ما وراء النهر وكان في عسكرهم سبعمائة قبّة تركية ولا تكون الا للرؤساء منهم. فسار اليهم جيش المسلمين وكبسوهم مع الصبح فقتلوا منهم خلقاً عظيماً وانهزم الباقون. وفيها خرج الروم في عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف الى الثغور فأغاروا وسبوا وأحرقوا. وفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين جهّز المكتفي الى هرون بن خمارويه جيشاً في البرّ والبحر فحاصروه بمصر وجرى بينهم قتال شديد ووقعات كثيرة آخرها ان بعض الرماة من اصحاب المكتفي رمى هرون بمزراق معه فقتله وانهزم المصريون وكان هو آخر امراء آل طولون وانقرضت الدولة الطولونيّة في هذه السنة. وفي سنة ثلث وتسعين ومائتين اغارت الروم على قورُس ودخلوها فأحرقوا جامعها وساقوا من بقي من اهلها لانهم قتلوا اكثرهم. وفي سنة خمس وتسعين ومائتين في ذي القعدة توفي المكتفي بالله وكانت خلافته ستّ سنين وستة اشهر وكان عمره ثلثاً وثلثين سنة.

* * *

وفي ايام المكتفي اشتهر يوسف الساهر الطبيب ويُعرف ايضاً بالقسّ وكان مشهور الذكر مكبّاً على الطبّ كثير الاجتهاد في تحصيل الفوائد وسمّي الساهر لانه كان لا ينام في الليل الّا ربعه او أزيد ثم يسهر في طلب العلم. وقيل انما سمّي الساهر لان سرطاناً كان في مقدّم رأسه وكان يمنعه النوم. واذا تأمل متأمل كنّاشه رأى فيه اشياء تدلّ على انه كان به هذا المرض.

(المقتدر بن المعتضد) لما ثقل المكتفي في مرضه استشار الوزيرُ وهو حينئذٍ العباس ابن الحسن اصحابَه فيمن يصلح للخلافة. فقالوا له: اتّق الله ولا تولّ من قد لقي الناس ولقوه وعاملهم وعاملوه وتحنّك[٢] وحسب حساب نِعَم الناس وعرف وجوه دخلهم وخرجهم. فقال الوزير: صدقتم ونصحتم. فبمَن تشيرون. قالوا: اصلح الموجودين جعفر بن المعتضد. قال: ويحكم هو صبيّ. قال ابن الفرات: الا انه ابن المعتضد ولا نأتي برجل كامل يباشر الامور بنفسه غير محتاج الينا[٣]. فركن الوزير الى قولهم فلما مات المكتفي

١ – جف ر خف.
٢ – وتحنّك ر وتحيّل.
٣ – الينا ر الى مشاور.

نصب جعفراً للخلافة وأخذ له البيعة ولقبه المقتدر بالله. فلما بويع المقتدر استصغره الوزير وكان عمره اذ ذاك ثلث عشرة سنة. وكثر كلام الناس فيه فعزم على خلعه. ثم في سنة ستّ وتسعين ومائتين اجتمع القوّاد والقضاة مع الوزير على خلع المقتدر بالله والبيعة لابن المعتزّ. ثم ان الوزير رأى امره صالحاً مع المقتدر فبدا له في ذلك. فوثب به الحسين بن حمدان فقتله وخلع المقتدر وبايع الناس ابن المعتزّ ولُقب المرتضي بالله ووجّه الى المقتدر يأمره بالانتقال الى الدار التي كان مقيماً فيها لينتقل هو الى دار الخلافة فأجابه بالسمع والطاعة وسأل الامهال الى الليل. وعاد الحسين بن حمدان بكرةَ غدٍ الى دار الخلافة فقاتله الخدم والغلمان والرجالة من وراء الستور عامّة النهار فانصرف عنهم آخر النهار. فلما جنّه الليل سار عن بغداد بأهله وماله الى الموصل لا يُدرى لمَ فعل ذلك ولم يكن بقي مع المقتدر من القوّاد غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن. ولما رأى ابن المعتزّ ذلك ركب ومعه وزيره محمد بن داود وغلام له وساروا نحو الصحراء ظناً منهم ان من بايعه من الجند يتبعونه. فلما لم يلحقهم احد رجعوا واختفوا ووقعت الفتنة والنهب والقتل ببغداد وثار العيّارون والسفل ينهبون الدور وخرج المقتدر بالعسكر وقبض على جماعة وقتلهم وكتب الى ابي الهيجاء بن حمدان يأمره بطلب اخيه الحسين فانهزم الحسين وارسل اخاه ابرهيم يطلب له الامان فأجيب الى ذلك ودخل بغداد وخلع عليه وعقد له على قمّ وقاشان فسار اليها. وفي هذه السنة سقط ببغداد ثلج كثير من بكرة الى العصر فصار على الارض اربع اصابع وكان معه برد شديد وجمد الماء والخلّ والبيض وهلك النخل وكثير من الشجر. وفي سنة ثلث وثلثمائة خرج الحسين بن حمدان بالجزيرة عن طاعة المقتدر فجهّز الوزير رائق[1] الكبير في جيش وسيّره اليه فالتقيا واقتتلا قتالاً شديداً فانهزم رائق وغنم الحسين سواده. فسمع ذلك مؤنس الخادم وجدّ بالسير نحو الحسين فرحل الحسين نحو ارمينية مع ثقله واولاده وتفرق عسكره عنه فأدركه جيش مؤنس واسروه ومعه ابنه عبد الوهّاب. وعاد مؤنس الى بغداد على الموصل ومعه الحسين فأركب على جمل هو وابنه وعليهما البرانس واللبود الطوال وقمصان من شعر احمر وحُبسا. وفي هذه السنة خرج مليح الارمني الى مرعش فعاث في بلدها واسر جماعة ممن[2] حولها وعاد. وفي سنة خمس وثلثمائة وصل رسولان من ملك الروم الى المقتدر يطلبان المهادنة والفداء فأكرما اكراماً تاماً كثيراً ودخلا على الوزير وهو في اكمل هيئة وأديا الرسالة اليه.

---

١ – ويروى: راتق.

٢ – ممن ر من.

ثم انهما دخلا على المقتدر وقد جلس لهما واصطفّت الاجناد بالسلاح والزينة التامة وأدّيا الرسالة. فأجابهما المقتدر الى ما طلب ملك الروم من الفداء وسيّر مؤنساً الخادم ليحضر الفداء وانفذ معه مائة الف وعشرين الف دينار لفداء اسارى المسلمين. وفيها أطلق ابو الهيجاء بن حمدان واخوته واهل بيته من الحبس. وفي سنة تسع وثلثمائة قُتل الحسين الحلاج بن منصور. وكان ابتداء حاله انه كان يُظهر الزهد ويُظهر الكرامات وقيل انه حرّك يوماً يده فانتثر على قوم دراهم. فقال بعض من تفهّم أمره ممن حضر: ارى دراهم معروفةً ولكني اومن بك وخلقٌ معي ان اعطيتني درهماً عليه اسمك واسم ابيك. فقال: وكيف وهذا لا يصنع. فقال له: من حضر ما ليس بحاضر صنع ما ليس بمصنوع. وكان قدم من خراسان الى العراق وسار الى مكة فأقام بها سنة في الحجر لا يستظلّ تحت سقف شتاءً ولا صيفاً ورُئي في جبل ابي قبيس على صخرة حافياً مكشوف الرأس والعرق يجري منه الى الارض. وعاد الحلاج الى بغداد فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول والربوبيّة. ثم نقل عنه الى الوزير حامد انه أحيا جماعة من الموتى. فلما سأله الوزير عن ذلك انكره وقال: اعوذ بالله ان ادّعي النبوة او[1] الربوبية وانما انا رجل اعبد الله. فلم يتمكن الوزير من قتله حتى رأى له كتاباً فيه: ان الانسان اذا اراد الحجّ ولم يمكنه افرد من داره بيتاً طاهراً فاذا حضرت ايام الحجّ طاف حوله وفعل ما يفعل الحجاج بمكة ثم يطعم ثلاثين يتيماً ويكسوهم ويُعطي كلّ واحد منهم سبعة دراهم. فأحضر الوزير القضاة ووجوه الفقهاء واستفتاهم. فكتبوا باباحة دمه فسلمه الوزير الى صاحب الشرطة فضربه الف سوط فما تأوّه لها ثم قطع يده ثم رجله ثم رجله الاخرى ثم يده ثم قُتل وأحرق وألقي رماده في دجلة ونصب[2] الرأس ببغداد. واختلف في بلدة الحلاج ومنشإه فقيل من خراسان وقيل من نيسابور وقيل من مرو وقيل من الطالَقان وقيل من الريّ. وقيل كان رجلاً محتالاً مشعبذاً يتعاطى مذاهب الصوفيّة ويدّعي ان الالهية قد حلّت فيه وانه هو هو. وقيل له وهو مصلوب: قل لا إله الاّ الله. فقال: ان بيتاً انت ساكنه غير محتاج الى السرج. وامتحنه ابو الحسين عليّ ابن عيسى وناظره فوجده صفراً من العلوم فقال له: تعلّمك طهورك وفروضك اجدى عليك من رسائل لا تدري ما تقول فيها. لِمَ تكتب الى الناس بقولك: تبارك ذو النور الشعشعاني الذي يلمع بعد شعشعته. ما احوجك الى الادب. وقال ابو الحسن بن الجندي انه رأى الحلاج وشاهد

---

١ — او ر مع.
٢ — ونصب ر وصلب.

من شعابيذه اشياء منها تصويره بين يديه بستاناً فيه زروع وماء . وفي سنة خمس عشرة وثلثمائة استشعر مؤنس الخادم خوفاً من المقتدر فامتنع من دخول دار المقتدر . فاجتمع اليه جميع الاجناد وقالوا له: لا تخف نحن نقاتل بين يديك الى ان ينبت لك لحية . فوجّه اليه المقتدر رقعة بخطه يحلف له على بطلان ما قد بلغه . فقصد دار المقتدر في جمع من القوّاد ودخل اليه وقبّل يده. وحلف له المقتدر على صفاء نيته له. وفي سنة سبع عشرة وثلثمائة خُلع المقتدر بالله من الخلافة وبويع اخوه القاهر[1] بالله محمد بن المعتضد فبقي يومين ثم أعيد المقتدر . وكان السبب في ذلك استيحاش مؤنس الخادم . وفي سنة عشرين وثلثمائة سار مؤنس الخادم الى الموصل مغاضباً ووجّه خادمه بشرى برسالة الى المقتدر . فسأله الوزير الحسين عن الرسالة . فقال: لا اذكرها الاّ للمقتدر كما امرني صاحبي. فشتمه الوزير وشتم صاحبه وأمر بضربه وصادره بثلثمائة الف دينار. فلما بلغ مؤنساً ما جرى على خادمه وهو بحربى ينتظر ان يطيب المقتدر قلبه ويعيده سار نحو الموصل ومعه جميع القواد فاجتمع بنو حمدان على محاربته . ولما قرب مؤنس من الموصل كان في ثمانمائة فارس واجتمع بنو حمدان في ثلثين الفاً فالتقوا واقتتلوا فانهزم بنو حمدان واستولى مؤنس على اموالهم وديارهم فخرج اليه كثير من العساكر من بغداد والشام ومصر لاحسانه اليهم وأقام بالموصل تسعة اشهر ثم انحدر الى بغداد ونزل بباب الشمّاسية . واشار على المقتدر اصحابه بحضور الحرب فان القوم متى رأوه عادوا جميعهم اليه فخرج وهو كاره وبين يديه الفقهاء والقراء ومعهم المصاحف منشورة وعليه البردة والناس حوله . فوقف على تلٍّ عالٍ بعيد عن المعركة. فأرسل قوّاده يسألونه التقدّم. فلما تقدّم من موضعه انهزم اصحابه قبل وصوله اليهم . فأراد الرجوع فلحقه قوم من المغاربة وشهروا عليه سيوفهم . فقال: ويحكم انا الخليفة . قالوا: قد عرفناك يا سفلة . وضربه واحد بسيفه على عاتقه فسقط الى الارض وذبحه بعضهم ورفعوا رأسه على خشبة وهم يكبّرون ويلعنونه واخذوا جميع ما عليه حتى سراويله وتركوه مكشوف العورة الى ان مرّ به رجل من الاكرة فستره بحشيش ثم حفر له في موضعه ودُفن وعفا[2] قبره. ولما حُمل رأس المقتدر الى مؤنس بكى ولطم وجهه ورأسه وأنفذ الى دار الخليفة مَن منعها من النهب. وكانت خلافة المقتدر خمساً وعشرين سنة وعمره ثماني وثلثين سنة .

* * *

---

١ – القاهر . ر القادر وهو تصحيف س واخرج من الحبس محمد بن المعتضد وحلف له (وبايعه) وسماه القاهر .

٢ – وعفا ر وخفي .

وفي سنة سبع عشرة وثلثمائة مات محمد بن جابر بن سنان ابو عبد الله الحرّاني المعروف بالبتّاني احد المشهورين برصد الكواكب ولا يُعلم احد من الاسلام بلغ مبلغه في تصحيح ارصاد الكواكب وامتحان حركاتها . وكان اصله من حرّان صابئاً. وفي سنة عشرين وثلثمائة توفي محمد بن زكريا الرازيّ وكان في ابتداء امره يضرب بالعود ثم ترك ذلك واقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيراً وألّف كتباً كثيرة اكثرها في صناعة الطبّ وسائرها في المعارف الطبيعيّة ودبّر بيمارستان الريّ[1] ثم بيمارستان بغداد زماناً. وكان في بصره رطوبة لكثرة أكله الباقلّى ثم عمي في آخر عمره بماء نزل في عينيه. وجاءه كحال ليقدحها فسأله عن العين كم طبقة هي . فقال: لا اعلم . فقال له: لا يقدح عينيّ من لا يعلم ذلك . فقيل له: لو قدحت لكنت ابصرت . قال: لا قد ابصرت في الدنيا حتى مللت. وقيل ان ابا بكر محمد بن زكريا الرازي اوحد دهره وفريد عصره جمع المعرفة بعلوم القدماء لا سيما الطبّ وكان شيخاً كبير الرأس مسفّطاً. ولم يكن يفارق النسخ اما يسوّد[2] او يبيّض. وألّف في الكيمياء اثني عشر كتاباً وذكر انها اقرب الى الامكن منها الى الممتنع . وكان كريماً متفضلاً بارًّا بالناس حسن الرأفة بالفقراء والاعلاّء حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرّضهم. وحُكي عن الكعبي انه قال لابن زكريا: رأيتك تدّعي ثلثة اصناف من العلوم وانت اجهل الناس بها تدّعي الكيمياء وقد حبستك زوجتك على عشرة دراهم فلو ملكت يوماً قدر مهرها ما رافعتك الى الحاكم فحضرتَ معها وحلفت لها عليه . وتدّعي الطبّ وتركت عينك حتى ذهبت . وتدعي النجوم والعلم بالكائنات وقد وقعت في نوايب لم تشعر بها حتى احاطت بك. اقول الطعن الاول مباين لما نُقل من حسن رأفته بالفقراء ولا يبعد ان الأخر[3] قول حاسد. ومن الاطباء الذين للمقتدر بختيشوع بن يحيى[4] وسنان بن ثابت بن قرة الصابئ والد ثابت بن سنان صاحب التاريخ . ولم يكن في اطبائه اخص من هذين . وسيأتي قصة سنان في باب خلافة القاهر .

(القاهر بن المعتضد) لما قُتل المقتدر عظم قتله على موٴنس وقال: الرأي ان ننصب ولده ابا العباس فانه تربيتي وهو صبي عاقل فيه دين وكرم ووفاء بما يقول . فاعترض

١ – الري ر جنديسابور.
٢ – النسخ اما يسوّد الخ ر الشيخ اما تسويد او تبييض .
٣ – الأُخر ر الثلاثة .
٤ – يحيى ر عيسى .

عليه اسحق النوبختي وقال: بعد الكد استرحنا من خليفة له أم وخالة وخدم يدبـّرونه فنعود الى تلك الحال لا والله لا نرضى الا برجل كامل يدبّر نفسه ويدبـّرنا. وما زال حتى ردّ مؤنساً عن رأيه وذكر له ابو منصور محمد بن المعتضد فأجابه مؤنس الى ذلك. وكان النوبختي في ذلك كالباحث عن حتفه بظلفه فان القاهر قتله كما سيأتي ذكره. وأمر مؤنس باحضار محمد ابن المعتضد فبايعوه بالخلافة لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة ولقبوه القاهر بالله. وكان مؤنس كارهاً لخلافته ويقول: انني عارف بشره وشؤمه. ولما بويع استحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه بليق ولعليّ بن بليق. واستحجب القاهر عليّ بن بليق وتشاغل القاهر بالبحث عمن استتر من اولاد المقتدر وحرمه ثم احضر القاهر ام المقتدر عنده وكانت مريضة قد ابتدأ بها استسقاء فسألها عن مالها فاعترفت له بما عندها من المتاع والثياب ولم تعترف بشيء من المال والجواهر. فضربها اشدّ ما يكون من الضرب وعلقها برجلها وضرب المواضع الغامضة من بدنها. فحلفت انها لا تملك غير ما اطلعته عليه. وصادر جميع حاشية المقتدر واصحابه ووكل على بيع املاك أمّ المقتدر وحلّ وقوفها فبيع جميع ذلك. وفي سنة احدى وعشرين وثلثمائة استوحش مؤنس وبليق الحاجب وولده عليّ الوزير وابو عليّ بن مقلة من القاهر وضيـّقوا عليه ووكلوا على دار الخليفة احمد بن زيرك وأمروه بتفتيش كل من يدخل الدار ويخرج منها وان يكشف وجوه النساء المنقـّبات. ففعل ذلك وزاد عليه حتى انه حُمل الى دار القاهر لبنٌ فأدخل يده فيه لئلا يكون فيه رقعة. فعلم القاهر ان العتاب لا يفيد فأخذ في الحيلة والتدبير عليهم وارسل الى الساجيـّة اصحاب يوسف بن ابي الساج يغريهم بمؤنس وبليق ويحلف لهم على الوفاء فتغيرت قلوبهم. فبلغ ابن مقلة ان القاهر يجتهد في التدبير عليهم فذكر ذلك لمؤنس وبليق وابنه فاتفق رأيهم على خلع القاهر الا مؤنس فانه قال لهم: لست اشك في شر القاهر وخبثه ولقد كنت كارها لخلافته وأشرت بـابن المقتدر فخالفتموني وقد بالغتم الآن في الاستهانة به وما صبر على الهوان الا من خبث طويته ليدبر عليكم فلا تعجلوا حتى تؤنسوه وينبسط اليكم ثم اعملوا على ذلك. فقال عليّ ابن بليق وابن مقلة: ما يُحتاج الى هذا التطويل فان الحجَبة لنا والدار في ايدينا ومـا يحتاج ان نستعين في القبض عليه بأحد لانه بمنزلة طائر في قفص. واتفقوا على ان يدخل عليّ بن بليق على القاهر ويكون قد أمر جماعة من عسكره بالركوب الى ابواب دار الخليفة فيقبض عليه. فهم في هذا ان حضر ظريف السكـّريّ في زي امرأة فاجتمع بالقاهر فذكر له جميع ما قد عزموا عليه فأخذ حذره وانفذ الى الساجية احضرهم متفرقين

وأكمنهم في الدهليز والممرات والرواقات . وحضر عليّ بن بليق بعد العصر وفي رأسه نبيذ ومعه عدد يسير من غلمانه بسلاح خفيف وطلب الأذن فلم يؤذن له فغضب وأساء ادبه . فخرج اليه الساجية وشتموه واباه . فألقى نفسه الى طيارة وعبر الى الجانب الغربي واختفى من ساعته[1] . وبلغ الخبر ابن مقلة فاستتر . وانكر بليق ما جرى على ابنه وسبّ الساجية وحضر دار الخليفة ليعاتب على ذلك فلم يوصله القاهر اليه وأمر بالقبض عليه وعلى ابن زيرك. وراسل القاهر مؤنساً يسأله الحضور عنده وقال: انت عندي بمنزلة الوالد وما احب ان اعمل شيئاً الاّ عن رأيك . فاعتذر مؤنس عن الحركة وانه قد استولى عليه الكبر والضعف . فأظهر له الرسول النصح وقال: ان تأخرت طمع ولو رآك نائماً ما تجاسر على ان يوقظك. فسار مؤنس اليه فلمّا دخل الدار قبض عليه القاهر وحبسه. قيل لما علم القاهر بمجيء مؤنس هابه وهاله أمره وارتعد وتغيّرت احواله وزحف من صدر فراشه ثم ربط جأشه . ولما قبض على مؤنس شغب اصحابه وثاروا وتبعهم سائر الجند . وكان القاهر قد ظفر بعليّ بن بليق فدخل القاهر اليه وأمر به فذبح واخذوا رأسه فوضعوه في طشت ثم مضى القاهر والطشت يُحمَل بين يديه حتى دخل على بليق فوضع الطشت بين يديه وفيه رأس ابنه . فلما رآه بكى واخذ يقبّله ويترشّفه.فأمر القاهر فذبح ايضاً وجعل رأسه في الطشت وحمل بين يدي القاهر ومضى حتى دخل على مؤنس فوضعهما بين يديه . فلما رأى الرأسين تشهّد ولعن قاتلهما . فقال القاهر: جرّوا برجل الكلب الملعون فجرّوه وذبحوه وجعلوا رأسه في طشت وأمر فطيف بالرؤوس في جانبَي بغداد ونودي عليها: هذا جزاء من يخون الامام ويسعى في فساد دولته .

* * *

وفي ايام القاهر كان ابتداء دولة بني بويهِ وهم ثلاثة عماد الدولة عليّ وركن الدولة الحسن ومعزّ الدولة احمد اولاد ابي شجاع بويه بن فناخسرو من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس . وهذا نسب عريق في الفرس ولا شك انهم نُسبوا الى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم . وقيل ان ابا شجاع بويه كان متوسط الحال ورأى في منامه كأنه يبول فخرج من ذكره نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت فصارت ثلث شُعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب فأضاءت الدنيا بتلك النيران ورأى البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران . فمضى بويه الى رجل يقول عن نفسه انه منجم ومعزّم ومعبّر المنامات ويكتب الرقى والطلسمات وقصّ عليه منامه.فقال المنجم:

١ – ساعته ر الساجية .

هذا منام عظيم لا افسره الآ بخلعة وفرس . فقال بويه: والله ما املك الآ الثياب التي على جسدي فان اخذتها بقيتُ عرياناً . قال المنجم: فعشرة دنانير . قال: والله ما املك دينارين فكيف عشرة . فأعطاه شيئاً . فقال المنجم: اعلم انه يكون لك ثلثة اولاد يملكون الارض ويعلو ذكرهم في الآفاق ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشُّعَب. فقال ابو شجاع بويه: اما تستحي تسخر منا انا رجل فقير واولادي هؤلاء مساكين كيف يصيرون ملوكاً . قال المنجم : اذكروا لي هذا اذا قصدتكم وانتم ملوك. فاغتاظ منه بويه وقال لاولاده: اصفعوا هذا الحكيم فقد افرط في السخرية بنا . فصفعوه واخرجوه . ثم خرج اولاد بويه من الديلم وصاروا الى مرداويج[1] بطبرستان فقبلهم احسن قبول وخلع عليهم وقلّد عماد الدولة عليّ بن بويه كرج. فاستمال اهلها بالصلات والهبات فأحبوه وملّكوه وقوي جنابه واستولى على اصفهان وعظم في عيون الناس وملك ارّجان ايضاً. وانفذ اخاه ركن الدولة الحسن الى كازرون وغيرها من اعمال فارس. فاستخرج منها اموالاً جليلة وعاد الى اخيه غانماً سالماً . وفي سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة استولى عماد الدولة عليّ بن بويه على شيراز وملكها . وفي هذه السنة خُلع القاهر في جمادى الاولى وذلك ان ابن مقلة كان مستتراً والقاهر يتطلبه وكان يراسل قوّاد الساجيّة والحجرية ويخوّفهم من شر القاهر ويذكر لهم غدره ونكثه مرة بعد اخرى كقتل مؤنس وبليق وابنه بعد الايمان لهم الى غير ذلك . وكان ابن مقلة يجتمع بسيما زعيم الساجية تارة في زيّ اعمى وتارة في زيّ مكدٍّ وتارة في زيّ امرأة ويغريه بالقاهر . ثم ان ابن مقلة اعطى منجماً كان لسيما مائتي دينار[2] . وكان يذكر ان طالعه يقتضي ان ينكبه القاهر . واعطى ايضاً شيئاً لمعبّر كان لسيما يعبّر له المنامات وكان يحذره من القاهر . فازداد نفوراً . فاتفق مع اصحابه ومع الحجرية على خلع القاهر . وبلغ ذلك الوزير فأرسل الحاجبَ سلاماً وعيسى الطبيب ليعلماه بذلك فوجداه نائماً قد شرب اكثر ليلته فلم يقدرا على اعلامه بذلك.فزحف الحجرية والساجيّة الى الدار . ولما سمع القاهر الاصوات والغلبة استيقظ وهو مخمور وطلب باباً يهرب منه فقيل له: ان الابواب جميعها مشحونة بالرجال . فهرب الى سطح حمام . فأخذوه من هناك وحبسوه وكانت خلافته عاماً واحداً وسبعة اشهر . ثم عاش خاملاً الى ان مات سنة ثمان وثلثين وثلثمائة .

* * *

١ – مرداويج ر مرداونج .
٢ – مائتي ر مائة .

عيسى الطبيب المذكور ههنا هو ابن يوسف المعروف بابن العطّار كان متطبب القاهر وثقته ومشيره وسفيره بينه وبين وزرائه وتقدم في وقته تقدّماً كثيراً . وشاركه سنان ابن ثابت بن قرّة في الطبّ وكان خصيصاً بالقاهر وكان عيسى اشدّ تقدّماً منه. ولكثرة اغتباط القاهر بسنان اراده على الاسلام فامتنع امتناعاً شديداً كثيراً . فتهدّده القاهر فخافه لشدة سطوته فأسلم واقام مدّة . ثم رأى من القاهر انه اذا أمره بشيء أخافه فانهزم الى خراسان وعاد توفي ببغداد في سنة احدى وثلثين وثلثمائة . ومن ظريف ما جرى لسنان في امتحان الاطبّاء [1] عند تقدّم الخليفة اليه بذلك انه أُحضر اليه رجل مليح البشرة والهيئة ذو هيبة ووقار فأكرمه سنان على موجب منظره ورفعته . ثم التفت اليه سنان فقال : قد اشتهيت ان اسمع من الشيخ شيئاً احفظه عنه وان يذكر شيخه في الصناعة . فأخرج الشيخ من كمه قرطاساً فيه دنانير صالحة ووضعها بين يدي سنان وقال : والله ما أُحسن اكتب ولا اقرأ شيئاً جملةً ولي عيال ومعاشي دار دائره واسألك ان لا تقطعه عنّي . فضحك سنان وقال : على شريطة انك لا تهجم على مريض بما لا تعلم ولا تُشير بفصد ولا بدواء مسهل الاّ بما قرب من الامراض. قال الشيخ : هذا مذهبي مذ كنت ما تعديت السكنجبين والجلاّب . وانصرف. ولما كان من الغد حضر اليه غلام شابّ حسن البزّة مليح الوجه ذكيّ. فنظر اليه سنان فقال له : على مَن قرأت . قال : على ابي . قال : ومن يكون ابوك . قال : الشيخ الذي كان عندك بالامس . قال : نعم الشيخ. وانت على مذهبه . قال : نعم . قال : لا تتجاوزه وانصرف مصاحباً . ولسنان تصانيف جيّدة وكان قويّاً في علم الهيئة وله في ذلك اشياء ظاهرة تغني عن الاطالة بذكرها.

(الراضي بن المقتدر) لما قبضوا القاهر سألوا عن المكان الذي فيه ابو العباس احمد بن المقتدر فدلّوهم عليه فقصدوه وفتحوا عليه ودخلوا فسلّموا بالخلافة وأخرجوه وأجلسوه على السرير ولقبوه الراضي بالله يوم الاربعاء لستّ خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وبايعه القواد والناس . وارادوا عليّ بن عيسى على الوزارة فقال الراضي : ان الوقت لا يحتمل أخلاق عليّ وابن مقلة أليق بالوقت . فأحضره واستوزره. فلما استُوزر احسن الى كل من اساء اليه واحسن سيرته . وفي سنة ثلث وعشرين وثلثمائة عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون دور القوّاد والعامة

١ – كان سبب هذا الامتحان ان غلطاً جرى على رجُل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل فأمر الخليفة بمنع سائر المتطببين من التصرف الا من امتحنه سنان بن ثابت فصاروا اليه وامتحنهم واطلق الى كل واحد منهم ما يصلح ان يتصرف فيه . وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيف وستين رجلاً سوى من استغنى عن محنته باشتهاره في التقدم في صناعته وسوى من كان في خدمة السلطان .

وان وجدوا نبيذاً أراقوه وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء فارهجوا بغداد . وركب صاحب الشرطة ونادى في جانبي بغداد الاّ يجتمع من الحنابلة اثنان ولا يصلي منهم إمام الا اذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الصبح والعشائين . فلم يفد فيهم. فخرج توقيع الراضي بما يقرأُ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويوبخهم على اعتقاد التشبيه وغيره . فمنه : انكم تارة تزعمون ان صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وتذكرون الكف والاصابع والرجلين والنعلين الذهب والشعر القطط والنزول الى الدنيا . فلعن الله شيطاناً زيّن لكم هذه المنكرات ما اغواه. وامير المؤمنين يقسم بالله جهداً اليّة يلزمه الوفاء بها لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم هذه ليوسعنّكم ضرباً وتشديداً وتبديداً وقتلاً وليستعملنّ السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالّكم. وفي سنة اربع وعشرين وثلثمائة ألجأت الضرورة الراضي الى ان قلد ابا بكر محمد بن رائق امارة الجيش وجعله امير الامراء وولاّه الخراج والمعاون والدواوين في جميع البلاد وأمر ان يخطب له على جميع المنابر وبطلت الوزارة من ذلك الوقت فلم يكن الوزير ينظر في شيءٍ من الامور انما كان ابن رائق وكاتبه ينظران في الامور جميعاً وكذلك كل من تولى امرة الامراء بعده وصارت الاموال تحمل الى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون . وفي سنة ست وعشرين وثلثمائة استولى معزّ الدولة ابو الحسن احمد بن بويه على الاهواز . وفيها كتب ابو علي بن مقلة الى الراضي يشير عليه بالقبض على ابن رائق واصحابه ويضمن انه يستخرج منهم ثلاثة آلاف الف الف دينار [1] واشار عليه باقامة بجكم [2] مقام ابن رائق وطلب ابن مقلة من الراضي ان ينتقل ويقيم عنده بدار الخليفة فأذن له في ذلك . فلما حصل بدار الخليفة اعتقله في حجرة وعرض على ابن رائق خط ابن مقلة . فشكر الراضي . وما زال ابن رائق يلح في طلب ابن مقلة حتى أُخرج من محبسه وقطعت يده . ثم عولج فبرأ فعاد يكاتب الراضي ويخطب الوزارة ويذكر ان قطع يده لم يمنعه عن عمله وكان يشد القلم على يده المقطوعة ويكتب ويهدّد ابن رائق. فأمر الراضي بقطع لسانه. ثم نُقل الى محبس ضيّق ولم يكن عنده من يخدمه فآل به الحال الى انه كان يستقي الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفمه . ولحقه شقاء شديد الى ان مات . وفيها دخل بجكم بغداد ولقي الراضي وقلده امرة الامراء مكان ابن رائق . وفي سنة تسع وعشرين وثلثمائة مات الراضي بالله بالاستسقاء في

١ – ويروى: ثلاثة آلاف الف دينار .

٢ – ويروى: يحكم . ويروى: نحكم

منتصف ربيع الاول وكانت خلافته ستّ سنين وعشرة اشهر وكان اديباً شاعراً سمحاً سخياً يحبّ محادثة الادباء والفضلاء والجلوس معهم[١] .

وكان ببغداد في خلافة الراضي بعد سنة عشرين وثلثمائة وقبل سنة ثلثين متّى ابن يونس المنطقيّ النصرانيّ عالم بالمنطق شارح له مكثر وطيّ الكلام قصده التعليم والتفهيم وهو من اهل دير قنى ممّن نشأ في اسكول[٢] مار ماري قرأ على روفيل وبنيامين الراهبَين اليعقوبيّين. ومتّى نسطوريُّ النحلة ذكره محمد بن اسحق النديم في كتابه وقال: اليه انتهت رئاسة المنطقيّين في عصره ومصره.

(المتّقي بن المقتدر) لما مات الراضي كان بجكم بالكوفة[٣] فورد كتابه مع الكوفيّ كاتبه يأمر فيه ان يجتمع مع ابي القاسم سليمان وزير الراضي العلويّون والقضاة والعباسيّون ووجوه البلد ويشاورهم الكوفي فيمن ينصب للخلافة. فاتفقوا كلهم على ابراهيم ابن المقتدر وبايعوه ولقبوه المتقي لله وسيّر الخلع واللواء الى بجكم الى واسط وأقر سليمان على وزارته وليس له منها الا اسمها وانما التدبير كله الى الكوفي كاتب بجكم. وفي هذه السنة وهي سنة تسع وعشرين وثلثمائة قُتل بجكم قتله الاكراد وهو يتصيد في نهر جور. ولما قتل بجكم دخل ابو عبد الله البريدي بغداد فنزل بالشفيعي ولقيه الوزير والقضاة والكتّاب واعيان الناس فأنفذ اليه المتقي يهنئه بسلامته وأنفذ له طعاماً عدة ليالٍ ثم انفذ البريديّ الى المتقي يطلب خمسمائة الف دينار ليفرقها في الجند. فامتنع عليه. فأرسل اليه يتهدده ويذكّره ما جرى على المعتزّ والمستعين والمهتدي. فأنفذ اليه تمام خمسمائة الف دينار ولم يلقَ البريديّ المتقي مدة مقامه ببغداد. فلما حصل المال في يد البريدي لم يؤثر الجندَ من المال بطائل فشغبوا عليه وحاربوه فهرب منهم هو واخوه وابنه واصحابه وانحدروا في الماء الى واسط واستولى كورتكين الديلمي على الامور ببغداد ودخل الى

١ – وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وشهوراً . قال ابن الاثير في الكامل: «وختم الخلفاء في امور عدة فمنها انه آخر خليفة له شعر يدون وآخر خليفة خطب كثيراً وان كان غيره قد خطب نادراً لا اعتبار به. وكان آخر خليفة جالس الجلساء ووصل اليه الندماء . وآخر خليفة كانت له نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه وأموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين . ومن شعره يرثي اباه المقتدر :

ولو ان حياً كان قبراً لميت لصيرت احشائي لأعظمه قبرا
ولو ان عمري كان طوع مشيئتي وساعدني التقدير قاسمته العمرا
بنفسي ثرًى ضاجعتَ في تربة البلا لقد ضم منك الغيث والليث والبرا

٢ – هي كلمة يونانية σχολή ومعناها مدرسة .

٣ – ويروى انه كان بواسط .

المتقي فقلده امارة الامراء وخلع عليه . وبعد قليل عاد محمد بن رائق من الشام الى بغداد وصار امير الامراء . وفي سنة ثلثين وثلثمائة قتل ابن رائق وقلد ناصر الدولة ابن حمدان أمرة الامراء وخلع على اخيه ابي الحسن عليّ ولقبه سيف الدولة . وبعد قليل ثار الاتراك بسيف الدولة فكبسوه ليلاً فهرب من معسكره فلما بلغ الخبر اخاه ناصر الدولة سار الى الموصل وكانت امارته ثلثة عشر شهراً وتولى توزون [١] امارة الامراء . وفي سنة احدى وثلثين وثلثمائة توفي السعيد نصر بن حمدان [٢] بن اسمعيل صاحب خراسان وما وراء النهر وكان حليماً كريماً عاقلاً . وحكي عنه انه طال مرضه فبقي به ثلثة عشر شهراً فبنى له في قصره بيتاً وسماه بيت العبادة فكان يلبس ثياباً نظافاً ويمشي اليه حافياً ويصلّي فيه ويدعو ويتضرع ويتجنّب المنكرات والآثام الى ان مات . وتولى بعده خراسان وما وراء النهر ابنه نوح ولقبُ الامير الحميد . وفيها خلع المتقي على توزون الامير التركي وجعله امير الامراء . وفيها ارسل ملك الروم الى المتقي يطلب منه منديلاً مسح بها المسيح وجهه فصارت صورة وجهه فيها وانها في بيعة الرها وذكر انه ان ارسلها اليه اطلق عدداً كثيراً من اسارى المسلمين . فاستفتى المتقي القضاة والفقهاء فأنكر بعضهم تسليمها واجاب بعضهم قائلاً: ان خلاص المسلمين من الاسر والضر والضنك الذي هم فيه اوجب . فأمر المتقي بتسليم المنديل الى الرسل وأرسل معهم من يتسلم الاسارى . وفي سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة ظهر ببغداد لصّ [٣] فأعجز الناس فأمّنه ابن شيرزاد وهو من اكابر قواد توزون وخلع عليه وشرط عليه ان يوصل اليه كل شهر خمسة عشر الف دينار مما يسرقه هو واصحابه وكان يستوفيها منه بالرواتب وهذا ما لم يسمع بمثله من شرّه. وفيها ازداد خوف المتقي من توزون امير الامراء وكان توزون بواسط فأنفذ المتقي يطلب من ناصر الدولة ابن حمدان انفاذ جيش ليصحبوه الى الموصل فأنفذهم مع ابن عمه . فخرج المتقي اليهم في حرمه واهله ووزيره وساروا الى الموصل وأقام المتقي بها عند ابن حمدان ثم سار منها الى الرقة وأنفذ رسلاً الى توزون في الصلح . فحلف توزون للخليفة والوزير وانحدر المتقي من الرقة في الفرات فلما وصل الى هيت اقام بها وأنفذ من يجدد اليمين على توزون. فعاد وحلف وسار عن بغداد ليلتقي المتقي فالتقاه بالسِندية ونزل وقبّل الارض وقال: ها انا قد وفيت بيميني والطاعة لك . ثم وكل به وبالوزير وبالجماعة وانزلهم في

---

١ – ويروى: تورون .
٢ – حمدان ر في احدى نسختي اكسفرد ابن احمد . ويروى كذلك في الكامل: ابن احمد .
٣ – ويعرف بابن حمدي .

مضرب نفسه مع حرم المتقي ثم كحله فأذهب عينيه وعمي المتقي . وانحدر توزون من الغد الى بغداد والجماعة في قبضته . فكانت خلافة المتقي ثلث سنين وستة اشهر .

(المستكفي بن المكتفي) لما قبض توزون على المتقي احضر المستكفي بالله وهو ابو القاسم عبد الله بن المكتفي اليه الى السنديّة وبايعه هو وعامّة الناس في سنة ثلث وثلثين وثلثمائة . وكان سبب البيعة له ما حكاه بعض خواص توزون قال : انني دعاني صديق لي فمضيت اليه فذكر لي انه تزوج الى قوم وان امرأة منهم قالت له ان هذا المتقي قد عاداكم وعاديتموه وكاشفكم ولا يصفو قلبه لكم وههنا رجل من اولاد الخلافة وذكرت عقله ودينه تنصبونه للخلافة فيكون صنيعكم وغرسكم ويدلكم على اموال جليلة لا يعرفها غيره وتستريحون من الخوف والحراسة . فقلت له : اريد ان اسمع كلام المرأة . فجاءني بها ورأيت امرأة عاقلة جزلة . فذكرت لي نحواً من ذلك واحضرت الرجل ايضاً عندي في زي امرأة فعرّفني نفسه وضمن اظهار ثمانمائة الف دينار وخاطبني خطاب رجل لبيب فهم . فأتيت توزون فأخبرته فوقع الكلام في قلبه وجرى ما جرى . وصارت تلك المرأة قهرمانة المستكفي وسمت نفسها علم وغلبت على أمره كله . وفيها سار سيف الدولة الى حلب فملكها وكان مع المتقي بالرقة فلما عاد المتقي الى بغداد قصد سيف الدولة حلب واستولى عليها ثم سار منها الى حمص فلقيه بها عسكر الإخشيد محمد بن طُغْج صاحب مصر والشام مع مولاه كافور فاقتتلوا فانهزم عسكر الاخشيد وكافور وملك سيف الدولة مدينة حمص . وسار الى دمشق فحاصرها فلم يفتحها اهلها له فرجع عنها . وفي سنة اربع وثلثين وثلثمائة في المحرّم مات توزون في داره ببغداد . فاجتمع الاجناد وعقدوا الرئاسة عليهم لزيرك بن شيرزاد وحلفوا له وحلف له المستكفي ودخل اليه ابن شيرزاد وعاد مكرّماً يخاطب بأمير الامراء. وبعد مدّة يسيرة قدم معزّ الدولة بن بويه الى بغداد واختفى المستكفي وابن شيرزاد . فلما استتر سار الاتراك الذين في خدمته الى الموصل . فلما بعدوا ظهر المستكفي وعاد الى دار الخلافة واظهر السرور بقدوم معز الدولة ودخل اليه معزّ الدولة بن بويه وبايعه وحلف له المستكفي . وظهر ابن شيرزاد ايضاً ولقي معزّ الدولة فولاه أمر الخراج وجباية الاموال . وكانت امارة ابن شيرزاد ثلثة اشهر وعشرين يوماً. وخلع المستكفي على معزّ الدولة ولقّبه ذلك اليوم معزّ الدولة ولقب اخاه علياً عماد الدولة ولُقب اخاه الحسن ركن الدولة وأمر ان يضرب القابهم وكناهم على الدراهم والدنانير. وفي هذه السنة بلغ معزّ الدولة ان علم قهرمانة المستكفي عازمة على ازالته فحضر معزّ الدولة والناس عند الخليفة في اثنين وعشرين من جمادى الآخرة ثم حضر رجلان من

نقباء الديلم فتناولا يد المستكفي فظن انهما يريدان تقبيلها فمدها اليهما فجذباه عن سريره وجعلا عمامته في حلقه وساقاه ماشياً الى دار معزّ الدولة فاعتقل بهـا . وأخذت علم القهرمانة فقُطع لسانها. وكانت مدة خلافة المستكفي سنة واحدة واربعة اشهر وما زال مغلوباً على أمره مع توزون وابن شيرزاد.ولما بويع المطيع سُلِّم اليه المستكفي فسمله وأعماه وبقي محبوساً الى ان مات[1] .

* * *

وكان في هذا الزمان من الاطباء المشهورين هلال بن ابراهيم ابن زهرون[2] الصابئ الحرّاني الطبيب نزيل بغداد وكان حاذقاً عاقلاً صالح العلاج متفنناً تقدّم عند اجلاّء بغداد وخالطهم بصناعته وخدم امير الامراء توزون . وحكى عنه ولده ابراهيم قال : رأيت والدي في يوم من ايام خدمته لتوزون وقد خلع عليه وحمله على بغل حسن بمركب ثقيل ووصله بخمسة آلاف درهم وهو مع ذلك مشغول القلب متقسم الفكر . فقلت له : ما لي أراك يا سيدي مهموماً ويجب ان تكون في مثل هذا اليوم مسروراً . فقال : يا ابني هذا الرجل يعني توزون جاهل يضع الاشياء في غير موضعها ولست افرح بما يأتيني منه من جميلة عن غير معرفة . أتدري ما سبب هذه الخلعة . قلت : لا . قال : سقيته دواء مسهلا فحاف عليه فأسحجه فقام عدة مرار مجالس دماً عبيطاً حتى تداركته بما ازال ذلك عنه وكفي المحذور فيه فاعتقده بجهله ان في خروج ذلك الدم صلاحاً له فأنعم عليّ بما تراه ولست آمن ان يستشعر في السوء من غير استحقاق فتلحقني منه الأذية .

(المطيع بن المقتدر) هو ابو القاسم الفضل بن المقتدر . بويع له يوم الخميس ثاني عشر[3] جمادى الآخرة سنة اربع وثلثين وثلثمائة وازداد أمر الخلافة ادباراً ولم يبقَ للخليفة وزير انما كان له كاتب يدبـّر اقطاعه واخراجاته[4] وبالجملة لم يبقَ بيد المطيع الاّ ما اقطعه معزّ الدولة مما يقوم ببعض حاجاته . وفي هذه السنة في ذي الحجة مات الاخشيد صاحب ديار مصر بدمشق وولي الامر بعده ابنه ابو جور واستولى على الامر كافور الخادم الاسود . فسار كافور الى مصر . فقصد سيف الدولة دمشق فملكها . ثم جاء كافور من مصر فأخرج اهلُ دمشق سيف الدولة عنهم. وفي سنة سبع وثلثين سار سيف الدولة بن حمدان الى بلد الروم فلقيه الروم واقتتلوا فانهزم سيف الدولة واخذ

---

١ – كانت وفاته في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة .
٢ – زهرون ر هارون .
٣ – ثاني عشر ر ثاني عشرين .
٤ – اخراجاته ر خراجاته.

الروم مرعش واوقعوا بأهل طرسوس . وفي سنة ثماني وثلثين وثلثمائة توالت على عماد الدولة عليّ بن بويه الاسقام بمدينة شيراز فلما احس بالموت ولم يكن له ولد أنفذ الى اخيه ركن الدولة يطلب منه ان ينفذ اليه ابنه عضد الدولة فناخسروا ليجعله وليّ عهده. فوصل اليه فأجلسه في داره على السرير ووقف هو بين يديه وأمر الناس بالانقياد له وكان يوماً عظيماً مشهوداً . وفي سنة تسع وثلثين وثلثمائة دخل سيف الدولة بن حمدان الى بلاد الروم فغزا وأوغل فيها وسبى وغنم . فلما أراد الخروج اخذوا عليه المضايق فهلك مَن كان معه من المسلمين اسراً وقتلاً واستردّ الروم الغنائم والسبي وغنموا اثقال المسلمين واموالهم ونجا سيف الدولة في عدد يسير . وفي سنة ثلث واربعين وثلثمائة مات الامير نوح بن نصر الساماني في ربيع الآخر وملك خراسان بعده ابنه عبد الملك . وفيها غزا سيف الدولة ابن حمدان بلاد الروم وقتل ابن نيقيفور الدمستق فعظم الامر عليه . فجمع عساكر كثيرة من الروم والروس والبلغار وقصد الثغور فسار اليه سيف الدولة فالتقوا واشتدّ القتال بينهم وصبر الفريقان . ثم انتصر المسلمون وانهزم الروم واستؤسر صهر الدمستق وابن ابنته . وفي سنة تسع واربعين وثلثمائة غزا ايضاً سيف الدولة بلاد الروم وسبى وغنم وأسر وبلغ الى خَرْشنَة. ثم ان الروم اخذوا عليه المضايق فلما اراد الرجوع قال له من معه من اهل طرسوس: الرأي ان لا تعود في الدرب الذي دخلت منه ولكن ترجع معنا في مسالك نعرفها . فلم يقبل منهم وكان معجباً برأيه يحبّ ان يستبدّ ولا يشاور احداً لئلاّ يقال انه اصاب برأي غيره وعاد في الدرب الذي دخل منه . فظهر الروم عليه واستردوا ما معه من الغنائم ووضعوا السيف في اصحابه فأتوا عليهم قتلاً واسراً وتخلّص هو في ثلثمائة رجل بعد جهد ومشقة . وفي سنة خمسين وثلثمائة سقط الفرس تحت عبد الملك بن نوح صاحب خراسان فمات من سقطته . وولي بعده اخوه منصور ابن نوح . وفي سنة احدى وخمسين وثلثمائة في المحرّم نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وفتحوها بالامان فدخلها ونادى في البلد اوّل الليل بان يخرج جميع اهلها الى المسجد ومن تأخر في منزله قُتل. فخرج من امكنه الخروج . فلما اصبح انفذ رجاله وكانوا ستين الفاً فقتلوا خلقاً كثيراً من الرجال والنساء والصبيان ممن وجدوه خارج المسجد . وأمر من في المسجد بان يخرجوا من البلد حيث شاؤوا يومهم ذلك ومن أمسى قُتل. فخرجوا مزدحمين فمات بالزحمة جماعة ومرّوا على وجوههم لا يدرون اين يتوجهون فماتوا في الطرقات وقَتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر النهار . فلما ادرك [1] الصوم انصرف

١ - ادرك ر ادركهم .

الروم الى القيسارية على ان يعودوا بعد العيد . وفيها استولى الروم على مدينة حلب وعادوا عنها بغير سبب . وفيهـــا ملّك الروم عليهم نيقيفور الدمستق وجعلوا شخصاً يسمّى شوموشقيق دمستقاً له [1] . وفي سنة اربع وخمسين وثلثمائة فتح الروم مصّيصة وطرسوس. وفي سنة ست وخمسين وثلثمائة مات معز الدولة بن بويه ببغداد وجلس ابنه بختيار في الامارة ولُقب عزّ [2] الدولة . وكانت احدى يدي عز الدولة [3] مقطوعة قطعت في بعض الحروب . وفيها قبض ابو تغلب على ابيه ناصر الدولة بن حمدان وحبسه في القلعة لانه كان قد كبر فساءت أخلاقه وضيّق على اولاده وخالفهم في اغراضهم للمصلحة فضجروا منه . وفي سنة سبع وخمسين وثلثمائة ملك الروم مدينة انطاكية . وفي سنة احدى وستين وثلثمائة سار المعزّ لدين الله العلوي صاحب بلاد المغرب من افريقية يريد الديار المصرية فأقام قريباً من مدينة قيروان ولحقه رجاله وعماله [4] واهل بيته وجميع ما كان له في قصره من الاموال والامتعة حتى ان الدنانير سبكت وجعلت كهيئة الطواحين وحمل كل طاحونتين على جمل ثم سار حتى وصل الى الاسكندرية . وأتاه أهل مصر وأعيانها فلقيهم وأكرمهم واحسن اليهم وسار فدخل القاهرة خامس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة وملك الديار المصرية بلا ضرب ولا طعن . وفي سنة اثنتين وستين وثلثمائة سار الدمستق الى آمد وبها هزارمرد غلام ابي الهيجاء بن حمـــدان . فكتب الى ابي تغلب يستصرخه ويستنجده. فسيّر اليه اخاه هبة الله بن ناصر الدولة فاجتمعا على حرب الدمستق وسارا اليه فالتقياه سلخ رمضان وكان الدمستق في كثرة ولقياه في مضيق لا تجول فيه الخيل . والروم على غير أُهبة الحرب فانهزموا . واخذ المسلمون الدمستق اسيراً ولم يزل محبوساً الى ان مرض سنة ثلث وستين وثلثمائة فبالغ ابو تغلب في علاجه وجمع الاطباء فلم ينفعه ذلك ومات . وفي سنة ثلث وستين في منتصف ذي القعدة خلع المطيع نفسه من الخلافة وسلمها الى ولده الطائع لله فكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة اشهر .

* * *

١ – شوموشقيق او شمشقيق Zimiscès لقب ليوحنا الاول ملك الروم وهي كلمة ارمنية ومعناها قصير القامة . اما دمستق فهي كلمة لاتينية domesticus وهو لقب قائد جيش الروم . ويوحنا هـذا قتل نيقيفور واستبد بالملك بعده وكان مظفراً في الحروب . وهو اول من ضرب السكك بهذا الرسم: يسوع المسيح ملك الملوك .

٢ – عزّ ر في احدى نسختي اكسفرد « معزّ » .

٣ – كذا في الاصل والصواب معز الدولة . اطلب الصفحة ١٧٠ السطر ١٢ .

٤ – عماله ر اعماله .

وفي سنة تسع وثلثين وثلثمائة توفي محمد بن محمد بن طَرْخان ابو نصر الفارابي بمدينة دمشق . وفاراب هي احدى مدن الترك فيما وراء النهر . ودخل ابو نصر العراق واستوطن بغداد وقرأ بها العلم الحكميّ على يوحنا بن حيلان[1] المتوفي في ايام المقتدر واستفاد منه وبرز في ذلك على اقرانه واربى عليهم في التحقيق . أظهر الغوامض المنطقيّة وكشف سرها وقرّب متناولها وجمع ما يحتاج اليه منها في كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة منبّهة على ما اغفله الكندي وغيره من صناعة التحليل وانحاء التعاليم فجاءت كتبه المنطقية والطبيعية والالهية والسياسية الغاية الكافية والنهاية الفاضلة . وكان ابو نصر الفارابي معاصراً لأبي بشر متى بن يونس الاّ انه كان دونه في السنّ وفوقه في العلم . وقدم ابو نصر الفارابيّ على سيف الدولة ابي الحسن عليّ بن ابي الهيجاء بن حمدان الى حلب وأقام في كنفه مدة بزيّ اهل التصوّف وقدّمه سيف الدولة وأكرمه وعرف موضعه من العلم ومنزلته من الفهم ورحل في صحبته الى دمشق فأدركه اجله بها .

وكان في ايام المطيع لله وفي امارة الاقطع معزّ الدولة احمد بن بويه ثابت بن سنان ابن ثابت بن قرة وكان بارعاً في الطب عالماً باصوله فكاكاً للمشكلات من الكتب . وكان يتولّى تدبير البيمارستان ببغداد في وقته . وعمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الآفاق الذي ما كتب كتاب في التاريخ اكثر مما كتبه وهو من سنة نيّف وتسعين ومائتين الى حين وفاته في شهور سنة ثلث وستين وثلثمائة . وعليه ذيل ابن اخته هلال ولولاهما لجهل شيءٌ كثير من التاريخ في المدّتين . وفي هذا الزمان اشتهر يحيى بن عدي بن حميد ابن زكريا التكريتي المنطقي نزيل بغداد . اليه انتهت رئاسة اهل المنطق في زمانه . قرأ على ابي نصر الفارابي . وكان نصرانياً يعقوبيّ النحلة وكان ملازماً للنسخ بيده كتب كثيراً من الكتب وكان يكتب خطاً قاعداً بيّناً في اليوم والليلة مائة ورقة واكثر . وله تصانيف وتفاسير ونُقول عدّة . ومات ثالث عشر آب سنة الف ومائتين وخمس وثمانين للاسكندر ودُفن في بيعة القطيعة ببغداد وكان عمره احدى وثمانين سنة شمسيّة[2] .

(الطائع بن المطيع) واسمه ابو الفضل عبد الكريم وسبب خلافته ان اباه المطيع لحقه فالج ثقل لسانه منه وتعذّرت الحركة عليه وهو يستر ذلك . فانكشف حاله لسبكتكين فدعاه الى ان يخلع نفسه ويسلّم الخلافة الى ولده الطائع لله ففعل ذلك في سنة ثلث وستين وثلثمائة . وفيها خُطب للمعزّ لدين الله العلويّ صاحب مصر بمكة والمدينة في

١ — حيلان ر جيلاد و جيلاد .
٢ — ر سنة بدون «شمسية» .

الموسم . وفيها وصل عضد الدولة واستولى على العراق وقبض على بختيار ثم عاد فأخرجه وعاد بختيار الى مكة كما كان امير الامراء . وفي سنة خمس وستين وثلثمائة مات المعزّ العلويّ بمصر وهو اوّل الخلفاء العلويّين ملك مصر واستخلف عليها ابنه العزيز . وفي سنة ست وستين وثلثمائة في المحرَّم توفّي ركن الدولة ابو عليّ الحسن بن بويه واستخلف على ممالكه ابنه عضد الدولة . وفيها مات منصور بن نوح صاحب خراسان ببخارا [١] وولي الامر بعده ابنه نوح [٢] . وفي سنة سبع وستين سار عضد الدولة الى بغداد وارسل الى بَخْتِيار يدعوه الى طاعته وان يسير عن العراق الى ايّ جهة اراد الاّ الموصل. فخرج بختيار عن بغداد عازماً على قصد الشام . ودخل عضد الدولة بغداد وخُطب له فيها بخلاف العادة وضرب على بابه ثلث نُوَب ولم تجرِ بذلك عادة من تقدَّمه . واما بختيار لما سار عن بغداد الى الحديثة اتاه ابو تغلب في عشرين الف مقاتل وسارا جميعاً نحو العراق . فبلغ ذلك عضد الدولة فسار عن بغداد نحوهما . فالتقوا بنواحي تكريت فهزمهما وأسر بختيار وقتله . وسار نحو الموصل واستولى على ملك بني حمدان . وسار ابو تغلب ابن ناصر الدولة بن حمدان الى الشام فوصل الى دمشق وقُتل بها. وفي سنة تسع وستين وثلثمائة راسل عضد الدولة اخويه فخر الدولة ومؤيّد الدولة يدعوهما الى طاعته وموافقته . اما مؤيّد الدولة فأجاب راغباً واما فخر الدولة فأجاب جواب المناظر المناوي فنقم عليه عضد الدولة ذلك وسار نحو همذان وبها فخر الدولة فخافه ذاكراً قتل ابن عمّه بختيار فخرج هارباً وقصد جرجان فنزل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير [٣] والتجأ اليه فأمّنه وآواه وحمل اليه فوق ما حدثته به نفسه . وفي هذه السفرة حدث لعضد الدولة صرع وكان هذا قد اخذه بالموصل فكتمه وصار كثير النسيان لا يذكر الشيء الاّ بعد جهدٍ وكتم ذلك ايضاً . وهذا دأب الدنيا لا تصفو لاحد . وفيها شرع عضد الدولة في عمارة بغداد وكانت قد خربت بتوالي الفتن فيها وعمّر مساجدها واسواقها وأدرّ الاموال على الأئمَّة والعلماء والقرّاء والغرباء والضعفاء الذين يأوون الى المساجد. وجدَّد ما دثر من الانهار واعاد حفرها وتسويتها [٤] . وفيها تجددت وصلة بين الطائع لله وبين عضد الدولة فتزوَّج الطائع ابنته وكان غرض عضد الدولة ان تلد ابنته ولداً ذكراً فيجعله وليّ عهده فتكون الخلافة

---

١ – ببخارا ر وبخارا .

٢ – وكان عمره حين ولي الامر ثلاث عشرة سنة ويكنى ابا القاسم .

٣ – وشمكير ر وشكمير .

٤ – قال ابن الاثير في الكامل ما نصه : « واذن لوزيره نصر بن هرون وكان نصرانياً في عمارة البيع والديرة واطلاق الاموال لفقرائهم . »

في ولدٍ[١] لهم فيه نسب وكان الصداق مائة الف دينار. وفيها كانت فتنة عظيمة بين عامّة شيراز من المسلمين والمجوس ونهبت فيها دور المجوس وضُربوا وقُتل منهم جماعة فسيَّر اليهم عضد الدولة من جمع له كل من له في ذلك اثر وضربهم وبالغ في تأديبهم وزجرهم. وفي سنة احدى وسبعين وثلثمائة فتح البيمارستان العضديّ غربي بغداد ونقل اليه جميع ما يحتاج اليه من الادوية. وفيها ارسل عضد الدولة القاضي ابا بكر المعروف بابن الباقلاني رسولاً الى ملك الروم فلما وصل قيل له ليقبّل الارض بين يديه فامتنع. فعمل الملك باباً صغيراً ليدخل منه القاضي منحنياً. فلما رأى القاضي الباب علم ذلك فاستدبره ودخل منه. فلما دخل وجازه استقبل الملك قائماً. وفي سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة اشتدّ الصرع الذي كان يعتاده عضد الدولة فخنقه فمات منه ثامن شوّال ببغداد. وكانت ولايته بالعراق خمس سنين ونصفاً. وجلس ابنه صمصام الدولة ابو كاليجار للعزاء فأتاه الطائع لله معزّياً. وكان عمر عضد الدولة سبعاً واربعين سنة. وكان قد سيَّر ولده شرف الدولة ابا الفوارس الى كرمان مالكاً لها. وكان عضد الدولة عاقلاً فاضلاً حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة بعيد الهمّة ثاقب الرأي محباً للفضائل واهلها باذلاً في مواطن العطاء ومانعاً في اماكن الحرم ناظراً في عواقب الامور. ولما توفي عضد الدولة ولي الامر بعده ولده صمصام الدولة ابو كاليجار وخلع على اخويه ابي الحسين احمد وابي طاهر فيروزشاه فاقطعهما فارس. وكان اخوهم الآخر شرف الدولة بكرمان فسبقهما الى شيراز فملكها. وفي سنة ثلث وسبعين وثلثمائة مات مؤيد الدولة بجرجان وكانت علّته الخوانيق. وعاد فخر الدولة اخوه الى مملكته واتفق مع صمصام الدولة وصارا يداً واحدة. وفيها دخل باد[٢] الكردي الحميديّ الى الموصل واستولى عليها وقويت شوكته وحدّث نفسه بالتغلّب على بغداد وازالة الديلم عنها. فخافه صمصام الدولة وأهمّه أمره وشغله عن غيره وجمع العساكر فساروا الى باد فخرج اليهم ولقيهم في صفر سنة اربع وسبعين فاجلت[٣] الوقعة عن هزيمة باد واصحابه وملك الديلم الموصل. وفي سنة سبع وسبعين سار شرف الدولة ابو الفوارس بن عضد الدولة من الاهواز الى واسط فملكها. فخافه اخوه صمصام الدولة وسار في طيّار اليه في خواصه فلقيه وطيّب قلبه فلما خرج من عنده قبض عليه وسار فوصل الى بغداد في شهر رمضان واخوه صمصام الدولة معه تحت الاعتقال وكانت امارته بالعراق اربع سنين. وفي سنة تسع وسبعين وثلثمائة اعتلّ شرف الدولة فلما اشتدّت علّته

١ – ولدٍ لهم ر ولدهم.
٢ – باد ر بادي
٣ – فاجلت ر فانجلت.

قيل له: الدولة مع صمصام الدولة على خطر فان لم تقتله فأسمله . فسمله وحبسه مع اخيه ابي طاهر في بعض القلاع التي بفارس. وفيها في مستهلّ جمادى الآخرة مات الملك شرف الدولة ابو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة مستسقياً وكانت امارته بالعراق سنتين وثمانية اشهر وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة . وولي الامر بعده اخوه بهاء الدولة ابونصر. واما ابنه ابو عليّ فكان سيّره الى بلاد فارس واصحبه الخزائن والعُدد وجماعة كثيرة من الاتراك. ثم ان المرتّبين في القلعة التي فيها صمصام الدولة واخوه ابو طاهر لما بلغهم الخبر بموت شرف الدولة اطلقوهما ومعهما فولاذ[1] فساروا الى شيراز واجتمع على صمصام الدولة وهو اعمى كثير من الديلم واستولى على فارس وملكها . واما ابو عليّ بن شرف الدولة فأرسل اليه عمّه بهاء الدولة وطيّب قلبه ووعده فسار اليه فقبض عليه ثم قتله بعد ذلك بيسير . وفيها ملك ابو طاهر ابرهيم وابو عبدالله الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان الموصل . وفي سنة ثمانين وثلثمائة جمع باد الاكراد وسار نحو الموصل فخرج اليه ابو طاهر والحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان فناوشاه القتال. واراد بادٌ الانتقال من فَرَس الى آخر فسقط فأراده اصحابه على الركوب فلم يقدروا فتركوه وانصرفوا فعرفه بعض العرب فقتله وصلبت جثته على دار الامارة فثار العامة وقالوا: رجل غاز ولا يحلّ فعل هذا به فانزلوه وكفّنوه وصلّوا عليه ودفنوه وظهر منهم محبّة كثيرة له. ولما قُتل باد الكرديّ سار ابن اخته ابو عليّ بن مروان في طائفة من الجيش الى حصن كيفا وهو على دجلة فملكه ونزل فقصد حصناً حصناً حتى ملك ما كان لخاله . وبعد مدّة يسيرة قُتل بآمد قتله انسان يقال له ابن دمنة وقف له في الدركاه وضربه بالسكين في مقاتله. وملك ميّافارقين بعده اخوه ممهد الدولة بن مروان واستولى على آمد عبد البرّ شيخ البلد وزوّج ابن دمنة قاتل ابي عليّ ابنته . فعمل له ابن دمنة دعوة وقتله وملك آمد وعمّر البلد وأصلح أمره مع ممهد الدولة وهادى[2] ملك الروم وصاحب مصر وغيرهما من الملوك وانتشر ذكره . وفي سنة احدى وثمانين وثلثمائة قبض بهاء الدولة على الطائع بن المطيع . وحُمل الى دار بهاء الدولة فحبس بها واشهد عليه بالخلع واخذ بهاء الدولة ما في دار الخلافة من الذخائر فمشى به الحال وكانت مدة خلافة الطائع سبع عشرة سنة وثمانية اشهر ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يعرف به حال يُستدلّ به على سيرته .

وفي سنة تسع وستين وثلثمائة توفّي ثابت بن ابرهيم بن زهرون[3] الحرّاني الصابئ

١ – فولاذ ر قوّاد .
٢ – وهادى ر وهادن .
٣ – زهرون ر هارون .

ببغداد وكان طبيباً حاذقاً مصيباً . حكى عنه ابو الفرج ابن ابي الحسن بن سنان قال : كنت وابرهيم الحرّاني يوماً في دار ابي محمد المهلّبي الوزير فتقدم ابو عبد الله بن الحجاج الشاعر الى الحراني فأعطاه مجسّه. فقال له : قلت لك غلط غذاك وأظنك اسرفت وذلك حتى اكلت مضيرة بلحم عجل . فقال : كذلك والله كان . وعجب هو والجماعة منه . ومدّ اليه ابو العباس المنجم يده فأخذ مجسّه فقال : فأنت يا سيدي اسرفت في التبريد ايضاً وأظنّك قد اكلت احدى عشرة رمّانة. فقال ابو العباس المنجم : هذه نبوّة لا طبّ . وزاد العجب والتفاوض في ذلك . وكنت انا ايضاً اكثرهم استطرافاً وتعجباً . فلما خرجنا قلت له : يا سيدي ابا الحسن صناعة الطب معروفة بيننا لا يخفى عني شيءٌ منها فبيّن لي من اين ذلك النصّ على ان المضيرة كانت بلحم عجل لا بقرة ولا ثور ومن اين لك الدليل على ان عدد الرمّان احدى عشرة. فقال : هو شيءٌ يخطر ببالي فينطق به لساني . فقلت : صدقتني والله اذاً ارِني مولدك. وجئت معه الى الدار ونظرت في مولده فرأيت سهم الغيب في درجة الطالع مع درجة المشتري وسهم السعادة فقلت له : يا عزيزي هذا يتكلم لا انت وكلما تصيب في الطبّ من مثـــل هذا الحدس والقول فهذا سببه واصله .

* * *

وحُكي ان عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه بن بويه كان اذا افتخر بالعلم والمعلّمين يقول : معلمي في الكواكب الثابتة واماكنها عبد الرحمن الصوفيّ وفي حلّ الزيج الشريف ابن الاعلم وفي النحو ابو علي الفارسي . وكان عبد الرحمن بن عمر بن سهل ابو الحسين الصوفي الرازيّ فاضلاً نبيهاً نبيلاً ومن تصانيفه كتاب الصوَر السمائيّة مصوّر والارجوزة وكتاب مطارح الشعاعات . وتوفّي في سنة ست وسبعين وثلثمائة وكان عمره خمساً و ثمانين سنة . واما ابن الاعلم فاسمه عليّ بن الحسين رجل علويّ شريف عالم بعلم الهيئة وصناعة التسيير مذكور مشهور في وقته وكان قد تقدّم عند عضد الدولة. ولما توفّي عضد الدولة نقصت حاله وتأخر أمره عند صمصام الدولة ابنه فانقطع عنهم واقام منقطعاً وحجّ في شهور سنة اربع وسبعين وثلثمائة وفي عودته مات بمنزلة تُعرف بالعُسَيْلة. وكان في هذه المدة جماعة صالحة من مشاهير الحكماء منهم التميميّ المقدسيّ الطبيب كان بمصر في حدود سبعين وثلثمائة أحكم ما علمه من علم الطبّ غاية الاحكام وكان له غرام وعناية تامّة في تركيب الادوية وعنده غوص واستغراق في طلب غوامض هذا النوع وكان مُنصفاً

في مذاكراته غير رادٍّ على احد الاّ بطريق الحقيقة. ومنهم عليّ بن العبّاس المجوسيّ فاضل كامل فارسيّ الاصل قرأ على شيخ فارسيّ يُعرف بأبي ماهر وطالع هو واجتهد وصنف للملك عضد الدولة بن بويه كتابه[1] المسمّى بالملكيّ وهو كتاب جليل وكنّاش نبيل مال الناس اليه في وقته ولزموا درسه الى ان ظهر كتاب القانون لابن سينا فمالوا اليه وتركوا الملكيّ بعض الترك. والملكيّ في العمل ابلغ والقانون في العلم اثبت . ومنهم نظيف القسّ[2] الرومي كان طبيباً عالماً بالنقل من اليوناني الى العربي ولم يكن سعيد المباشرة ولا منجح المعالجة وكان الناس يتطيرون به ويولعون[3] به اذا دخل الى مريض حتى انه حكى في بعض اوقاته ان عضد الدولة انفذه الى بعض القوّاد ليعوده في مرض كان عرض له . فلما خرج من عند القائد استدعى القائد ثقته وأنفذه الى حاجب عضد الدولة يستعلم منه نيّة الملك فيه. ويقول: ان كان ثمّ تغيُّر نيّة فليأخذ له الأذن في الانصراف والبعد فقد قلق لما جرى . وسأله الحاجب عن السبب . فقال: ما اعرف اكثر من انه جاء نظيف الطبيب وقال له: مولانا الملك انفذني لعيادتك . فمضى الحاجب وأعاد بحضرة عضد الدولة هذا القول. فضحك وأمره باعلامه حسن نيّة الملك فيه وحملت اليه خلع سنيّة سكنت نفسه بها . ومنهم عبيد[4] الله بن الحسن ابو القاسم المعروف بغلام زحل المنجم مقيم ببغداد من افاضل الحسّاب والمنجمين اصحاب الحجج والبراهين وله يد طولى فيما يعانيه من هذا الشأن. ذُكر انه اجتمع يوماً عند ابي سليمان المنطقيّ جماعة من سادة علماء الاوائل واخذوا في المذاكرة فذكروا في علم النجامة وقالوا: هي من العلوم التي لا تُجدي فائدة ولا يصحّ لها حكم . فأطالوا القول في ذلك. فقال بعضهم: ايها القوم اختصروا الكلام وقربوا البغية هل تصح الاحكام . فقال غلام زحل: عن هذا جواب يستثبت على كل وجه. فقيل: لِمَ بيّنْ. قال لان صحتها وبطلانها يتعلقان بآثار الفلك وقد يقتضي شكل الفلك في زمان ان لا يصحّ منها شيء وان غيص[5] على دقائقها وبلغ الى اعماقها . وقد يزول ذلك الشكل فيجيء زمان لا يبطل منها شيء فيه وان قورب في الاستدلال . وقد يتحول هذا الشكل في وقت آخر الى ان يكثر الصواب فيها والخطأ . ومتى وقف الامر على هذا الحدّ فلا يثبت على قولٍ قضاء ولا يوثق بجواب . فقال ابو

١ – كتابه ر كُنّاشه .
٢ – القس ر النفس .
٣ – يولعون ر يعلون و يولون .
٤ – عبيد ر عبد .
٥ – غيص ر غيض .

سليمان المنطقيّ : هذا احسن ما يمكن ان يقال في هذا الباب . ومنهم مسكويه ابو عليّ الخازن[١] من كبار فضلاء العجم واجلاّء فارس له مشاركة حسنة في العلوم الادبيّة والعلوم القديمة كان خازناً للملك عضد الدولة بن بويه مأموناً لديه اثيراً عنده . وله تصانيف في العلوم ومناظرات ومحاضرات . وقال ابو عليّ بن سينا في بعض كتبه وقد ذكر مسألة فقال : وهذه المسألة حاضرت بها ابا عليّ مسكويه فاستعادها كرّات وكان عسر الفهم فتركه ولم يفهمها على الوجه . وعاش زماناً طويلاً الى ان قارب سنة عشرين واربعمائة . وحكي ان عضد الدولة لما قدم الى بغداد قيل له عن ابي الفضل جعفر بن المكتفي بالله انه من اولاد الخلفاء وانه فاضل كبير القدر عالم بعلوم متعددة من علوم الاوائل متحقق بذلك اتمّ تحقيق. فاشتاقت نفسه اليه فسيَّر اليه سراً وكان يجتمع به خفية ويأتيه في خفّ وازار فاذا حصل في داره اقعده في موضع خالٍ بغير ازار.فاذا خلا عضد الدولة استدعاه فاذا شاهده تطاول له في القيام واكرمه وخلا به وسأله عن فنّه في علم احكام النجوم واخبار الحدثان فيخبره من ذلك بما يعجب منه ولا يبعد وقوعه. وتوفّي جعفر هذا سنة سبع وسبعين وثلثمائة . ومن جملة من اختص بشرف الدولة بن عضد الدولة من الحكماء احمد بن محمد الصاغاني ابو حامد كان فاضلاً في الهندسة وعلم الهيئة وكان ببغداد يحكم الآلات الرصديّة غاية الاحكام.ولما بنى شرف الدولة بيت الرصد في طرف بستان دار المملكة وتقدّم برصد الكواكب السبعة واعتمد في ذلك على ويجن[٢] الكوهي ورصد وكتب مختصرين بصورة الرصد كان ممن شاهد ذلك وكتب خطّه بتصحيح نزول الشمس في برجين احمد بن محمد المنطقي الصاغاني. ومات احمد هذا سنة تسع وسبعين وثلثمائة ببغداد . واما ويجن بن وشم[٣] ابو سهل الكوهي فكان حسن المعرفة بالهندسة وعلم الهيئة متقدماً فيهما الى الغاية المتناهية. وكان رصده لحلول الشمس برجَي السرطان والميزان سنة الف ومائتين وتسع وتسعين للاسكندر . وكان من جملة من حضر هذين الرصدين من العلماء ابرهيم بن هلال بن ابرهيم بن زهرون[٤] الصابئ صاحب الرسائل اصل سلفه من حرّان ونشأ ببغداد وتأدّب بها وكان بليغاً في صناعتي النظم والنثر وله يد طولى في علم الرياضة وخصوصاً في الهندسة والهيئة وله فيهما مصنفات . وديوان رسائله مجموع . وخدم

١ — الخازن ر الحرث .
٢ — ويجن ر ويجي و يحي .
٣ — ويجن بن وشم ر ويحي بن وسم .
٤ — زهرون ر هارون .

ملوك العراق من بني بويه واختلفت به الايام ما بين رفع ووضع وتقديم وتأخير واعتقال واطلاق . وتوفي سنة اربع وثمانين وثلثمائة. قال ابو حيّان التوحيديّ: سألني وزير صمصام الدولة بن عضد الدولة عن زيد بن رفاعة في حدود سنة ثلث وسبعين وثلثمائة وقال: لا ازال اسمع من زيد بن رفاعة قولاً يريبني ومذهباً لا عهد لي به . وقد بلغني انك تغشاه وتجلس اليه وتكثر عنده . ومن طالت عشرته لانسان امكن اطلاعه على مستكنّ رأيه . فقلت: ايها الوزير هناك ذكاء غالب وذهن وقّاد. قال: فعلى هذا ما مذهبه. قلت: لا يُنسب الى شيء لكنه قد اقام بالبصرة زماناً طويلاً وصادف بها جماعة لاصناف العلم فصحبهم وخدمهم وكانت هذه العصابة قد تألّفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قرّبوا به الطريق الى الفوز برضوان الله وذلك انهم قالوا: ان الشريعة قد تدنّست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الاّ بالفلسفة وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال وصنفوا خمسين رسالة في خمسين نوعاً من الحكمة ومقالة حادية وخمسين جامعة لانواع المقالات على طريق الاختصار والايجاز وسمّوها رسائل اخوان الصفا وكتموا فيها اسماءَهم وبثّوها في الورّاقين ووهبوها للناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المجتمعة[1] والطرق المموهة[1] وهي مبثوثة[2] من كل فنّ بلا اشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات فتعبوا وما اغنَوا وغنّوا وما اطربوا ونسجوا فهلهلوا ومشطوا ففلفلوا وبالجملة فهي مقالات مشوّقات غير مستقصاة ولا ظاهرة الادلّة والاحتجاج. ولما كتم مصنِّفوها اسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها فكل قوم قالوا قولاً بطريق الحدس والتخمين . فقوم قالوا: هي من كلام بعض الأئمّة العلويّين. وقال آخرون: هي تصنيف بعض متكلّمي المعتزلة في العصر الاول .

(القادر بن اسحق بن المقتدر) لما قُبض الطائع ذكر بهاء الدولة من يصلح للخلافة واتفقوا على القادر بالله ابي العباس احمد بن اسحق المقتدر وكان بالبطيحة . ولما وصل الرسل اليه كان تلك الساعة يحكي مناماً رآه تلك الليلة يدلّ على خلافته. فبويع له يوم حادي عشر من شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلثمائة . وفيها مات سعد الدولة ابن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب بالقولنج وولي بعده ابنه ابو الفضائل ووصّى

١ – المجتمعة ر المجملة. المموهة ر الموهمة .
٢ – مبثوثة ر مثبوتة.

الى لؤلؤة به وبسائر اهله . وفي سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة نزل ملك الروم بارمينية وحصر خلاط وملازكرد [١] وأرجيش فضعفت نفوس الناس عنه ثم هادنه ابو عليّ الحسن ابن مروان مدة عشر سنين وعاد ملك الروم. وفي سنة ست وثمانين وثلثمائة توفّي العزيز العلوي صاحب مصر وعمره اثنتان واربعون سنة وثمانية اشهر بمدينة بلبيس [٢] وولي بعده ابنه ابو عليّ المنصور ولُقّب الحاكم بأمر الله . وكان العزيز يحبّ العفو ويستعمله فمن حلمه انه كان بمصر شاعر كثير الهجـاء فهجا يعقوب بن كلس الوزير وابا نصر كاتب الانشاء فقال :

قُلْ لابي نصر كاتب القصرِ والمتأني لنقض ذا الامرِ
انقض عُرى الملك للوزير تفزْ منه بحسن الثنا والذكرِ
وأعطِ وأمنع ولا تخفْ احداً فصاحب القصر ليس بالقصرِ
وليس يدري ماذا يُراد به وهو اذا ما درى فما يدري

فشكاه الوزير الى العزيز وأنشده الشعر . فقال له: هذا شيء اشتركنا في الهجاء به فشاركني في العفو عنه . وفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة توفّي الامير نوح بن منصور صاحب بخارا وولي الامر بعده ابنه منصور . وفيها مات سبكتكين [٣] وملك بعده اسماعيل . ثم ارسل اليه وهو بغزنة [٤] اخوه يمين الدولة محمود من نيسابور يعرّفه [٥] ان اباه انما عهد اليه لبعده عنه ويذكّره ما يتعيّن من تقديم الكبير . فلم يجبه الى ذلك . فسار اليه وقاتله وقبض عليه ثم أعلى منزلته وشركه في الملك [٦] . وفيها مات فخر الدولة ابن ركن الدولة بن بويه وقام بملكه بعده ولده مجد الدولة ابو طالب رستم وعمره اربع سنين وكان المرجع الى امّه في تدبير الملك وعن رأيها يصدرون . وفيها توفّي مأمون ابن محمد صاحب خوارزم وولي الامر بعده ولدهُ عليّ. وفي سنة احدى واربعمائة خطب قرواش بن المقلد امير بني عقيل للحاكم العلويّ صاحب مصر باعماله كلّها وهي الموصل والانبار والمدائن والكوفة وغيرها. وفي سنة ثلث واربعمائة قُتل شمس المعالي

---

١ – ملازكرد ر ملاسكرد .
٢ – وكانت خلافته احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفاً ومولده بالمهدية من افريقية .
٣ – وكانت مدة ملكه عشرين سنة ودام ملك بيته مدة طويلة جازت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم.
٤ – وهو بغزنة ر يعزّيه .
٥ – يعرفه ر وذكر .
٦ – كان يمين الدولة محمود اول من لُقّب بالسلطان ولم يُلقب به احد قبله .

قابوس بن وشمكير[١] وكان سبب قتله انه كان مع كثرة فضائله ومناقبه عظيم السياسة شديد الاخذ قليل العفو يقتل على الذنب اليسير . فضجر اصحابه منه ومضوا اليه الى الدار التي هو فيها وقد دخل الى الطهارة متخففاً فأخذوا ما عليه من كسوة وكان الزمان شتاء وكان يستغيث : اعطوني ولو جلّ فرس . فلم يفعلوا فمات من شدّة البرد . وولي بلاده ابنه منوجهر ولُقب فلك[٢] المعالي . وكان قابوس عزيز[٣] الادب وافر العلم له رسائل وشعر حسن[٤] وكان عالماً بالنجوم وغيرها من العلوم . وفيها توفّي بهاء الدولة ابن عضد الدولة بن بويه وهو الملك حينئذٍ بالعراق[٥] وولي الملك بعده ابنه سلطان الدولة ابو شجاع . وفي سنة سبع واربعمائة قُتل[٦] خوارزمشاه ابو العبّاس مأمون بن مأمون وملك يمين الدولة خوارزم . وفي سنة ثماني واربعمائة خرج الترك من الصين في عدد كثير يزيدون على ثلثمائة الف خركاه وملكوا بعض البلاد وغنموا وسبوا وبقي بينهم وبين بلاساغون[٧] ثمانية ايام . ولما سمعوا بجمع عساكر طغان خان عادوا الى بلادهم . فسار خلفهم نحو ثلثة اشهر حتى ادركهم وهم آمنون لبعد المسافة فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتي الف رجل وغنم من الدوابّ واواني الذهب والفضة ومعمول الصين ما لا عهد لأحد بمثله . وفي سنة احدى عشرة واربعمائة عظم امر ابي عليّ مشرّف الدولة ابن بهاء الدولة ثم ملك العراق وأزال عنه اخاه سلطان الدولة . وفيها فقد الحاكم بن العزيز ابن المعزّ العلويّ صاحب مصر بها ولم يُعرف له خبر . وقيل انه خرج يطوف ليلته على رسمه وعادته وأصبح عند قبر الفقاعيّ وتوجه الى شرقيّ حلوان ومعه ركابيّان فأعادهما فعادا وذكرا انهما خلّفاه عند العين وبقي الناس على رسومهم يخرجون كل يوم يلتمسون رجوعه . فلما أبطأ خرج جماعة من خواصّه فبلغوا حلوان[٨] ودخلوا في الجبل فبصروا بالحمار

١ – وشمكير ر وشكمير .

٢ – فلك ر ملك .

٣ – عزيز ر غزير . وهي الرواية الصحيحة .

٤ – ومن جيد شعره ما قاله في المصائب وصروف الدهر :

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا ... هل عاند الدهر الآ من له خطرُ
اما ترى البحر يطفو فوقه جيَفٌ ... وتستقرُّ بأقصى قعره الدرر
فان تكن نشبت ايدي الخطوب بنا ... ومسّنا من توالي صرفها ضرر
ففي السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يكسف الآ الشمس والقمر

٥ – وكان عمره اثنتين واربعين سنة وتسعة اشهر ونصفاً وملكه اربعاً وعشرين سنة .

٦ – قتله غيلة امراء دولته بعد ان نهوه عن الخطبة ليمين الدولة على منابر بلاده .

٧ – بلاساغون بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر .

٨ – حلوان ر عسفان .

الذي كان عليه وقد ضربت يداه بسيف وعليه سرجه ولجامه . فاتبعوا الاثر فانتهى بهم الى البركة فرأوا ثيابه وهي سبع قطع صوف وهي مزررة بحالها لم تحلّ وفيها اثر السكاكين فعادوا ولم يشكّوا في قتله . وكان عمره سبعاً وثلثين سنة وولايته خمساً وعشرين سنة . وكان جواداً بالمال سفّاكاً للدماء وكانت سيرته عجيبة أمرَ بسبّ الصحابة وكتب الى سائر عمّاله بذلك . ثم أمر بعد ذلك بمدّة بالكفّ عن السبّ وهدم بيعة القيامة ببيت المقدس ثم عاد بناها . وحمل اهل الذمّة على الاسلام او المسير الى مأمنهم او لبس الغيار فأسلم كثير منهم . ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقاه فيقول له : اريد العود الى ديني فيأذن له . ومنع النساء عن الخروج من بيوتهنّ وقتل من خرج منهنّ . فشكى اليه مَن لا قيّم لها يقوم بأمرها فأمر الناس ان يحملوا كلّما يباع في الاسواق الى الدروب ويبيعوه على النساء وأمر من يبيع ان يكون معه شبه المغرفة بساعد طويل يمدّه الى المرأة وهي من وراء الباب وفيه ما تشتريه فاذا رضيته وضعت الثمن في المغرفة وأخذت ما فيها لئلاّ يراها . فنال الناس من ذلك شدّة عظيمة. ولما عُدم الحاكم بويع ابنه ابو الحسن عليّ وهو صبيّ ولُقّب الظاهر لاعزاز دين الله وباشرت ستّ الملك اخت الحاكم الامور بنفسها وقامت هيبتها عند الناس واستقامت الامور . وعاشت بعد الحاكم اربع سنين وماتت. وفي سنة اربع عشرة واربعمائة استولى علاءُ الدولة ابو جعفر بن كاكويه على همذان وملكها . وفيها توفّي عليّ بن هلال المعروف بابن البوّاب الكاتب المشهور واليه انتهى الخطّ . وفي سنة خمس عشرة في شوّال توفّي الملك سلطان الدولة بشيراز [1] وملك بعده ابنه ابو كاليجار . وفي سنة ستّ عشرة واربعمائة توفّي الملك مشرّف الدولة ابو عليّ بن بهاء الدولة [2] وخُطب ببغداد لاخيه ابي طاهر جلال الدولة . وفيها ملك نصير الدولة [3] بن مروان صاحب ديار بكر مدينة الرها وكانت لرجل من بني نمير يسمّى عطيراً وفيه شرّ وجهل فكتب الرهاويّون ليسلّموا اليه البلد فسيّر اليهم نائباً كان بآمد يسمّى زنكي فتسلّمها وقتل عطيراً . وفي سنة عشرين واربعمائة اوقع يمين الدولة بالاتراك الغزيّة أصحاب ارسلان بن سلجوق وكانوا يفسدون بخراسان وينهبون فيها فأرسل اليهم جيشاً فسبوهم واجلوهم عن خراسان فسار منهم اهل ألفيّ خركاه فلحقوا باصفهان . واما طغرلبك وداود واخوهما بيغو وهم بنو ميكائيل بن سلجوق بن تقاق فانهم كانوا بما وراء النهر وطائفة من الغزّ الذين كانوا بخراسان وصلوا الى اذربيجان وساروا

١ – كان عمره اثنتين وعشرين سنة وخمسة اشهر .
٢ – وعمره ثلاث وعشرون سنة وثلاثة اشهر وملكه خمس سنين وخمسة وعشرون يوماً .
٣ – يروى في الكامل نصر الدولة .

الى مراغة فدخلوها وأحرقوا جامعها وقتلوا من عوامّها مقتلة عظيمة ومن الاكراد الهذبانية[١] ثم سار طائفة منهم الى الريّ وطائفة الى همذان فملكوها . وفيها ملك الغزّ الموصل ووثب بهم اهل الموصل . وفي سنة احدى وعشرين واربعمائة مات يمين الدولة[٢] محمود بن سبكتكين وملك ولده محمد[٣] ثم خلعه اخوه مسعود وولي مكانه . وفي سنة اثنتين وعشرين واربعمائة في ذي الحجة توفّي الامام القادر بالله وعمره ستّ وثمانون سنة وعشرة اشهر وخلافته احدى واربعون سنة . وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والاتراك فلما وليها ألقى الله هيبته في قلوب الخلق فاطاعوه احسن طاعة . وكان حليماً كريماً ديّناً وكان يخرج من داره في زيّ العامّة ويزور قبور الصالحين كقبر معروف وغيره .

* * *

وفي سنة ثماني واربعين وثلثمائة انتقل الى العراق محمد بن محمد بن يحيى بن الوفاء[٤] البوزجاني من بلد نيسابور قرأ عليه الناس واستفادوا وصنف كتباً جمّة في العلوم العدديّة والحسابيّة وله كتاب مجسطي وفسّر كتاب ديوفنطوس في الجبر والمقابلة .

وفي سنة ثماني وتسعين وثلثمائة توفّي ابو عليّ عيسى بن زرعة النصرانيّ اليعقوبيّ المنطقيّ ببغداد وهو احد المتقدمين في علم المنطق والفلسفة وأحد النقَلة المجودين وله تصانيف مذكورة ونُقول من السرياني الى العربي.

ومن الاطباء المتقدمين بالديار المصريّة منصور بن مقشر ابو الفتح المصريّ النصرانيّ وله منزلة سامية من اصحاب القصر ولا سيما في ايام العزيز منهم . واعتلّ منصور هذا في ايام العزيز في سنة خمس وثمانين وثلثمائة وتأخر عن الركوب فلما تماثل منصور ابن مقشر كتب اليه العزيز بخطه : بسم الله الرحمن الرحيم طبيبنا سلّمه الله سلام الله الطيّب وأتمّ النعمة عليه . وصلت الينا البشارة بما وهبه الله من عافية الطبيب وبرئه . والله العظيم لقد عدل عندنا ما رُزقناه نحن من الصحة في جسمنا . اقالك الله العثرة واعادك الى افضل ما عوّدك من صحة الجسم وطيبة النفس وخفض العيش بحوله وقوته . وخدم منصور هذا بعد العزيز الحاكم ابنه ايضاً . واتفق ان عرض لرجل الحاكم عقد

١ — الهذبانية ر الهرائيّة .

٢ — كان مولده سنة ستين وثلاثمائة .

٣ — كان لقبه جلال الدولة .

٤ — ويروى : ابو البقاء . والصواب ابو الوفاء .

زمِن ولم يبرأ. فكان ابن مقشّر وغيره من اطباء الخاص المشاركين له يتولّون علاجه فلا يؤثر ذلك الا شرًّا في العقد. فأحضر له جرائحيّ يهوديّ كان يرتزق بصناعة مداواة الجراح في غاية الخمول. فلما رأى العقد طرح عليه دواءً يابساً فشقّه وشفاه في ثلثة ايام. فأطلق له الحاكم الف دينار وخلع عليه ولقّبه بالحقير النافع وجعله من اطباء الخاصّ. ولما ولي الحاكم الامر بمصر وكان يميل الى الحكمة بلغه خبر ابي عليّ بن الحسين بن الهيثم المهندس البصريّ انه صاحب تصانيف في علم الهندسة عالم بهذا الشأن مُتقن له متفنّن فيه قائم بغوامضه ومعانيه. فتاقت نفسه الى رؤيته. ثم نُقل له عنه انه قال: لو كنت بمصر لعملتُ في نيلها عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص. فازداد الحاكم اليه شوقاً وسيّر اليه سراً جملة من مال فارغبه في الحضور. فسار نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقائه والتقيا بقرية على باب القاهرة المعزّيّة تعرف بالخندق وأمر بانزاله واكرامه واقام ريثما استراح وطالبه بما وعد به من أمر النيل فسار معه جماعة من الصنّاع ليستعين بهم على هندسة كانت خطرت له. ولما سار الى الاقليم بطوله ورأى آثار من تقدّم من ساكنيه من الامم الخالية وهي على غاية من احكام الصنعة وجودة الهندسة وما اشتملت عليه من اشكال سماوية ومثالات هندسية وتصوير مُعجز تحقّق ان الذي يقصده ليس بممكن فان من تقدّمه لم يعزب عنهم علم ما علمه ولو امكن لفعلوا. فانكسرت همّته ووقف خاطره. ووصل الى الموضع المعروف بالجنادل قبليّ مدينة اسوان وهو موضع مرتفع ينحدر فيه ماء النيل فعاينه وباشره واختبره من جانبَيه فوجد أمره لا يمشي على موافقة مراده وتحقق الخطأ عمّا وعد به وعاد منخجلاً منخذلاً واعتذر بما قبل الحاكم ظاهره ووافقه عليه. ثم ان الحاكم ولاّه بعض الدواوين فتولاّها رهبة لا رغبة. وتحقق الغلط في الولاية لكثرة استحالة الحاكم واراقته الدماء بغير سبب او بأضعف سبب من خيال مخيلة. فأجال ابو الحسن بن الهيثم فكرته في أمر يتخلّص به فلم يجد طريقاً الى ذلك الا إظهار الجنون والخيال فاعتمد ذلك وشاع. فأحيط على موجوده بيد الحاكم ونوّابه. وجعل برسمه من يخدمه ويقوم بمصالحه وقُيّد وتُرك في موضع من منزله. ولم يزل على ذلك الى ان مات الحاكم. وبعد ذلك بيسير أظهر العقل وعاد الى ما كان عليه وأقام متنسكاً منقبعاً [1] واشتغل بالتصنيف والنسخ والافادة وكان له خطّ قاعد في غاية الصحة. وحُكي عنه انه كان ينسخ في مدّة سنة ثلثة كتب في ضمن اشغاله وهي اقليذس والمتوسطات والمجسطي ويشكلها فاذا شرع

١ – منقبعاً ر مقبعاً.

في نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين ديناراً مصريَّة. وصار ذلك كالرسم الذي لا يحتاج الى مواكسة ولا معاودة قول فيجعلها مؤنته لسنته. ولم يزل على ذلك الى ان مات بالقاهرة بعد سنة ثلثين واربعمائة. واما تصانيفه فهي كثيرة مشهورة.

(القائم بن القادر) ولما توفي القادر بالله جُدّدت البيعة لابنه القائم بأمر الله سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وكان ابوه قد بايع له بولاية العهد سنة احدى وعشرين. وفيها اعني سنة اثنتين وعشرين ملك الروم مدينة الرها وكانت بيد نصير[١] الدولة بن مروان. وفيها سارت عساكر السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب خراسان الى كرمان فملكوها. وفي سنة خمس وعشرين واربعمائة كانت حرب شديدة بين نور الدولة دُبَيس وأخيه ابي قوام ثابت ثم اصطلحا وتحالفا. وسار البساسيري نجدة لثابت فلما سمع بصلحهم عاد الى بغداد. وهؤلاء امراء عرب من بني اسد وخفاجة. وفيها توفّي رومانوس ملك الروم وملك بعده رجل صيرفيّ ليس من بيت الملك وانما ابنة قسطنطين اختارته وتزوجته. وفي سنة سبع وعشرين واربعمائة توفّي الظاهر لاعزاز دين الله الخليفة العلويّ بمصر[٢] وكان له مصر والشام والخطبة له بافريقية. وولي بعده ابنه ابو تميم ولُقب المستنصر[٣] بالله. وفي سنة تسع وعشرين واربعمائة دخل ركن الدين ابو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق مدينة نيسابور مالكاً لها. وفي سنة ثلثين واربعمائة وصل الملك مسعود[٤] من غزنة الى بلخ واجلى السلجوقية عن خراسان. وفيها خطب شبيب بن وثاب النميريّ صاحب حرّان والرقّة للامام القائم بأمر الله وقطع خطبة المستنصر بالله العلويّ المصريّ. وفي سنة اثنتين وثلثين واربعمائة اتفق انوستكين[٥] الخصيّ البلخيّ في جماعة من الغلمان الدارية وثاروا بالملك مسعود وقبضوا عليه واقاموا اخاه محمداً وسلّموا عليه بالامارة. فأحضر أخاه الملك مسعوداً وقال له: لا قابلتك على فعلك بي. وذلك لانه كان سمله وأعماه. فانظر اين تريد ان تُقيم حتى احملك اليه ومعك اولادك وحرمك. فاختار قلعة كرى[٦] فأنفذه اليها. ثم ان احمد

١ — نصير ر نصر. وكذلك في الكامل لابن الاثير.

٢ — وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة وكانت خلافته ست عشرة سنة.

٣ — المستنصر. في احدى نسختي اكسفورد «المنتصر».

٤ — كان السلطان مسعود شجاعاً كريماً محباً للعلماء. كثير الصدقة والاحسان الى اهل الحاجة وكان ملكه عظيماً فسيحاً ملك اصبهان والري وهمذان وما يليها من البلاد وملك طبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وبلاد الراون وكرمان وسجستان والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور والهند واطاعه اهل البر والبحر.

٥ — في الكامل انوشتكين.

٦ — وفي نسخة كبرى. ويروى في الكامل كيكي. وروى ابن خلدون كيدي.

ابن محمد[١] دخل الى ابيه فطلب خاتمه ليختم به بعض الخزائن فأعطاه. فسار به غلمانه الى القلعة وأعطوا الخاتم لمستحفظيها وقالوا: معنا رسالة الى مسعود فأدخلوهم اليه فقتلوه. فلما وصل الخبر الى مودود بن مسعود وهو بخراسان عاد مُجدّاً بعساكره الى غزنة فتصافّ هو وعمّه محمد فانهزم محمد وقبض عليه وعلى ولده احمد وانوستكين الخصيّ البلخيّ فقتلهم وقتل أولاد عمّه جميعهم وقتل كل من كان له في القبض على والده صنع. وفي سنة ثلث وثلثين واربعمائة ملك السلطان طغرلبك جرجان وطبرستان. وفيها توفّي ميخائيل ملك الروم وملك بعده ابن اخيه ميخائيل ايضاً[٢]. وفي سنة خمس وثلثين توفي الملك جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ببغداد[٣] وملك ابو كاليجار ابن سلطان الدولة بن بهاء الدولة. وفي سنة تسع وثلثين وقع الصلح بين الملك كاليجار والسلطان طغرلبك. وفي سنة اربعين واربعمائة مات الملك ابو كاليجار ببغداد[٤] وملك ابنه الملك الرحيم. وفي سنة احدى واربعين ملك البساسيري الانبار ودخلها اصحابه. وفيها مات مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة[٥] وملك عمّه عبد الرشيد[٦]. وفي سنة اثنتين واربعين ملك السلطان طغرلبك اصفهان. وفي سنة ستّ واربعين استولى طغرلبك على اذربيجان. وفي سنة سبع واربعين وصل طغرلبك الى بغداد وخُطب له بها. وفي سنة خمسين واربعمائة سار طغرلبك في اثر البساسيري ودبيس ومعهما اهلهما فاوقع بهم الاتراك وقتلوا البساسيري ودخلوا في الظعن فساقوه جميعه. وكان البساسيري مملوكاً تركياً من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة وهو منسوب الى بساسير مدينته[٧]. وفي سنة احدى وخمسين اصّلح دبيس بن مزيد واحضر الى خدمة السلطان طغرلبك فأحسن اليه. وفي سنة خمس وخمسين سار السلطان طغرلبك من بغداد الى بلد الجبل فوصل الى الريّ فمرض بها وتوفي وكان عمره سبعين سنة تقريباً[٨] وكان

١ – ان احمد بن محمد ر ان ابن محمد اخيه.

٢ – هما ميخائيل الرابع والخامس.

٣ – كان مولده سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وملك ببغداد اثنتي عشرة سنة.

٤ – كان عمره اربعين سنة وشهوراً.

٥ – وكان عمره تسعاً وعشرين سنة وملكه تسع سنين وعشرة اشهر.

٦ – ولقب شمس دين الله سيف الدولة وقيل جمال الدولة.

٧ – اسمه ارسلان وكنيته ابو الحارث. وجاء في معجم البلدان ما نصه «بسا بالفتح ويعربونها فيقولون فسا مدينة بفارس. وذكر ابو العباس احمد بن علي بن بابه القاشي ان ارسلان البساسيري منسوب اليها قال: هكذا ينسب اهل فارس الى بسا بساسيري».

٨ – وكانت مملكته بحضرة الخلافة ثمان سنين.

عقيماً لم يلد ولداً . وملك بعده الب ارسلان بن داود جغرى [١] اخي السلطان طغرلبك. وفي سنة ثمان وخمسين ولدت صبية بباب الازج ولداً برأسين ورقبتين ووجهين واربع أيدٍ على بدن واحد. وفي سنة احدى وستين احترق جامع دمشق فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة . وكان سبب ذلك حرب وقعت بين المغاربة اصحاب المصريّين والمشارقة فضربوا داراً مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت النار بالجامع. وفي سنة ثلث وستين واربعمائة خرج رومانوس [٢] ملك الروم الملقب ديوجانيس وهو اسم من اسماء الحكماء في مائة الف ووافي بتجمّل [٣] كثير وزيّ عظيم فوصل الى ملازكرد من اعمال خلاط [٤] وكان السلطان الب ارسلان بمدينة خونج من اذربيجان فسار اليه في خمسة عشر الف فارس اذ لم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدوّ . فجدّ في السير فلما قرب العسكران ارسل السلطان الى رومانوس الملك يطلب منه المهادنة . فقال: لا اهادنه الاّ بالريّ . فانزعج السلطان لذلك . فلما كان يوم الجمعة بعد الزوال صلّى وبكى فبكى الناس لبكائه . وقال لهم: من أراد الانصراف فلينصرف فما ههنا سلطان يأمر وينهى. وألقى القوس والنشّاب وأخذ السيف والدبّوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنّط وقال: ان قُتلت فهذا كفني . وزحف الى الروم وزحفوا اليه واشتدّ القتال فانهزم الروم وقُتل منهم خلق وأُسر الملك اسره بعض المماليك اسمه شادي وكان قد حضر عنده مع رسول فعرفه فلما رآه نزل وسجد له وقصد به السلطان . فضربه ثلث مقارع بيده وقال له: ألم أُرسل اليك في المهادنة فأبيت . فقال: دعني من التوبيخ وافعل ما تريد . فقال السلطان: ما عزمتَ ان تفعل بي ان أسرتني . فقال: القبيح. قال له: فما تظنّ انني افعل بك . قال: امّا ان تقتلني وامّا ان تشهرني في بلادك . والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائباً عنك . قال: ما عزمت على غير هذا . ففداه بالف الف دينار وان يطلق كل أسير عنده من المسلمين . واستقرّ الامر على ذلك واجلسه معه على سريره وأنزله في خيمة وأرسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهّز بها واطلق جماعة من البطارقة وخلع عليه وعليهم وسيّر معه عسكراً يوصلوه الى مأمنه وشيّعه فرسخاً . واما الروم فلما بلغهم خبر الوقعة وثب

---

١ – ويروى: جعدى .

٢ – هو رومانوس الرابع .

٣ – بتجمل ر بخيل .

٤ – يقال خلاط واخلاط .

ميخائيل[١] على المملكة فملك البلاد . فلما وصل رومانوس الملك الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف وأظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل يعرّفه ما تقرّر مع السلطان . وجمع رومانوس ما عنده من المال وكان مائتي الف دينار فارسله الى السطان وحلف له انه لا يقدر على غير ذلك . وفي اول سنة خمس وستين واربعمائة قصد السلطان الب ارسلان محمد بن داود جغري بك ما وراء النهر فعقد على جيحون جسراً وعبر عليه في نيّف وعشرين يوماً وعسكره يزيد على مائتي الف فارس فأتاه اصحابه بمستحفظ قلعة اسمه يوسف الخوارزميّ وحُمل الى قرب سريره مع غلامين. فتقدّم ان يُضرب له اربعة اوتاد ويشدّ اطرافه اليها . فقال له يوسف : يا مخنّث مثلي يُقتل هذه القتلة. فغضب السلطان واخذ القوس والنشاب وقال للغلامين : خلّياه . فخلّياه . ورماه السلطان بسهم فأخطأه . فوثب يوسف يريده . فقام السلطان عن السرير ونزل عنه فعثر فوقع على وجهه . فبرك[٢] عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته . ونهض السلطان فدخل الى خيمة أخرى . وضرب بعض الفرّاشين يوسف بمرْزبّة على رأسه فقتله . ولما جرح السلطان الب ارسلان اوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وقام بوزارته نظام الملك[٣] .

وفي سنة سبع وستين واربعمائة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم بأمر الله . ولما ايقن بالموت احضر النقيبيَن وقاضي القضاة والوزير ابن جهير[٤] واشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه ابا القاسم عبد الله بن محمد بن القائم وليّ عهده . وكان عمر القائم ستاً وسبعين سنة وثلثة اشهر وخلافته اربعاً واربعين سنة وتسعة اشهر.

* * *

وفي هذه السنين اشتهر بعلوم الاوائل ابو الريحان[٥] محمد بن احمد البيروني مبجر في فنون الحكمة اليونانية والهندية وتخصّص بأنواع الرياضيات وصنّف فيها الكتب الجليلة ودخل الى بلاد الهند واقام بها عدّة سنين وتعلّم من حكمائها فنونهم وعلّمهم طرق اليونانيين في فلسفتهم . ومصنفاته كثيرة متقنة محكمة غاية الاحكام . وبالجملة لم يكن في نظرائه في زمانه وبعده الى هذه الغاية احذق منه بعلم الفلك ولا اعرف بدقيقه

١ – هو ميخائيل السابع .

٢ – فبرك ر فركب .

٣ – كان الب ارسلان بلغ من العمر اربعين سنة وشهوراً وكانت مدة ملكه منذ خُطب له بالسلطنة الى ان قُتل تسع سنين وستة اشهر.

٤ – ويروى : جهين .

٥ – ر الحكيم الفارسي ابو الريحان .

وجليله. وعُرف ايضاً بالعلوم الحكمية ابو عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا الشيخ الرئيس . وحكى عن نفسه قال: ان ابي كان رجلاً من اهل بلخ وانتقل منها الى بخارا في ايام نوح بن منصور واشتغل بالتصرّف بقرية خَرْمَيْثَن وتزوج أمّي من قرية يقال لها أفشنة ووُلدتُ منها بها ووُلد اخي ثم انتقلنا الى بخارا وأُحضرتُ معلّم القرآن والادب وكملت العشر من العمر وقد اتيت على القرآن وعلى كثير من الادب . حتى كان يُقضى مني العجب . واخذ والدي يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى اتعلمه منه . ثم جاء الى بخارا ابو عبد الله الناتلي[١] وكان يدّعي الفلسفة وانزله ابي دارنا رجاء تعلّمي منه . فقرأت ظواهر المنطق عليه واما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم اخذت اقرأ الكتب على نفسي واطالع الشروح وكذلك كتاب اقليدس فقرأت من اوّله خمسة اشكال او ستة عليه ثم تولّيت حلّ الكتاب بأسره . ثم انتقلت الى المجسطي . وفارقني الناتلي . ثم رغبت في علم الطبّ وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيه وتعهدتُ المرضى فانفتح عليَّ من ابواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف وانا في هذا الوقت من ابناء ستّ عشرة سنة . ثم توفّرتُ على القراءة سنة ونصفاً وكلّما كنت اتحيَّر في مسألة ولم[٢] اكن اظفر بالحدّ الاوسط في قياس تردّدت الى الجامع وصلّيت وابتهلت الى مُبدع الكلّ حتى فتح لي المغلق منه والمتعسر . وكنت ارجع بالليل الى داري وأضع السراج بين يدي واشتغل بالقراءة والكتابة فمهما غلبني النوم او شعرت بضعف عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود اليَّ قوّتي ثم ارجع الى القراءة ومتى اخذني ادنى نوم احلم بتلك المسائل بأعيانها حتى ان كثيراً منها انفتح لي وجوهها في المنام . ولم ازل كذلك حتى احكمت علم المنطق والطبيعيّ والرياضيّ . ثم عدت الى العلم الالهيّ وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة فما كنت افهم ما فيه والتبس عليَّ غرض واضعه حتى اعدت قراءته اربعين مرة وصار لي محفوظاً وانا مع ذلك لا افهمه وأيست من نفسي وقلت: هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . واذا انا يوماً حضرت وقت العصر في الورّاقين وبيد دلال مجلّد ينادي عليه فعرضه عليَّ فرددته ردّ متبرّم معتقد ان لا فائدة في هذا العلم . فقال لي: اشترِ مني هذا فانه رخيص ابيعكه بثلثة دراهم وصاحبه محتاج الى ثمنه . فاشتريته فاذا هو كتاب لابي نصر الفارابي في اغراض كتاب ما بعد الطبيعة . فرجعت الى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح عليَّ في الوقت اغراض ذلك

١ – ويروى: البابلي والنابلي .
٢ – ولم ر او لم

الكتاب بسبب انه قد صار لي على ظهر القلب وفرحت بذلك وتصدّقت بشيء على الفقراء شكراً لله تعالى . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها وكنت اذ ذاك للعلم احفظ ولكنه اليوم معي انضج والا فالعلم واحد لم يتجدّد لي بعده شيء . ثم مات والدي وتصرفتْ بي الاحوال وتقلدت شيئاً من اعمال السلطان . ودعتني الضرورة الى الارتحال من بخارا والانتقال عنها الى جرجان وكان قصدي الامير قابوس فاتفق في اثناء هذا اخذ قابوس وحبْسه وموته . ثم مضيت الى دهستان ومرضت بها مرضاً صعباً وعدت الى جرجان وأنشأتُ في حالي قصيدة فيها بيت القائل:

لما عظمت فليس مصر واسعي   لما غلا ثمني عدمت المشتري

قال ابو عبيدة الجوزجاني[١] : الى ههنا انتهى ما حكاه الشيخ عن نفسه . وفي هذا الموضع اذكر انا بعض ما شاهدت من احواله في حال صحبتي له والى حين انقضاء مدّته . قال : في مدة مقامه بجرجان صنّف اوّل القانون ومختصر المجسطيّ وغير ذلك . ثم انتقل الى الريّ واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة . ثم خرج الى قزوين ومنها الى همذان فاتصل بخدمة كدبانويه[٢] وتولّى النظر في اسبابها . ثم سألوه تقلّد الوزارة فتقلّدها . ثم اتفق تشويش العسكر عليه واشفاقهم منه على انفسهم فكبسوا داره واخذوه الى الحبس واخذوا جميع ما كان يملكه وساموا الامير شمس الدولة قتله فامتنع منه وعدل الى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم . فتوارى الشيخ في دار بعض اصدقائه اربعين يوماً . فعاد الامير طلبه وقلّده الوزارة ثانياً . ولما توفّي شمس الدولة وبويع ابنه طلبوا ان يستوزر الشيخ فأبى عليهم وتوارى في دار ابي غالب العطّار وهناك اتى على جميع الطبيعيات والالهيات ما خلا كتابَي الحيوان والنبات من كتاب الشفاء . وكاتب علاء الدولة سراً يطلب المسير اليه فاتّهمه تاج الملك بمكاتبته وانكر عليه ذلك وحثّ في طلبه. فدلّ عليه بعض اعدائه فاخذوه وادّوه الى قلعة يقال لها بردجان[٣] وأنشأ هناك قصيدة فيها :

دخولي باليقين[٤] كما تراه   وكلُّ الشكّ في امر الخروج

وبقي فيها اربعة اشهر . ثم اخرجوه وحملوه الى همذان ثم خرج منها متنكراً وانا

١ – الجوزجاني ر الجورجاني .
٢ – ويروى: كربانويه وكذبانويه .
٣ – بردجان ر بردوان .
٤ – دخولي باليقين ر في احدى نسختي اكسفرد : دخول النفس فيك .

واخوه وغلامان معه في زيّ الصوفيّة الى ان وصلنا الى اصفهان فصادف في مجلس علاء الدولة الاكرام والاعزاز الذي يستحقه مثله . وصنّف هناك كتباً كثيرة . (قال) وكان الشيخ قويّ القوى كلها وكانت قوة المجامعة من قواه الشهوانيّة اقوى واغلب وكان كثيراً ما يشتغل به فأثّر في مزاجه . وكان سبب موته قولنج عرض له ولحرصه على برئه حقن نفسه في يوم واحد ثماني مرّات فتقرّح بعض امعائه وظهر به سحج وعرض له الصرع الذي قد يتبع القولنج وصار من الضعف بحيث لا يقدر على القيام . فلم يزل يعالج نفسه حتى قدر على المشي لكنه مع ذلك لا يتحفظ ويكثر التخليط في أمر المعالجة ولم يبرأ من العلّة كل البرء وكان ينتكس ويبرأ كل وقت . ثم قصد علاء الدولة همذان وسار معه الشيخ فعاودته في الطريق تلك العلّة الى ان وصل الى همذان وعلم ان قوّته قد سقطت وانها لا تفي بدفع المرض فأهمل مداواة نفسه وأخذ يقول : المدبّر الذي كان يدبّرني قد عجز عن التدبير والآن فلا تنفع المعالجة . وبقي على هذا اياماً ثم انتقل الى جوار ربّه ودفن بهمذان وكان عمره ثمانياً وخمسين سنة وكان موته في سنة ثمان وعشرين واربعمائة . وفيه قال بعضهم :

ما نفع الرئيس من حكمه الطبُّ م ولا حكمه على النيّراتِ
ما شفاه الشفاء[1] من ألم المو ت ولا نجّاه كتابُ النّجاةِ

وقيل اول حكيم توسّم بخدمة الملوك ارسطوطاليس وكان الحكماء قبله مثل فيثاغوروس وسقراطيس وافلاطون يترفّعون عن ذلك ولا يقربون ابواب السلاطين . والدليل على ذلك ان بعض ملوك اليونانيين كان مجتازاً بمكان كان فيه سقراطيس جالساً فلما دنا بقربه وهو لم ينهض ولم يتحرّك من مكانه ولا يلتفت فأقبل اليه بعض الغلمان فركله برجله . فقال له : لمَ تركلني . قال له : اما تبصر الملك كيف لا تنهض وتقوم له . اجابه سقراطيس قائلاً : كيف اقوم لعبد عبدي . فالتفت الملك الى مشاجرتهما فاستدعى به فحُمل اليه فقال له : اي شيء قلت : . قال : قلت لا اقوم لعبد عبدي . قال الملك : وانا عبد عبدك. قال : نعم ايها الملك انت استعبدتْك الدنيا وانت خادمها وانا زهدتها واستعبدتُها فهي عبدي وانت عبدها . فالملك استحسن له ذلك وتقدّم بالاحسان اليه فلم يقبل . قيل واول حكيم شغف بشرب الخمر واستفراغ القوى الشهوانية الشيخ الرئيس ابو عليّ بن سينا . ثم اقتدى به في الانهماك مَن كان بعده فهذان غيّرا السنّة الفلسفية . وقيل ان شيخ الشيخ ابي عليّ في الطبّ ابو سهل المسيحيّ وكان طبيباً فاضلاً منطقياً

---

١ – الشفاء كتاب جليل من تأليف ابن سينا .

عالماً بعلوم الاوائل مذكوراً في بلد خراسان له كنّاش يعرف بالمائة كتاب مشهور . مات وعمره اربعون سنة .

وفي سنة خمس وثلثين واربعمائة توفّي ابو الفرج عبد الله بن الطيّب وهو عراقي فيلسوف فاضل مطّلع على كتب الاوائل واقاويلهم وعني بشروح الكتب القديمة في المنطق وانواع الحكمة من تآليف ارسطوطاليس ومن الطبّ كتب جالينوس وبسط القول في الشروح بسطاً شافياً قصد به التعليم والتفهيم . قال القاضي الاكرم جمال الدين القفطي رحمه الله : لقد رأيت بعض من ينتحل هذه الصناعة يذمّ ابا الفرج بن الطيّب بالتطويل وكان هذا العائب يهودياً ضيّق الفطن قد وقف مع عبارة ابن سينا . فامّا انا وكل مصنّف فلا يقول الا ان ابا الفرج بن الطيّب قد احيا من هذه العلوم ما دثر وابان منها ما خفي . وقد تلمذ له جماعة سادوا وافادوا منهم المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان . قال ابن بطلان: ان شيخنا ابو الفرج ابن الطيّب بقي عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة ومرض من الفكر فيه مرضة كان[١] تلفّظ نفسه فيها وهذا يدلّك على شدّة حرصه واجتهاده وطلب العلم لعينه[٢] . وابن بطلان هذا فهو طبيب نصرانيّ بغداديّ وكان مشوّه الخلقة غير صبيحها كما شاء الله منه وفضل في علم الاوائل وكان يرتزق بصناعة الطب وخرج عن بغداد الى الموصل ودياربكر ودخل حلب وأقام بها مدّة وما حمدها وخرج عنها الى مصر فاقام بها مدّة قريبة واجتمع بابن رضوان المصريّ الفيلسوف في وقته وجرت بينهما منافرة احدثتها المغالبة في المناظرة . وخرج ابن بطلان عن مصر مغضباً على ابن رضوان وورد انطاكية وأقام بها وقد سئم كثرة الاسفار وضاق عطنه عن معاشرة الاغمار فغلب على خاطره الانقطاع فنزل بعض الاديرة[٣] بانطاكية وترهّب وانقطع الى العبادة الى ان توفي سنة اربع واربعين واربعمائة . ومن مشاهير تصانيف ابن بطلان كتاب تقويم الصحة مجدول[٤] وكتاب دعوة الاطباء مقامة ظريفة . ورسالة اشتراء الرقيق . ولمّا جرى لابن بطلان بمصر مع ابن رضوان ما جرى كتب اليه ابن بطلان رسالة يقطعه فيها ويذكر معايبه ويشير الى جهله بما يدّعيه من علم الاوائل ورتّبها على سبعة فصول الاول فضل من لقي الرجال على من درس في

---

١ – كان ر كاد .

٢ – لعينه ر بعينه .

٣ – الاديرة ر الديرة .

٤ – مجدول ر بجدول .

الكتب . الثاني في ان الذي علم المطالب من الكتب علماً رديئاً شكوكه بحسب علمه يعسر حلُّها . الثالث في ان اثبات الحق في عقل لم يثبت فيه المحال اسهل من اثباته عند من ثبت في عقله المحال . الرابع في ان من عادات الفضلاء عند قراءاتهم كتب القدماء ان لا يقطعوا في مصنّفها بطعن اذا رأوا في المطالب تبايناً وتناقضاً لكن يخلدوا الى البحث والتطلُّب . الخامس في مسائل مختلفة صادرة عن براهين صحيحة من مقدمات صادقة يلتمس اجوبتها بالطريقة البرهانية . السادس في تصفُّح مقالته في المباهلة التي ضمن فيها : انني اسأله الف مسئلة ويسألني مسألة واحدة . السابع في تتبُّع مقالته في النقطة الطبيعية والتعيين على موضع الشبهة في هذه التسمية . وختم الرسالة بقوله : وليتحقق ان اللذة بمضغ الكلام لا تني بغصّة الجواب . فان لنا موقف حساب . ومجمع ثواب وعقاب . يتظلم فيه المرضى الى خالقهم . ويطالبون الاطباءَ بالاغلاط القاضية في هلاكهم . وانهم لا يسامحون الشيخ كما سامحته بسبّي ولا يغضون عنه كما اغضيت عن ثلب عرضي . فليكن من لقائهم على يقين . ويتحقق انهم لا يرضون منه الا بالحق المبين . والله يوفقنا واياه للعمل بطاعته والتقرّب اليه بابتغاء مرضاته وهو حسبي ونعم الوكيل . وذكر ابن بطلان في الفصل الرابع من رسالته الى ابن[1] رضوان حكاية ظريفة وجب ايرادها ههنا قال : انني حضرت مع تلميذ من تلامذة الشيخ يعني الشيخ ابن رضوان ظاهر التجمُّل بادي الذكاء ان صدقت الفراسة فيه بحضرة الامير ابي عليّ ابن جلال الدولة بن عضد الدولة فناخسرو في حمّى نائبة أخذت اربعة ايام ولا تبدو ببرد وتُقشِع بنداوة وقد سقاه ذلك الطبيب دواء مسهلاً وهو عازم على فصده من بعد على عادة المصريّين في تأخير الفصد بعد الدواء واطعام المريض القطائف بجلاّب في نُوَب الحمّى . فسألت الطبيب مستخبراً عن الحمّى . فقال بلفظة المصريين : نعم سيدي حمّى يوم مركبة من دم وصفراء نائبة اربعة ايام فلما سقيناه الدواء تحلّل الدم وبقيت الصفراء ونحن على فصده لنأمن الصفراء بمشيئة الله . فذهبت لا اعلم مما اعجب أمِن كون حمّى يوم تنوب في اربعة ايام بعلامات المواظبة أم من كونها من أخلاط مركّبة أم من الدواء الذي حلّل الدم الغليظ وترك الصفراء اللطيفة . وما اشبه ذلك من حكايته الا بما سمعت بانطاكية ان طبيباً روميّاً شارط مريضاً به غبّ خالصة على برئه دراهم معلومة واخذ في تدبيره بما غلظ المادة فصارت شطر غب بعد ما كانت خالصة . فأنكروا ذلك عليه وراموا صرفه فقال : انني استحق نصف الكراء لان الحمّى ذهب

١ – الى ابن ر عن ابن .

نصفها. وظنّ من جهة التسمية ان الشطر قد ذهب من الحمّى. وما زال يسألهم عمّا كانت فيقولون غبّاً. وعمّا هي الآن فيقولون شطراً فيتظلم ويقول: فلِمَ منعتموني نصف القبالة. وحكي ان ابن رضوان هذا كان في اول أمره منجماً يقعد على الطريق ويرتزق ثم قرأ شيئاً من الطب والمنطق وكان من المفلفلين لا المحققين ولم يكن حسن المنظر ولا الهيئة ومع هذا تتلمذ له جماعة من الطلبة بمصر وأخذوا عنه وسار ذكره وصنّف كتباً مختطفة ملتقطة مستنبطة من غيره وكان تلاميذه ينقلون عنه من التعاليل الطبيّة والالفاظ المنطقيّة ما يضحك منه ان صدق النقَلَة. ولم يزل ابن رضوان بمصر متصدّراً للافادة الى ان مات في حدود سنة ستين[1] واربعمائة. وكان من مشاهير الاطباء في هذه الايام طبيب نصراني من اهل بغداد يقال له كتيفات خدم البساسيري معروف بالعمل غير موصوف بعلم ارتفع بصائب معالجته.

(المقتدي بن محمد بن القائم) لما توفي القائم بأمر الله[2] بويع عبد الله بن محمد ابن القائم بالخلافة ولُقّب المقتدي بأمر الله سنة سبع وستين واربعمائة. ولم يكن للقائم من اعقابه ذكر سواه فان الذخيرة ابا العباس محمد بن القائم توفي في ايام ابيه ولم يكن له غيره وكان المقتدي حملاً في بطن امّه فولد بعد موت ابيه محمد بستة اشهر. وفي سنة ثماني وستين سار اقسيس الخوارزمي وهو احد الامراء من عسكر السلطان ملكشاه الى دمشق فحصرها فغلت[3] الاسعار فبيعت الغرارة بأكثر من عشرين ديناراً فسلموها اليه بالامان وخطب بها للمقتدي الخليفة العباسي وكان آخر ما خطب فيها للعلويّين المصريين. وتغلّب اقسيس على اكثر الشام. وفي سنة اربع وسبعين توفي نور الدولة دبيس الاسدي وكان عمره ثمانين سنة وامارته سبعاً وخمسين سنة وكان مذكوراً بالفضل والاحسان. وولي بعده ما كان اليه ابنه منصور ولُقّب بهاء الدولة فاحسن السيرة وسار الى السلطان ملكشاه فاستقرّ له الامر وخلع الخليفة ايضاً عليه ثم مات في سنة تسع وسبعين وولي الحلّة والنيل وجميع ما كان له ابنه سيف الدولة صدَقة. وفي سنة خمس وثمانين قُتل نظام الملك الوزير بالقرب من نهاوند قتله صبي ديلمي من الباطنية اتاه في صورة مستمنح او مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقُضي عليه. وبقي نظام الملك وزيراً للسلاطين ثلثين سنة سوى ما وزر لالب ارسلان وهو صاحب خراسان ايام عمّه

١ – ستين ر ست وستين.
٢ – كان عمره ستاً وسبعين سنة وشهوراً وخلافته اربعاً واربعين سنة وثمانية اشهر.
٣ – فغلت ر فعلت.

طغرلبك قبل ان يتولّى السلطنة.وكان عمره سبعاً وسبعين سنة.وكان سبب قتله ان عثمان ابن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولّاه جدّه رئاسة مرو وارسل السلطان اليها شحْنة اسمه قودن وهو من خواصّه فنازع عثمان في شيء فحملت عثمان حداثة سِنّه وطمعه بجدّه على ان قبض عليه واخرق به ثم اطلقه فقصد السلطان مستغيثاً شاكياً فأرسل السلطان الى نظام الملك رسالة يقول له : ان كنت شريكي في الملك فلذلك[1] حكم . وان كنتَ نائبي فيجب ان تلزم حدّ التبعية والنيابة وهؤلاء اولادك قد جاوزوا حدّ امر السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا . فحضر المرسلون عند نظام الملك واوردوا عليه الرسالة فقال: قولوا للسلطان ان كنت ما علمت اني شريكك في الملك فاعلم . فانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيري ورأيي اما تذكر حين قُتل ابوك فقمتُ بتدبير امرك وقمعت الخوارج عليك من اهلك وغيرهم . وانت ذلك الوقت كنت تتمسك بي فلما قدت[2] الامور اليك واطاعك القاصي والداني اقبلت تتجنى لي الذنوب وتسمع فيَّ السعايات . وقولوا له عني ان ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة وان اتفاقهما سبب كل غنيمة ومتى أُطبقت هذه الدواة زالت تلك . واطال فيما هذا سبيله . ثم قال: قولوا للسلطان عني مهما اردتم فقد أهمَّني[3] ما لحقني من توبيخه وفتَّ في عضدي . فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان فقالوا له ما مضمونه العبودية والاعتذار. ثم ان واحداً منهم اعلم السلطان بما جرى فوقع التدبير عليه حتى قُتل ومات السلطان بعده بخمس وثلثين يوماً وانحلّت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له . وقيل ان ابتداء امر نظام الملك انه كان من ابناء الدهاقين بطوس وتعلّم العربية وكان كاتباً للامير تاجر[4] صاحب بلخ وكان الامير يصادره في رأس كل سنة ويأخذ ما معه ويقول له: قد سمنت يا حسن . وهرب الى جغري بك داود وهو بمرو فدخل اليه . فلما رآه اخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له: هذا حسن الطوسي فتسلمْه واتخذه والداً ولا تخالفه . وكان نظام الملك اذا دخل عليه الأئمّة الاكابر يقوم لهم ويجلس في مسنده وكان له شيخ فقير اذا دخل اليه يقوم له ويجلسه في مكانه ويجلس بين يديه . فقيل له في ذلك فقال: ان اولئك اذا دخلوا عليَّ يثنون عليَّ بما ليس فيَّ

١ – فلذلك ر فاقد لك و فامدّ لك .
٢ – قدت ر قرَّت .
٣ – اهمني ر دهمني .
٤ – ويروى: باجر. ويروى: باخر.

فيزيدني كلامهم عجباً وتيهاً . وهذا يُذكرني عيوب نفسي وما انا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك فأرجع عن كثير مما انا فيه . وكان مجلسه عامراً بالعلماء واهل الخير والصلاح. واكثر الشعراءُ مراثيه فمن جيّد ما قيل قول شبل الدولة:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤةً يتيمةً [١] صاغها الرحمن من شرفِ
بدت [٢] فلم تعرف الايام قيمتها فردَّها غيرةً منه الى الصدفِ

ثم سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان . واتفق ان خرج الى الصيد وعاد ثالث شوّال مريضاً وكان سبب مرضه انه اكل لحم صيدٍ فحمّ فافتُصد ولم يستوفِ اخراج الدم فثقل في مرضه وكانت حمّى محرقة فتوفي ليلة الجمعة النصف من شوال فسترت زوجته تركان خاتون موته وكتمته وسارت من بغداد والسلطان معها محمولاً وبذلت الاموال للامراء واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك وزيرها يتولّى ذلك لها وارسلت الى الخليفة المقتدي في الخطبة فاجابها وخطب لمحمود وعمره اربع سنين [٣] . وسارت تركان خاتون من بغداد الى اصفهان وبها بركيارق [٤] وهو اكبر اولاد السلطان فخرج منها هو ومن معه من الامراء النظامية وساروا نحو الريّ . فسيّرت خاتون العساكر الى قتال بركيارق فانحاز جماعة منهم الى بركيارق فقوي بهم وعاد الى اصفهان وحاصرها . وكان تاج الملك مع عسكر خاتون فأُخذ وحُمل الى بركيارق فهجم النظامية عليه فقتلوه . وكان كثير الفضائل جمّ المناقب وانما غطّى محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك . وفي سنة سبع وثمانين قدم بركيارق بغداد وخطب له بالسلطنة ولُقّب ركن الدين. وفي سنة سبع وثمانين واربعمائة خامس عشر محرَّم توفي الامام المقتدي بأمر الله فجأةً وكان قد احضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلّم فيه فقرأه وتدبره وعلّم فيه. ثم قُدّم اليه طعام فأكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار . فقال لها: ما هذه الاشخاص التي دخلت عليّ بغير اذن . (قالت) فالتفتُّ فلم ارَ شيئاً ورأيته قد تغيّرت حالته وانحلّت قوته وسقط الى الارض ميتاً . وقلت لجارية عندي : ان صحتِ قتلتكِ . واحضرت الوزير فاعلمته الحال . فشرعوا في البيعة لوليّ العهد وجهّزوا المقتدي ودفنوه وكان عمره ثمانياً وثلثين سنة وثمانية

---

١ – ويروى: ثمينة . وروى ابن خلكان: نفيسة .
٢ – ويروى: عزت .
٣ – ولُقب ناصر الدنيا والدين.
٤ – ويروى: تركيارق س تركيارق وهو تصحيف .

اشهر وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية اشهر[١] وامّه امّ ولد ارمنيّة تسمّى ارجوان ادركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر وخلافة ابن ابنه المسترشد .

* * *

وفي سنة ثلث وسبعين واربعمائة مات يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب البغداديّ وكان رجلاً نصرانياً قد قرأ الطبّ على نصارى الكرخ[٢] الذين كانوا في زمانه واراد قراءة المنطق فلم يكن في النصارى المذكورين في ذلك الوقت من يقوم بهذا الشأن وذكر له ابو عليّ بن الوليد شيخ المعتزلة في ذلك الوقت ووصف بانه عالم بعلم[٣] الكلام ومعرفة الالفاظ المنطقية فلازمه لقراءة المنطق . فلم يزل ابن الوليد يحسّن له الاسلام حتى استجاب وأسلم فسُرّ باسلامه ابو عبد الله الدامغاني قاضي القضاة يومئذٍ وقرّبه وادناه ورفع محلّه بان استخدمه في كتابة السجلاّت بين يديه وكان مع اشتغاله بذلك يطبّ اهل محلّته وسائر معارفه بغير اجرة ولا جعالة بل احتساباً[٤] ومروءة ويحمل اليهم الادوية بغير عوض . ولما مرض مرض موته وقف كتبه لمشهد الامام ابي حنيفة . ومن مشاهير تصانيفه كتاب المنهاج وكتاب تقويم الابدان مجدوَل .

(المستظهر بن المقتدي) لما توفي المقتدي بأمر الله أُحضر ولده ابو العباس احمد فبويع له ولقب المستظهر بالله وذلك في سنة سبع[٥] وثمانين واربعمائة . (وفيها قتل السلطان بركيارق عمّه تكش وغرّقه وقتل ولده معه)[٦] . وفي سنة ثمان[٧] وثمانين قُتل تُتُش[٨] ابن الب ارسلان واستقام الامر والسلطنة لبركيارق . وفيها في ذي الحجة توفي المستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله العلويّ صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة وعمره سبعاً وستين سنة وولي بعده ابنه ابو القاسم احمد ولُقّب المستعلي بالله[٩] . وفي

---

١ – ويروى في كتابي الكامل والدولة الاتابكية لابن الاثير : خمسة اشهر س خمسة اشهر .

٢ – ويروى الكرج .

٣ – ويروى بسلّم الكلام .

٤ – ويروى احساناً .

٥ – سبع ر ثماني .

٦ – ما طوقناه بهلالين نظنه زيادة من النساخ لان عم بركيارق هو تتش.

٧ – وفي سنة ثمان وثمانين ر وفيها .

٨ – تتش ر بقش .

٩ – كان المستنصر قد عهد بالخلافة لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع المستعلي بالله فهرب نزار الى الاسكندرية فبايعه اهل الاسكندرية وسموه المصطفى لدين الله فخطب الناس ولعن الافضل فسار اليه الافضل فحصره وتسلم المستعلي نزاراً فبنى عليه حائطاً فمات .

سنة تسع وثمانين حكم المنجمون بطوفان يكون في الناس يقارب طوفان نوح . فأحضر الخليفة ابن عيسون المنجم فسأله . فقال : ان في طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس فيها زُحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن اقول ان مدينة او بقعة من الارض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون . فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد فاحكمت المسنّيات والمواضع التي يخشى منها الانفجار . فاتفق ان الحجّاج نزلوا في وادي المناقب فأتاهم سيل عظيم فاغرق اكثرهم ونجا من تعلّق بالجبال وذهب المال والدوابّ والازواد . فخلع الخليفة على المنجم . وفي سنة تسعين واربعمائة قُتل ملك خراسان ارسلان ارغون بن الب ارسلان اخو السلطان ملكشاه قتله غلام له. فقيل له : لِمَ فعلت هذا. فقال : لأُريح الناس من ظلمه . ثم ملك بركيارق خراسان وسلمها الى اخيه الملك سنجر . وفي سنة احدى وتسعين جمع بردويل ملك الافرنج [1] جمعاً كثيراً وخرج الى بلاد الشام وملك انطاكية . وكان الافرنج قبل هذا قد ملكوا مدينة طليطلة من بلاد الاندلس وغيرها ثم قصدوا جزيرة سقليّة فملكوها وتطرقوا الى اطراف افريقية فملكوا منها شيئاً. فلما سمع قوام الدولة كربوقا [2] بحال الافرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام ونزل على انطاكية وحاصرها وفيها من الملوك بردويل وسنجال وكندفري والقومص صاحب الرها وبيموند صاحب انطاكية . وقلّت الاقوات عندهم فارسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم وقال : لا تخرجون الا بالسيف . وكان مع الافرنج راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم : ان فطروس السليح كان له عكازة ذات زجّ مدفونة بكنيسة القسيان [3] فان وجدتموها فانكم تظفرون والا فالهلاك متحقق . وامرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلثة ايام . فلما كان اليوم الرابع ادخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامّتهم وحفروا عليها في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر . فقال لهم : أبشروا بالظفر . فقويت عزيمتهم وخرجوا اليوم الخامس من الباب متفرّقين من خمسة وستة ونحو ذلك . فقال المسلمون لكربوقا [2] : ينبغي ان تقف على الباب فتقتل كلّ من خرج . فقال : لا تفعلوا لكن امهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم . فلما تكاملوا ولم يبق بانطاكية احد منهم ضربوا مصافّاً عظيماً فولّى المسلمون منهزمون وآخر من انهزم

١ – لم يكن ملك الفرنج بل من امرائهم والذي اوهم المؤلف هو انه ملك على اورشليم .

٢ – كربوقا ر كدبوقا .

٣ – هي الحربة التي طعن بها جنب المسيح وكانت مدفونة في كنيسة القديس بطرس الرسول بالقرب من المذبح . وقد روى هذا الخبر ثقات من المؤرخين كريموند دي اجيل وكان ممن شهدوا المعجزة .

سقمان [١] بن ارتُق فقتل الافرنج منهم الوفاً وغنموا ما في العسكر من الاقوات والاموال والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوّتهم وساروا الى معرّة النعمان فملكوها . وفي سنة اثنتين وتسعين واربعمائة لما رأى المصريّون ضعف الاتراك صاروا الى البيت المقدس وحصروه وبه الامير سقمان وايلغازي ابنا ارتق التركماني وابن عمهما سونج ونصبوا عليه نيّفاً واربعين منجنيقاً وملكوه [٢] بالامان وخرج عنه سقمان واصحابه واستناب المصريّون فيه رجلاً يعرف بافتخار الدولة . فقصده الافرنج ونصبوا عليه برجين وملكوه من الجانب الشمالي وركب الناس السيف ولبث الافرنج في البلد اسبوعاً يقتلون فيه المسلمين . وقُتل بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين الفاً [٣] وغنموا منه ما لا يقع عليه الاحصاء . وفي سنة ثلث وتسعين جرى حرب بين السلطان بركيارق وبين اخيه السلطان محمد وانهزم بركيارق وتنقّل في البلاد الى اصفهان . ولم يدخلها وسار الى خوزستان . وفي سنة اربع وتسعين كان المصاف الثاني بينهما وكان مع بركيارق خمسون الفاً ومع اخيه محمد خمسة عشر الفاً فالتقوا واقتتلوا فانهزم السلطان محمد وسار طالباً خُراسان الى اخيه الملك سنجر وهما لامٍّ واحدة فأقام بجرجان وأتاه الملك سنجر في عساكره الى الدامغان وخرب العسكر البلاد وعمّ الغلاء تلك الاصقاع حتى اكل الناس بعضهم بعضاً بعد فراغهم من اكل الميتة والكلاب. وفي سنة خمس وتسعين توفي المستعلي بالله الخليفة العلويّ المصريّ وكانت خلافته سبع سنين [٤] وولي بعده ابنه ابو عليّ المنصور وعمره خمس سنين ولُقّب الآمر باحكام الله ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنّه وقام بتدبير دولته الافضل [٥] بن امير الجيوش احسن قيام . وفي سنة سبع وتسعين وقع الصلح بين السلطانين بركيارق واخيه محمد ابنَي ملكشاه وتقرّرت القاعدة ان بركيارق لا يعترض اخاه محمداً في الطبل وان لا يُذكر معه على منابر البلاد التي صارت له وهي دياربكر والجزيرة والموصل والشام . وفي سنة ثماني وتسعين توفي السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض باصفهان بالسلّ والبواسير فلما ايس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ اربع سنين وثمانية اشهر واحضر جماعة الامراء واعلمهم

---

١ – يقال سقمان وسكمان . كربوقا وكربوغا .

٢ – تملك المصريون على البيت المقدس سنة تسع وثمانين واربعمائة ثلاث سنين قبل تملك الفرنج عليه .

٣ – هذا غلو فلا يدخل تحت التصديق وان غد فريد تسارع الى كف الجيش عن القتل.

٤ – وكان مولده سنة سبع وستين واربعمائة .

٥ – ويروى الايصل وهو تصحيف .

انه قد جعل ابنه وليّ عهده في السلطنة وجعل الامير اياز اتابكه [١] فأجابوه كلهم بالسمع والطاعة وخُطب لملكشاه بالجوامع ببغداد . وفي سنة تسع وتسعين [٢] واربعمائة سار السلطان محمد من اذربيجان الى الموصل ليأخذها من جكرميش صاحبها وحصرها . فقاتل اهل البلد اشدّ قتال وكانت الرجالة تخرج ويكثرون القتل في العسكر ودام القتال من صفر الى جمادى الاولى. فوصل الخبر الى جكرميش بوفاة السلطان بركيارق فارسل الى محمد يبذل له الطاعة . ودخل اليه وزير محمد وقال له: المصلحة ان تحضر الساعة عند السلطان فانه لا يخالفك في جميع ما تلتمسه منه. واخذ بيده وقام فسار معه جكرميش فلما رآه اهل الموصل قد توجّه الى السلطان جعلوا يبكون ويضججّون ويحثون التراب على رؤوسهم. فلما دخل على السلطان محمد اقبل عليه واكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال: ارجع الى رعيتك فان قلوبهم اليك وهم متطلعون الى عودتك . فقبّل الارض وعاد وعمل من الغد سماطاً بظاهر الموصل عظيماً وحمل الى السلطان من الهدايا والتحف ولوزيره اشياء جليلة المقدار . وفي سنة خمسمائة سار الجاولي سقاوو الى الموصل محارباً في الف فارس وخرج اليه جكرميش صاحبها في الفي فارس . فلما اصطفوا للحرب حمل الجاولي من القلب على قلب جكرميش فانهزم مَن فيه وبقي جكرميش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لا يقدر يركب وانما يُحمل في محفّة فأسر وأُحضر عند الجاولي فامر بحفظه وحراسته . ولما وصل الخبر الى الموصل اقعدوا في الامر زنكي بن جكرميش. ثم ان الجاولي حصر الموصل وامر ان يُحمل جكرميش كل يوم على بغل ويُنادى اصحابه بالموصل ليسلموا البلد ويخلصوا صاحبهم مما هو فيه ويأمرهم هو بذلك فلا يسمعون منه وكان يسجنه في جبّ فأخرج يوماً ميتاً [٣] . فكتب اصحابه الى الملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلميش السلجوقي صاحب مدينة قونية واقسرة يستدعونه اليهم ليسلموا البلد اليه . فسار في عساكره . فلما سمع جاولي بوصوله رحل عن الموصل فتوجه قلج ارسلان الى الموصل وملكها ونزل بالمغرقة [٤] وخرج اليه زنكي ولد جكرميش

---

١ – اتابك مركبة من بك وهي معروفة واتا ومعناها اب . كان هذا اللقب اولاً يعطى لمن يفوضه السلطان تربية احد اولاده الصغار . وكان الاتابك يدبر باسم الولد المدينة التي كانت العادة ان يوليها السلطان لابنه . ثم توسعوا في معنى هذا اللقب ومنحوه لاول المتوظفين لامير الجيوش . ثم صار السلطان يعطيه للعظماء كلقب شرف .

٢ – ويروى هذا الخبر في الكامل لسنة ثمان وتسعين .

٣ – كان عمره نحو ستين سنة .

٤ – ويروى في الكامل: بالمعروفة .

واصحابه وخلع عليهم وجلس على التخت واسقط خطبة السلطان محمد وخطب لنفسه واحسن الى العسكر ورفع الرسوم المحدثة في الظلم ثم سار عنها الى جاولي وهو بالرحبة والتقيا على نهر الخابور فهزم اصحاب جاولي اصحاب قلج ارسلان وألقى قلج ارسلان نفسه في الخابور وحمى نفسه من اصحاب جاولي بالنشاب فانحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق . وظهر بعد ايام فدُفن بالشمسانية . وسار جاولي الى الموصل وملكها . وفي سنة اثنتين وخمسمائة استولى مودود وعسكر السلطان محمد على الموصل واخذوها من اصحاب جاولي . وفي سنة ثلث وخمسمائة سار تنكري الفرنجي صاحب انطاكية الى الثغور الشامية فملك طرسوس واذنة ونزل على حصن الاكراد فسلّمه اهله اليه . وملك الفرنج مدينة بيروت وكانت بيدّ نوّاب الخليفة العلوي. وفي سنة ستّ في المحرَّم سار الامير مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك ولم يحترز من الفرنج بل اهملهم فلم يشعر الا وجوسلين صاحب تلّ باشر قد دهمهم وكبسهم وكانت دوابّ العسكر منتشرة في المرعى فأخذ كثيراً منها وقتل كثيراً من العسكر وعاد الى تلّ باشر. وفيها مات باسيل الارمني صاحب دروب بلاد ابن لاون وهو المسمّى كوغْ باسيل اي اللص باسيل لانه سرق عدّة قلاع من الثغور فتملكها الارمن الى الآن . وفي سنة سبع وخمسمائة اجتمع المسلمون وفيهم الامير مودود بن التون تكش[١] صاحب الموصل ودخلوا بلاد الفرنج والتقوا عند طبرية واشتدّ القتال وصبر الفريقان . ثم ان الفرنج انهزموا فأذن الامير مودود للعساكر في العود والاستراحة ثم الاجتماع في الربيع . ودخل دمشق ليقيم بها عند طغدكين[٢] صاحبها الى الربيع فدخل الجامع ليصلّي فيه فوثب عليه باطنيّ كأنه يدعو له ويتصدّق منه فضربه بسكين فجرحه اربع جراحات فمات من يومه. وقُتل الباطنيّ وأخذ رأسه فلم يعرفه احد فأحرق . وفي سنة احدى عشرة في ذي الحجة مرض السلطان محمد بن ملكشاه ابن الب ارسلان فلما أيس من نفسه احضر ولده محموداً وقبّله وبكى كل واحد منهما وامره ان يخرج ويجلس على تخت السلطنة وعمره اذ ذاك قد زاد على اربع عشرة سنة . فقال لوالده انه يوم غير مبارك يعني من طريق النجوم . فقال : صدقت ولكن على ابيك واما عليك فمبارك بالسلطنة . فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين . وكان

١ – س التونطاش .

٢ – ويروى طغتكين . ويروى : طغركين بالراء بدل الدال وهو تصحيف . – س ظغتكين .

السلطان محمد عظيم الهيبة عادلاً حسن السيرة شجاعاً[١] . وفي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة سادس عشر ربيع الآخر توفي الامام المستظهر بالله وكان عمره احدى واربعين[٢] سنة وستة اشهر وخلافته اربعاً وعشرين سنة. ومضى في ايامه ثلاثة سلاطين خُطب لهم بالحضرة وهم تاج الدولة تتش بن الب ارسلان والسلطان بركيارق والسلطان محمد ابنا ملكشاه .

* * *

قال ابو الصلت أُميَّة المغربي: لما دخلت الى مصر في حدود سنة عشر وخمسمائة ادركت بها طبيباً انطاكياً يسمَّى جرجيس ويُلقَّب بالفيلسوف على نحو ما قيل للغراب ابو البيضاء وللّديغ سليم . وقد تفرَّغ للتولُّع بأبي الخير سلامة بن رحمون اليهودي الطبيب المصري والازراء عليه وكان يزوّر فصولاً طبيَّة وفلسفية يبرزها في معارض الفاظ القوم وهي محال لا معنى لها فارغة لا فائدة فيها ثم ينفذها الى من يسأله عن معانيها ويستوضحه اغراضها فيتكلم عليها ويشرحها بزعمه دون تيقظ ولا تحفظ باسترسال واستعجال وقلَّة اكتراث واهمال فيوجد فيها عنه ما يضحك منه . (قال) وانشدت لجرجيس هذا في ابي الخير سلامة بن رحمون وهو من احسن ما سمعت في هجو طبيب مشؤوم :

ان ابا الخير على جهله ... يخفّ في كفته الفاضلُ
عليله المسكين من شؤمه ... في بحر هلكٍ ما له ساحلُ
ثلثةٌ تدخلُ في دفعةٍ ... طلعته والنعش والغاسلُ

(قال) وكان ابو الخير هذا يهودياً مصرياً قد نصب نفسه لتدريس كتب المنطق جميعها وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والالهية وشرح بزعمه وفسَّر ولخّص ولم يكن في تحصيله وتحقيقه هنالك بل كان يكثر كلامه فيصلّ . ويسرع جوابه فيزلّ . وكان مثله في عظيم ادعائه وقصوره عن ايسر ما هو متعاطيه كقول الشاعر :

يشمّر للُّج عن ساقه ... ويغمره الموج في الساحلِ

(قال) ورأيت بمصر ايضاً رزق الله المنجم المعروف بالنخاس[٣] وكان شيخ اكثر المنجمين بمصر وكبيرهم وكان شيخاً مطبوعاً متطايباً . ومن حكاياته الظريفة عن نفسه

١ – كان عمره سبعاً (وروى ابو الفداء ستاً) وثلاثين سنة واربعة اشهر . واول ما دعي له بالسلطنة ببغداد سنة اثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات . فلما توفي اخوه بركيارق اجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة .

٢ – س خمساً وعشرين سنة وخمسة اشهر .

٣ – بالنخاس ر بالنحاس .

قال: سألتني امرأة مصرية ان انظر لها في مسئَلة تخصّها. فاخذت ارتفاع الشمس للوقت وحققت درجة الطالع والبيوت الاثني عشر ومراكز الكواكب ورسمت ذلك كلّه بين يديَّ في تخت الحساب وجعلت اتكلّم على بيتٍ بيتٍ منها على العادة وهي ساكتة فوجمت لذلك وادركتني فترة وكانت قد القت اليَّ درهماً. (قال) فعاودتُ الكلام وقلت: ارى عليكِ قطعاً[1] في بيت المال فاحتفظي واحترسي. قالت: الآن اصبتَ وصدقتَ قد كان والله ما ذكرتَ. قلت: وهل ضاع لكِ شيءٌ. قالت: نعم الدرهم الذي ألقيتُ اليك. وتركتْني وانصرفت. ولما ذكر ابو الصلت منجمي مصر وعابهم قال: لا تتعلق امثلتهم من علم النجوم بأكثر من زايجة يرسمها ومراكز يقومها واما التبحّر ومعرفة الاسباب والعلل والمبادي الاول فليس منهم من يرقى الى هذه الدرجة ويسمو الى هذه المنزلة ويحلّق في هذا الجوّ ويستضيء بهذا الضوء ما خلا القاضي ابا الحسن عليَّ ابن النصير المعروف بالاديب فانه كان من الافاضل الاعيان المعدودين من حسنات الزمان وله في سائر اجزاء الحكمة اليد الطولى والمرتبة الاولى.

(المسترشد بن المستظهر) لما توفي المستظهر بالله بُويع ولده المسترشد بالله ابو منصور وذلك في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة فكان وليَّ عهدٍ قد خُطب له ثلثاً وعشرين سنة. وفيها توفي بغدوين ملك القدس وكان قد سار الى ديار مصر في جمع من الفرنج قاصداً ملكها وبلغ مقابل تنيس[2] وسبح في النيل فانتقض جرح كان به فلما احس بالموت عاد الى القدس فمات به[3] ووصى ببلاده للقمص[4] صاحب الرها وهو الذي كان اسره جكرميش واطلقه سقاوو جاولي. وفي سنة ثلث عشرة وخمسمائة كانت حرب شديدة بين السلطان سنجر وابن اخيه السلطان محمود. وفي سنة اربع عشرة خرج الكرج وهم الخزر[5] الى بلاد الاسلام ومعهم قفجاق وغيرهم من الامم فاجتمع الامير ايلغازي ودُبَيس بن صدقة والملك طغرل وكان له ارّان ونَخْجُوان وساروا الى الكرج

---

١ – قطعاً ر قطوعاً. المال ر مالك.

٢ – تنيس ر بلبيس.

٣ – ان بغدوين توفي وهو في الطريق الى البيت المقدس فحمل اليه ميتاً.

٤ – للقمص ر القمص.

٥ – ليس هذا بثبت وما من علاقة بين الكرج والخزر. الكرج هم جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبال القبق وبلد السرير وقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس. قال المسعودي: ويقال لملكهم برزينان. والخزر بلادهم خلف باب الابواب المعروف بالدربند على السواحل الشمالية الغربية من بحر الخزر المعروف في زماننا ببحر قزوين وملكهم يقال له خاقان وكان له مدينة عظيمة تسمى إتل على جانبي نهر إتل Volga وهذا النهر يجري الى الخزر من الروس والبلغار ويصب في بحر الخزر.

حتى قاربوا تفليس وكان المسلمون في عسكر كثير يبلغون ثلثين الفاً فالتقوا واصطف الطائفتان للقتال فخرج من القفجاق مائتا رجل فظنّ المسلمون انهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم . فدخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب جيش صفّ المسلمين وظنّ مَن وراءَهم انها هزيمة فانهزموا ولشدّة الزحام صدم بعضهم بعضاً فقُتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكرج عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقُتل اكثرهم وأسر اربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازي ودبيس . وعاد الكرج وحاصروا مدينة تفليس واشتدّ قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على اهلها ودام الحصار الى سنة خمس عشرة فملكوها عنوة . وفي سنة خمس عشرة عصى سليمان بن ايلغازي بن ارتق على ابيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة . فسمع والده الخبر فسار اليه مجدّاً لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذراً فأمسك عنه وقبض على من كان اشار عليه بذلك منهم امير كان قد التقطه ارتق وربّاه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه . ومنهم انسان حمويّ كان قد قدّمه ايلغازي على اهل حلب وجعل اليه الرئاسة فجازاه عن ذلك فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات . واحضر ولده وهو سكران واراد قتله فمنعه رقّة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق . واستناب ايلغازي بحلب سليمان بن اخيه عبد الجبّار بن ارتق ولقّبه بدرَ الدولة وعاد الى ماردين . وفيها اقطع السلطان مدينة ميّافارقين للامير ايلغازي ابن ارتق ومدينة الموصل والجزيرة وسنجار للامير اقسنقر البرسقيّ . وفي سنة ستّ عشرة في شهر رمضان توفي الامير ايلغازي بن ارتق بميّافارقين وملك ابنه حسام الدين [1] تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميّافارقين. وكان بحلب ابن اخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار بن ارتق فبقي بها الى ان اخذها منه ابن عمه . وفي سنة سبع عشرة لما رأى بلك بن بهرام بن ارتق ضعف بدر الدولة سليمان ابن عمه عن حوط بلاده من الفرنج سار اليه الى حلب وضيّق على من بها فتسلمها بالامان . وفي سنة ثماني عشرة سار بلك بن بهرام الى منبج وملكها وحصر القلعة فبينما هو يقاتل من بها اتاه سهم فقتله واضطرب عسكره وتفرقوا وملك اقسنقر البرسقيّ حلب وقلعتها وملك الفرنج مدينة صور. وفي سنة عشرين وخمسمائة في ذي القعدة قُتل قسيم الدولة اقسنقر البرسقي صاحب الموصل بمدينة الموصل قتله الباطنيّة يوم الجمعة بالجامع وملك ابنه عزّ الدين مسعود الموصل ولم يختلف عليه احد . قال المؤرّخ : ومن العجب ان صاحب انطاكية ارسل الى عزّ الدين مسعود يخبره بقتل والده قبل ان يصل اليه الخبر وكان قد سمعه الفرنج قبل

١ – الدين ر الدولة .

لشدّة عنايتهم بمعرفة الاحوال الاسلاميّة . وفي سنة احدى وعشرين تولّى اتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر شحنكية بغداد اسندها اليه السلطان محمود . وفيها توفي عزّ الدين مسعود بن اقسنقر وتولّى اخوه عماد الدين زنكي الموصل واعمالها . وفي سنة اثنتين وعشرين ملك عماد الدين زنكي بن اقسنقر مدينة حلب وقلعتها وبعد سنة ملك مدينة حماة . وفي سنة اربع[١] وعشرين وخمسمائة ثاني ذي القعدة قتل الآمر باحكام الله ابو عليّ بن المستعلي العلويّ صاحب مصر[٢] خرج الى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنيّة فقتلوه ولم يكن له ولد فولي بعده ابن عمّه ابو الميمون عبد المجيد بن ابي القاسم ابن المستنصر العلويّ صاحب مصر ولُقّب الحافظ لدين الله ولم يبايَع له بالخلافة وانما بويع له لينظر في الامر نيابةً حتى يكشف عن حَمل إن كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائباً عنه[٣] . وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين فنال الناس منها خوف شد يد واذّى عظيم. وفي سنة خمس وعشرين في شوّال توفي السلطان محمود ابن السلطان محمد بهمذان وكان عمره نحو سبع وعشرين سنة وولايته ثلث عشرة سنة وكان حليماً كريماً عاقلاً يسمع ما يكره ولا يعاقِب عليه مع القدرة قليل الطمع في اموال الرعايا عفيفاً عنها كافّاً لاصحابه عن التطرّق الى شيء منها. وملك ابنه داود بعده . وفي سنة ستّ وعشرين كاتب السلطانَ سنجر عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة وامرهما بقصد العراق فسارا ونزلا بالمنارية من دُجَيل وعبر الخليفة المسترشد الى الجانب الغربي فنزل بالعبّاسيّة والتقى العسكران بحضرا[٤] البرامكة فابتدأ زنكي فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزموا منه . وحمل نصر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتدّ القتال فانهزم دبيس وعماد الدين وقتل من عسكرهما جماعة وأُسر جماعة . وفي سنة سبع وعشرين ارسل المسترشد الشيخ بهاء الدين ابا الفتوح[٥] الاسفرايني الواعظ الى عماد الدين زنكي برسالة فيها خشونة وزادها ابو الفتوح زيادة في الجبْه ثقةً بقوة الخليفة وناموس الخلافة.فقبض عليه زنكي

---

١ – اربع ر ثلاث .

٢ – كانت ولايته تسعاً وعشرين سنة وخمسة اشهر وعمره اربعاً وثلاثين سنة . وهو ايضاً العاشر من ولد المهدي عبيد الله الذي ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بافريقية . وهو ايضاً العاشر من الخلفاء العلويين من اولاد المهدي .

٣ – ولما ولي استوزر ابا علي احمد بن الافضل فاستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه وادخله في خزانة وبقي الحافظ له اسم لا معنى تحته الى ان قتل ابو علي سنة ست وعشرين فاستقامت امور الحافظ .

٤ – ويروى بحضران . ولعلها بحصن .

٥ – الفتوح ر الفتح .

واهانه ولقيه بما يكره . فسمع الخليفة فسار عن بغداد في ثلثين الف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها اتابك زنكي في بعض عسكره وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين ونازلها الخليفة في رمضان وقاتلها وضيّق عليها . فتواطأ جماعة من الجصّاصين بالموصل على تسليم البلد فسُعي بهم فصُلبوا . وبقي الحصار على الموصل نحو ثلثة اشهر ولم يظفر منها بشيء ولا بلغه عمّن بها وهْن ولا قلّة ميرة وقوت فرحل عنها عائداً الى بغداد . وفي سنة ثماني وعشرين تقرّر الصلح بين الخليفة المسترشد واتابك زنكي . وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة سار الخليفة المسترشد الى حرب السلطان مسعود ومعه جماعة من امراء الاكابر فواقعهم السلطان مسعود عاشر رمضان فانحازت ميسرة الخليفة مخامرةً عليه الى السلطان واقتتلت ميمنته وميسرة السلطان قتالاً ضعيفاً ودار به عسكر السلطان وهو ثابت لم يتغير من مكانه وانهزم عسكره وأُخذ أسيراً فانزله السلطان مسعود في خيمة ووكل به من يحفظه وقام بما يجب من الخدمة وتردّدت الرسل بينهما بالصلح وتقرير القواعد على مالٍ يؤدّيه الخليفة وان لا يعود يجمع العساكر ولا يخرج من داره واجاب السلطان الى ذلك واركب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه ولم يبقَ الا ان يعود الى بغداد فوصل الخبر بقدوم رسول من السلطان سنجر وخرج الناس والسلطان مسعود الى لقائه وفارق الخليفةَ بعضُ من كان موكلاً به وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصده اربعة وعشرون رجلاً من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه وجرحوه ما يزيد على عشرين جراحة ومثّلوا به وجدعوا انفه واذنيه وتركوه عرياناً وكان قتله يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة على باب مراغة وبقي حتى دفنه اهل مراغة وكان عمره لما قُتل ثلثاً واربعين سنة وخلافته سبع عشرة سنة وسبعة اشهر .

(الراشد بن المسترشد) لما قُتل المسترشد بويع ولده ابو جعفر المنصور ولُقّب الراشد بالله . وكان المسترشد بايع له بولاية العهد في حياته وجُدّدت له البيعة بعد قتله يوم الاثنين سلخ ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة. وفيها قُتل دبيس بن صدقة صاحب الحلّة على باب سرادقه بظاهر خونج امر السلطان غلاماً ارمنياً بقتله فوقف على رأسه وهو ينكت الارض باصبعه فضرب رقبته وهو لا يدري . ومثل هذه الحادثة تقع كثيراً وهو قرب موت المتعادين فان دبيساً كان يعادي المسترشد ويكره خلافته ولم يكن يعلم ان السلاطين انما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدّة لمقاومة المسترشد فلما زال السبب زال المسبّب . وفي سنة ثلثين وخمسمائة اجتمع الملوك واصحاب الاطراف ببغداد وخرجوا عن طاعة السلطان مسعود وسار الملك داود بن السلطان محمود في عسكر اذربيجان

الى بغداد ووصل اتابك عماد الدين زنكي بعده من الموصل وخطب للملك داود ببغداد . فلما بلغ السلطان الخبر جمع العساكر وسار الى بغداد وحصرها نيفاً وخمسين يوماً فلم يظفر بهم فعزم على العود الى همذان فوصله طُرُنْطاي صاحب واسط ومعه سُفُن كثيرة فعاد اليها فاختلفت كلمة الامراء المجتمعين ببغداد فعاد الملك داود الى بلاده وتفرّق الامراء وكان عماد الدين زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الخليفة الراشد وسار معه الى الموصل في نفر يسير من اصحابه ودخل السلطان مسعود الى بغداد واستقرّ بها وجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التي حلف بها الراشد له وفيها بخطّ يده: انني متى جنَّدت او خرجت او لقيت احداً من اصحاب السلطان مسعود بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر . فأفتَوا وخُلع وقُطعت خطبته من بغداد وسائر البلاد وكانت خلافته احد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً .

* * *

وفي سنة ثلثين وخمسمائة كان ابو عليّ المهندس المصريّ موجوداً بمصر قيِّماً بعلم الهندسة وكان فاضلاً فيه وفي الادب وله شعر يلوح عليه الهندسة فمن شعره:

تقسَّم قلبي في محبة معشرٍ بكل فتى منهم هوايَ منوطُ
كأنَّ فؤادي مركز وهمُ له محيطٌ واهوايَ لديه خطوطُ

وله ايضاً :

اقليذسُ العلَمُ الذي هو يحتوي[1] ما في السماء معاً وفي الآفاقِ
هو سلَّمٌ وكأنما اشكالهُ درجٌ الى العلياء للطرّاقِ
تزكو فوائده على انفاقه يا حبَّذا زاكٍ على الانفاقِ
ترقى به النفس الشريفة مرتقىً أكرمْ بذاك المرتقي والراقي

(المقتفي بن المستظهر) لما قطعت خطبة الراشد بالله تقدَّم السلطان مسعود بعمل محضر يذكر فيه ما ارتكبه الراشد من اخذ الاموال واشياء تقدح في الامامة ثم كتبوا فتوى: ما تقول العلماء في مَن هذه صفته هل يصلح للامامة ام لا . فأفتوا أن مَن هذه صفته لا يصلح ان يكون إماماً . فاستشار السلطان جماعة من اعيان بغداد فيمن يصلح ان يلي الخلافة فذكر الوزير محمد بن المستظهر ودينه وعقله ولين جانبه وعفته فأحضر المذكور وأجلس في الميمنة ودخل السلطان والوزير وتحالفا وقررّ الوزير القواعد بينهما

---

١ – هو يحتوي . في احدى نسختَي اكسفورد « يحوى به » وهو الصواب .

وخرج السلطان من عنده وحضر الامراء والقضاة والفقهاء وبايعوه ثاني عشر ذي الحجة سنة ثلثين وخمسمائة ولُقّب المقتفي لامر الله .

وفي سنة احدى وثلثين فارق الراشد المخلوع اتابك زنكي من الموصل وسار الى همذان وبها الملك داود . وفيها رحل الى اصفهان . فلما كان آخر رمضان وثب عليه نفر من الخراسانيّة الذين كانوا في خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان في اعقاب مرض قد برأ منه ودُفن بظاهر اصفهان بشهرستان وكان عمره اربعين سنة . وفي سنة اثنتين وثلثين وصل اتابك زنكي الى حماة وارسل الى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه امّه ليتزوجها واسمها زمرُّد خاتون ابنة جاولي وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق على نهر بردى . فتزوجها وتسلّم حمص مع قلعتها وانما حمله على التزوّج بها ما رآه من تحكمها في دمشق فظنّ انه يملك البلد بالاتصال اليها فلما تزوّجها خاب امله ولم يحصل على شيء فأعرض عنها . وفيها ملك حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين قلعة الهتّاخ اخذها من بعض بني مروان وهو آخر من بقي منهم له ولاية . وفي سنة ثلث وثلثين ملك اتابك زنكي بن اقسنقر بعلبكّ . وفي سنة اربع ملك زنكي شهرزور واعمالها . وفي سنة سبع وثلثين وخمسمائة توفي محمد بن دانشمند صاحب ملطية والثغر واستولى على بلاده الملك مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية وهو من السلجوقية .

وفي سنة تسع وثلثين فتح اتابك عماد الدين زنكي مدينة الرها من الفرنج وحاصر قلعة البيرة وهي للفرنج بعدَ ملكِ الرها وهي من امنع الحصون وضيّق عليها وقارب ان يفتحها فجاءه خبر قتل نصير الدين نائبه بالموصل فسار عنها . فخاف مَن بالبيرة من الفرنج ان يعود اليها فارسلوا الى نجم الدين صاحب ماردين وسلّموها اليه فملكها المسلمون

وفي سنة اربعين وخمسمائة لخمس مضينَ من ربيع الآخر قُتل اتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة جعبر قتله جماعة من مماليكه ليلاً غيلةً وهربوا الى قلعة جعبر . فصاح مَن بها من اهلها الى العسكر يعلمونهم بقتله فاظهروا الفرح. فدخل اصحابه اليه فادركوه وبه رمق وفاضت نفسه لوقته وكان قد زاد عمره على ستين سنة قد وخطه الشيب وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته عظيم السياسة وكانت الموصل قبل ان يملكها اكثرها خراب بحيث يقف الانسان قريب محلّة الطبّالين ويرى الجامع العتيق والعرصة ودار السلطان ليس بين ذلك عمارة . وكان الانسان لا يقدر على المشي في الجامع العتيق الا ومعه من يحميه وهو الآن في وسط العمارة . وكانت

الموصل من اقلّ بلاد الله فاكهةً فصارت في ايامه وما بعدها من اكثر البلاد فواكه ورياحين . ولما قُتل اتابك زنكي أخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده وكان حاضراً معه وسار الى حلب وملكها . وكان سيف الدين غازي اخوه بمدينة شهرزور وهي اقطاعه فأرسل اليه زين الدين عليّ كوجك نائب ابيه عماد الدين زنكي بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر واستقرّ ملك سيف الدين على البلاد وبقي اخوه نور الدين بحلب وهي له .

وفي سنة اربع واربعين وخمسمائة توفّي سيف الدين غازي بن اتابك زنكي صاحب الموصل بها من مرض حادّ . فلما اشتدّ مرضه ارسل الى بغداد واستدعى أوحد الزمان ابا البركات فحضر عنده ورأى شدّة مرضه فعالجه فلم ينجع الدواء وتُوفّي آخر جمادى الآخرة وكانت ولايته ثلث سنين . وولي امر الموصل والجزيرة بعده اخوه قطب الدين مودود . وكان اخوه الاكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة فسار الى سنجار وملكها ولم يحاققه اخوه قطب الدين ثم اصطلحا واعاد نور الدين سنجار الى قطب الدين وتسلّم هو مدينة حمص والرحبة فبقي الشام له وديار الجزيرة لاخيه .

وفيها غزا نور الدين محمود بن زنكي بلد الافرنج من ناحية انطاكية فاجتمعت الفرنج مع البرنس فلقيهم نور الدين واقتتلوا قتالاً عظيماً فانهزم الفرنج وقتل البرنس [1] . وملك بعده ابنه بيمند وهو طفل فتزوّجت امّه ببرنس [2] آخر ليدبّر البلد الى ان يكبر ابنها . وفيها تُوفّي الحافظ لدين الله عبد المجيد [3] وولي الخلافة بمصر ابنه الظافر بأمر الله ابو المنصور اسمعيل . وفي سنة ستّ واربعين جمع نور الدين محمود عسكره وسار الى بلاد جوسلين الفرنجي وهي شمالي حلب . وكان جوسلين فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والرأي فسار في عسكره نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا وانهزم المسلمون وقُتل منهم وأسر جمع كثير وكان في جملتهم سلاح دار نور الدين فأخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيّره الى الملك مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا [4] وقال له : هذا سلاح دار زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما هو اعظم منه .

---

١ – هو ريموند الاول .

٢ – ببرنس ر بابرنس .

٣ – كانت خلافته عشرين سنة الآ خمسة اشهر وعمره نحواً من سبع وسبعين سنة ولم يزل في جميعها محكوماً عليه يحكم عليه وزراوءه .

٤ – اقصرا ويقال اقسرا واكسرا مدينة بالروم ذات قلعة كبيرة حصينة وهي على ثلاث مراحل من قونية قيل ان اصلها اق سراي ومعنى اق ابيض وسراي بمعناه المعروف .

فلما علم نورالدين الحال عظم ذلك عليه واعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ثأره واحضر جماعة من الامراء التركمان وبذل لهم الرغائب ان هم ظفروا بجوسلين وسلّموه اليه لانه علم عجزه عنه في القتال . فجعل التركمان عليه العيون . فخرج متصيداً فظفر به طائفة منهم وحملوه الى نور الدين اسيراً . فسار نورالدين الى قلاع جوسلين فملكها وهي عين تاب وعزاز [1] وقورس والراوندان وبرج الرصاص ودلوك ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك من اعماله .

وفي سنة سبع واربعين توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمذان وكان عهده الى ملكشاه ابن اخيه السلطان محمود فخطب له الامير خاصبك بالسلطنة ورتّب الامور وقرّرها بين يديه . ثم قبض عليه وارسل الى اخيه الملك محمد وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده ان يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة . فسار اليه محمد فأجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة . ثم شعر محمد بخبث خاصبك فثاني يوم وصوله لما دخل اليه قتله ومعه زنكي الجاندار والقى رأسيهما وبقيا حتى اكلتهما الكلاب واستقرّ محمد في السلطنة. وفيها توفي حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وميّافارقين وكانت ولايته نيّفاً وثلثين سنة وولي بعده ابنه نجم الدين البي .

وفي سنة ثمان واربعين وخمسمائة ملك الفرنج بالشام مدينة عسقلان وكانت من جملة مملكة العلويّين المصريّين . وفي سنة تسع واربعين في المحرّم قُتل الظافر بن الحافظ العلوي صاحب مصر وولي ابنه الفائز بنصر الله ثاني يوم قُتل ابوه وله من العمر خمس سنين فحمله الوزير عبّاس على كتفه واجلسه على التخت سرير [2] الملك . وفيها في صفر ملك نور الدين محمود بن زنكي بن اقسنقر مدينة دمشق واخذها من صاحبها مجير الدين ابق بن محمّد بن بوري [3] بن طغدكين اتابك . وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في رجب كان بالشام زلازل كثيرة قويّة خرّبت كثيراً من البلاد فخرب منها حمص وحماة وشَيْزَر وكفرطاب والمعرّة وافامية وحصن الاكراد وعِرْقة واللاذقيّة وطرابلس وانطاكية . واما كثرة القتلى فيكفي فيها ان معلماً كان بمدينة حماة وذكر انه فارق المكتب لمهمّ عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم . (قال المعلم) فلم يأتِ احد يسأل عن صبيّ كان له .

---

١ – عزاز (وربما قبلت الالف في اولها) بليدة فيها قلعة شمالي حلب بينها يوم واحد .

٢ – على التخت سرير ر على سرير .

٣ – بوري ر بوزى س ܒܘܪܝ

وفيها في ربيع الاوّل توفي السلطان سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان اصابه قولنج ثم بعده اسهال [١] . وفي سنة اربع وخمسين ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة في دجلة وخرج القورج فوق بغداد فامتلأت الصحارى وخندق البلد ووقع بعض السور فغرق بعض القطيعة وباب الازج والمأمونية ودبّ الماء تحت الارض الى اماكن فوقعت وأخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربي فبلغت المعبرة عدّة دنانير ولم يكن يقدر عليها . ثم نقص الماء فكثر الخراب وبقيت المحالّ لا تُعرف وانما هي تلول فأخذ الناس حدود دورهم بالتخمين . وفيها في ذي الحجة تُوفّي السلطان محمد بن محمود بن محمد ابن ملكشاه وملك عمّه سليمان شاه بن محمد. وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة ثاني ربيع الاوّل تُوفّي الخليفة المقتفي لامر الله وكانت خلافته اربعاً وعشرين سنة وعمره ستاً وستين سنة . وهو اوّل من استبدّ بالعراق منفرداً عن سلطان وحكم على عسكره واصحابه من حين تحكم المماليك على الخلفاء ومن عهد المستنصر [٢] الى الآن .

* * *

كان في وسط المائة السادسة من الاطباء المشار اليهم في الآفاق ثلثة افاضل معاً من ثلث ملل كل منهم هبة الله اسماً ومعنىً من النصارى واليهود والمسلمين هبة الله ابن صاعد بن التلميذ وهبة الله بن ملكا ابو البركات اوحد الزمان وهبة الله بن الحسين الاصفهاني . اما ابن التلميذ الطبيب النصراني البغدادي ففاضل زمانه وعالم اوانه خدم الخلفاء من بني العباس وتقدّم في خدمتهم وارتفعت مكانته لديهم وكان موفقاً في المباشرة والمعالجة عالماً بقوانين هذه الصناعة عمّر طويلاً وعاش نبيلاً جليلاً وكان شيخاً بهيّ المنظر حسن الرُواء عذب المجتنى والمجتبى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهمّ عالي الهمّة ذكيّ الخاطر مصيب الفكر حازم الرأي . وله في نظم الشعر كلمات راقية رائقة شافية شائقة تعرب عن لطافة طبعه . ومن شعره :

كانت بُلَـهْنِيةُ الشبيبة سكرةً فصحوت واستأنفت سيرة مجملِ
وقعدت ارتقب الفناء كراكبٍ عرف المحلّ فبات دون المنزلِ

وكان ابو الحسن بن التلميذ يحضر عند المقتفي كل اسبوع مرّة فيجلسه لكبر سنّه. وتُوفّي في صفر سنة ستين وخمسمائة وقد قارب المائة وذهنه بحاله . وسأله ابنه قبل ان

١ – كان مولده سنة تسع وسبعين واربعمائة وخطب له على اكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحو اربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة .

٢ – كذا في الاصل . ولعل الصواب المنتصر .

يموت بساعة : ما تشتهي . قال : ان اشتهي . واما هبة الله بن ملكا ابو البركات اليهوديّ في اكثر عمره المسلم في آخر امره فكان طبيباً فاضلاً عالماً بعلوم الاوائل وكان حسن العبارة لطيف الاشارة صنّف كتاباً سمّاه المعتبر أخلاه من النوع الرياضيّ وأتى فيه بالمنطق والطبيعيّ والالهيّ فجاءت عبارته فصيحة ومقاصده في ذلك الطريق صحيحة . ولما مرض احد السلاطين السلجوقية استدعاه من بغداد فتوجه نحوه ولاطفه الى ان برأ وأعطاه العطايا الجمّة من الاموال والمراكب والملابس والتُحف وعاد الى العراق على غاية ما يكون من التجمّل والغنى . وسمع ان ابن افلح قد هجاه بقوله :

لنا طبيب يهوديّ حماقته ... اذا تكلّم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب اعلى منه منزلة ... كأنه بعدُ لم يخرج من التيه

ولما سمع ذلك علم انه لا يبجّل بالنعمة التي انعمت عليه الآ بالاسلام فقوي عزمه على ذلك . وتحقق ان له بناتٍ كباراً وانهنّ لا يدخلنَ معه في الاسلام وانه متى مات لا يرثنَه فتضرّع الى الخليفة في الانعام عليهنّ من مالٍ يخلفه وان كنّ على دينهنّ فوقّع له بذلك . ولما تحققه اظهر اسلامه وجلس للتعليم والمعالجة ولم يزل سعيداً الى ان قلب له الدهر ظهر المجنّ . ووضع من شأنه بعد ان اسنّ . فادركته اعلال قصّر عن معاناتها طبُّه. واستولت عليه الآلام ممّا لم يطقْ حملها جسمه ولا قلبه . وذلك انه عمي وطرش وبرص وجُذِم . فنعوذ بالله من استحالة الاحوال وضيق المحال وسوء المآل . ولما احسّ بالموت اوصى الى مَن يتولاه ان يكتب على قبره ما مثاله : هذا قبر اوحد الزمان ابي البركات ذي العبَر صاحب المعتبَر. وفي كبر ابي البركات اوحد الزمان فتواضعِ امين الدولة بن التلميذ يقول البديع هبة الله الاصطرلابيّ.

ابو الحسن الطبيب ومقتفيه ... ابو البركات في طرفَي نقيضِ
فذاك من التواضع في الثريّا ... وهذا بالتكبُّر في الحضيضِ

واما هبة الله بن الحسين بن عليّ الحكيم الطبيب الاصفهانيّ فكان من محاسن الدهر وافاضل العصر وفيه قيل ان عند طبّه لا يشترى بقراط بقيراط ولا يستقيم سقراط على الصراط ولحق حق ابن بطلان بالبطلان . وتوفّي سنة نيّف وثلثين [1] وخمسمائة بسكتة اصابته ودُفن في سرداب داره وهو مسكت فلما فُتح بابه بعد اشهُر لينقل وجد جالساً عند الدرجة وهو ميت . وله شعرٌ حلوٌ منه ما قاله يصف حمّاماً في دار صديق له :

١ – سنة نيف وثلاثين ر سنة ثلاثين الخ .

ودخلت جنَّته وزرت جحيمه وشكرت رضواناً ورأفة مالكِ
والبشر في وجه الغلام نتيجةٌ لمقدّمات ضياء وجه المالكِ

وفي الايام المقتفية دخل ابو الحكم المغربيّ الاندلسيّ الحكيم المرسيّ[١] العراقَ وهو مجهول لا يُعرف ورأى في بعض تطوافه بأزقَّة بغداد رجلاً جالساً على باب دار يشعر بالرئاسة لساكنها وبين يديه شاب يقرأ عليه شيئاً من كتاب اوقليدس فقرب منهما ابو الحكم[٢] ليسمع فاذا المعلِّم يهذي ما لا يعلم فردّ عليه خطأه وبيّن غلطه . وعلم الشاب الحقيقة في الردّ فاستوقف ابا الحكم الى ان يعود ودخل الدار وخرج يستدعي ابا الحكم دون المعلم فدخل الى دار سريَّة فلقي والد الشاب وهو احد امراء الدولة فأحسن ملتقاه ثم سأله ملازمة ولده فأجاب. فاشتهر ذكر ابي الحكم فتطلبه الطلبة وارتفع قدره . وكان كثير الهزل والمزاح. شديد المجون والارتياح. ثم كره العراق وفارق على نيـَّة قصد المغرب. فلما حلّ بظاهر دمشق سيـَّر غلاماً له ليبتاع منها ما يأكلانه في يومهما واصحبه نزراً يكفي رجلين. فعاد الغلام ومعه شواء وفاكهة وحلواء وفُقّـَاع وثلج . فنظر ابو الحكم الى ما جاء به وقال له عند استكثاره: أَوَجدتَ احداً من معارفنا. فقال: لا وانما ابتعت هذا بما كان معي وبقيتْ منه هذه البقيـَّة . فقال ابو الحكم: هذا بلد لا يحلّ لذي عقل ان يتعدّاه . ودخل وارتاد منزلاً وسكنه وفتح دكان عطار يبيع به العطر ويطبّ وأقام على ذلك الى ان اتى اجله .

(المستنجد بن المقتفي) لما اشتدّ مرض المقتفي وكان وليُّ عهده ابنه يوسف وكانت للمقتفي حظيـَّة هي أمّ ولده ابي عليّ فأرادت الخلافة لابنها وأحضرت عدّة من الجواري واعطتهنّ السكاكين وأمرتهنّ بقتل وليّ العهد يوسف اذا دخل على والده . وكان ليوسف خصيّ صغير يرسله كل وقت يتعرّف اخبار والده فرأى الجواري بايديهن السكاكين فعاد الى يوسف وأخبره فاستدعى استاذ الدار وأخذه معه وجماعة من الفرّاشين ودخل الدار وقد لبس الدرع وأخذ بيده السيف . فلما دخل ثار به الجواري فضرب واحدة منهنّ فجرحها وكذلك اخرى وصاح فدخل استاذ الدار ومعه الفرّاشون فهرب الجواري وأخذ أخاه ابا عليّ وامـّه فسجنهما وأخذ الجواري وقتل منهنّ وغرّق منهنّ . فلما تُوفّي المقتفي جلس يوسف ابنه للبيعة فبويع له ولُقب المستنجد بالله وخُطب له في ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

---

١ — المرسي ر الموسي . وروى ابن ابي أصيبعة « المربي » .
٢ — الحكم ر هنا وفي ما بعد « الحلم » .

وفي سنة ستّ وخمسين في صفر تُوفّي الفائز عيسى بن الظافر اسمعيل صاحب مصر وكانت خلافته ستّ سنين وولي الامر بعده بمصر عبد الله بن يوسف بن الحافظ ولُقب العاضد لدين الله وهو آخر الخلفاء العلويّين بالديار المصريّة . وفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة هرب شاوُر وزير العاضد صاحب مصر من ضرغام الذي نازعه في الوزارة الى الشام ملتجئاً الى نورالدين ومستجيراً به وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ويكون له ثلْث دخْل البلاد . فتقدّم نور الدين بتجهيز الجيوش وقدم عليها اسد الدين شيركوه فتجهز وساروا جميعاً وشاوُر في صحبتهم ووصل اسد الدين والعساكر الى مدينة بلبيس . فخرج اليهم اخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم . وخرج ضرغام من القاهرة فقُتل وقُتل اخوه ايضاً . وخلع على شاور وأعيد الى الوزارة . وأقام اسد الدين بظاهر القاهرة فغدر به شاور وعاد عمّا كان قرّره لنور الدين وارسل الى الفرنج يستمدّهم فسارعوا الى تلبية دعوته ونصرته وتجهزوا وساروا . فلما قارب الفرنج مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس وجعلها ظهراً يتحصن به فحصره بها العساكر المصرية والفرنج ثلاثة اشهر وهو يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضاً . فراسل الفرنج اسد الدين في الصلح والعود الى الشام فاجابهم الى ذلك وصار الى الشام .

وفي سنة ثلث وستين وخمسمائة فارق زين الدين عليّ بن سبكتكين النائب عن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى إرْبِل وكان هو الحاكم في الدولة واكثر البلاد بيده . فلما عزم على مفارقة الموصل الى بيته باربل سلّم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وبقي معه اربل حسبُ . وكان شجاعاً عادلاً حسن السيرة سليم القلب كثير العطاء للجند وغيرهم مدحه الحَيْص بَيْص بقصيدة فلما اراد ان ينشده قال : انا لا اعرف ما تقول ولكني اعلم انك تريد شيئاً . وأمر له بخمسمائة دينار وفرس وخلعة سنيّة وثياب مجموع ذلك الف دينار ولم يزل باربل الى ان مات بها هذه السنة .

وفي سنة اربع وستين وخمسمائة ملك نور الدين قلعة جعبر . وملك اسد الدين شيركوه مصر وقتل شاور الوزير . ولما ثبت قدمُ اسد الدين وظنّ ان لم يبقَ له منازع اتاه اجله فتوفّي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة وكانت ولايته شهرين . واما ابتداء امره فانه كان هو واخوه نجم الدين ايوب ابنا شاذي من بلد دَوِين [1]

١ – دوين بلدة من نواحي ارّان في آخر حدود اذربيجان بالقرب من تفليس.

واصلهما من الاكراد الروّاديّة [1] فقدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد . فرأى من نجم الدين ايوب عقلاً ورأياً وكان اكبر من شيركوه فجعله مستحفظاً لقلعة تكريت . فسار اليها ومعه اخوه شيركوه . ثم ان شيركوه قتل كاتباً نصرانياً بتكريت لملاحاة جرت بينهما فاخرجهما بهروز من قلعة تكريت فسارا الى زنكي . ولما ملك بعلبك جعل ايوب مستحفظاً لها فلما قُتل زنكي وتسلّم عسكر دمشق بعلبك صار هو اكبر الامراء بدمشق واتصل اخوه شيركوه بنور الدين فاقطعه حمص والرحبة وجعله مقدم عسكره . فلما اراد ان يرسل العسكر الى مصر لم يرَ هناك من يصلح لهذا الامر العظيم والمقام الخطير غيره فأرسله فملكها .

ولما توفّي اسد الدين شيركوه طلب جماعة من الامراء النوريّة ولاية الوزارة للعاضد العلويّ صاحب مصر فارسل العاضد الى صلاح الدين بن ايوب بن شاذي احضره عنده وخلع عليه وولاّه الوزارة بعد عمّه ولقبه الملك الناصر وكان اسمه يوسف . فكان الذي حمله على ذلك ان اصحابه قالوا له : ليس في الجماعة اضعف ولا اصغر سناً من يوسف فاذا ولي لا يرفع علينا رأساً مثل غيره . فثبت قدم صلاح الدين ومع هذا فهو نائب عن نور الدين وكان نور الدين يكاتبه بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيماً عن ان يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل يكتبه : الامير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة [2] الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا . واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الاموال فمالوا اليه واحبّوه وضعف امر العاضد . ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين ان يرسل اليه اخوته واهله فأرسلهم اليه وشرط عليهم طاعته .

وفي سنة خمس وستين وخمسمائة في شوّال مات قطب الدين مودود بن زنكي ابن اقسنقر صاحب الموصل [3] . ولما اشتدّ مرضه اوصى بالملك بعده لابنه الاكبر عماد الدين زنكي ثم عدل عنه الى ابنه الآخر وهو سيف الدين غازي وانما فعل ذلك لان القيّم بامور دولته كان خادماً له يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين لانه كان طوع عمّه نور الدين وكان نور الدين يبغض عبد المسيح فاتفق عبد المسيح وخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي وهي والدة سيف الدين عليّ صرف الملك

---

١ – الروّادية ر الراوديّة .

٢ – وكافة ر وكان .

٣ – توفي قطب الدين وعمره نحو اربعين سنة وكان ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصف شهر .

عن عماد الدين الى سيف الدين . ورحل عماد الدين الى عمّه نور الدين مستنصراً به ليعينه على اخذ الملك لنفسه .

وفي سنة ستّ وستين وخمسمائة تاسع ربيع الآخر تُوفّي الامام المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفي وكانت خلافته احدى عشرة سنة وعمره ستاً وخمسين سنة . وكان من احسن الخلفاء سيرةً مع الرعية عادلاً قبض على انسان كان يسعى بالناس فاطال حبسه فشفع فيه بعض اصحابه المختصّين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف دينار . فقال : انا اعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي انساناً آخر مثله احبسه فأكفّ شرّه عن الناس . ولم يطلقه. وكان سبب موته انه كتب الى وزيره مع طبيبه ابن صفية يأمره بالقبض على استاذ الدار وقطب الدين قايماز وصلبهما وكان قد اشتدّ مرضه . فاجتمع الطبيب بهما واوقفهما على الخطّ . فقالا له: عُد اليه وقل له: انني اوصلت الخطّ الى الوزير وفعل ذلك . ثم دخل المذكوران على المستنجد ومعهما اصحابهما فحملوه وهو يستغيث الى الحمّام وألقوه واغلقوا الباب عليه وهو يصيح الى ان مات .

(المستضيء بن المستنجد) ولما اظهروا موت المستنجد أُحضر ابنه ابو محمد الحسن وبايعه اهل بيته البيعة الخاصّة يوم تُوفّي ابوه اي تاسع ربيع الآخر سنة ستّ وستين وخمسمائة وبايعه الناس من الغد في التاج بيعةً عامّة ولُقّب المستضيء بامر الله وأظهر من العدل اضعاف ما عمل ابوه وفرّق اموالاً جليلة المقدار . ولما بلغ نور الدين محمود ابن زنكي وفاة اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وملك ولده سيف الدين غازي الموصل وتحكم فخر الدين عبد المسيح عليه انف لذلك وسار بجريدةٍ في قلّة من العسكر وعبر الفرات عند قلعة جعبر وملك الرقّة والخابور ونصيبين وحاصر سنجار وملكها وسلّمها الى عماد الدين ابن اخيه وأتى مدينة بَلَد[1] وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقيّ ونزل على حصن نينوى . ومن العجب انه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة فأرسل فخر الدين عبد المسيح الى نور الدين في تسليم البلد اليه على ان يُقرّه بيد سيف الدين ويطلب لنفسه الامان ولماله واهله فاجيب الى ذلك وشرط ان فخر الدين يأخذه معه الى الشام ويعطيه عنده اقطاعاً مرضية . فتسلّم البلد ودخل القلعة وأمر بعمارة الجامع النوريّ وسلم الموصل الى سيف الدين وسنجار لعماد الدين وعاد الى الشام واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وكان مقامه بالموصل اربعة وعشرين

---

١ – بلد وربما قيل لها بلط واسمها بالفارسية شهراباذ مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينها سبعة فراسخ وبينها وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخاً .

يوماً . وفي سنة سبع وستين وخمسمائة لما ثبت قدم صلاح الدين بمصر وضعف امر الخليفة العاضد بها وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونائبه قراقوش وهو خصيّ من اعيان الامراء الاسديّة كلهم يرجعون اليه عزم على قطع خطبة العاضد وكان يخاف المصريين. وكان قد دخل الى مصر رجل اعمى [١] يُعرف بالامير العالم فلما رأى ما هو فيه من الاحجام وان احداً لا يتجاسر يخطب للعباسيين قال: انا ابتدئ بالخطبة للمستضيء . فلما كان اوّل جمعة من المحرّم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء فلم ينكر احد ذلك فقطع الخطباء كلهم بمصر خطبة العاضد وخطبوا للمستضيء ولم ينتطح فيها عنزان. وتُوفّي العاضد يوم عاشوراء ولم يعلموه بقطع خطبته .

وفيها عبر الخطا [٢] نهر جيحون يريدون خوارزم . فسار صاحبها خوارزم شاه ارسلان بن اقسز [٣] في عساكره الى أمُّوية [٤] ليقاتلهم ويصدّهم فمرض فأقام بها وسيّر جيشه مع امير كبير اليهم فلقيهم فانهزم الخوارزميّون واسر مقدّمهم ورجع به الخطا الى ما وراء النهر . وعاد خوارزم شاه الى خوارزم مريضاً وتُوفّي بها وملك بعده ابنه سلطان شاه محمود . وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش مقيماً في جَنْد [٥] فقصد ملك الخطا واستمدّه على اخيه فسيّر معه جيشاً كثيفاً مقدّمهم فوما [٦] وساروا حتى قاربوا خوارزم فخرج سلطان شاه منها ومعه امّه وقصد خراسان وملكَ تكش خوارزم. وفي سنة تسع وستين وخمسمائة توفّي نور الدين محمود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء حادي عشر شوّال [٧] ولم يكن في سيَر

١ – يروى في الكامل «اعجمي» بدل اعمى ولعلها الصواب .

٢ – الخطا ويروى الخطاي قوم من التتر الشرقيين تملكوا بلاد الصين الشمالية وجزءاً من بلاد التتر . ثم ان الصينيين استنصروا التتر الساكنين في شمالي كوريا والمسمين (نيوتشي) وهم أجداد (المندشو) على الخطا . فنصروهم وغصبوا الملك وكانت منهم الأسرة الملكية المعروفة بآل كين اي آل الذهب . فانتقل قسم عظيم من الخطا نحو الغرب واستوطنوا بلاد كاشغر وهي التي تسمى قرا خطا ومعنى قرا الاسود .

٣ – اقسز واقسيس هو اللفظ الذي ادرجته العامة على اسم اتسز واصله في التركية ادسز ومعناه غير مسمى .

٤ – اموية وتسمى ايضاً آمو وآمل مدينة مشهورة في غربي جيحون على طريق القاصد الى بخارا من مرو . ويقابلها في شرقي جيحون فربر وبينها وبين شاطىء جيحون نحو ميل ويقال لهذه آمل زم وآمل جيحون وآمل الشط وآمل المفازة لان بينها وبين مرو رمالاً صعبة المسلك ومفازة اشبه بالمهلك . وبين آمل هذه وبخارا سبعة عشر فرسخاً . وبخارا في شرقي جيحون .

٥ – جند مدينة عظيمة في بلاد تركستان بينها وبين خوارزم عشرة ايام تلقاء بلاد الترك من مسا وراء النهر قريب من نهر سيحون .

٦ – ويروى قوما . وروى ابن الاثير قرما . وفوما لفظة صينية معناها صهر .

٧ – كان مولده سنة احدى عشرة وخمسمائة .

الملوك أحسن من سيرته ولا اكثر تحرّياً للعدل منه وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرّف في الذي يخصّه الا من ملكٍ كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة. ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فأعطاها ثلثة دكاكين في حمص كانت له يحصل منها في السنة نحو العشرين ديناراً . فلما استقلّتها قال: ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنّم لاجلكِ . ولما مات ملك بعده ابنه الملك الصالح اسمعيل وكان عمره احدى عشرة سنة وأطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكة باسمه . وفي سنة سبعين وخمسمائة لما ملك سيف الدين غازي الديار الجزرية خاف الامراء الذين في دمشق وحلب لئلا يعبر اليهم سيف الدين فسيّروا الملك الصالح ومعه العساكر الى حلب ليصدّ سيف الدين عن العبور الى الشام . فلما خلت دمشق عن السلطان والعساكر سار اليها صلاح الدين فملكها وملك بعدها حمص وحماة وبعلبكّ وسار الى حلب فحصرها . فركب الملك الصالح وهو صبيّ عمره اثنتا عشرة سنة وجمع اهلَ حلب وقال لهم: قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبّته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه يأخذ بلدي ولا يراقب الله ولا الخلق . وقال من هذا كثيراً وبكى فأبكى الناس واتفقوا على القتال دونه فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جَوْشَن [١] ولا يقدر على القرب من البلد فرحل عنه . وفيها ملك البهلوان مدينة تبريز . وفي سنة احدى وسبعين ملك صلاح الدين قلعة عزاز ونازل حلب وبها الملك الصالح وقد قام العامّة في حفظ البلد المقامَ المرضيّ وتردّدت الرسل بينهم في الصلح فوقعت الاجابة اليه من الجانبين ورحل صلاح الدين عن حلب بعد ان اعاد قلعة عزاز الى الملك الصالح فانه اخرج الى صلاح الدين اختاً له صغيرة طفلة . فاكرمها صلاح الدين وقال لها: ما تريدين . قالت: اريد قلعة عزاز . وكانوا قد علّموها ذلك . فسلّمها اليهم ورحل . وفي سنة ثلث وسبعين قُتل عضد الدين وزير الخليفة المستضيء ووزر ظهير الدين المعروف بابن العطّار وكان خيّراً حسن السيرة كثير العطاء وتمكن تمكناً كثيراً .

وفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة ثاني ذي القعدة تُوفّي الامام المستضيء بأمر الله وكانت خلافته نحو تسع سنين وعمره تسع وثلثون سنة وكان عادلاً حسن السيرة في الرعية قليل المعاقبة على الذنوب محباً للعفو فعاش حميداً ومات سعيداً .

* * *

١ – جوشن بالجيم المعجمة جبل مطل على حلب في غربيها ومنه كان يحمل النحاس الاحمر وهو معدنه .

وكان في هذا الزمان من الحكماء المشهورين بالمشرق السموءل بن ايهوذا المغربيّ الاندلسيّ الحكيم اليهوديّ قدم هو وابوه الى المشرق وكان ابوه يشدو شيئاً من الحكمة وكان ولده السّموءل قد قرأ فنون الحكمة وقام بالعلوم الرياضيّة وأحكم اصولها وفوائدها ونوادرها وله في ذلك مصنّفات وصنّف كتباً في الطبّ وارتحل الى اذربيجان وخدم بيت بهلوان وامراء دولتهم وأقام بمدينة مراغة وأولد اولاداً هناك سلكوا طريقته في الطبّ ثم أسلم وصنّف كتاباً في اظهار معايب اليهود ومواضع الدليل على تبديلهم التوراة ومات بالمراغة قريباً من سنة سبعين وخمسمائة . وكان في هذا الاوان ايضاً الرحبي الطبيب نزيل دمشق من اهل الرحبة اصله كان من الرحبة حسن المعالجة لطيف المباشرة نزه النفس يعاني التجارة ورزق بها مالاً جماً واولاداً مرضيّي الطريقة لهم اشتغال جيد في هذا الفنّ وكان كثير التنعّم[1] حسن المركب والملبس والمأكل والمنزل يلزم في اموره قوانين حفظ الصحة الموجودة . وقيل له: ما ثمرة هذا . قال: ان يعيش الانسان العمر الطبيعيّ . فقيل له: انت قد بلغت من السنّ ما لم يبقَ بينك وبين العمر الطبيعيّ الا القليل فأيّ حاجة الى هذا التكلّف. فقال: لأبقى ذلك القليل فوق الارض واستنشق الهواء واتجرّع الماء ولا اكون تحت التراب بسوء التدبير . ولم يزل على حالته الى ان أتاه أجله في اوائل سنة اثنتين وثلثين وستمائة وخلف ثلثة بنين اثنان منهم طبيبان فاضلان وسيأتي ذكرهما . قال الرحبي هذا: استدعاني نور الدين محمود في مرضه الذي تُوفّي فيه مع غيري من الاطباء فدخلنا اليه وهو في بيت صغير بقلعة دمشق وقد تمكّنت منه الخوانيق وقارب الهلاك فلا يكاد يُسمع صوته وكان يخلو فيه للتعبّد فابتدأ به المرض فلم ينتقل عنه . فلما دخلنا ورأينا ما به قلتُ له: كان ينبغي ان لا تؤخّر احضارنا الى ان يشتدّ بك المرض. الآنَ ينبغي ان تعجل الانتقال من هذا الموضع الى مكان فسيح مضيء فله اثر في هذا المرض . وشرعنا في علاجه واشرنا بالفصد فقال: ابن ستين سنة لا يفتصد . وامتنع عنه فعالجناه بغيره فلم ينجع فيه الدواء .

(الناصر بن المستضيء): ولما مات المستضيء قام ظهير الدين ابن العطّار في أخذ البيعة لولده الناصر لدين الله ابي العباس احمد . فلما تمّت البيعة صار الحاكم في الدولة مجد الدين ابو الفضل بن الصاحب . وفي سابع ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة قبض على ابن العطار ووكل عليه في داره ثم نقل الى التاج وقيّد وطُلبت ودائعه وامواله ثم أُخرج ميتاً على رأس حمّال سراً فغمز به بعض العامة فثار به العامة فألقوه عن رأس

١ – التنعم ر الدرهم .

الحمّال وكشفوا سوءته وشدّوا في ذكره حبلاً وسحبوه في البلد وكانوا يضعون بيده مغرفة ويقولون: وقّع لنا يا مولانا . الى غير ذلك من الافعال الشنيعة . ثم خلّص من ايديهم ودُفن . هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفّه عن اموالهم واعراضهم . وفي سنة ستّ وسبعين ثالث صفر تُوفّي سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل [١] وولي اخوه عزّ الدين الموصل واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده معزّ الدين سنجرشاه [٢] واعطى قلعة شوش [٣] وبلد الحميدية لابنه الصغير ناصر الدين كبك [٤] وكان المدبّر لدولة عزّالدين مجاهد الدين قيماز واستقرّت الامور ولم يختلف اثنان .

وفيها تُوفّي شمس الدولة تورانشاه بن ايوب اخو صلاح الدين الاكبر بالاسكندرية . وفي سنة سبع وسبعين في رجب تُوفّي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو تسع عشرة سنة . فلما ايس من نفسه احضر الامراء ووصاهم بتسليم البلد الى ابن عمّه عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكي فتسلّم حلب ثم سلّمها لاخيه عماد الدين وأخذ عوضاً عنها مدينة سنجار . وفي سنة ثماني وسبعين سيّر صلاح الدين اخاه سيف الاسلام طغتكين الى اليمن فتملكها وتغلّب عليها . وفيها عبر صلاح الدين الفرات الى الديار الجزرية وملكَ الرها وحرّان والرقّة وقرقيسياء وماكسين [٥] وعَربان [٦] ونصيبين وسار الى الموصل وبها عزّ الدين صاحبها ونائبه مجاهد الدين قد جمعا بها العساكر الكثيرة من فارسٍ وراجل واظهرا من السلاح وآلات الحصار ما حارت له الابصار . فلما قرب صلاح الدين من البلد رأى ما هاله وملأ صدره وصدور اصحابه ومع هذا نزل عليها وانشب القتال . وخرج اليه يوماً بعض العامّة فنال منه واخذ لالكة من رجله فيها المسامير الكثيرة ورمى بها اميراً يقال له جاولي الاسديّ وهو مقدّم الاسديّة وكبيرهم فأصاب صدره فوجد لذلك ألماً شديداً وأخذ اللالكة وعاد عن القتال الى صلاح الدين وقال: قد قابلنا اهل الموصل بحماقات ما رأينا مثلها بعد .

---

١ – وكان عمره حينئذ نحو ثلاثين سنة وكانت ولايته عشر سنين وثلاثة اشهر .

٢ – كان اراد سيف الدين ان يعهد بالملك لابنه معز الدين سنجرشاه وكان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة فخاف على الدولة من ذلك لان صلاح الدين يوسف بن ايوب كان قد تمكن بالشام وقوي امره .

٣ – هي قلعة عظيمة عالية جداً قرب عقر الحميدية من اعمال الموصل. قيل هي اعلى من العقر واكبر ولكنها في القدر دونها .

٤ – يروى في الكامل كسك بدل كبك .

٥ – مدينة بالجزيرة .

٦ – عربان بليدة بالخابور من ارض الجزيرة .

وألقى اللالكة وحلف انه لا يعود يقاتل عليها انفةً حيث ضرب بها. فلما رأى صلاح الدين انه لا ينال من الموصل غرضاً ولا يحصل على غير العناء والتعب سار عنها الى سنجار وملكها . وفي سنة تسع وسبعين ملك صلاح الدين مدينة آمد وسلّمها الى نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن وكان صلاح الدين قد نزل بحَرْزَم[1] وطمع ان يملك ماردين فلم يرَ لطمعه وجهاً فسار عنها الى آمد على طريق البارعية . وفيها سار صلاح الدين الى حلب فنزل بجبل جوشن وأظهر انه يريد يبني مساكن له ولاصحابه وعساكره . فمال عماد الدين زنكي الى تسليم حلب واخذ العوض عنها فتقرَّر الصلح على ان يسلّم حلب الى صلاح الدين ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقّة وسروج . وجرت اليمين على ذلك فباعها باوكس الاثمان أعطى حصناً مثل حلب وأخذ عوضها قرًى ومزارع فقبّح الناس كلهم ما اتى.

وفي سنة ثمانين وخمسمائة مات قطب الدين بن ايلغازي بن نجم الدين البي بن تمرتاش ابن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين وملك بعده ابنه حسام الدين يولق[2] ارسلان رهو طفل وكان شاه ارمن صاحب خلاط خال قطب الدين فحكم في دولته بعد موته فرتّب نظام الدين التقش[3] مع ولده وقام بتربيته وتدبير مملكته وكان ديّناً خيّراً فاحسن تربية الولد وتزوّج امّه فلما كبر الولد لم يمكّنه النظام من مملكته لخبطٍ وهوج كان فيه. ولم يزل الامر على ذلك الى ان مات الولد وله اخ أصغر منه لقبه قطب الدّين فرتّبه النظام في الملك وليس له منه الا الاسم والحكم الى النظام والى مملوك له اسمه لؤلؤ فبقي كذلك الى سنة احدى وستمائة . فمرض التقش النظام فاتاه قطب الدين يعوده فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ فضربه قطب الدين بسكين معه فقتله . ثم دخل الى النظام فقتله ايضاً وخرج وحده ومعه غلام له وألقى الرأسَين الى الاجناد فاذعنوا له بالطاعة واستولى على قلعة ماردين وقلعة البارعيّة والصَّوْر وحكم فيها وحزم في افعاله .

وفي سنة احدى وثمانين وخمسمائة حصر صلاح الدين الموصل مرّة ثانية فسيّر اتابك عزّ الدين صاحبها والدته اليه ومعها ابنة عمّه نور الدين محمود وغيرهما من النساء وجماعة من اعيان الدولة يطلبون المصالحة . وكلٌّ مَن عنده ظنّوا انهنّ اذا طلبنَ منه الشام اجابهنّ الى ذلك لا سيما ومعهنّ ابنة مخدومه ووليّ نعمته نور الدين . فلما وصلن

---

١ – حرزم بليدة في واد ذات نهر جار وبساتين بين ماردين ودنيسر من اعمال الجزيرة .

٢ – يولق ر بولق س [illegible].

٣ – كذا في الاصل . والصواب البقش .

اليه انزلهنّ واعتذر بأعذار غير مقبولة واعادهنّ خائباتٍ . فبذل العامّة نفوسهم غيظاً وحنقاً لردّه النساء . فندم صلاح الدين على ردّ النساء وجاءته كتب القاضي الفاضل وغيره يقبّحون فعله وينكرونه . وكان عامّة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من الجانب الشرقي من العسكر ويعودون . فعزم صلاح الدين على قطع دجلة عن الموصل الى ناحية نينوى ليعطش اهل الموصل فيملكها بغير قتال ثم علم انه لا يمكن قطعه بالكلية وان المدّة تطول والتعب يكثر فأعرض عنه ورحل الى ميّافارقين لانه سمع ان شاه ارمن صاحب خلاط توفّي ولم يخلف ولداً وقد استولى على بلاده مملوك له اسمه بكتمر . فسيّر صلاح الدين في مقدّمته ابن عمّه ناصرالدين محمد [١] بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما فساروا الى خـــلاط فنزلوا بطُوَانة . وسار صلاح الدين الى ميّافارقين وسار البهلوان بن ايلدكر صاحب اذربيجان فنزل قريباً من خلاط وتردّدت رسل اهل بينهم وبين البهلوان وصلاح الدين . ثم انهم اصلحوا [٢] امرهم مع البهلوان وصاروا من حزبه وخطبوا له .

وفي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة تُوفّي البهلوان محمد بن ايلدكر صاحب بلادالجبل والريّ واصفهان واذربيجان وارّان وملك بعده اخوه قزل ارسلان واسمه عثمان . وفي سنة ثلث وثمانين ملك صلاح الدين مدينة طبريّة وقلعتها وسار عنها ونزل على عكة . ولما صمّم على الزحف الى البلد خرج الاعيان من اهلها اليه يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وامّنهم على نفوسهم واموالهم وخيّرهم بين الاقامة والظعن فاختاروا الرحيل وساروا منها متفرّقين وحملوا ما امكنهم من اموالهم وتركوا الباقي على حاله. وسلّم صلاح الدين البلد الى ولده الافضل وغنم المسلمون ما بقي ممّا لم يطق الفرنج حمله . وفيها ملك صلاح الدين قيسارية وحيفا وصفّورية والشّقيف والفولة ويافا وتبنين وصيدا وبيروت وجبيل وعسقلان.

ولما فرغ صلاح الدين من امر هذه الاماكن سار الى البيت المقدّس فلما نزل عليه المسلمون رأوا على سوره من الرجال ما هالهم وبقي صلاح الدين خمسة ايام يطوف حول المدينة لينظر من اين يقاتل لانه في غاية الحصانة والامتناع فلم يجد عليه موضع قتال الا من جهة الشمال نحو باب عمود او كنيسة [٣] صهيون [٤] فانتقل الى هذه [٥]

١ – محمد ر محمود.
٢ – اصلحوا ر اصطلحوا واصلحوا .
٣ – عمودا او كنيسة ر عمودا وكنيسته .
٤ – ان في هذه العبارة غلطاً بيناً لان كنيسة صهيون كانت في جهة الجنوب . قال العلامة الادريسي في ذكر بيت المقدس « ولها من جهة الجنوب باب يسمى باب صهيون ومن جهة الشمال باب عمود الغراب » .
٥ – هذه ر تلك .

الناحية في العشرين من رجب فنزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات ونصب الفرنج على سور البلد المنجنيقات وتقاتل الفريقان اشدّ قتال كلٌّ منهما يرى ذلك ديناً وحتماً واجباً فلا يحتاج فيه الى باعث سلطانيّ بل كانوا يمنعون ولا يمتنعون ويزجرون ولا ينزجرون. فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين وتحكُّم المنجنيقات بالرمي المتدارك وتمكّن النقّابين من النقب ارسلوا باليان بن نيرزان صاحب الرملة الى صلاح الدين يطلب الامان. فابى السلطان وقال: لا افعل بكم الا كما فعلتم بالمسلمين حين ملكتموه سنة احدى وتسعين واربعمائة من القتل والسبي. فقال له باليان: ايها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة في خلق كثير وانما يفترون عن القتال رجاء الامان. فاذا رأينا ان الموت لا بد منه فوالله لنقتلنّ اولادنا ونساءنا ونحرق اموالنا ولا نترككم تغنمون منّا ديناراً ولا درهماً ولا تسبون وتأسرون رجلاً او امرأة. فاذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الاقصى ثم نقتل من عندنا من اسارى المسلمين وهم خمسة آلاف اسير ولا نترك لنا دابّة ولا حيواناً الاّ قتلناه ثم خرجنا اليكم كلّنا وحينئذٍ لا يُقتل الرجل منّا حتى يقتل امثاله ونموت اعزّاء او نظفر كرماء فاستشار صلاح الدين اصحابه فأجمعوا على اجابتهم الى الامان وان لا يُخرجوا ويُحملوا على ركوب ما لا يدري عاقبة الامر فيه عن اي شيءٍ ينجلي. فاجاب صلاح الدين حينئذٍ الى بذل الامان للفرنج واستقرّ ان يزِن الرجل عشرة دنانير يستوي فيه الغني والفقير وتزِن المرأة خمسة دنانير ويزن الطفل من الذكور والاناث دينارين فمن ادّى ذلك الى اربعين يوماً فقد نجا والا صار مملوكاً. فبذل باليان عن الفقراء ثلثين الف دينار فأجيب الى ذلك وسلّمت المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب.

ولما فرغ صلاح الدين من امر بيت المقدس سار الى مدينة صور وقد خرج اليها المركيس وصار صاحبها وقد ساسها احسن سياسة. فقسم صلاح الدين القتال على العسكر كل جمع لهم وقت معلوم يقاتلون فيه بحيث يتصل القتال على اهل البلد على ان الموضع الذي يقاتلون فيه قريب المسافة تكفيه الجماعة اليسيرة من اهل البلد تحفظه وعليه الخنادق التي قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطائر يطير عليها لان المدينة كالكفّ في البحر والساعد متصل بالبرّ والبحر في جانبي الساعد والقتال انما هو في الساعد فلذلك لم يتمكن منها صلاح الدين ورحل عنها. وكان للمسلمين خمس قطع من الشواني مقابل ميناء صور ليمنعوا من الخروج منه والدخول اليه فنازلتهم شواني الفرنج وقت السحر وضايقتهم وأوقعت بهم فقتلوا مَن ارادوا واخذوا الباقين بمراكبهم وادخلوهم

ميناء صور والمسلمون من البرّ ينظرون اليهم . ورمى جماعة من المسلمين انفسهم من الشواني فمنهم من سبح ونجا منهم من غرق . وفي سنة اربع وثمانين فتح صلاح الدين جبلة واللاذقيّة وصهيون وشُغْر بَكاس ودربساك وبغراس والكرك وصفد . وهادن صلاح الدين البرنس بيموند[1] صاحب انطاكية وطرابلس ثمانية اشهر .

وفي سنة سبع وثمانين وصلت امداد الفرنج في البحر الى الفرنج النازلين على عكّة يحاصرونها . وكان اول من وصل منهم فيليب ملك افرنسيس وهو من اشرف ملوكهم نسباً وان كان ملكه ليس بالكثير فقويت به نفوسهم اي الذين كانوا على عكة ولجّوا في قتال المسلمين الذين فيها . وكان صلاح الدين على شَفَرْعمَ فكان يركب كل يوم ويقصد الفرنج ليشغلهم بالقتال على مزاحفة البلد وكان فيه الامير سيف الدين الهكاري المعروف بالمشطوب فلما رأى ان صلاح الدين لا يقدر لهم على نفع ولا يدفع عنهم ضراً خرج الى الفرنج وقرَّر معهم تسليم البلد وخروج مَن فيه باموالهم وبذل لهم عن ذلك مائتي الف دينار وخمسمائة أسير من المعروفين واعادة صليب الصلبوت[2] واربعة عشر الف دينار للمركيس صاحب صور فاجابوه الى ذلك وان تكون مدة تحصيل المال والاسراء الى شهرين . فلما حلفوا له سلّم البلد اليهم فدخله الفرنج سلماً واحتاطوا على مَن فيه من المسلمين وعلى اموالهم وحبسوهم الى حين ما يصل اليهم ما بذل لهم وراسلوا صلاح الدين في ارسال المال والاسرى والصليب حتى يطلقوا من عندهم . فشرعوا في جمع المال وكان هو لا مال له انما يخرج ما يصل اليه من دخل البلاد اولاً باول فلما اجتمع عنده من المال مائة الف دينار اشار الامراء بان لا يرسل شيئاً حتى يعاود يستحلفهم على الاطلاق من اصحابه . فقال ملوك الفرنج: نحن لا نحلف انما ترسل الينا المائة الالف ديناراً التي حصلت والاسارى والصليب ونحن نطلق من اصحابكم من نريد ونترك من نريد حتى يجيئ باقي المال فنطلق الباقين منهم . فلم يجبهم[3] السلطان الى ذلك . فلما كان يوم الثلثاء السابع والعشرون من رجب ركب الفرنج وخرجوا ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن موقفهم واذا اكثر من كان عندهم من المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف وقتلوهم واستبقوا الامراء ومن كان له مال وقتلوا مَن سواهم من سوادهم واصحابهم ومن لا مال له . فلما رأى صلاح الدين ذلك رحل الى

١ – بيموند ر فيموند .
٢ – الصلبوت ر المصلوب .
٣ – فلم يجبهم ر فاجابهم.

ناحية عسقلان واخربها . وفي سنة ثمان وثمانين رحل الفرنج نحو عسقلان وشرعوا في عمارتها . وفيها عُقدت الهدنة بين صلاح الدين والانكتار ملك الفرنج لمدة ثلث سنين وثمانية اشهر اوّلها يوم اوّل ايلول .

وفيها منتصفَ شعبان تُوفّي السلطان قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان ابن سليمان بن قتلميش بن سلجوق بمدينة قونية [١] وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدلٍ وافر وغزوات كثيرة الى بلاد الروم. فلما كبر فرّق بلاده على اولاده فاستضعفوه ولم يلتفتوا اليه وحجر عليه ولده قطب الدين . ثم اخذه وسار به الى قيسارية ليأخذها من اخيه فحصرها مدة فهرب منه والده ودخل الى قيسارية . ولم يزل قلج ارسلان يتحول من ولدٍ الى ولد وكل منهم يتبرَّم به حتى مضى الى ولده غياث الدين كيخسرو فسار معه في عساكره الى قونية فملكها وبها تُوفّي قلج ارسلان وبقي ولده غياث الدين في قونية مالكاً لها حتى اخذها منه اخوه ركن الدين .

وفي سنة تسع وثمانين وخمسمائة تُوفّي صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي بدمشق وعمره سبع وخمسون سنة [٢] وكان حليماً كريماً حسن الاخلاق متواضعاً صبوراً على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه . وحكي انه كان يوماً جالساً وعنده جماعة فرمى بعض المماليك بعضاً بسرموزة فاخطأته ووصلت الى صلاح الدين فوقعت بالقرب منه . فالتفت الى الجهة الاخرى يكلّم جليسه هناك ليتغافل عنها . وطلب مرّة الماء فلم يُحضَر فعاود الطلب في مجلس واحد خمس مرّات فلم يحضر فقال: يا اصحابنا والله قد قتلني العطش . واما كرمه فانه كان كثير البذل لا يقف في شيء يخرجه . ويكفي دليلاً على كرمه انه لما مات لم يخلف في خزانته غير دينار واحد صوري واربعين درهماً ناصرية . ولما تُوفّي صلاح الدين ملك بعده ولده الاكبر الافضل نور الدين دمشق والساحل والبيت المقدس وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين الى الداروم . وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها . وكان ولده الملك الظاهر غازي بحلب فملكها واعمالها مثل حارم وتلّ باشر واعزاز ودربساك ومنبج . وكان بحماة محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب فاطاع الملك الظاهر . وكان بحمص شيركوه ابن محمد بن شيركوه فاطاع الملك الافضل . وكان الملك العادل اخو صلاح الدين بالكرك فسار الى دمشق . فجهز الافضل معه عسكراً وسار الى البلاد الجزرية وهي له

١ – وكانت مدة ملكه نحو تسع وعشرين سنة .
٢ – وكان ملكه مصر سنة اربع وستين وخمسمائة .

ليمنعها من عزّ الدين صاحب الموصل . وفيها اول جمادى الاولى قُتل سيف الدين بكتمر صاحب خلاط وكان بين قتله وموت صلاح الدين شهران . فانه اسرف في اظهار الشماتة بموت صلاح الدين وفرح فرحاً كثيراً فلم يمهله الله تعالى . وملك بعده ظهير الدين هزارديناري خلاط وهو ايضاً من مماليك شاه ارمن . وفيها سلخ شعبان تُوفّي اتابك عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل بالموصل وملك بعده ابنه نور الدين ارسلان شاه . وكان عزّ الدين خيّراً محسناً حليماً قليل المعاقبة حييّاً كثير الحياء لم يكلّم جليساً له الا وهو مُطرق وما قال في شيء سُئِله حبّاً وكرم طبع .

وفي سنة احدى وتسعين وخمسمائة كتب ألفنش ملك الفرنج ومقرّ ملكه طليطلة الى يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن كتاباً يقول فيه : انك امير المسلمين ولا يخفى عليك ما هم عليه رؤساء الاندلس من التخاذل واهمال الرعية واشتمالهم على الراحات وانا اسومهم الخسف وأخلي الديار وأسبي الذراريّ وامثّل بالكهول واقتل الشبّان ولا عذر لك في التخلّف عن نصرتهم وانت تعتقد ان الله فرض عليكم قتال عشرة منّا بواحد منكم . والآن نخفف عنكم فنحن نقاتل عدداً منكم بواحد منّا . ثم بلغني عنك انك اخذت في الاحتفال وتمطل نفسك عاماً بعد عام تقدم رجلاً وتؤخر اخرى ولا ادري ألجبن ابطأ بك أم التكذيب بما أنزل عليك . وانا اقول لك ما فيه المصلحة ان تتوجّه بجملة من عندك في الشواني والمراكب واجوز اليك بجملتي وابارزك في اعزّ الاماكن عندك فان كانت لك فغنيمة عظيمة جاءت اليك وهديّة مُثّلت بين يديك وان كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحققت مُلك الملّتين والتقدم على الفئتين[1] . فلما قرأ يعقوب كتابه جمع العساكر وعبر المجاز الى الاندلس واقتتلوا قتالاً شديداً فكانت الدائرة اولاً على المسلمين ثم عادت على الفرنج فانهزموا اقبح هزيمة وغنم المسلمون منهم شيئاً عظيماً. فلا يفخرنَ ثروان بثروته ولا جبّار بجبروته ومن يفتخر فبالله تعالى فليفتخر كما جاء في الكتاب الالهي . ثم ان الفنش عاد الى بلاده وركب بغلاً وأقسم انه لا يركب فرساً حتى تنصره ملوك فرنجة فجمعوا الجموع العظيمة وجرت لهم مع المسلمين وقائع كثيرة الى ان ملكوا الآن اكثر مدن الاندلس .

وفي سنة اثنتين وتسعين سار الملك العزيز من مصر الى دمشق وحصرها وارسل الى اخيه الافضل ان يفارق القلعة ويسلّم البلد على قاعدة ان تعطى قلعة صرخد له ويسلّم

١ – الفئتين ر القبلتين .

جميع اعمال دمشق . فخرج وتسلّم العزيز القلعة ودخلها وأقام بها اياماً ثم سلّمها الى عمّه الملك العادل وعاد الى مصر فسار الافضل الى صرخد . وفي سنة ثلث وتسعين ملك العادل يافا من الفرنج وملك الفرنج بيروت من المسلمين .

وفي سنة اربع وتسعين تُوفّي عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقّة وملك بعده ابنه قطب الدين محمد وملك نور الدين مدينة نصيبين . وفيها قصد خوارزمشاه بخارا وكان قد ملكها الخطا فنازلها وحصرها وامتنع اهلها منه وقاتلوه مع الخطا لما رأوا من حسن سيرتهم معهم حتى انهم اخذوا كلباً اعور والبسوه قباء وقلنسوة وقالوا: هذا خوارزمشاه . لانه كان اعور . وطافوا به على السور ثم القوه في منجنيق الى العسكر وقالوا: هذا سلطانكم . فلم يزل هذا دأبهم حتى ملك خوارزمشاه البلد بعد ايام يسيرة عنوة وعفا عن اهله واحسن اليهم .

وفيها حصر الملك العادل ابو بكر بن ايوب قلعة ماردين في شهر رمضان وكان صاحبها حسام الدين يولق ارسلان صبيّاً فسلّم بعض اهلها الربض بمخامرة فنهب العسكر اهلها نهباً قبيحاً فلما تسلّم العادل الربض تمكّن من حصر القلعة وقطع الميرة عنها وبقي عليها الى ان رحل عنها سنة خمس وتسعين . وفي سنة خمس وتسعين في العشرين من المحرّم تُوفّي الملك العزيز صاحب مصر وارسل الامراء من مصر الى الافضل اخيه يدعونه اليهم ليملّكوه لانه كان محبوباً الى الناس يريدونه فدخل الى مصر وملكها . وفي سنة ستّ وتسعين سار العادل فنزل على القاهرة وحصرها فأرسل الافضل اليه في الصلح فتقرّر ان يسلّم الديار المصرية الى عمّه ويأخذ العوض عنها ميّافارقين وحاني وجبل جُور [1] وتحالفوا على ذلك . وخرج الافضل من مصر وسار الى صرخد وأرسل من يتسلّم ميّافارقين وحاني وجبل جور فامتنع نجم الدين ايوب بن الملك العادل من تسليم ميّافارقين وسلّم ما عداها . فتردّدت الرسل في ذلك والعادل يزعم ان ابنه عصاه . فامسك الافضل عن المراسلة في ذلك لعلمه ان هذا فعله بأمر العادل . وفيها في شهر رمضان تُوفّي خوارزمشاه تُكُش بن ارسلان وولي ملك خوارزم بعده ابنه قطب الدين محمد ولُقّب علاء الدين لقب ابيه . وفي سنة سبع وتسعين في شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان مدينة مَلَطية وكانت لاخيه معزّ الدين قيصر شاه فسار اليه وحصره اياماً وملكها وسار منها الى ارزن الروم وكانت لولد الملك

١ – حاني مدينة بديار بكر والنسبة اليها حنوي . وجبل جور اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحي ارمينية .

محمد بن صلتُق [١] وهم بيت قديم قد ملكوا ارزن الروم . فلما قاربها ركن الدين خرج صاحبها اليه ثقةً به ليقرّر معه الصلح على قاعدة يؤثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده وأخذ البلد وهذا كان آخر اهل بيته الذين ملكوا . وفيها حصر الملك الظاهر واخوه الملك الافضل ابنا صلاح الدين مدينة دمشق وهي لعمّهم الملك العادل وعادوا الى تجديد الصلح على ان يكون للظاهر منبج وافامية وكفر طاب والمعرّة ويكون للافضل سميساط وقلعة نجم وسروج ورأس عين وجُمُلين [٢] . وسار الظاهر الى حلب والافضل الى سميساط ووصل العادل الى دمشق . وفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة في المحرّم سيّر الملك العادل عسكراً مع ولده الملك الاشرف موسى الى ماردين فحصروها وشحنوا على اعمالها وأقام الاشرف ولم يحصل له غرض . فدخل الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب في الصلح بينهم وأرسل الى عمّه العادل في ذلك فأجاب اليه على قاعدة ان يحمل له صاحب ماردين مائة وخمسين الف دينار فجاء صرف الدينار احد عشر قيراطاً من اميري ويضرب اسمه على السكة ويكون عسكره في خدمته ايّ وقت طلبه .

وفيها وهي سنة الف وخمسمائة واربع عشرة للاسكندر كان ابتداء دولة المغول وذلك ان في هذا الزمان كان المستولي على قبائل الترك المشارقة اونك خان وهو المسمّى ملك يوحنا من القبيلة التي يقال لها كريت وهي طائفة تدين بدين النصرانية وكان رجل مؤيّد من غير هذه القبيلة يقال له تُموجين ملازماً لخدمة اونك خان من سنّ الطفولية الى ان بلغ حدّ الرجولية وكان ذا بأس في قهر الاعداء فحسده الاقران وسعوا به الى اونك خان وما زالوا يغتابونه عنده حتى اتهمه بتغيُّر النية وهمّ باعتقاله والقبض عليه . فانضمّ اليه غلامان من خدم اونك خان فاعلماه القضية وعيّنا له الليلة التي فيها يريد اونك كبسَه وفي الحال امر تموجين اهله باخلاء البيوت عن الرجال وتركها على حالها منصوبة وكمن هو مع الرجال بالقرب من البيوت . وفي وقت السحر لما هجم اونك واصحابه على بيوت تموجين لقيها خالية من الرجال وكرّ عليه تموجين واصحابه من الكمين واوقعوا بهم وناوشوهم القتال واثخنوا فيهم وهزموهم وحاربوهم مرّتين حتى قتلوه وابطاله وسبوا ذراريّه . وفي اثناء هذا الامر ظهر بين المغول امير معتبر كان يسيح في الصحارى والجبال في وسط الشتاء عرياناً حافياً ويغيب اياماً ثم يأتي ويقول : كلّمني الله وقال لي ان الارض

---

١ — ويروى : صيق وهو تصحيف . ويروى صليق .

٢ — ويروى : حملين .

بأسرها قد اعطيتها لتموجين وولده وسمّيته جنكزخان فسمّاه جنكزخان تبت تنكري [١] وكان يرجع الى قوله ولا يعدل عن رأيه . ولما علا شأن جنكزخان ارسل الرسل الى جميع شعوب الترك فمن اطاعه وتبعه سعد ومن خالفه خُذل وانعم على ذينك الغلامين وذرّيتهم بان جعلهم ترخانيّة والترخان هو الحرّ الذي لا يُكلف بشيء من الحقوق السلطانية ويكون ما يغنم من الغزاوات له مطلقاً لا يؤخذ منه نصيب للملك وزاد لهؤلاء ان يدخلوا على الملوك بغير اذن ولا يُعاقبوا على ذنب الى تسعة ذنوب وكان لجنكزخان من الاولاد الذكور والاناث جماعة وكانت الخاتون الكبيرة زوجته تسمّى اويسونجين [٢] بيكي . وفي رسم المغول اعتبار ابناء الاب الواحد بالشرف انما يكون بالنسبة الى الامهات . وكان لهذه خاتون اربعة بنين ولاّهم جنكزخان الامور العظام في مملكته . الاول توشي ولي امر الصيد والطرد وهو احبّ الامور اليهم . والثاني جغاتاي ولي امر الحكومات والسياسة اي الناموس والقضاء . والثالث اوكتاي ولي تدبير الممالك لغزارة عقله واصابة رأيه . والرابع تولي ولي امر الجيوش وتجهيز الجنود والنظر في مصالح العساكر . وكان لجنكزخان اخ يقال له اوتكين فعيّن له ولكلّ واحد من الاولاد بلاداً يقيمون بها . اما اوتكين فاقام بحدود الخطا. وتوشي اقام بحدود قباليغ [٣] وخوارزم الى اقصى سقسين وبلغار . وجغاتاي بحدود بلاد الايغور بالقرب من المايغ الى سمرقند وبخارا . واقام اوكتاي وهو وليّ العهد بحدود ايميل وقوتاق [٤] وجاوره تولي ايضاً في تلك النواحي وهي وسط مملكتهم كالمركز بالنسبة الى الدائرة .

وفي سنة ستمائة ملك الفرنج مدينة القسطنطينية من الروم [٥] . اقام الفرنج بظاهرها محاصرين للروم من شعبان الى جمادى الاولى وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين نحو

١ – ويروى: ثبت . وتنكري (ويلفظ طنري) اسم الله تعالى في اللغة التركية وجنكزخان معناه الملك الاعظم.

٢ – ويروى: اويسولوجين .

٣ – ويروى: قياليغ .

٤ – ويروى: يميل وقوناق .

٥ – كان الكسيس الثالث نزع الملك من اخيه اسحاق الثاني وسمله وطرحه في السجن فالتجأ الكسيس الرابع ابن اسحاق الى الصليبيين ووعدهم الوعود الحسنة منها انه يسعى بضم الكنيستين الشرقية والغربية وانه يمدهم بالجيوش والنفقة . فاجابوه الى سؤله وفتحوا القسطنطينية بعد حصار ستة ايام . فتسارع الكسيس الثالث الى الهرب ورجع الملك الى اسحاق ونودي في كنيسة اغيا صوفيا باتحاد الكنيستين واقر البطريرك بان البابا خليفة بطرس الرسول ونائب المسيح وكان البابا وقتئذ إنوشنسيوس الثالث. ثم ان احد الخوارج دوقاس الملقب مورزفلس ومعناه الاقرن اي المقرون الحاجبين هيج الشعب وغصب الملك وتسمى الكسيس الخامس واغتال الكسيس الرابع وامات اباه اسحاق كمداً عليه . فاوغرت هذه الفظائع قلوب الصليبيين فثاروا للانتقام من الغاصب الخارجي ففتحوا القسطنطينية ثانية. الاّ ان ابا الفرج غالى في وصف هذا الفتح ما شاءت اغراضه .

ثلثين الفاً ولعظم البلد لا يظهر امرهم فتواضعوا هم والفرنج الذين بظاهر البلد ووثبوا فيه وألقوا النار فاحترق نحو ربع البلد . فاشتغل الروم بذلك ففتح الفرنج الابواب ودخلوها ووضعوا السيف ثلثة ايام وقتلوا حتى الاساقفة والرهبان والقسيسين الذين خرجوا اليهم من كنيسة اياّ سوفيّا العظمى وبأيديهم الاناجيل والصلبان يتوسّلون بها ليُبقوا عليهم . فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم اجمعين ونهبوا الكنيسة . وكان الفرنج ثلثة ملوك ذوقس البنادقة وفي مراكبه ركبوا الى القسطنطينية وهو شيخ اعمى اذا ركب يقاد فرسه . والثاني المركيس مقدم الافرنسيس . والثالث كندافلند [1] وهو اكثرهم عدداً . فلما استولوا اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كندافلند فملّكوه عليها وتكون لذوقس البنادقة الجزائر مثل اقريطش ورودس وغيرهما ويكون لمركيس البلاد التي هي شرقي الخليج مثل نيقية ولاذيق وفيلادلف ولم تدم له فانها تغلّب عليها بطريق من بطارقــة الروم اسمه لشكري [2] .

وفيها في ذي القعدة توفّي السلطان ركن الدين صاحب الروم [3] وملك ابنه قلج ارسلان وكان صغيراً . وكان غياث الدين كيخسرو اخو ركن الدين يومئذ بقلعة من قلاع القسطنطينية ولما سمع بموت اخيه سار الى قونية وقبض على الصبيّ وملكها وجمع الله له البلاد جميعها وعظم شأنه وقوي امره وكان ذلك في رجب سنة احدى وستمائة . وفيها اغارت الكرج على اذربيجان واكثروا النهب والسبي ثم اغاروا على خلاط وارجيش فأوغلوا في البلاد حتى بلغوا ملازكرد ولم يخرج اليهم من المسلمين احد يمنعهم فجاسوا خلال البلاد ينهبون ويأسرون . وفي سنة ثلث وستمائة قبض عسكر خلاط على صاحبها محمد بن بكتمر وملكها بلبان مملوك شاه ارمن بن سكمان. وفي سنة اربع وستمائة ملك الملك الاوحد نجم الدين ايوب بن الملك العادل مدينة خلاط . ولما سار عنها الى ملازكرد ليقرّر قواعدها وثب اهلها على مَن بها من العسكر فاخرجوه من عندهم وعصوا ونادوا بشعار شاه ارمن وان كان ميتاً يعنون بذلك ردّ الملك الى اصحابه ومماليكه.فعاد اليهم الاوحد وقتل بها خلقاً كثيراً من اعيان اهلها فذلّ اهل خلاط وتفرّقت كلمة الفتيان وكان

١ – كندافلند comte de Flandre هو بودوين (بغدوين او بغدويل) التاسع الذي اختاره الصليبيون ليكون اول ملك للمملكة التي انشأها الافرنج في القسطنطينية وتسمّى بودوين الاول . والمركيس هو بونيفاس الثاني مركيس دي مونتفرات marquis de Montferrat ولم يكن فرنسياً انما كان مقدّم جيوش فرنسا وفلاندرا .

٢ – وتسميه ايضاً العرب الاشكري وهو Théodore Lascaris .

٣ – يريد سلطان قونية صاحب ديار الروم وهذه البلاد يحيط بها من جهة الغرب بحر الروم وتمامه الخليج القسطنطيني وبحر القرم . ومن جهة الجنوب بلاد الشام والجزيرة . ومن جهة الشرق ارمينية . ومن جهة الشمال بلاد الكرج وبحر القرم . وتعرف بلاد الروم الآن بآسيا الصغرى .

الحكم اليهم وكفي الناس شرّهم فانهم كانوا يقيمون ملكاً ويقتلون آخر والسلطنة عندهم لا حكم لها وانما الحكم لهم وإليهم . وفي سنة ستّ وستمائة ملك العادل ابو بكر بن ايوب بلد الخابور ومدينة نصيبين وحصر سنجار ثم عاد عنها .

وفيها استولى جنكزخان على بلاد قراخطا وكان امير بلاد الايغور وهم طائفة كثيرة من الترك في طاعة ملك الخطا فلما صار الصيت لجنكزخان وشاع ذكره في البلاد ارسل اليه امير الايغور وهو الذي يسمونه ايدي قوب [١] اي صاحب الدولة يطلب الامان لنفسه ورعيته والدخول في زمرته . فاكرم جنكزخان رسله وتقدم بوصوله اليه . فبادر ايدي قوب الى الحضور في خدمته من غير توقُّف. فأقبل عليه جنكزخان وأحسن قبوله واعاده الى بلاده مكرّماً .

وفي سنة سبع وستمائة اواخرَ رجب تُوفّي نور الدين ارسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل وكانت مدة ملكه ثماني عشرة سنة وكان شهماً شجاعاً ذا سياسة للرعايا شديداً على اصحابه اعاد ناموس البيت الاتابكي وجاهه وحرمته بعد ان كانت قد ذهبت . ولما حضره الموت رتَّب في الملك ولده الملك القاهر عزّ الدين مسعود وأمر ان يتولّى تدبير مملكته ويقوم بحفظها وينظر في مصالحها مملوكه بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداد رأيه وحسن سياسته وكمال السيادة فيه . وأعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكي قلعة العقر الحميدية وقلعة شوش وسيّره الى العقر .

وفي سنة تسع وستمائة قصد ثلثة نفر تجّار من البخاريّين ديار التاتار ومعهم البضائع من الثياب المذهبة والكرباس وغيرهما مما يليق بالمغول بما سمعوا ان للمتاع عندهم قيمة وافرة وان الطرق قد اقام بها جنكزخان جماعة يسمّونهم قراقجية اي مستحفظين يخفرون المتردّدين اليهم فقوي عزمهم على ذلك فساروا نحوهم . ولما وصلوا الى نواحيهم وافاهم المستحفظون ووقفوا على ما معهم من السلع فرأوا قماش واحد منهم اسمه احمد لائقاً للخازن فسيّروه مع صاحبيه اليه . فعرض احمد متاعه على الحجّاب وطلب في ثمن كل ثوب كان مشتراه عليه عشرة دنانير الى عشرين ديناراً ثلثة بواليش . فغضب لذلك جنكزخان وقال: هذا الغافل كأنه يظنّ اننا ما رأينا ثياباً قط وامر الخازن فأراه من الاقمشة التي هداها اليه ملوك الخطا اشياء نفيسة وتقدّم ان يُكتب ما معه وأنهبه لمن حضر من الحاشية واعتقل احمد. وطلب صاحبيهِ فعرضا عليه متاعهما برمّته وقالا: هذا

١ – قال دي كوين: ان ملك الايغور لقبه ايدي قوت وتفسيره المرسل من الله .
(Deguignes, Hist. Gén. des Huns, T. II. p. 275).

كله انما اتينا به لنقدمه خدمة للخان لا لنبيعه عليه . فألحّوا عليهما ان يثمّناه فلم يفعلا. فأمر جنكزخان ان يُعطيا لكل ثوب مذهّب باليش من ذهب ولكل كرباسين باليش من فضّة وعوّض لاحمد ايضاً مثل ما اعطاهما وتقدّم الى الاولاد والخواتين والامراء ان يُنفذوا معهم جماعة من اصحابهم ومعهم بواليش الذهب والفضة ليجلبوا لهم من ظرائف البلاد ونفائسها ما يصلح لهم فامتثلوا ما امرهم به فاجتمع معهم مائة وخمسون تاجراً من مسلم ونصرانيّ وتركيّ وارسل معهم رسولاً الى السلطان محمد يقول له: ان التجار وصلوا الينا وقد اعدناهم الى مأمنهم سالمين غانمين وقد سيّرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من ظرائف تلك الاطراف فينبغي ان يعودوا الينا آمنين ليتأكد الوفاق بين الجانبين وتنحسم موادّ النفاق من ذات البين . فلما وصل التجار الى مدينة أترار طمع اميرها غاير خان فيما معهم من الاموال فطالع السلطان محمد في امرهم وحسّن له ابادتهم واغتنام مالهم فأذن له في ذلك فقتلهم طرّاً الا واحداً منهم فانه هرب من السجن. ولما رأى ما جرى على اصحابه لحق بديار التاتار واعلمهم بالمصيبة . فعظم ذلك عند جنكزخان وتأثّر منه الى الغاية وهجر النوم وصار يحدّث نفسه ويفتكر فيما يفعله . وقيل انه صعد الى رأس تلّ عالٍ وكشف رأسه وتضرّع الى الباري تعالى طالباً نصره على من باداه بالظلم وبقي هناك ثلثة ايام بلياليها صائماً . وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهباً عليه السواد وبيده عكازة وهو قائم على بابه يقول له: لا تخف افعل ما شئت فانّك مؤيّد . فانتبه مذعوراً ذعراً مشوباً بالفرح وعاد الى منزله وحكى حلمه لزوجته وهي ابنة اونك خان . فقالت له: هذا زيّ اسقف كان يتردّد الى ابي ويدعو له ومجيئه اليك دليل انتقال السعادة اليك . فسأل جنكزخان مَن في خدمته من نصارى الايغور . هل ههنا احد من الاساقفة . فقيل له عن مار دنحا . فلما طلبه ودخل عليه بالبيرون الاسود قال: هذا زيّ مَن رأيت في منامي لكن شخصه ليس ذاك . فقال الاسقف: يكون الخان قد رأى بعض قديسينا . ومن ذلك الوقت صار يميل الى النصارى ويحسن الظنّ بهم ويكرمهم . وفي سنة عشر وستمائة قصد جنكزخان بلاد السلطان محمد ولما وصل الى نواحي تركستان اتاه الامير ارسلان خان من غياليغ[1] والامير ايدي قوب من بيش باليغ والامير سفتاق من الماليغ وساروا في عساكرهم . ولما اجتمعت العساكر جميعها بقصبة مدينة أترار سيّر جنكزخان ابنه الكبير في تُومانَين عسكر الى جانب خُجَنْد وتوجّه هو بنفسه الى بخارا ورتّب على محاصرة اترار ولديه جغاتاي واوكتاي فدام القتال.

١ – غيالغ ر غياليق س قياليغ مراجي (انظر السطر ١٤ من الصفحة ٢٢٧ من كتابنا هذا).

عليها مدة خمسة اشهر لان السلطان محمداً كان قد سيَّر اليها غاير خان في خمسة آلاف فارس وقراجا خاص حاجب في عشرة آلاف وكانوا كلهم بها . ولما ضاقت الحيلة بمن في المدينة وعجزوا عن المقاومة شاور قراجا لغاير خان في الصلح وتسليم البلد . فأبى غاير خان الا المجاهدة حتى الموت لعلمه ان المغول لا يبقون عليه فلم يرَ في المصالحة مصلحة . فتوقَّف قراجا الى هجوم الليل وخرج في اكثر عسكره الى خارج من باب دروازه الصوفي . فعوقوه الى الصبح ثم حمل الى ابنَي جنكزخان فاستنطقاه واستعلما منه كنهَ احوال البلد وأمرا بقتله وقتل كلّ من معه قائلين : اذا كنتَ ما ابقيت على مخدومك ووليّ نعمتك فلا تبقي ولا علينا . وزحف العسكر الى المدينة فدخلوها واخرجوا اهلها جميعهم الى ظاهرها واغاروا على ما فيها . وبقي غاير خان في عشرين الفاً من عسكره متفرقين في دروب المدينة لم يتمكن منهم المغول وكانوا يخرجون خمسين خمسين يكاوحون ويطعنون في عسكر المغول ويقتلون ثم يُقتلون . وكان هذا دأبهم شهراً الى ان بقي غاير خان ومعه نفران يجالدون في سطح دار السلطنة وكان قد برز مرسوم الخان ان لا يُقتل غاير خان في الحرب لكن يُحمل اليه حياً . فلذلك كثر التعب معه وقُتل صاحباه وبقي وحده يقاتل بالاجرّ الذي كان الجواري يناولنه من الجدار . فلما عجز عن المناولة أحاط به المغول وقبضوه وحملوه الى جنكزخان بعد عوده من بخارا الى سمرقند وقُتل هناك في كوك سراي . وفي سنة اثنتي عشرة في شعبان ملك السلطان محمد مدينة غزنة وكان استولى قبل ذلك على عامَّة خراسان وملك باميان .

وفي سنة ثلث عشرة في العشرين من جمادى الآخرة تُوفّي الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين يوسف بن ايوب وهو صاحب مدينة حلب وخلف اولاداً ذكوراً من جملتهم الملك العزيز محمد من ابنة عمه الملك العادل وكان عمر ولده هذا سنتين وشهوراً ووصّى به الى مملوكه شهاب الدين طغرل الخادم فصار اتابكه وقام بتربيته احسن قيام . وفي سنة خمس عشرة وستمائة توفّي الملك القاهر عزّ الدين مسعود بن ارسلان شاه ابن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل ليلة الاثنين لثلث بقينَ من ربيع الاول وكانت ولايته سبع سنين وتسعة اشهر واوصى بالملك لولده الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره حينئذ نحو عشر سنين وجعل الوصيّ عليه والمدبّر لدولته بدر الدين لؤلؤاً . وكان عمّه عماد الدين زنكي بن ارسلان شاه صاحب العقر يحدّث نفسه بالملك. فرقع بدر الدين ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق وأحسن السيرة مع الخاصّ والعامّ وخلع على كافة الناس وغيّر ثياب الحداد عنهم فلم يخصّ بذلك شريفاً دون مشروف ولا

كبيراً دون صغير . وبعد ايام وصل التقليد من الخليفة لنور الدين بالولاية ولبدر الدين بالنظر في امور دولته والتشريفات لهما ايضاً . وكان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين صاحب اربل قام في نصر عماد الدين زنكي فملّكه قلعة العمادية وباقي قلاع الهكارية والزّوزان . فراسله بدر الدين يذكره الايمان والعهود ويطالبه بالوفاء بها ثم نزل عن هذا ورضي منه بالسكوت لا لهم ولا عليهم . فلم يفعل وأظهر معاضدة زنكي . فأرسل بدر الدين الى الملك الاشرف موسى بن الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط وانتمى اليه وصار في طاعته وطلب منه المعاضدة . فأجابه بالقبول وبذل له المساعدة وأرسل الى مظفر الدين يقبّح هذه الحالة ويقول له ان يرجع الى الحق والا قصَده هو بنفسه وعسكره . فلم تحصل الاجابة منه الى شيء من ذلك الى ان حضرت الرسل من الخليفة الناصر ومن الملك الاشرف في الصلح فأطاعوا واصطلحوا وتحالفوا بحضور الرسل . ولما تقرّر الصلح تُوفّي نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر صاحب الموصل ورُتّب في الملك بعده اخوه ناصر الدين محمود وله من العمر نحو ثلث سنين وحلف له الجند وركّبه بدر الدين فطابت نفوس الناس اذ علموا ان لهم سلطاناً من البيت الاتابكيّ. وفيها توفي الملك العادل ابو بكر بن ايوب سابع جمادى الآخرة وكان عمره ثلثاً وسبعين سنة وكانت مدة مملكته ثماني عشرة سنة . وخلف ولده الملك الكامل صاحب مصر . والملك المعظّم صاحب دمشق . والملك الاشرف صاحب حرّان والرها وخلاط . والملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميّافارقين . والملك الحافظ صاحب قلعة جعبر . والملك العزيز صاحب بانياس . والملك الصالح اسمعيل صاحب بصرى . والملك الفائز يعقوب والملك الامجد عباس والملك الافضل والملك القاهر .

ولما مات نور الدين الملك القاهر صاحب الموصل وملك اخوه ناصر الدين تجدد لعماد الدين ومظفر الدين الطمع لصغر سنّ ناصر الدين فجمعا الرجال وتجهزا للحركة . فلما بلغ ذلك بدر الدين لؤلؤاً ارسل الى عزّ الدين ايبك مقدّم عسكر الاشرف الذي بنصيبين يستدعيهم ليعتضد بهم فساروا الى الموصل رابع رجب سنة خمس عشرة واستراحوا اياماً ثم عبروا دجلة ونزلوا شرقيها على فرسخ من الموصل . وجمع مظفر الدين عسكره وسار اليهم ومعه زنكي فعبر الزاب وسبق خبره . وعند انتصاف الليل سار ايبك ولم يصبر الى الصبح فتقطعوا في الليل والظلمة والتقوا هم والخصم على ثلثة فراسخ من الموصل . فامّا عزّ الدين فحمل على ميسرة مظفر الدين فهزمها وبها زنكي . وميمنة مظفر الدين حملت على ميسرة بدر الدين وهزمتها . وبقي بدر الدين في النفر الذي معه

في القلب وتقدّم اليه مظفر الدين في مَن معه في القلب اذ لم يتفرقوا فلم يمكنه الوقوف فعاد الى الموصل هارباً وعبر دجلة الى القلعة وتبعه مظفر الدين واقام وراء تلّ حصن نينوى ثلثة ايام ورحل ليلاً من غير ان يضربوا كوساً وبوقاً . ثم ملك عماد الدين قلعة الكَواشَى وملك بدر الدين تلّ اعفر وملك الاشرف سنجار وسار يريد الموصل ليجتاز منها الى اربل . فقدم بين يديه عسكره ثم وصل هو في آخرهم يوم الثلثاء تاسع عشر جمادى الاولى سنة ستّ عشرة وستمائة وكان يوم وصوله مشهوداً ترجّل له بدر الدين وحمل الغاشية بين يديه . وأتاه رسل الخليفة ومظفر الدين في الصلح وبذل تسليم القلاع المأخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العماديَّة وطال الحديث في ذلك نحو شهرين. ثم رحل الاشرف يريد مظفر الدين فوصل قرية السَّلاميَّة بالقرب من الزاب وكان مظفر الدين نازلاً عليه من جانب اربل فاعاد الرسل الى الاشرف في طلب الصلح وكان عسكر الاشرف قد طال بيكاره والناس قد ضجروا فوقعت الاجابة الى الصلح وعاد الاشرف الى سنجار وكان رحيله عن الموصل ثاني شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمائة . وفي سنة ستّ عشرة وستمائة تُوفّي السلطان عزّ الدين كيكاوس بن كيخسرو ابن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم ولم يخلف ولداً يصلح للملك لصغر سنّهم . واخرج الجند اخاه علاء الدين كيقباذ من قلعة المِنشار التي على الفرات بقرب ملطية وكان مسجوناً بها فملّكوه وحلف الناس له فاحسن تدبيره لملكه وكان شديداً على اصحابه ذا عزم وحزم وهيبة عظيمة .

وفي سنة سبع عشرة وستمائة في اوائل المحرَّم نزل جنكزخان في عساكره على مدينة بخارا واحاط بها العساكر من جميع جوانبها . وكان بها من عسكر السلطان محمد عشرون الفاً مقدَّمهم كوك خان وسونج وكشلي خان [1] . ولما تحققوا عجزهم عن مقاومة المغول خرجوا من الحصار بعد غروب الشمس فادركهم المحافظون من عسكر المغول على نهر جيحون فاوقعوا فيهم وقتلوهم كافة ولم يُبقوا منهم اثراً . فلما فارق المقاتلون المدينة لم يبقَ لاهلها حيلة الاّ التسليم والخروج وطلب الامان فخرج الايمَّة والاعيان الى خدمة جنكزخان يتضرَّعون اليه ويطلبون حقن دمائهم حسبُ . فتقدّم باخراج كل من بالمدينة الى ظاهرها فخرجوا ودخل هو وولده تولي الى المدينة فوقف على باب مسجد الجامع وقال : هذا دار السلطان . فقالوا : لا بل خانة يزدان اي بيت الله . فنزل ودخل الجامع وصعد الى المنبر وقال لاكابر بخارا : ان الصحراء خالية عن العلف فانتم اشبعوا الخيل

١ – ويروى : كشكي خان.

مما عندكم في الانبار . ففتحوها وصاروا ينقلون ما فيها من الغلاّت ورموا ما في الصناديق من الكتب وجعلوها اواريَّ للخيل واحضروا الطعام والشراب هناك واكلوا وشربوا وطربوا. ثم خرج جنكزخان الى منزله وجمع الايمّة والمشايخ والسادات والعلماء وقال لهم : ان الله ملك الكلّ وضابط الكلّ ارسلني لاطهّر الارض من بغي الملوك الجائرة الفسقة الفجرة وذكر لهم ما فعله امير اترار باذن سلطانه بالتجار الى غير ذلك ثم امرهم ان يعتزلوا الاغنياء واصحاب الثروة بمعزل عن الفقراء فعزلوهم وكانوا مائتي الف وثمانين الفاً . فقال لهم : ان الاموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استعلامها منكم وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي تحت الارض . فقبلوا بالسمع والطاعة . ووكلوا مع كل قوم باسقاقاً يستخرج المال واشار سرّاً الى المستخرجين ان لا يكلفوهم ما لا يطيقونه ويرفقوا بهم وذلك لما رأى من حسن اجابتهم الى ما أُمروا به . ولأن جماعة من عسكر السلطان كانوا مختفين بالمدينة امر فرمَوا في محالها النار فاحترقت المدينة باسرها لان جلّ عمائرها من خشب فبقيت عرصة بخارا قاعاً صفصفاً وتفرّق اهلها منتزحين الى خراسان .

وفيها في ربيع الاول نزل جنكزخان على مدينة سمرقند وكان قد رتّب السلطان محمد فيها مائة الف وعشرة آلاف فارس يقومون بحراستها . فلما نازلها منع اصحابَه عن المقاتلة وانفذ سنتاي نوين ومعه ثلثون الف محارب في اثر السلطان محمد . وغلاق نوين وبسور[1] نوين الى جانب طالقان . واحاط باقي العسكر بالمدينة وقت سحر فبرز اليهم مبارزو الخوارزمية ونازعوهم القتال وجرحوا جماعة كثيرة من التاتار واسروا جماعة وادخلوهم المدينة. فلما كان من الغد ركب جنكزخان بنفسه ودار على العسكر وحثهم على القتال فاشتدّ القتال ذلك اليوم بينهم ودام النهار كله من اوله الى اول الليل ووقف الابطال من المغول على ابواب المدينة ولم يمكّنوا احداً من المجاهدين من الخروج فحصل عند الخوارزمية فتور كثير ووقع الخلف بين اكابر المدينة وتلوّنت الآراء فبعض مال الى المصالحة والتسليم وبعض لم يأمن على نفسه وان أُومن خوفاً من غدر التاتار فقوي عزم القاضي وشيخ الاسلام على الخروج فخرجا الى خدمة جنكزخان وطلبا الامان لهما ولاهل المدينة فلم يجبهما الاّ الى امان انفسهما ومن يلوذ بهما . فدخلا الى المدينة وفتحا ابوابها فدخل المغول واشتغلوا ذلك اليوم بتخريب مواضع من السور وهدم بعض الابرجة ولم يتعرضوا الى احد الى ان هجم الليل فدخلوا الى المدينة وصاروا يُخرجون من الرجال والنساء مائة[2]

١ – بسور ر يسور س ܒܣܘܪ (انظر السطر ٥ من الصفحة ٢٥٥ من هذا الكتاب) .

٢ – من الرجال والنساء مائة ر الرجال من النساء من مائة .

مائة بالعدد الى الصحراء ولم ينكفّوا الاّ عن القاضي وشيخ الاسلام وعمَّن التجأ اليهما فاحتمى بهما نيِّف وخمسون الفاً من الخلق . ولما اصبح الصباح شرع المغول في نهب المدينة وقتل كل مَن لحقوه مختبئاً في المغائر ومتوارياً بالستائر وقتلوا تلك الليلة نحو ثلثين الف تركيّ وقنقليّ وقسموا بالنهار ثلثين الفاً على الاولاد والامراء واطلقوا الباقي ليرجعوا الى المدينة ويجمعوا من بينهم مائتي الف دينار ثمن ارواحهم وكان المحصِّل لهذا المال ثقة الملك والامير عميد وهما من اكابر سمرقند والشحنة طايفور [1] . ومن هناك توجَّه جنكزخـــان بعساكره الى نواحي خوارزم وانفذ الرسل اليهم يدعوهم الى الايلية [2] والدخول في طاعته وشغلهم اياماً بالوعد والوعيد والتأميل والتهديد الى ان اجتمعت العساكر ورتَّب آلات الحرب من منجنيق وما يرمى بها . ولأن صقع خوارزم لم يكن فيه حجر كان المغول يقطعون من اشجار التوت قطعاً كالحجارة ويرمون بها وملأوا الخندق بالتراب والخشب والهشيم وانشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز مَن فيها عن المقاومة فملكوا سورها واضرموا النار في محالهّا فأتت على اكثر دورها وما فيها فأيس المغول من الانتفاع بشيء من غنائمها فاعرضوا عن الحريق وصاروا يملكون محلَّة محلَّة لان اهلها كانوا يمتنعون فيها اشدّ امتناع . ولم يزالوا كذلك الى ان ملك المغول كل المحالّ واخرجوا الخلائق كافة الى الصحراء وفرزوا الصنَّاع والمحترفين الى الناحية وكانوا مائة الف واسروا البنين والبنات والنساء اللواتي يُنتفع بهنّ وقسموا الباقي من الرجال والنساء العجائز على العسكر ليقتلوهم فقتل كل واحد منهم اربعاً وعشرين شخصاً . وفي اوائل سنة ثماني عشرة وستمائة عبر جنكزخان نهر جيحون وقصد مدينة بلخ فخرج اليه اعيانها وبذلوا الطاعة وحملوا الهدايا وانواعاً من الترغو اي المأكل والمشرب. فلم يقبل عليهم بسبب ان السلطان جلال الدين بن السلطان محمد كان في تلك النواحي يهيّئ اسباب الحرب ويستعدّ للقتال فامر بخروج اهل بلخ الى الصحراء ليعدّوهم كالعادة فلما خرجوا بأسرهم رمى فيهم السيف . ومن هناك توجه نحو الطالقان وقتل اكثر اهلها واسر من صلح للاسر وأبقى البعض . وسار الى باميان فعصى اهلها وقاتلوا قتالاً شديداً واتفق ان أُصيب بعض اولاد جغاتاي بسهم جرح فقضى نحبه وكان من احبّ احفاد جنكزخان اليه فعظمت المصيبة بذلك واضطرمت النيران في قلوب المغول وجدّوا في القتال الى ان فتحوها وقتلوا كل من فيها حتى الدوابّ والبقر والاجنَّة التي في بطون

١ – ويروى : كايفور.

٢ – كذا في الاصل . والصواب الأيليّة اي القدم.

الحبالى ايضاً ولم يأسروا منها احداً قط وتركوها ارضاً قفراً ولم يسكنها احد الى اليوم وسمّوها ماوباليغ اي قرية بؤس .

ولما فرغ جنكزخان من تخريب بلاد خراسان سمع ان السلطان جلال الدين قد استظهر بالعراق فسار نحوه ليلاً ونهاراً بحيث ان المغول لم يتمكنوا من طبخ لحم اذا نزلوا . فحين وصلوا الى غزنة أُخبروا بان جلال الدين من خمسة عشر يوماً رحل عنها وهو عازم على ان يعبر نهر السند . فلم يستقرّ جنكزخان ورحل في الحال وحمل على نفسه بالسير حتى لحقه في اطراف السند فطاف به العسكر من قدامه ومن خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموتورة ونهر السند كالوتر وهو في وسط . وبالغ المغول في المكاوحة وتقدم جنكزخان ان يُقبض حياً ووصل جغاتاي واوكتاي ايضاً من جانب خوارزم . فلما رأى جلال الدين انه يوم عمل شهم وضرغم ابطال المغول وتطلّب اطلابهم وحمل عليهم حملات وشقّ صفوفهم مرّة بعد مرّة وطال الامر بمثل ذلك لامتناع المغول عن رميه بالنشّاب ليحضروه غير مؤوف بين يديّ جنكزخان امتثالاً لمرسومه فكانوا يتقدمون اليه قليلاً قليلاً . فلما عاين تضييق الحلقة عليه نزل فودّع اولاده بل اكباده من نسائه وخواصّه باكياً كئيباً ثم رمى عنه الجوشن وركب جنيبه وهو كالاسد الغيور وهمّ بالعبور واقحم فرسه النهر فانقحم وعام وخلص الى الساحل وجنكزخان واصحابه ينظرون اليه ويتأملونه حيارى . ولما شاهد ذلك جنكزخان وضع يده على فمه متعجباً والتفت الى ولديه وقال لهما: من ابٍ[1] مثل هذا الابنُ ينبغي ان يولَد. اذا نجا من هذه الوقعة فوقائع كثيرة تجري على يديه . ومن خطبه لا يغفل من يعقل . واراد جماعة من البهادوريّة ان يتبعوه في الماء فمنعهم جنكزخان قائلاً: انكم لستم من رجاله لانه كان يرامي المغول بالسهام وهو في وسط الشط . فلما فاتهم اخذوا امر الخان باحضار حرمه واولاده وتقدم بقتل جميع الذكور حتى الرضّع . ولأن جلال الدين عند ما اراد الخوض في النهر القى جميع ما كان صحبته من آنية الذهب والفضة والنقرة فيه امر الغوّاصين فاخرجوا منها ما امكن اخراجه . وكان هذا الامر الذي هو من عجائب الانام ودواهي الايام في رجب فقيل في المثل: عش رجباً ترَ عجباً .

وفيها اعني سنة ثماني عشرة وستمائة كان اجتماع الملك المعظم والملك الاشرف مع نجدة صاحب ماردين وعسكر حلب والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص واتصال الجميع بالملك الكامل على عزم قصد الفرنج وردّ دمياط منهم . فاحاطوا

١ – من اب ر من الاب .

بهم وضيقوا السبيل عليهم فاجابوا الى الصلح على تسليم دمياط واطلاق ما بايديهم من اسراء المسلمين واطلاق ما بأيدي المسلمين من أسراهم وقُرِّر الصلح عاماً مع الدكاد نائب البابا وملك عكا وملوك فرنجة ومقدمي الداوية والاسبتارية [١] وتسلّم الكامل دمياط يوم الاربعاء تاسع عشر رجب. وكانت مدة مقام الفرنج بها سنة كاملة واحد عشر شهراً. وفي سنة احدى وعشرين وستمائة توفي الملك الافضل عليّ بن صلاح الدين وقد نزل عن ملك مصر والشام وقنع بسميساط كرهاً [٢]. وكان عنده علم وفطنة لكنه كان ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة عمّا يجب للدول وتدبير الممالك. ولما أُخذت منه البلاد كتب الى الخليفة الناصر كتاباً ضمّنه شكاية عمّه العادل واخيه العزيز حيث اخذا منه البلاد ونكثا عهد ابيه له بها. وكتب في اول الكتاب بيتين من الشعر عملهما واحسن فيهما وهما:

مولاي انّ ابا بكر وصاحبه ... عثمان قد اخذا بالسيف حقّ علي
فانظر الى حرف هذا الاسم كيف لقي ... من الاواخر ما لاقى من الاولِ

يريد بأبي بكر عمه وبعثمان اخاه وبعلي نفسه. فأجابه الناصر عن كتابه بكتاب كتب فيه:

وافى كتابك يا ابن يوسف معلناً ... بالصدق يخبر ان اصلك طاهرُ
غصبوا علياً حقه ان لم يكن ... بعد النبي له بيثرب ناصرُ
فاصبر فانّ غداً عليه حسابهم ... وابشر فناصرك الامام الناصرُ

وكان الملك الافضل قد شغله ابوه في صباه بشيء من العلم فحصل منه طرفاً من العربية والشعر وكان ينظمه ويعتني به بالنسبة الى حاله.

وفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة توفي الخليفة الناصر لدين الله ابو العباس احمد في ليلة عيد الفطر وكان عمره سبعين سنة ومدّة خلافته ستاً واربعين سنة واحد عشر شهراً.

* * *

وكان في الايام الامامية الناصريّة الحكيم عبد السلام بن جنكي دوست الجبلي

---

١ – Les Templiers et les Hospitaliers.

٢ – كان الملك الافضل بعد وفاة والده سنة (٥٨٩) ملكَ مدينة دمشق والبيت المقدس وغيرهما من الشام فأخذ منه كل هذه المدن سنة اثنتين وتسعين. وكان ملك سنة خمس وتسعين ديار مصر فأخذت منه سنة ست وتسعين فانتقل الى سميساط واقام بها.

البغدادي قد قرأ علوم الاوائل واجادها واشتهر بهذا الشان شهرةً تامة وحصل له بتقدمه حسد من ارباب الشرّ فثلبه احدهم بانه معطّل فاوقعت الحفظة عليه وعلى كتبه فوجد فيها الكثير من علوم الفلاسفة وبرزت الاوامر الناصريّة باخراجها الى موضع ببغداد يعرف بالرحبة وان يُحرَق الجمّ منها بحضور الجمع ففعل ذلك وأُحضر لها عبيد الله التيمي المعروف بابن المارستانية وجُعل له منبر وصعد عليه وخطب خطبة لعن بها الفلاسفة ومن يقول بقولهم وذكر الركنَ هذا بشرّ وكان يخرج الكتب التي له كتاباً كتاباً يتكلم عليه ويبالغ في ذمّه وذمّ مصنفه ثم يلقيه من يده لمن يلقيه في النار. قال القاضي الاكرم الوزير جمال الدين بن القفطي رحمه الله: اخبرني الحكيم يوسف السبتي الاسرائيلي قال: كنت ببغداد يومئذٍ تاجراً وحضرت المحفل وسمعت كلام ابن المارستانية وشاهدت في يده كتاب الهيئة لابن الهيثم وهو يقول: وهذه الداهية الدهياء والنازلة الصمّاء والمصيبة العمياء. وبعد اتمام كلامه خرقها والقاها في النار. فاستدللت على جهله وتعصبه اذ لم يكن في الهيئة كفر وانما هي طريق الى الايمان ومعرفة قدر الله جلّ وعزّ فيما احكمه ودبّره. واستمرّ الركن عبد السلام في السجن معاقبة على ذلك الى ان أفرج عنه سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

وفي هذه السنة توفي يحيى بن سعيد بن ماري الطبيب النصراني صاحب المقامات الستين صنفها واحسن فيها وكان فاضلاً في علوم الاوائل وعلم العربية والشعر يرتزق بالطبّ. ومن شعره في الشيب:

نفرت هند من طلائع شيبي ... واعترتها سآمة من وجومي
هكذا عادة الشياطين ينفر ... نَ اذا ما بدت نجوم الرجومِ

ومن اطباء الدار الامامية الناصريّة صاعد بن هبة الله بن المؤمل ابو الحسن النصرانيّ الحظيري المتطبّب واخوه ابو الخير الاركيذياقون وهما اخوا الجاثليق المعروف بابن المسيحي. اما صاعد فخدم الخليفة الناصر وتقرّب قرباً كثيراً وكانت له المعرفة التامة بالطبّ والمنطق وصنّف كتاباً صغير الحجم سمّاه الصفوة جمع فيه اجزاء الطبّ علميّها وعمليّها وألحق في آخر الفنّ الاول من الجزء الثاني ثلثة فصول في الختانة لكونها منوطة بالاطبّاء ببغداد وان كان لا يسمع لاحد من المتقدمين ولا المتأخرين فيها قولاً بل فيما يطول القلفة. وكان ينسخ بخطه كتب الحكمة. ومات في آخر سنة احدى وتسعين وخمسمائة. واما الاركيذياقون وكان ايضاً فاضلاً صنّف كتاباً مختصراً لخص فيه

مباحث كتاب الكليات من القانون سمّاه الاقتضاب ثم اختصره وسمّى المختصر انتخاب [1] الاقتضاب . وحكى لي بعض الاطبّاء ببغداد ان اباه حمله وهو مترعرع الى ابن التلميذ ليشغله فقال : هذا ابنك صغير جداً . فقال : غرضي التبرّك منك . فأقرأه المسئلة الاولى من مسائل حُنين .

وفي سنة اربع وتسعين وخمسمائة توفي محمد بن عبد السلام المقدسيّ ثم الماردينيّ كان ابوه قاضي ماردين وجدّه قاضي دُنَيْسِر قرأ الطبّ على ابن التلميذ فبلغ منه الغاية حتى ان الملوك كانت تخطبه من النواحي والاقطار وكان على علوّ السنّ يكرّر على كتب كبار . وقرأ عليه الشهاب السهروردي شيئاً من الحكمة . ولم يصنّف كتاباً مع غزارة علمه وتمكنه وحسن تصرّفه فيه الاّ انه شرح ابيات ابن سينا التي اولها : هبطت اليك . وكان ابو الخير بن المسيحي يفخم امره ويعظم شأنه .

وفي سنة خمس وستمائة مات موسى بن ميمون اليهوديّ الاندلسيّ وكان قد قرأ علم الاوائل بالاندلس وأحكم الرياضيات وقرأ الطبّ هناك فاجاده علماً ولم يكن له جسارة على العمل. وأُكره على الاسلام فاظهره وأَسرَّ اليهودية . ولما التزم بجزيات الاسلام من القراءة والصلاة فعل ذلك الى ان امكنته الفرصة في الرحلة بعد ضمّ اطرافه فخرج عن الاندلس الى مصر ومعه اهله ونزل مدينة الفسطاط بين يهودها فاظهر دينه وارتزق بالتجارة في الجوهر وما يجري مجراه . ولما ملك العزيز [2] مصر وانقضت الدولة العلوية اشتمل عليه القاضي الفاضل عبد الرحيم بن عليّ البيساني ونظر اليه وقرَّر له رزقاً وكان يشارك الاطباء ولا ينفرد برأيه لقلّة مشاركته ولم يكن وقفاً في المعالجة والتدبير . وكان عالماً بشريعة اليهود وصنّف كتاباً في مذهب اليهود سمّاه بالدلالة وبعضهم يستجيده وبعضهم يذمّه ويسمّيه الضلالة . وغلب عليه النحلة الفلسفية وصنّف رسالة في المعاد الجسماني وانكر عليه مقدمو اليهود فاخفاها الاّ عمَّن يرى رأيه . ورأيت جماعة من يهود بلاد الفرنج الغُتْم بانطاكية وطرابلس يلعنونه ويسمّونه كافراً. وله تصنيفات حسنة في الرياضيات ومقاربة في الطبّ . وابتلي في آخر زمانه برجل من الاندلس فقيه يُعرف بابي العرب وصل الى مصر وحاققه على اسلامه ورام اذاه فمنعه عنه القاضي الفاضل وقال له : رجل يُكره لا يصحّ اسلامه شرعاً . ولما قرب وفاته تقدّم الى مخلفيه ان يحملوه

---

١ – انتخاب ر انتجاب .

٢ – العزيز ر الغز . – ويروى : الغز والمعز وكلا هما غلط . والملك العزيز هو عماد الدين عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب .

اذا انقطعت رائحته الى بحيرة طبرية فيدفنوه هناك لما فيها من قبور صالحيهم ففعل به ذلك .

وفي سنة ست وستمائة في ذي الحجة توفي بهراة الامام الفخر الرازيّ محمد بن عمر المعروف بابن الخطيب بالريّ . وكان من افاضل اهل زمانه بزّ القدماءَ في الفقه وعلم الاصول والكلام والحكمة وردّ على ابي عليّ بن سينا واستدرك عليه . وكان يركب وحوله السيوف المجذبة وله المماليك الكثيرة والمرتبة العالية والمنزلة الرفيعة عند السلاطين الخوارزمشاهية . وعنّ له ان تهوّس بعمل الكيمياء وضيّع في ذلك مالاً كثيراً ولم يحصل على طائل . وسارت مصنفاته في الاقطار واشتغل بها الفقهاء . ورحل الى ما وراء النهر لقصد بني مارة ببخارا ولم يلقَ منهم خيراً وكان فقيراً يومئذٍ لا جدَة له فخرج من بخارا وقصد خراسان واتفق اجتماعه بخوارزمشاه محمد بن تكش فقرّبه وادناه ورفع محلّه واسنى رزقه . واستوطن مدينة هراة وتملك بها ملكاً وأولد اولاداً واقام بها حتى مات ودُفن في داره . وكان يخشى ان العوام يمثلون بجثته لما كان يظنّ به من الانحلال . وفي مسيره الى ما وراء النهر يقصد بخارا في حدود سنة ثمانين وخمسمائة اجتاز بعبد الرحمن بن عبد الكريم [1] السرخسيّ الطبيب ونزل عليه فاكرمه وقام بحقه مدّة مقامه بسرخس فاراد ان يفيده مما لديه فشرع له في الكلام على كليات القانون وشرح المستغلق من الفاظ هذا الكتاب ورسمه باسمه وذكره في مقدمته ووصفه واثنى عليه . وفي سنة ثماني وستمائة توفي المسيحي ابن ابي البقاء النيلي نزيل بغداد وكنيته ابو الخير ويُعرف بابن العطار وكان خبيراً بالعلاج قيّماً به له ذكر وقرب من دار الخليفة يطبّ النساء والحواظي عاش عمراً طويلاً وحصل مالاً جزيلاً وخلف ولداً طبيباً لم يكن رشيداً يكنى ابا عليّ. ولما مات ابوه اتفق ان كان على بعض مسرّاته اذ كُبس في ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الاول من سنة سبع عشرة وستمائة وعنده امرأة مسلمة تعرف بستّ شرف . فلما قُبض عليه اقرّ على جماعة من المسلمات كنّ يأتينه لاجل دنياه من جملتهنّ زوجة ابن البخاري صاحب المخزن اسمها اشتياق . فخرج الامر بسجن المرأتين بسجن الطرّارات وفدى ابو عليّ نفسه بستة آلاف دينار .

وفي سنة تسع عشرة وستمائة في المحرّم توفي عليّ بن احمد ابو الحسن الطبيب المعروف بابن هبل وكان من اهل بغداد عالماً بالطبّ والادب وُلد ببغداد ونشأ بها ثم جاز الى الموصل وخرج الى اذربيجان واقام بخلاط عند صاحبها شاه ارمن يطبّه وقرأ

---

١ – الكريم ر الرحيم .

الناس عليه . وفارق تلك الديار لسبب وهو ان بعض الطشتدراية قال له يوماً وقد نظر قارورة الملك في بعض امراضه: يا حكيم لِمَ لا تذوقها. فسكت عنه . فلما انفصل المجلس قال له في خلوة: قولك هذا اليوم عن اصل أم من قول غيرك او هو شيئ خطر لك . فقال: انما خطر لي لاني سمعت ان شرط اختبار القارورة ذوقها . فقال: الامر كذلك ولكن لا في كل الامراض وقد اسأت اليّ بهذا القول لان الملك اذا سمع هذا ظنّ انني قد اخللت بشرط واجب من شروط خدمته . ثم انه عمل على الخروج لاجل هذه الحركة والخوف من عاقبتها بعد ان رشا الطشت دار حتى لا يعود الى مثلها . وخرج وعاد الى الموصل وقد تموّل فأقام بها الى حين وفاته . وعمّر حتى عجز عن الحركة وعدم بصره فلزم منزله قبل وفاته بسنتين ومات وعمره خمس وتسعون سنة . وكان الناس يترددون ويقرأون عليه . وصنّف كتاباً حسناً في الطبّ سماه المختار يجيئ في اربع مجلدات .

وفي سنة عشرين وستمائة ثامن وعشرين جمادى الاولى ليلة الخميس قُتل ابو الكرم صاعد بن توما النصرانيّ الطبيب البغداديّ ويُلقب بأمين الدولة . كان فاضلاً حسن العلاج كثير الاصابة وكان من ذوي المروآت تقدّم في ايام الامام الناصر الى ان صار في منزلة الوزراء واستوثقه على حفظ امواله وخواصّه وكان يودعها عنده ويرسله في امور خفيّة الى الوزير ويظهر له كلّ وقت . وكان حسن الوساطة جميل المحضر تقضى على يده حاجات الناس . وكان الامام الناصر في آخر ايامه قد ضعف بصره وادركه سهو في اكثر اوقاته . ولما عجز عن النظر في القصص استحضر امرأة من النساء البغداديات تُعرف بستّ نسيم وقرّبها وكانت تكتب خطاً قريباً من خطه وجعلها بين يديه تكتب الاجوبة[1] وشاركها في ذلك خادم اسمه تاج الدين رشيق فصارت المرأة تكتب في الاجوبة ما تريد فمرّة تصيب ومراراً تخطئ. واتفق ان كتب الوزير القمّيّ المدعو بالمؤيّد مطالعة وعاد جوابها وفيه اخلال بيّن فتوقف الوزير وانكر ثم استدعى الحكيم صاعد بن توما وسأله عن ذلك سراً . فعرّفه ما الخليفة عليه من عدم البصر والسهو الطارئ في اكثر الاوقات وما يعتمده المرأة والخادم من الاجوبة . فتوقّف الوزير عن العمل باكثر الامور الواردة عليه . وتحقّق الخادم والمرأة ذلك وحدسا ان الحكيم هو الذي دلّه على ذلك . فقرّر رشيق مع رجلين من الجند ان يغتالا الحكيم ويقتلاه وهما رجلان يُعرَفان بولدَي قمر الدين من الاجناد الواسطية . فرصدا الحكيم في بعض الليالي الى ان خرج

١ – الاجوبة . يروى بعدها « ما تريد ».

من دار الوزير عائداً الى دار الخليفة فتبعاه الى باب الغَلَّة المظلمة ووثبا عليه بسكينيهما وجرحاه وانهزما . فبصر بهما وصاح : خذوهما . فعادا اليه وقتلاه وجرحا النفّاط الذي بين يديه . وحُمل الحكيم ابن توما الى منزله ودفن بداره في ليلته . وبعد تسعة اشهر نُقل الى تربة آبائه في البيعة بباب المحوّل . وبحث الخليفة والوزير عن القاتلَين فعُرفا وامر بالقبض عليهما وفي بكرة تلك الليلة أُخرجا الى موضع القتل وشقّ بطناهما وصلبا على باب المذبح المحاذي لباب الغلة التي جُرح في بابها .

(الظاهر بن الناصر) : ولما توفي الناصر لدين الله بويع ابنه الامام الظاهر بامر الله عدّة الدين ابو نصر محمد في ثاني شوّال من سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وكان والده قد بايع له بولاية العهد وكتب بها الى الآفاق وخُطب له بها مع ابيه على سائر المنابر . ومضت على ذلك مدّة ثم نفر عنه بعد ذلك وخافه على نفسه فانه كان شديداً قوياً ايّداً عالي الهمة فأسقط اسمه من ولاية العهد في الخطبة واعتقله وضيّق عليه ومال الى اخيه الصغير الامير عليّ الاّ انه لم يعهد اليه . فاتفقت وفاة الامير عليّ الصغير في حياة والده وخلف اولاداً طفالاً فبعث بهم الى شُشتر . فعلم الامام الناصر انه لم يبقَ له ولد تصير الخلافة اليه بعده غيرهُ فعهد اليه وبايع له الناس وهو في الحبس مضبوط عليه وكانت عامّة اهل بغداد يميلون اليه . فلما توفي الناصر اخرجه ارباب الدولة وبايعوه بالخلافة . وقال لما بويع : كيف يليق ان يفتح الانسان دكاناً بعد العصر . قد نيّفتُ على الخمسين سنة وأتقلّد الخلافة . ثم أظهر من العدل والامن ما لم يمكن وصفه وازال الظلم وردّ على الناس اموالاً جزيلة واملاكاً جليلة كانت قد أُخذت منهم وازال مكوساً كثيرة وكانت قد جُدّدت. وارتفع عن الناس ما كانوا ألِفوه من الخوف في زمان والده فأظهروا نعمتهم وامتنع المفسدون من السعايات . وعقد لبغداد جسراً ثانياً عظيماً جديداً وانفق عليه مالاً كثيراً فصار في بغداد على دجلتها جسران . وما زالت دولته كذلك عادلة آمنة منذ ولي الى ان توفي في رابع عشر شهر رجب سنة ثلث وعشرين وستمائة بعد تسعة اشهر من ولايته .

* * *

وفيها مات يوسف بن يحيى بن اسحق السبتيّ المغربيّ . هذا كان طبيباً من اهل قادس وقرأ الحكمة بجلادة فشدا فيها وعانى شيئاً من علوم الرياضة فأجادها وكانت حاضرة على ذهنه عند المحاضرة . ولما أُلزم اليهود في تلك البلاد بالاسلام او الجلاء كتم دينه وارتحل الى مصر بماله واجتمع بموسى بن ميمون القرطبيّ رئيس اليهود بمصر وقرأ

عليه شيئاً وسأله اصلاح هيئة ابن افلح الاندلسي فانها صحبته من سبتة فاجتمع هو وموسى على اصلاحها وتحرّرها . وخرج من مصر الى الشام ونزل حلب وأقام بها واشترى ملكاً قريباً وتزوّج وخدم اطبّاء الخاص في الدولة الظاهرية بحلب وكان ذكياً حادّ الخاطر . قال القاضي الاكرم رحمه الله : كان بيني وبين يوسف هذا مودّة طالت مدّتها فقلت له يوماً : ان كان للنفس بقاء وتعقل به حال الموجودات من خارج بعد الموت فعاهدني على ان تأتيني ان متّ قبلي وآتيك ان متّ قبلك . فقال : نعم . ووصيته ان لا يغفل . ومات واقام سنتين ثم رأيته في النوم وهو قاعد في عرصة مسجد من خارجه في حضيرة له وعليه ثياب جدد بيض من النصفي فقلت له : يا حكيم ألستُ قرّرت معك ان تأتيني لتخبرني بما ألفيت . فضحك وادار وجهه فأمسكته بيدي وقلت : لا بدّ ان تقول لي كيف الحال بعد الموت . فقال لي : الكلّيّ لحق بالكلّ وبقي الجزئي في الجزء . ففهمت عنه في حاله كأنه اشار الى النفس الكلية عادت الى عالم الكلّ والجسد الجزئي بقي في الجزء وهو المركب الارضي [1] . فتعجبت بعد الاستيقاظ من لطيف اشارته . نسأل الله العفو عند العود اليه بعد الموت .

(المستنصر بن الظاهر) ولما توفّي الامام الظاهر بأمر الله بُويع ابنه جعفر المنصور ولُقب المستنصر بالله بويع يوم مات والده . ولما بويع البيعة العامّة ركب للناس ركوباً ظاهراً واستمرّ على هذه الحالة مدّة طويلة لا يختفي في ركوبه من الناس وأظهر من العدل وحسن السيرة اضعاف ما اظهره والده وأفاض من الصدقات ما أربى على مَن تقدّمه وتقدّم بانشاء مدرسته المعروفة بالمستنصرية التي لم يعمَّر في الدنيا مثلها فعمّرت على اعظم وصف في صورتها وآلاتها واتساعها وزخرفها وكثرة فقهائها ووقوفها . ووقَفها على المذاهب الاربعة ورتّب فيها اربعة من المدرّسين في كل مذهب مدرّساً وثلثمائة فقيه . لكلّ مذهب خمسة وسبعون فقيهاً . ورتّب لهم من المشاهرات والخبز والطعام في كل يوم ما يكفي كل فقيه ويفضل عنه وبنى لهم داخل المدرسة حمّاماً خاصاً للفقهاء وطبيباً خاصاً يتردّد اليهم في بكرة كل يوم يفتقدهم ومخزناً فيه كل ما يحتاج اليه من انواع ما يُطبخ من الاطعمة ومخزناً آخر فيه انواع الاشربة والادوية .

وفي سنة اربع وعشرين وستمائة تُوفي الملك المعظم عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق في سلخ ذي القعدة وكان عمره ثمانياً واربعين سنة [2] . وكانت همته عالية وصار

١ – ويروى : المركز الارضي .

٢ – كان ملكه لمدينة دمشق من حين وفاة والده الملك العادل عشر سنين وستة اشهر .

ملكه بدمشق والقدس والسواحل الى ولده الملك الناصر صلاح الدين داود فاستقرّ ملكه بها وحمل عمُّه الملك العزيز وعمه الملك الصالح الغاشية بين يديه

وفيها قفل جنكزخان من الممالك الغربية الى منازله القديمة الشرقية ثم رحل من هناك الى بلاد تنكوت [1] وهنالك عرض له مرض من عفونة ذلك الهواء الوخيم ولما قوي مرضه استدعى اولاده جغاتاي واوكتاي والغ نوين وكلكان وجورختاي واوردجار [2] وقال لهم: اني قد ايقنت مفارقة الدنيا لعجز قوتي عن حمل ما بي من الآلام ولا بدّ من شخص يقوم بحفظ المملكة على حالها والذّبّ عنها. وقد اعلمتكم غير مرّة ان ابني اوكتاي يصلح لهذا الشأن لما رأيت من مزيّة رأيه المتين وعقله المبين والآن فقد جعلته وليّ عهدي وقلّدته ما بيدي من جميع الممالك فما قولكم في هذا الذي استصوبته. فجثا الاولاد والنوينية المذكورون على ركبهم وقالوا: جنكزخان هو المالك للرقاب ونحن العبيد السامعون المطيعون في جميع ما يتقدّم به على وفق مراده ومرسومه. وعند فراغه من الوصية اشتد وجعه وتوفّي لاربع مضينَ من شهر رمضان سنة اربع وعشرين وستمائة وكان مدّة ملكه نحو خمس وعشرين سنة [3]. فأرسل الولدان والامراء الرسل الى باقي الاولاد والامراء ليجتمعوا في القوريلتاي [4] اي في المجمع الكبير.

وفي سنة خمس وعشرين وستمائة تردّدت الرسل بين الفرنج والملك الكامل في طلب الصلح فاتفق على تسليم البيت المقدّس الى الفرنج فتسلّموه ومواضع كثيرة أُخر من بلاد الساحل. وانما اجابهم الكامل لما رأى من كثرة عساكرهم وامداد البحر لهم بالرجال والاموال فخاف على بلاده ان تؤخذ منه عنوةً فأرضاهم بذلك.

وفي سنة ستّ وعشرين وستمائة تمّ اجتماع الاولاد وامراء المغول فوصل من طرف القفجاق الاولاد توشي [5] هردو باتوا سيبان تنكوت بركه بركجار بغاتيمور اقناس جغاتاي. ومن طرف اتميل اوكتاي. ومن طرف المشرق عمهم اوتكين وبلكتاي نوين والجتاي نوين والغ نوين. واما الاولاد الصغار فكانوا في اردو [6] جنكزخان. وفي

١ – تنكوت بلاد شرقي التبت وغربي نهر الصين المسمى «هو» النهر الاصفر.
٢ – اوردجار ر اوردجان. – ويروى: اروجان. ويروى في نسخة خطية: اردوجار.
٣ – قال دي كوين في تاريخه انه ملك اثنتين وعشرين سنة وعمر ستاً وستين سنة.
٤ – ويروى: القعريلياي.
٥ – يريد توشي واولاده كما سيرد في الصفحة ٢٤٨ من هذا الكتاب. وهناك يروى سيبقان بدل سيبان. وفي نسخة خطية: سبقان بدون ياء. ومعنى توشي: الضيف.
٦ – اردو معناها بالتركية المعسكر والمحلة. وقد تستعملها العامة في وقتنا فتقول: اوردي وعرضي.

زمن الربيع حضروا كلهم في عساكرهم وثلثة ايام متوالية فرحوا جميعاً ثم شرعوا فيما تقدّم به جنكزخان من الوصية والعهد بالمملكة الى اوكتاي فامتثلوا كلهم الاوامر الجنكزخانية واعترفوا بأهليته لذلك . فاستقالهم اوكتاي الولاية قائلاً : ان امر الوالد وان كان لااعتراض عليه لكن ههنا اخ اكبر مني واعمام هم اولى مني بها . فلم يُقيلوه ايّاها واصرّوا على انه لا بدّ من امتثال مرسوم الوالد وداموا على اصرارهم اربعين يوماً وما زالوا يتضرعون اليه ويلحّون عليه بالمسئلة حتى اجاب الى ذلك فكشفوا رؤوسهم ورموا مناطقهم على اكتافهم واخذ جغاتاي اخوه الكبير بيده اليمنى واوتكين عمّه بيده اليسرى فأجلساه على سرير المملكة ولقّباه قاان ولزم له الغ نوين كأس شراب فسقاه وجثا كل من كان حاضراً داخل الخرْكاه وخارجها على ركبتيه تسع مرّات ودعوا له ثم برزوا كلهم الى خارج وجثوا ثلث مرّات حيال الشمس . وانما اختصّ الغ نوين بلزوم الكاس لانه اصغر اولاد جنكزخان وفي عادة المغول ان الابن الصغير لا يقتسم ولا يخرج عن بيت ابيه واذا مات الاب فهو يتولّى تدبير المنزل . في تلك الاربعين يوماً كان يقول اوكتاي : ان الغ نوين هو صاحب البيت واكثر مواظبةً لخدمته وابلغ مني تعلّماً لسياسته فالمصلحة تفويض هذا الامر اليه . فلذلك سبق الجميع بتصريح الطاعة . واما الامراء فانتخبوا من بناتهم الابكار الصالحة لخدمة قاان اربعين بنتاً وحملوهنّ مزيّنات بالحليّ الفاخرة والخيول الرائعة الى خدمته . ولما فرغ من هذه الامور صرف همته الى ضبط الممالك وجهّز جورماغون في ثلثين الف فارس وسيّرهم الى ناحية خراسان وأنفذ سنتاي بهادُر [1] في مثل ذلك العسكر الى جانب قفجاق وسقسين وبلغار وجماعة اخرى الى التبّت وقصد هو بنفسه بلاد الخطا .

وفي سنة سبع وعشرين وستمائة في اوائلها نزل السلطان جلال الدين خوارزمشاه على خلاط وحاصرها اشدّ حصار وشتّى عليها ونصب عليها عشرين منجنيقاً على ناحية البحر وفيها اخو الملك الاشرف تقي الدين عباس ومجير الدين يعقوب والامير حسام الدين القيمُريّ وعزّ الدين ايبك مملوك الاشرف . فدام الحصار على اهل خلاط واشتدّ حتى اكلوا لحوم الكلاب وبلغ الخبز كل رطل بالشاميّ بدينار مصريّ فتسلّم خوارزمشاه المدينة والقلعة وانهزم حسام الدين القيمري وافلت على فرس وحدَه ومضى الى قلعة قيمُر ثم تجهّز الى خدمة الملك الاشرف الى الرقّة واقام عزّ الدين ايبك وتقيّ الدين ومجير الدين مع خوارزمشاه يركبون معه ويلعبون بالكرة . ولما طارت الاخبار

[1] — ويروى : سيتاي بهادور . ومعنى بهادر البطل .

الى الملك الاشرف بذلك انزعج وأسار[١] جريدة الى أبلُسْتَين. فتلقّاه صاحب الروم علاء الدين كيقباذ من فراسخ واجتمعا ولحقت الملك الاشرف عساكره وخرج علاء الدين بعساكره الى اق شهر هو والملك الاشرف وخرج الخوارزميّ من خلاط للقائهم وكان في اربعين الفاً والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً في يوم الجمعة وكان الغلبة فيه للملك الاشرف والروميّ وباتوا ليلة السبت على تعبيتهم الى الفجر من يوم السبت فالتقوا واقتتلوا فانكسر الخوارزميّ كسرة عظيمة وانهزم وقُتل من اصحابه خلق لا يحصي عددهم الاّ الله وانهزم مثلهم وأُسر مثلهم وبلغت هزيمتهم الى جبال طَرابيزون فوقع منهم في شقيف هناك الف وخمسمائة رجل . وساق خوارزمشاه الى صوب خرتبرت فوصلها في يوم وليلة ونجا بنفسه ومضى الى بلاد العجم فاقام في خوى . وكان قد بعث تقيّ الدين عبّاس اخا الاشرف اسيراً مقيداً الى بغداد هدية فأعاده الخليفة المستنصر مكرّماً الى الاشرف فوصل الاشرف الى خلاط واصلح احوالها ورمّمها ثم بعث رسولاً الى خوارزمشاه يسأله الاحسان الى مَن معه من الاسارى فأجابه بأنّ عندي منكم ملوكاً وعندكم منّا مماليك فان اجبتم الى الصلح فانا موافق عليه . فأجابه الملك الاشرف : انك فعلت ببلادنا ما فعلته وما ابقيت من سوء المعاملة والمقابحة شيئاً الاّ وقد عملته خربتَ البلاد وسفكت الدماء فان اردت الصلح فانزل عن البلاد التي تغلّبت عليها ولم تكن لأبيك لنعمّر منها ما خرّبت . وامّا قولك بان عندك منّا ملوكاً فالذي عندك اخي مجير الدين يعقوب نحن نقدّر انه مات فاخوتي عوضه ونحن بحمد الله في جماعة اهل بيت واولاد واقارب نزيد على الفي فارس وانت ابتر ما لك احد وخلفَك اعداء كثيرة . فمضى الرسول بهذا الجواب فلم يجبه الخوارزميّ الى ما طلبه ولا استقرّ بينهما امر . وكان عزّ الدين ايبك قد سجنه خوارزمشاه في قلعة اختمار فأحضر وقُتل . ثم وصله خبر عبور جورماغون نوين نهر امويه في طلبه فتوجّه الى تبريز وأرسل رسولاً الى الخليفة وآخر الى الملك الاشرف وصحبته زوجة الامير حسام الدين القيمريّ التي كان قد اسرها من خلاط ورسولاً الى السلطان علاء الدين صاحب الروم يستجيشهم ويعلمهم كثرة عساكر التاتار وحدّة شوكتهم وشدّة نكايتهم وانه اذا ارتفع هو من البين يعجزون عن مقاومتهم وانه كسدّ الاسكندر يمنعهم عنهم فالرأي ان يساعده كلٌّ منهم بفوج من عسكره ليرتبط بذلك جأش اصحابه ويحجم بهم العدوّ عن البلاد فيحجم . قال من هذا النوع واكثر واستصرخهم فلم يصرخوه واستغاثهم فلم يغيثوه فشتى بأرْمية واشتوا . وفي الربيع توجّه

١ — واسار ر وسار .

الى نواحي ديار بكر وصار يزجي اوقاته بالتمتّع واللهو والشراب والطرب كانه يودّع الدنيا وملكها الفاني . وبينما هو في ذلك يسرّ لا بل يغرّ فجئه هجوم بايماس نوين في عسكره ليلاً فتكلّف للانتباه وعاين نيران المغول بالقرب من مكانه فتقدّم الى الامير اورخان ان يُلمّ به الجماعة ويشغل المغول عند الصبح بالاقدام تارةً والاحجام أخرى وفرّ هو مع ثلاثة نفر من مماليكه تائهاً في جبال ديار بكر . فلما اصبحوا ظنّ المغول ان جلال الدين خوارزمشاه فيهم فجدُّوا في طلبهم طاردين في اعقابهم وهم منهزمون بين ايديهم ولما تحققوا انه ليس معهم رجعوا عنهم . فاما جلال الدين خوارزمشاه فأوقع به قوم من الاكراد ببعض جبال آمد ولم يعرفوه وقدّروه من بعض جند الخوارزميّة فقتلوه والمملوكَين طمعاً في ثيابهم وخيلهم وسلاحهم . استُنبط ذلك من جهة ان بعد مُدَيدة يسيرة دخل بعض اولئك الاكراد الى آمد وعليه من سلاح جلال الدين . فعرفه مملوك له كان قد لجأ الى صاحب آمد فقبُض الكرديّ وقُرّر فأقرّ بما افتعله هو واصحابه فأحضرهم وقتلهم حنقاً عليهم . وقال قوم ان المقتول لم يكن جلال الدين وانما كان سلاحداره لانه يومئذٍ لم يحمل سلاحاً ولا كان يلبس ثياب العادة وانما كان بزيّ الصوفيّة مع اصحابه ولذلك دائماً كان يرجف الناس ان جلال الدين خوارزمشاه قد رأوه بالبلد الفلاني وبالمدينة الفلانية حتى انه في سنة اثنتين وخمسين وستمائة اتفق جماعة من التجار عابرين على نهر جيحون وهناك القراغول وهم مستحفظو الطرق فأنكروا على فقير كان صحبة التجار مجهول فلما قرّروه أقرّ انه جلال الدين خوارزمشاه فقبضوه وكرّروا عليه العذاب والسؤال فلم يغيّر كلامه الى ان مات تحت العقوبة . فان لم يكن هو واعتمد ذلك الى هذه الغاية فلا شكّ ان الجنون فنون .

ولما استقرّ قاان في الملك وانقاد له القاصي والداني من جيوش المغول عزم على فتح بلاد الخطا وسيّر في مقدمته اخويه جغاتاي والغ نوين وباقي الاولاد في عساكر عظيمة. فساروا ونازلوا اولاً مدينة يقال لها حرجا [1] بنو يقسين وهي على شط قراموران [2] فأحاطوا بها وحصروها مدّة اربعين يوماً وكان فيها عشرة آلاف من فرسان الخطا فلما عاينوا العجز عن مقاومة المغول ركبوا السفن التي كانوا اعدّوها هاربين . وطلب اهل البلد الامان فأومنوا ورتّب المغول عندهم الشحاني وقصدوا باقي المواضع . وجهز قاان اخاه الغ نوين وولده كيوك وسيّرهم في عشرة آلاف فارس في المقدّمة وسار هو بعقبهم

١ – ويروى: خوجا .
٢ – معنى قراموران بلغة التتر النهر الاسود .

فتمهل ومعه العسكر الكبير . فجيَّش التون خان ملك الخطا [١] مائة الف من شجعانه وقدَّم عليهم اميراً [٢] من امرائه وأنفذهم للقاء المغول. فلما وصلوا اليهم استحقروهم لقلَّتهم بالنسبة اليهم وتهاونوا في امرهم وارادوا ان يسوقوهم كما هم الى ملكهم التون خان ليفرجوا بهم عنه غمّه اذا هو ضرب عليهم حلقة وصادهم صيداً . فشغلهم المغول بفتور المكافحة واطمعوهم الى ان وصلت الافواج التي مع قاان فأوقعوا بعسكر الخطا ولم يفلت منهم الاّ النزر . وكان التون خان بمدينة تسمّى نامكينك [٣] فلما بلغه الخبر بما جرى على اصحابه ارتاع وأيس من حياة الدنيا وجمع اولاده ونساءه وكل من يعزّ عليه ودخلوا بيتاً من بيوت الخشب وأمر بضرب النار فيه فاحترق هو ومن معه أنفةً من الوقوع في اسر المغول . ودخلت عساكر المغول الى المدينة ونهبوا وأسروا البنين والبنات وأمَّنوا الباقي . وفتحوا غيرها من المدن المشهورة ورتَّب بها قاان الشحاني وقفل الى مواضعه القديمة وبنى بها مدينة سمَّاها اردوباليق وهي مدينة قراقورم واسكنها خلقاً من اهل الخطا وتركستان والفرْس والمستعربين . وبينما هم مسرورون بفتح بلاد الخطا تُوفّي تولي خان وكان احبَّ الاخوة الى قاان فاغتمّ لذلك كثيراً وأمر ان زوجته المسمّاة سرقوتنى بيكي وهي ابنة اخي اونك خان تتولّى تدبير عساكره وكان لها من الاولاد اربعة بنين مونككا قوبلاي هولاكو اريغ بوكا . فأحسنت تربية الاولاد وضبط الاصحاب وكانت لبيبة مؤمنة تدين بدين النصرانية تعظم محلّ المطارنة والرهبان وتقتبس صلواتهم وبركتهم وفي مثلها قال الشاعر :

فلو كان النساءُ كمثل هذه لَفُضِّلت النساءُ على الرجالِ

وبعد قليل مات ايضاً الاخ الكبير وهو المسمّى توشي وخلف سبعة بنين وهم تمسل هردو باتوا سيبقان تنكوت بركه بركجار. ومن بين هؤلاء لباتوا سلَّم قاان البلاد الشمالية وهي بلاد الصقالبة واللاّن والروس والبلغار وجعل مخيمه على شاطئ نهر اتل وغزا هذه النواحي فقتل فيها خلائق بلغ عددهم مائتي الف وسبعين الفاً عُلِم ذلك من آذان القتلى التي قطعوها امتثالاً لمرسوم قاان لانه تقدّم بقطع الاذن اليمنى من كل قتيل . وبعد فراغ باتوا من امر الصقالبة تجهز للدخول الى نواحي القسطنطينية فبلغ

١ – التون او الطون معناه الذهب وخان هو الملك بلغتهم . والطون خان لقب ملوك الخطا من آل كين ومعنى كين ايضاً الذهب .

٢ – اميراً ر اميرين .

٣ – ويروى : ناملیك .

ذلك ملوك الفرنج فجاؤوا حافلين حاشدين والتقوا المغول في اطراف بلد البلغار وجرت بينهم حروب كثيرة انجلت عن كسرة المغول وهزيمتهم وهربهم فقفلوا من غزاتهم هذه ولم يعودوا يتعرضون الى بلاد يونان وفرنجة الى يومنا هذا .

وفي سنة ثلثين وستمائة ارسل السلطان علاءُ الدين كيقباذ صاحب الروم رسولاً الى قاان وبذل الطاعة . فقال قاان للرسول : اننا قد سمعنا برزانة عقل علاء الدين واصابة رأيه فاذا حضر بنفسه عندنا يرى منا القبول والاكرام ونولّيه الاختاجية في حضرتنا وتكون بلاده جارية عليه . فلما عاد الرسول بهذا الكلام تعجب منه كل من سمعه واستدلّ على ما عليه قاان من العظمة. وفيها اخذ علاءُ الدين خلاط وسُرْماري[١] من الملك الاشرف وغزا الاشرف مدينة حصن منصور واغار عليها واخذ الكامل مدينة آمد من صاحبها وعوّضه عنها قرى بالشام . وفيها تُوفّي مظفّر الدين كوكبري بن زين الدين عليّ كوجك صاحب اربل في رمضان وحمل الى مكة فدُفن بها وولي اربل انسان شريف يقال له ابو المعالي محمد بن نصر بن صلايا من قبل الخليفة المستنصر . وفي سنة احدى وثلثين وستمائة مات ناصر الدين محمود بن القاهر بن نور الدين صاحب الموصل ووصل التقليد من الخليفة لبدر الدين لؤلؤ بالولاية فخطب له على المنابر بالسلطنة . وفي سنة اثنتين وثلثين حصر السلطان علاءُ الدين مدينة الرها وملكها عنوة فدخلها الروميّون ووضعوا السيف بها ثلثة ايام وقتلوا النصارى والمسلمين فتكاً ونهباً فأصبح الرهاويّون فقراء لا يملكون شيئاً ونُهبت البيع وأُخذ ما فيها من الكتب والصلبان وآلات الذهب والنقرة وحمل اهل حرّان مفاتيح قلعتها فملكوها هدنة وملكوا الرقّة والبيرة ايضاً . فلما عاد عنها عسكر الروم قصد الملك الكامل الرها وحاصرها اربعة اشهر ثم ملكها وهدم برجاً كبيراً من ابرجة قلعتها وحمل مَن وجد بها من الروميين كل اثنين على جمل وبعث بهم الى مصر مقيّدين .

وفي سنة ثلث وثلثين وستمائة غزا التاتار بلد اربل وعبروا الى بلد نينوى ونزلوا على ساقية قرية ترجلى[٢] وكرْمَليس فهرب اهل كرمليس ودخلوا بيعتها وكان لها بابان فدخلها المغول وقعد اميران منهم كل واحد على باب واذنوا للناس في الخروج عن البيعة فمن خرج من احد بابيها قتلوه ومن خرج من الباب الآخر اطلقه الامير الذي على ذلك الباب وابقاه فتعجب الناس لذلك .

١ – سرماري بضم اوله وسكون ثانيه قلعة عظيمة وولاية واسعة بين تفليس وخلاط .
٢ – هي تَرْجَلَة . ويروى : على ساقية قرية كرمليس .

وفي سنة اربع وثلثين وستمائة تـُوفـّي السلطان علاء الدين كيقباذ صاحب الروم بغتة لانه كان قد صنع دعوة عظيمة حضر بها[1] الامراء الاكابر واتباعهم واكثر الجند . فبينما هو يظهر السرور والفرح ويتباهى بما أعطي من الملك اذ حسّ بوجع في احشائه واخذته خِلْفة فاختلف الى المتوضإ فانسهل براز اً دموياً صرفاً كثير المقدار وسقطت قوته في الحال . وفي اليوم الثاني من هذا العرض مات وكان ملكه ثماني عشرة سنة وكان عاقلاً عفيفاً ذا بأس شديد على حاشيته وامرائه وكانت الدولة السلجوقية قبله محلولة بسبب الخلف الواقع بين اولاد قلج ارسلان فلما وليها علاءُ الدين اعاد جدّتها وجدّد ناموسها وألقى الله هيبته في قلوب الخلق فأطاعوه واتسع ملكه جداً ودان له العالم وبحقٍّ قيل له سلطان العالم وحضر عنده الملوك واذعنوا له بالطاعة وكان قاسي القلب . ولما تـُوفـّي احضر الامراءُ ولده غياث الدين كيخسروا فبايعوه وحلفوا له. وفيها تـُوفـّي الملك العزيز بن الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب وولي بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين وهو آخر الملوك من بيت ايوب قتله هولاكو في سنة ثماني وخمسين وستمائة . وفيها اعني سنة اربع وثلثين في شهر شوّال غزا التاتار بلد اربل وهرب اهل المدينة الى قلعتها . فحاصروها اربعين يوماً ثم أُعطوا مالاً فرحلوا عنها . ولما ولي السلطان غياث الدين كيخسرو السلطنة ببلد الروم قبض على غاير خان امير الخوارزمية فهرب باقي الخوارزمية وامراؤهم ولما اجتازوا بملطية وكاختين [1] وخَرتَبِرت [2] اسروا سيف الدولة السوباشي [3] وقتلوا ببرمير [4] سوباشي خرتبرت واغاروا على بلد سميساط وعبروا الى السويداء فأقطعهم الملك الناصر صاحب حلب ما بين النهرين الرها وحرّان وغيرهما فكفّوا عن الفساد والغارات . وفي سنة خمس وثلثين وستمائة تـُوفـّي الملك الاشرف بن الملك العادلى بن ايوب بدمشق وكان عمره ستين سنة وكان كريماً سخياً مقبلاً على التمتع بالدنيا ولذاتها يزجي اوقاته برفاغية من العيش . وفيها مات ايضاً الملك الكامل بن الملك العادل بن ايوب صاحب مصر بدمشق ودفن بها وكان عمره سبعين سنة وكان عاقلاً فاضلاً حسن السياسة كثير الاصابة سديد الرأي شديد الهيبة عظيم الهمّة محباً للفضائل واهلها .

---

١ – لعلها كاختا . قال ابو الفداء: كاختا قلعة عالية البناء لا ترام حصانةً بينها وبين ملطية مسيرة يومين وملطية عنها في جهة الغرب .

٢ – خرتبرت هو الحصن المعروف بحصن زياد في اقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات .

٣ – ويروى: الزوباشي .

٤ – ويروى: تبرمير .

وفيها غزا التاتار العراق ووصلوا الى تخوم بغداد الى موضع يسمّى زنكاباذ والى سرّمرّأى [١] . فخرج اليهم مجاهد الدين الدويدار وشرف الدين إقبال الشرابيّ في عساكرهما فلقوا المغول وهزموهم وخافوا من عودهم فنصبوا المنجنيقات على سور بغداد . وفي آخر هذه السنة عاد التاتار الى بلد بغداد ووصلوا الى خانقين فلقيهم جيوش بغداد فانكسروا وعادوا منهزمين الى بغداد بعد ان قُتل منهم خلق كثير وغنم المغول غنيمة عظيمة وعادوا . وفيها حدث ببغداد مدّ دجلتها مداً عظيماً هائلاً وغرق دور كثيرة وغرق سفينتان فهلك فيهما نحو خمسين نسمة . وفي سنة سبع وثلثين وستمائة جهز السلطان غياث الدين جيوشاً الى ارمينية فامتنع المغول من الدخول الى بلد الروم .

وفي سنة ثماني وثلثين وستمائة ظهر ببلد اماسيا من اعمال الروم رجل تركمانيّ ادّعى النبوّة وسمّى نفسه بابا فاستغوى جماعة من الغاغة بما كان يخيل اليهم من الحيل والمخاريق . وكان له مريد اسمه اسحق يتزيّا بزيّ المشايخ فانفذه الى اطراف الروم ليدعو التركمانيين الى المصير اليه . فوافى اسحق هذا بلد سميساط واظهر الدعوة لبابا فاتبعه خلق كثير من التركمان خصوصاً وكثف جمعه وبلغ عدد من معه ستة آلاف فارس غير الرجالة فحاربوا من خالفهم ولم يقل كما يقولون لا إله الاّ الله بابا رسول الله فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين والنصارى من اهل حصن منصور وكاختنين وكَرْكَرْ [٢] وسميساط وبلد ملطية ممن لم يتبعهم وكانوا يهزمون كلّ من لقيهم من العسكر حتى وصلوا الى اماسيا . فانفذ اليهم السلطان غياث الدين جيشاً فيه جماعة من الفرنج الذين في خدمته فحاربوهم وكان الجند المسلمون لم يتجرأوا عليهم ويحجموا عنهم لما توهموا منهم . فأخّر الفرنج المسلمين وتولّوا بانفسهم محاربة الخوارج فكشفوهم ورموا فيهم السيف وقتلوهم طرّاً واسروا الشيخين بابا واسحق فضرب عنقاهما وكفوا الناس شرهم .

وفي سنة تسع وثلثين حاصر جرماغون نوين مدينة ارزن الروم وملكها عنوةً وقتل فيها خلائق من اهلها وسبى الذراريّ وشنّ الغارة عليها وقُتل سنان سوباشها . وفي سنة اربعين وستمائة سار السلطان غياث الدين كيخسروا الى ارمينية في جمع كثيف وجهاز لم يتجهز احد مثله في عساكره وعساكر اليونانيين والفرنج والكرج والارمن والعرب

---

١ – ويروى: سَرَّ مَن رأى.

٢ – قال ابو الفداء: كركر قلعة حصينة شاهقة وترى الفرات منها كالجدول الصغير وهي على جانب الفرات الغربي . وهي بالقرب من كختا من شرقيها .

لمحاربة التاتار فالتقى العسكران بنواحي ارزنكان [١] بموضع يسمّى كوساذاغ واوّل وهلة باشر المسلمون ومن معهم الجيوش النصرانية الحرب وهلوا وادبروا وولوا هاربين فانهزم السلطان مبهوتاً فاخذ نساءه واولاده من قيساريّة وسار الى مدينة انقورة فتحصن بها . واقام المغول يومهم ذلك مكانهم ولم يقدموا على التقدم فظنوا ان هناك كميناً اذ لم يروا قتالاً يوجب هزيمتهم وهم في تلك الكثرة من الامم المختلفة . فلما تحققوا الامر انتشروا في بلاد الروم فنازلوا اولاً مدينة سيواس فملكوها بالامان واخذوا اموال اهلها عوضاً عن ارواحهم واحرقوا ما وجدوا بها من آلات الحرب وهدموا سورها . ثم قصدوا مدينة قيسارية فقاتل اهلها اياماً ثم عجزوا ففتحوها عنوة ورموا فيها السيف وابادوا اكابرها واغنياءها معاقبين على اظهار الاموال وسبوا النساء والاولاد وخربوا الاسوار وعادوا ولم يتوغّلوا في باقي بلاد السلطان . ولما سمع اهل ملطية ما فعل التاتار بقيساريّة هلعوا وجزعوا افحش الجزع . فاجفل رشيد الدين الخويني [٢] اميرها ومعه اصحابه طالبين حلب وكذلك من امكنه الهرب من اماثلها . وكان من جملة من يريد الخروج بأهله والدي فأحضر الدوابّ وكان لنا فيها بغل للسرج فلما ارادوا شدّ الاكاف عليه ليحمّلوه شمص وتفلّت . فبينما هم يتبعونه في الزقاق ليلزموه قالوا لهم : ان الفتيان من العامّة وثبوا في باب المدينة وينهبون كل من رأوه يخرج . فأمسك والدي عن الخروج واجتمع بالمطران دينوسيوس وتشاوروا في مرابطة المدينة وجمعا المسلمين والنصارى في البيعة الكبيرة وتحالفوا ان لا يخون بعضهم بعضاً ولا يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم اليهم من مداراة التاتار والقيام بحفظ المدينة والبيتوتة على اسوارها وكفّ اهل الشرّ عن الفساد . فنظر الله الى حسن نيّاتهم ودفع العدو عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يتعرّضوا اليها . واما الذين خرجوا من المدينة مجفلين فادركهم المغول عند قرية يقال لها باجوزة على عشر فراسخ من المدينة فقتلوا الرجال وسبوا النساء والاولاد ومن سلم منهم في المغائر والشعاب والاودية الغائرة من النساء والرجال عاد الى ملطية عرياناً حافياً وكان ذلك في شهر تموز سنة الف وخمسمائة واربع وخمسين للاسكندر . وكرّ المغول على مدينة ارزنكان وملكوها عنوة وقتلوا رجالها وسبوا الذراريّ ونهبوها وخربوا سورها ومضوا . ولما رأى السلطان العجز عن مقاومة التاتار ارسل اليهم رسلاً يطلب الصلح فصالحوه على مال وخيل واثواب وغيرها يعطيهم كل سنة مبلغاً معيناً مقاطعة .

١ – ارزنجان واهلها يقولون ارزنكان بالكاف بلدة من بلاد ارمينية بين بلاد الروم وخلاط قريبة من ارزن الروم .
٢ – ويروى : الجويني .

وفيها تُوفّي الامام المستنصر بالله الخليفة ببغداد وكان عاقلاً عادلاً لبيباً كريماً كثير الصدقات عمَّر المدارس والمساجد والرباطات القديمة وكان قد تهدّم معظمها ومن شدّة غرامه بمدرسته المعروفة بالمستنصريّة اعمر لصقَها بستاناً خاصاً له فقلّ ما يمضي يوم الاّ ويركب في السيارة ويأتي البستان يتنزه فيه ويقرب من شباك مفتح في ايوان المدرسة ينظر الى البستان وعليه ستر فيجلس وراء الستر وينظر الى المدرسة ويشاهد احوالها واحوال الفقهاء ويشرف عليهم ويتفقد احوالهم . وكانت مدة خلافته نحو ثماني عشرة سنة .

* * *

وفي سنة خمس وعشرين وستمائة تُوفّي حسنون الطبيب الرهاويّ وكان فاضلاً في فنّه علماً وعملاً ميمون المعالجة حسن المذاكرة بما شاهده من البلاد . وكان اكثر مطالعته في كتاب اللوكري في الحكمة . وكان شيخاً بديناً بهياً دخل الى مملكة قلج ارسلان وخدم امراء دولته كأمير اخور سيف الدين واختيار الدين حسن واشتهر ذكره . ثم خرج الى ديار بكر وخدم من حصل هناك من بيت شاه ارمن وهزارديناري ثم الداخلين على تلك الديار من بيت ايوب ورجع الى الرها . ولما تحقق ان طغرل الخادم تولّى اتابكية حلب وله به معرفة من دار استاذه اختيار الدين حسن في الديار الرومية جاء اليه الى حلب ولم يجد عنده كثير خير وخاب مسعاه فانه كان منكسراً عند اجتماعه به وانفصاله عنه . فلما عُوتب الخادم على ذلك من احد خواصّه قال: انا مقصّر بحقه لاجل النصرانية . ولما عزم على الارتحال الى بلده ادركته حمّى اوجبت له اسهالاً سحجياً ثم شاركت الكبد في ذلك فقضى نحبه ودُفن في بيعة اليعاقبة بحلب .

وفي سنة ستّ وعشرين وستمائة تُوفّي يعقوب بن صقلان الطبيب النصراني الملكي المقدسي وكان مولده بالقدس الشريف وبه قرأ شيئاً من الحكمة على تاذوري الفيلسوف الانطاكي وسيأتي ذكره بعد هذا التاريخ . واقام يعقوب هذا بالقدس على حالته في مباشرة البيمارستان الى ان ملكه الملك الاعظم[1] بن الملك العادل بن ايوب فاختصّ به ولم يكن عالماً وانما كان حسن المعالجة بالتجربة البيمارستانية ولسعادة كانت له . ثم نقله الملك المعظم الى دمشق وارتفعت عنده حاله وكثر ماله وادركه نقرس ووجع مفاصل أقعده عن الحركة حتى قيل ان الملك المعظم كان اذا احتاج اليه في امراضه استدعاه

---

١ – الاعظم ر المعظم وهو الصواب .

بمحفّة تُحمل بين الرجال . ولم يزل على ذلك الى ان مات المعظم صاحبه ومات هو بعده بقليل .

ومن الاطباء المشهورين في هذا الزمان الحكيم ابو سالم النصرانيّ اليعقوبيّ الملطيّ المعروف بابن كرابا [١] خدم السلطان علاءَ الدين كيقباذ صاحب الروم وتقدّم عنده وكان قليل العلم بالطبّ الآ انه كان اهلاً لمجلسه لفصاحة لهجته في اللسان الروميّ ومعرفته بأيام الناس وسيَر السلاطين . وفي سنة اثنتين وثلثين لما سار علاء الدين من ملطية الى خرَتبَرْت ليملكها تخلّف عنه ابو سالم هذا ولم يسر في ركابه وكان السلطان لا يصبر عنه ساعة. ولما بات السلطان على الفرات ولم يأتِه الحكيم امر الشحنة الذي على الزواريق ان نهار غد ان جاء ابو سالم قبل الزوال فليعبر وان جاء بعده لا تمكنه من العبور . فلما كان من الغد تأخّر مجيئه الى العصر فاخبره الشحنة بمرسوم السلطان فأحسّ بتغيّر فعاد الى منزله وشرب سماً ومات . ومنهم الحكيم شمعون الخرتبرتي وكان ايضاً ضعيف العلم لكنه كان خيّراً ديّناً كثير الصوم والصلاة . وانتشى له ولد حسن محصّل واجاد الخطّ العربيّ وصار فيه طبقة ومات في حداثة سنة ففجعت مصيبته أباه .

وفي هذا الزمان كان جماعة من تلامذة الامام فخر الدين الرازي سادات فضلاء اصحاب تصانيف جليلة في المنطق والحكمة كزين الدين الكشي وقطب الدين المصري بخراسان وافضل الدين الخونجي بمصر وشمس الدين الخسروشاهي بدمشق واثير الدين الابهري بالروم وتاج الدين الارموي وسراج الدين الارموي بقونية . حكى النجيب الراهب المصري الحاسب بدمشق عن الملك الناصر داود بن الملك المعظم بن الملك العادل ابن ايوب صاحب الكرك انه كان يتردّد الى شمس الدين الخسروشاهي يقرأ عليه كتاب عيون الحكمة للشيخ ابي عليّ بن سينا وكان اذا وصل الى رأس المحلة التي بها منزل الخسروشاهي أومأ الى من معه من الحشم والمماليك ليقفوا مكانهم ويترجل ويأخذ كتابه تحت ابطه ملتفاً بمنديل ويجيء الى باب الحكيم ويقرعه فيفتح له ويدخل ويقرأ ويسأل عمّا خطر له ثم يقوم ولم يمكّن الشيخ من القيام له .

(المستعصم بن المستنصر) : وفي سنة اربعين وستمائة بويع المستعصم يوم مات ابوه المستنصر وكان صاحب لهو وقصف شُغف بلعب الطيور واستولت عليه النساء وكان ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول وكان اذا نُبّه على ما ينبغي ان يفعله في امر التاتار اما المداراة والدخول في طاعتهم وتوخي مرضاتهم او تجيّش

---

١ — ويروى : كرايا .

العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق فكان يقول: انا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها لي اذا نزلتُ لهم عن باقي البلاد ولا ايضاً يهجمون عليَّ وانا بها وهي بيتي ودار مقامي. فهذه الخيالات الفاسدة وامثالها عدلت به عن الصواب فأصيب بمكاره لم تخطر بباله.

وفي سنة احدى واربعين غزا يساور نوين[١] الشام ووصل الى موضع يسمّى حيلان على باب حلب وعاد عنها لحَيْنِ اصاب خيول المغول واجتاز بملطية وخرّب بلدها ورعى غلاّتها وبساتينها وكرومها وأخذ منها اموالاً عظيمة حتى خَشَلَ النساء وصلبان البيَع ووجوه الاناجيل وآنية القداس المصوغة من الذهب والفضة ثم رحل عنها. وطلب طبيباً يداويه في سحج عرض له فأخرج اليه والدي وسار معه الى خرتبرت فدبّره حتى برأ. ثم جاء ولم يطل المقام بملطية ورحل بنا الى انطاكية فسكنّاها. وأقحطت البلاد بعد ترحال التاتار ووبئت الارض فهلك عالم وباع الناس اولادهم باقراص الخبز.

وفي سنة اثنتين واربعين اغار التاتار على بلد بغداد ولم يتمكنوا من منازلتها. وفيها سيّر السلطان غياث الدين جيشاً عظيماً الى مدينة طرسوس فحاصروها مدة وضيّقوا عليها وكادوا يفتحونها عنوة فاتفق ان مات السلطان غياث الدين في تلك الايام. فلما بلغهم موت السلطان رحلوا عنها خائبين وكان الوقت خريفاً وتواترت على الروميّين الامطار وتوحّلت خيولهم فنال منهم رجّالة الارمن وغنموا اثقالهم. وكان السلطان غياث الدين مقبلاً على المجون وشرب الشراب غير مرضيّ الطريقة منغمساً في الشهوات الموبقة تزوّج ابنة ملك الكرج فشغفه حبُّها وهام بها الى حدّ ان اراد تصويرها على الدراهم فأشير عليه ان يصوّر صورة اسد عليه شمس لينسب الى طالعه ويحصل به الغرض. وخلّف غياث الدين ثلثة بنين عزّ الدين وأمّه روميّة ابنة قسيس وركن الدين وأمّه ايضاً روميّة وعلاء الدين وأمّه الكرجية. فولي السلطنة عزّ الدين وهو الكبير وحلف له الامراء وخُطب له على المنابر وكان مدبّره والاتابك له الامير جلال الدين قرطاي[٢] رجل خيّر ديّن صائم الدهر ممتنع عن اكل اللحم ومباشرة النساء لم ينَم في فراش وطيء وانما كان نومه على الصناديق في الخزانة[٣] اصله روميّ وهو من مماليك السلطان علاء الدين وتربيته وكان له الحرمة الوافرة عند الخاصّ والعامّ. وفي سنة ثلث واربعين تردّدت

١ – ويروى: نساور. ويروى: في نسخة تاريخ مخطوط: بساور.
٢ – ويروى: قراطي وقراطاي.
٣ – في الخزانة ر والخزانة.

رسل المغول في طلب السلطان عزّ الدين ليحضر بنفسه في خدمة قاان. فتعلّل محتجّاً بمعاداة من يجاوره من ملوك اليونانيّين والارمن ايّاه وانه متى فارق بلاده ملكها هؤلاء وكان يرضي الرسل بالهدايا وبذل الاموال ويدافعهم من وقت الى وقت . ثم سيّر اخاه ركن الدين وفوّض تدبيره الى بهاء الدين الترجمان وجعله اتابكه وارسله صحبته واستوزر عزّالدين لنفسه رجلاً اصفهانيّاً وهو صاحب علم وفضل يلقّب بشمس الدين فتمكّن من الدولة الى حدّ أن تهيّأ له التزوّج بأمّ السلطان عزّ الدين فثقل ذلك على الامراء طرّاً .

وفيها مرض قاان ولما اشتدّ مرضه سيّر رسولاً في طلب ابنه كيوك فاهرع اليه من غير توقّف فلم يمهل القضاء ليجتمع بالوالد فأقام بالمكان الذي بلغه فيه وفاته وكانت والدته توراكينا خاتون ذات دهاء كافية فطنة فاتّفق جغاتاي وباقي الاولاد على انها تتصرّف في تدبير الممالك الى وقت القوريلتاي لانها أمّ الاولاد الذين لهم استحقاق الخانيّة . وفي سنة اربع واربعين وستمائة تمّ اجتماع الاولاد والاحفاد وامراء المغول في وقت الربيع وحضر في المجمع من غير المغول ايضاً ممّا وراء النهر وتركستان الامير مسعود بيك ومن خراسان الامير ارغون اغا [1] وصحبته اكابر العراق واللور واذربيجان وشروان. ومن الروم السلطان ركن الدين [2] . ومن الارمن الكندسطبل اخو التكفور [3] حاتم . ومن كرجستان الداودان الكبير والصغير . ومن الشام اخو الملك الناصر صاحب حلب. ومن بغداد فخر الدين قاضي القضاة ومن علاء الدين صاحب الالموت محتشمو قهستان. فاذ تمّ هذا المجمع العظيم [4] الذي لم يعهد مثله وقع الاتفاق على كيوك . وكان له اخوان آخران احدهما يسمّى كوبان والآخر طفل يسمّى سيرامون . وانما اختير هو من دونهما لكونه مشهوراً بالغلبة والشطط والاقتحام والتسلط وكان هو اكبر الاخوة فأهل للولاية وأجلس على سرير الملك وخدموه ودعوا له كالعادة واطاعوه وكيوك خان سمّوه . وفي سنة خمس واربعين وستمائة ولّى كيوك خان على بلاد الروم والموصل والشام والكرج [5]

---

١ – اغا ر اقا .

٢ – هو اخو سلطان قونية .

٣ – الكندسطبل Comes stabuli, Connétable كانت تعني اولاً وظيفة امير الاخور ثم عنوا بها امير الجيوش . وتكفور لفظة ارمنية Թագաւոր معناها ملك .

٤ – فات المؤلف ان يذكر فيمن حضر في هذا المجمع العظيم الراهب Jean du Plan Carpin يوحنا دي بلان كاربين سفير البابا اينوشنسيوس الرابع وكان من رهبنة مار فرنسيس .

٥ – وفي رواية: والكرج والارمن .

نويناً اسمه ايلجيكتاي . وعلى ممالك الخطا الصاحب يلواج. وعلى ما وراء النهر وتركستان الامير مسعود . وعلى بلاد خراسان والعراق واذربيجان وشروان واللور وكرمان وفارس وطرف الهند الامير ارغون اغا . وقلّد سلطنة بلد الروم السلطان ركن الدين . وامر بعزل السلطان عزّ الدين . وجعل داود الصغير المعروف بابن قيز ملكاً محكوماً لداود الكبير صاحب تفليس . واما رسول الخليفة فخاطبه خطاب واعد ومُوعد بل واعظ ومنذر . واما رُسل الملاحدة [١] فصرفهم مذلّين مهانين . وكتب يراليغ عهد وامان للتكفور والملك الناصر صاحب حلب .

وكان بمقام الاتابكية لكيوك خان امير كبير اسمه قداق وكان معمّداً مؤمناً بالمسيح وشاركه في ذلك امير آخر اسمه جينقاي [٢] فهذان احسنا النظر الى النصارى وحسّنا يقين كيوك خان ووالدتهِ واهل بيته بالمطارنة والاساقفة والرهابين فصارت الدولة مسيحية وارتفع شأن الطوائف المنتمية الى هذا المذهب من الفرنج والروس والسريان والارمن . والتزم الخاص والعام من المغول وغيرهم ممن هو بينهم ان يقولوا في السلام برخمر [٣] وهو لفظ مركب سرياني معناه بارك مالكى .

وفي سنة ستّ واربعين وستمائة وصل السلطان ركن الدين وبهاء الدين الترجمان الى بلد الروم ومعهما الفا فارس من المغول . فهمّ الوزير شمس الدين الاصفهانيّ ان يأخذ السلطان عزّ الدين ويصعد الى بعض القلاع التي على البحر ويقيما هناك عاصيَين الى ان يفعل الله ما يشاء . فعلم بذلك جلال الدين قرطاي [٤] الرجل الصالح فقبض على الوزير الاصفهانيّ وسيّر فاعلم بهاء الدين الترجمان بذلك فانفذ جماعة من امراء المغول فأتوا الى قونية وقرّروا الوزير على الاموال والخزائن ثم قتلوه . واجتمع بهاء الدين الترجمان بجلال الدين قرطاي واتفقا على ان توزّع البلاد على الاخوين فتكون قونية واقسرا وانقرة وانطاكية وباقي الولايات الغربية لعزّ الدين . وقيسارية وسيواس وملطية وارزنكان وارزن

١ – الملاحدة ويقال لهم الاسماعيلية والباطنية ايضاً هم من بقايا القرامطة الخوارج واصحاب حسن بن صبّاح ويعرفون عند الاوروبيين بهذا الاسم Assasins . فبعد موت السلطان ملكشاه قويت شوكتهم وتغلّبوا على عدة حصون وخصوصاً حصن الالموت بالقرب من مدينة قزوين . وبث حسن اصحابه الى الجهات فأتى قوم منهم سورية وتحصنوا في الجبال المجاورة لطرسوس وعليهم امير اسمه ابو طاهر ويُعرف بشيخ الجبل يطيع للامير الكبير الذي في بلاد فارس . ودامت سلطة الاسماعيلية من السنة ٤٨٣ الى سنة ٦٥٣هـ (١٠٩٠–١٢٥٥م) .

٢ – ويروى: جنبقاي .

٣ – برخمر ر يارخ مار .

٤ – قرطاي ر قراطاي و قراطي س هؤاهاء قراطاي .

الروم وغيرها من الولايات الشرقية لركن الدين . واقطعا لعلاء الدين الاخ الصغير من الاملاك الخاصَّة مما يكفيه وضربوا السكة باسم الثلثة وكتبوا السلاطين الاعاظم عزّ وركن وعلاء .

وفي سنة سبع واربعين وستمائة توفيت توراكينا خاتون امّ كيوك خان فتشاءم[١] كيوك خان بذلك المقام ورحل عنه متوجهاً الى البلاد الغربية . ولما وصل الى ناحية قمستكي وبينها وبين مدينة بيش بالغ خمس مراحل ادركه اجله في تاسع ربيع الآخر فارسلت زوجته المسمّاة اغول غانميش رسولاً الى باتوا واعلمته بالقضية وتوجهت هي الى جانب قوتاق وايميل واقامت بالمكان الذي كان يقيم به كيوك خان اولاً . فسيَّرت سرقوتني بيكي زوجة تولي خان وهي اكبر الخواتين يومئذٍ اليها رسولاً تعزّيها وحمل اليها ثياباً وبوقتاقاً[٢] . وفيها سار باتوا من بلاده الشمالية متوجهاً الى المشرق ليجتمع بكيوك خان لانه كان يلجّ اليه بالمسير اليه فلما وصل الى موضع يقال له الاقماق وبينه وبين مدينة قياليق[٣] ثماني مراحل بلغه وفاة كيوك خان فأقام هناك وسيَّر رسولاً الى اغول غانميش زوجة كيوك خان واذن لها بالتصرّف في الممالك الى ان يقع الاتفاق على من يصلح ان يلي الامر وارسل ايضاً الى الجوانب ليجتمع الاولاد والعشائر والامراء .

وفيها خرج ريدافرنس[٤] ملك فرنجة قاصداً للديار المصرية فجمع عساكره فارسلها وراجلها جموعاً عظيمة وازاح عليهم فسار عن بلاده بأموال جزيلة وأهبة جميلة وارسى بعكّا وانبثّ اصحابه في جميع بلاد الساحل. فلمّا استراحوا جاؤوه حاشدين حافلين وساروا في البحر الى دمياط وملكوها بغير تعب ولا قتال لان اهلها لما بلغهم ما هم عليه الفرنج من القوة والكثرة والعدّة الكاملة هالهم امرهم فرحلوا عنها مخفّين. فوصل اليها الفرنج ولقوها خالية عن المقاتلين غير خاوية من الارزاق فدخلوها وغنموا ما فيها من الاموال . وكان الملك الصالح بن الملك الكامل صاحب مصر يومئذٍ بالشام يحاصر مدينة حمص . فلما سمع بذلك بأنّ الفرنج قد ملكوا دمياط رحل عن حمص وسار مسرعاً الى الديار المصرية ومرض في الطريق وعند وصوله الى المنصورة عرض له في فخذه الداء الذي يسمونه

١ – ويروى : فتشم .
٢ – ويروى : بوقتاياً .
٣ – قياليق س قياليغ [illegible] .
٤ – ريدافرنس لفظة مركّبة معناها عند الفرنج ملك فرنسا Roi de France وقد اراد بها الملك لويس التاسع .

الاطباء غانغرانا ثم استحكم الفساد فيها حتى آل امرها الى سفاقلس وهو موت العضو اصلاً فقطعوها وهو حيّ . وبينما هو يكابد الشدائد في هذه الحالة وافاه مقدَّمو دمياط الذين اخلوها منهزمين فلما قيل له ما صنعوا لانهم فرّوا عنها من غير ان يباشروا حرباً وقتالاً عظم ذلك عليه فأمر بصلبهم وكانوا اربعة وخمسين اميراً فصلبوا كما هم بثيابهم ومناطقهم وخفافهم . ثم مات من غد ذلك اليوم . وتولّى تدبير المملكة الامير عزّ الدين المعروف بالتركمانيّ وهو اكبر المماليك الترك . وكان مرجوعه في جميع ذلك ممَّا يعتمده من الامور الى حظيَّة الملك الصالح المتوفّى المسَّماة شجر الدرّ وكانت تركية داهية الدهر لا نظير لها في النساء حسناً وفي الرجال حزماً . فاتفقا على تمليك الملك المعظم بن الملك الصالح. وكان يومئذ مقامه بحصن كيفا من ديار بكر فأرملا رسولاً في طلبه وحثَّاه على المصير اليهم . فسار الى الديار المصرية من غير توقف فبايعوه وحلفوا له وسلموا اليه ملك ابيه .

وفي سنة ثماني واربعين وستمائة سيَّر ريدافرنس عسكراً نحو النبي فارس نحو المنصورة ليجسّ بهم ما هم عليه المصريون من القوة . فلقيهم طرف من عسكر المسلمين فاقتتلوا قتالاً ضعيفاً فانهزم المسلمون بين أيديهم فدخل الفرنج المنصورة ولم ينالوا منها نيلاً طائلاً لانهم حصلوا في مضايق ازقّتها وكان العامة يقاتلونهم بالحجارة والاجرّ والتراب وخيولهم الضخمة لم تتمكن من الجولان بين الدروب . وكان القائد لعسكر المسلمين فخر الدين عثمان المعروف بابن السيف احد الامراء المصريين شيخ كبير احاط به الفرنج وهو في الحمام يصبغ لحيته فقتلوه هناك . وعادوا الى ريدافرنس واعلموه بما تمّ لهم مع ذلك العسكر وبالمدينة . فزاد طمعه وطمع من معه من البطارقة ظانّين انه اذا كان الالتقاء خارج الجدران بالصحراء لم يكن للمسلمين عليهم مقدرة . فعبّى جيوشه وسار بهم طالباً ارض مصر . فصبر المصريون الى ان عبر الفرنج الخليج من النيل المسمى اشمون وهو بين البرَّين برّ دمياط وبرّ المنصورة . فتوجهوا نحوهم والتقى العسكران واقتتل الفريقان قتالاً شديداً . وانجلت الحرب عن كسرة الفرنج وهرموا افحش هزيمة ومنعهم الخليج المذكور من ان يفوزوا وينجوا بارواحهم فغرق منهم خلق كثير وقُتل آخرون وأُسر الملك ريدافرنس ومعه جماعة من خواصّه واكابره . فلما حصل ملك الفرنج في قبضة الملك المعظم قال له المماليك الصغار اقرانه: اننا نرى الامر كله الى شجر الدرّ والامراء وليس لك من السلطنة الاّ اسمها فلو كنت في الحصن كنت ارفه خاطراً منك وانت صاحب مصر والحكم لغيرك والسبب في هذا ليس الاّ حاجتك اليهم في مقاومة الفرنج وليس لك

عدوّ سواهم فالرأي ان تصالح هذا الملك ومن معه من امرائه الى ايّ مدّة شئت فانه لا يخالفك في جميع ما تريد منه اذا اصطنعته ووهبت له روحه وتأخذ منه الاموال والجواهر التي له في دمياط ويسلّم اليك دمياط ويذهب في حال سبيله وتأمن شرّه وشرّ اهل ملّته وتستريح من الامراء واستخدام الجند وتُبقي في ملكك من اخترت وتزيل من كرهت . فصغا المعظم الى قولهم واستصوب رأيهم ودبّر الامر مع ريدافرنس وحلّفه كما اراد من غير ان يشاور الامراء الكبار في شيء من ذلك . فاحسّوا بالقضية وتحققوا تغيُّر المعظم عليهم وما قد نوى ان يفعل بهم فنقموا عليه ووثبوا به فهرب منهم وصعد الى برج من خشب كان هناك فضربوا فيه النار فلما وصلت اليه وشاطته رمى نفسه الى الخليج النيلي . فجاؤوا اليه ورموه بالنشاب وهو في الماء فمات غريقاً جريحاً .

واتفق الامراء الترك وقدموا عليهم اميراً منهم يُلقب بعزّ الدين التركماني ونهضوا الى ريدافرنس وجددوا معه اليمين وافتدي منهم بالف الف دينار وتسليم دمياط فاطلقوه ثم سار التركماني من المنصورة الى مصر واقطع الاسكندرية لامير من الترك يقال له فارس اقطاي وتزوّج شجر الدرّ وصار ملك مصر في قبضتهما . واما ريدافرنس لما وصل الى دمياط اخذ اهله ومن تخلف من اصحابه وخرج عنها وسلمها الى المسلمين واقام هو بعكا وبنى مدينة قيسارية واصلحها واسكنها جماعة ثم سار الى بلده .

ولما ولي التركماني الديار المصرية كان الامر كله الى شجر الدرّ لا تمكّنه التصرّف الاّ فيما يصدر عن رأيها فكره ذلك ولم يطق احتماله وهمّ باهلاكها . فشعرت بذلك وسبقته. ففعلت به ما اراد ان يعمل بها وأشلت عليه المماليك الصغار . وفي بعض الايام لمّا دخل الحمام وكانوا يسكبون على رأسه الماء ليغتسل جرحوه بالسكاكين فقتلوه . وقيل مقلوا رأسه في الماء داخل الخزانة الى ان اختنق مغطوطاً. وامرت شجر الدرّ ان يُخرج ويُدفن فاخرجوه ودفنوه في الدار . ولما بلغ ذلك الامراء الكبار عظم عليهم فعلها فوثبوا بها وقتلوها ورموها في الخندق فأكلتها الكلاب . وقدموا عليهم واحداً منهم اسمه قوتوز فحلفوا له وملكوه ولقبوه الملك المظفر . ولما استولى المماليك على الديار المصرية سار الملك الناصر صاحب حلب بجريدة الى دمشق فسلمها اليه اهلها فملكها واقام بها وصارت دار مملكته . ثم راسله بعض المماليك من مصر ليسير اليهم فيسلموا له مصر فعبّى عسكره وسار الى نحو الديار المصرية ليملكها كما ملك دمشق . فلما بلغ امراء الترك ذلك بادروا اليه في عساكرهم والتقوا الشاميين بناحية غزّة وكسروهم وهزموهم فعاد الملك الناصر فيمن

معه خائباً خاسراً . وفيها ملك بدر الدين لؤلؤ جزيرة ابن عمر [١] وأسر صاحبها الملك مسعود بن الملك المعظم من بيت اتابك زنكي وسيَّره في ركوة الى الموصل وتقدَّم الى من وكل به ليرميه ليلة في دجلة فغرقوه واخبروا انه رمى نفسه وهم نيام ولم يحسّوا بما فعل .

وفيها اجتمع اولاد الملوك وامراء المغول فوصل من حدود قراقورم مونككا [٢] بن تولي خان. واما سيرامون وباقي احفاد وخواتين قاان فسيَّروا قنقورتقاي وكتبوا خطهم انه قائم مقامهم وان باتوا هو اكبر الاولاد وهو الحاكم وهو راضون بما يرضاه . واما اغول غانميش خاتون زوجة كيوك خان ومن معها من اولاد الملوك فوصلوا الى خدمة باتوا ولم يقيموا عنده اكثر من يوم بل رجعوا الى أُوردُوهم واستنابوا اميراً منهم يقال له تيمور نوين واذنوا له ان يوافق ما يتفق عليه الجمع كله وان اختلفت الاهواء لا يطيع احداً حتى يعلمهم كيفية الحال. فبقي جغاتاي ومونككا وسائر من كان حاضراً من الاولاد والاحفاد والامراء يتشاورون اياماً في هذا الامر وفوضوا الامر الى باتوا لانه اكبر الجماعة واشدّهم رأياً . فبعد ثلثة ايام من يوم التفويض قال: ان مثل هذا الخطب الخطير ليس فينا من يفي بحق القيام به غير مونككا فوافقوه كلهم على ذلك واجلسوه على سرير المملكة وباتوا مع باقي الاولاد والاكابر خدموه جاثين على ركبهم كالعادة . وانصرف كل واحد الى مقامه على بناء انهم يجتمعون في السنة المقبلة ويعملون مجمعاً كبيراً ليحضره من الاولاد والاكابر من لم يحضر الآن . وفي سنة تسع واربعين وستمائة في وقت الربيع حضر اكثر الاولاد مثل بركة اغول واخوه بغاتيمور وعمهم الجتاي الكبير والامراء المعتبرين من اردو جنكزخان . وفي اليوم التاسع من ربيع الآخر كشفوا رؤوسهم ورموا مناطقهم على اكتافهم ورفعوا مونككا على سرير المملكة ومونككا قاان سمّوه وجثوا على ركبهم تسع مرات. وكان له حينئذٍ سبعة من الاخوة : قبلاي، هولاكو، اريغبوكا، موكا، بوجك، سبكو، سونتاي، فترتبوا جالسين على يمينه والخواتين على يساره وعملوا الفرحة سبعة ايام.وبينما هم يحسرون ويسرُّون اذ وصل قدغان اغول وابن اخته [٣] ملك اغول وقراهولاكو وقاموا بمراسم التهنئة وشرائط الخدمة . وكان الجماعة بانتظار اغول غانميش زوجة كيوك خان وولدها خواجة اغول وامرائهم ولم يصل بعد احد منهم . وفي سنة

١ – هي بلدة فوق الموصل بينها ثلاثة ايام يحيط بها دجلة الآ من ناحية واحدة فعمل هناك خندق اجرى فيه الماء فأحاط بها الماء من جميع جوانبها .

٢ – مونككا ر مونككان س ܡܘܢܟܐ ܕܐ مونكا خان Mangou Khân .

٣ – اخته ر اخيه .

خمسين وستمائة توجهت اغول غانميش وجماعتها في عساكرهم نحو اردو مونككا خان. وكان المقدّم على جيوشهم سيرامون وناقوا. ولما قربوا اتفق ان رجلاً من اردو مونككا قاان من الذين يربُّون السباع لاولاد الملك هرب منه اسد فخرج في طلبه دائراً عليه بالجبال والصحاري فاجتاز بطرف من عسكر سيرامون ولقي صبياً منهم قد انكسرت عجلته وهو جالس عندها. فلما رأى السبّاع المذكور مجتازاً استدعاه ليستعين به في ترميم عجلته فاجابه السبّاع الى ذلك ونزل من فرسه واخذ يصلح معه العجلة. فوقع بصره على اسلحة مستورة في باطن العجلة فسأل الغلام عنها. فقال له: ما اغفلك كأنك لست منا كيف لم تعرف ان كل العَجَل التي معنا كهذه مشحونة بآلات الحرب. فلما تحقق ذلك ترك طلب الاسد الآبق وسار مسيرة ثلثة ايام في يوم واحد عائداً الى اصحابه واعلمهم بما رأى وسمع. فأمر مونككا قاان ان يمضي اليهم منكسار في النيّ فارس ويستكشف حالهم. فمضى وذكر لهم ما نقل عنهم فلم يتمالكوا وداخلهم الرعب ولم يسعهم الّا التسليم لما يُقضَى عليهم. ولما حضر الكبير منهم والصغير وقع السؤال وثبتت الجريمة عليهم فجوزوا بما استوجبوا من الهلاك وتقسيم عساكرهم على الاولاد والامراء. ولما فرغ خاطر مونككا قاان من امر المخالفين شرع في ترتيب العساكر وضبط الممالك فأقطع بلاد الخطا من حدّ الميري الى سليكاي وتنكوت وتُبّت لقبلاي اغول اخيه. والبلاد الغربية لهولاكو اخيه الآخر ومن جهة تحصيل الاموال. وولّى على البلاد الشرقية من شاطئ جيحون الى منتهى بلاد الخطا الصاحب المعظم يلواج وولدهُ مسعود بيك. وعلى ممالك خراسان ومازندران وهندوستان والعراق وفارس وكرمان ولور وارّان واذربيجان وكرجستان والموصل والشام الامير ارغون اغا. وامر ان المتموّل الكبير ببلاد الخطا يؤدي في السنة خمسة عشر ديناراً والوضيع ديناراً واحداً. وببلاد خراسان يزن المتموّل في السنة عشرة دنانير والفقير ديناراً واحداً. ومن مراعي ذوات الاربع الذي يسمُّونه قوبجور يؤخذ من كل من له مائة رأس من جنس واحد رأس واحد ومن ليس له مائة لا يؤخذ منه شيء. واطلق العباد وارباب الدين من الوثنيين والنصارى والمسلمين من جميع المؤُونات والاوزان والتكليفات.

وفيها وهي سنة الف وخمسمائة وثلث وستين للاسكندر توجّه حاتم ملك الارمن الى خدمة مونككا قاان اخذ قربان خميس الفصح ورحل عن مدينة سيس يوم الجمعة [1] الصلبوت وخرج متنكراً مع رسول له بزيّ بعض الغلمان واخذ على يده جنيباً يجذبه خلف

---

١ – الجمعة ر جمعة.

الرسول لانه كان خائفاً من السلطان صاحب الروم . وذكر الرسول اين ما جاء واجتاز من بلد الروم انه قد ارسله الملك حاتم ليأخذ له الامان من مونككا قاان فاذا امّنه توجّه هو بنفسه الى حضرته . حدثني الملك حاتم عند اجتماعي به بمدينة طرسوس بعد سنين[1] من عودته من خدمة مونككا قاان قال: عبرت بقيسارية وسيواس مع الرسول ولم يعرفني احد من اهلها قط الآ لما دخلنا مدينة ارزنكان عرفني رجل من السوقية كان قد سكن عندنا فقال: ان كانتا هاتان عينيّ فهذا ملك سيس . فلما سمع الرسول كلامه التفت اليّ ولطمني على خدي وقال: يا نذل صرت تتشبّه بالملوك . فاحتملت اللطمة لازيل بها ظنّ من كان ظنّه يقيناً .

وفي سنة احدى وخمسين وستمائة توجّه هولاكو ايلخان من نواحي قراقورم الى البلاد الغربية . وسيّر معه مونككا قاان الجيوش من كل عشرة اثنين وصحبه اخوه[2] الصغير سنتاي اغول ومن جانب باتوا بلغاي[3] بن سبقان وقوتار اغول وقولي[4] في عساكر باتوا . ومن قبل جغاتاي تكودار[5] اغول بن بوخي اغول . ومن جانب جيحكان بيكي بوقا تيمور في عسكر الاويرات[6] .ومن ناحية الخطا الف بيت من صنّاع المنجنيقات واصحاب الحيل في اصلاح آلات الحرب . فكان امير الترك كيدبوقا[7] الباورجي. وكان القائم مقام هولاكو بأردو مونككا قاان ولده جومغار بسبب ان امه اكبر خواتين هولاكو ابيه . واخذ صحبته ابنه الكبير اباقـا وابنه الآخر يسمون[8] ومن الخواتين الكبار دوقوز[9] خاتون المؤمنة المسيحية والجاي خاتون . وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة تواترت الايلجية في طلب السلطان عز الدين صاحب الروم ليحضر هو بنفسه في خدمة مونككا قاان . فتجهز وسار حتى وصل الى مدينة سيواس . ولما سمع ان الامراء قد مالوا الى ركن الدين اخيه ويرومون تمليكه عاد مسرعاً الى قونية وارسل

---

١ – سنين ر سنتين .

٢ – اخوه ر اخاه . سنتاي س سبتاي ܣܒܬܐܝ .

٣ – بلغاي س بولغاي ܒܘܠܓܐܝ.

٤ – ويروى: يلغاي عوض بلغاي وتولا عوض قولي .

٥ – ويروى: توكدار .

٦ – الاويرات ر الاويزات .

٧ – كيدبوقا س ܟܝܬܒܘܩܐ .

٨ – يسمون س ܐܫܡܘܛ اشموط . لعل الصواب « يشموت » انظر الصفحة ٢٧٧ . – يروى: تسمرون.

٩ – ويروى: طقز. ويروى: قوز.

اخاه علاء الدين وكتب معه كتباً يذكر فيها : انني قد سيّرت اخي علاء الدين وهو سلطان مثلي وانا لم يمكنني المجيء بسبب ان اتابكي ومدبري جلال الدين قرطاي قد مات وظهر لي[١] اعداء من ناحية المغرب فاذا كُفيتُ شرّهم جئت المرّة الاخرى . فلما سار علاء الدين توفي في الطريق ولم يصل الى الاردو . واراد عزّ الدين ان يقتل ركن الدين اخاه الآخر ويأمن غائلته فأحسّ الامراء بذلك وهرّبوه بأن البسوه ثياب بعض غلمان الطباخين ووضعوا على رأسه خوانجه فيها طعام واخرجوه من الدار والقلعة في جماعة من الصبيان قد حملوا طعاماً الى بعض الدور . فلما خرج اركبوه فرساً وساروا به حتى اوصلوه الى قيسارية وانضم اليه هناك جماعة من الامراء وجيشوا وتوجهوا نحو قونية ليحاربوا عزّ الدين . فبرز اليهم عزّ الدين بمن معه من العسكر فكسرهم وهزمهم واسر ركن الدين اخاه واعتقله بقلعة دوالوا . وفي سنة ثلث وخمسين وستمائة وصل رسول بايجو نوين الى السلطان عزّ الدين يطلب منه مكاناً يشتي به لان بلد موغان الذي كان يشتو به صار مشتىً لهولاكو . فأبى السلطان ان يجيبه الى ذلك وطمع فيه وظنّه منهزماً بين يدي هولاكو وجيّش وحاربه عند خان السلطان بين قونية واقسرا وانكسر عزّ الدين وهرب متوغلاً في بلاده الداخلة . فأخرج بايجو اخاه ركن الدين من الحبس وملكه على جميع بلاد الروم .

وفيها وصل الملك حاتم ودخل بلده اول ايلول وكان مجيئه صحبة بايجو نوين . وفيها في شهر شعبان نزل هولاكو بمروج مدينة سمرقند واقام بها اربعين يوماً . وهناك ادرك اخاه سنتاي اغول اجله وأخبر بوفاة اخيه الآخر في طرف بلادر فتكدر خاطره لهاتين الوقعتين فوصل اليه الامير ارغون واكثر اكابر خراسان وقوّوا عزمهم فعبروا ماء جيحون وكان الوقت شتاء شديد البرد لا يقشع الغيم ولا ينقطع وقوع الثلج من تلك البقاع الى وقت حلول الشمس برج الحمل . فأمر الامراء ان يقصدوا في عساكرهم قلاع الملاحدة وكان مقدم الاسمعيلية يومئذٍ ركن الدين خوزشاه بن علاء الدين فأخرب خمس قلاع من قلاعه التي لم يكن فيها ذخائر للحصار . واقبل رسول هولاكو الى حدّ قصران . وكان كيدبوقا قد سبق ففتح قلعة شاهديز[٢] وثلثاً أُخر من قلاعهم . ولما وصل ايلخان الى عباساباذ سيّر ركن الدين الى العبودية صبياً عمره نحو سبع او ثماني سنين وذكر انه ولده . فلم يخفَ صنيعه على هولاكو ولكن لم يكاشفه في ذلك بل اعزّ الصبي واكرمه

١ — ويروى : وظهري .
٢ — شاهديز ر شاهدين س [illegible] شاهدير .

ثم اعاده اليه . وبعد وصول هذا الابن المزوّر الى ركن الدين سيّر اخاه شيرانشاه في ثلثمائة رجل على سبيل الحشر . فسيّر هولاكو الثلثمائة الى جمالاباذ من بلد قزوين واعاد اخاه محملاً رسالة اليه وهي انه الى خمسة ايام ان لم يصل بنفسه الى الخدمة يُحكم قلعته ويستعد للحرب . فارسل رسولاً يقول: انه لا يتجاسر على الخروج خوفاً من حشمه الذين معه داخل القلعة لئلا يثبوا به فاذا وجد فرصة جاء . فعرف هولاكو انه مماطل مدافع من وقت الى آخر فرحل رابع عشر شوال من سنة اربع وخمسين وستمائة من بيشكام[1] ونزل على القلعة المحاذية لميمون دره وتقدم بقتل الثلثمائة رجل من الملاحدة الذين كانوا بجمالاباذ قزوين سرّاً وصار اهل قزوين يضربون بذلك مثلاً لمن يقتل فيقولون: انبعث الى جمالاباذ . ولما عاين ركن الدين نزول هولاكو بالقرب سيّر رسولاً يقول: ان سبب تماطلي لم يكن غير انني ما كنت احقق وصوله المبارك والآن انا نازل اليوم او غداً. وكان تلك الليلة ليلة الميلاد . فلما عزم على الخروج ثاوره العلاة[2] من الملاحدة وواثبه الفدائيون ولم يمكّنوه من الخروج . فسيّر الى هولاكو واعلمه ما هم عليه من التمرّد . فأمره ان يداري الوقت معهم محافظاً نفسه منهم وكيف ما كان يحتال للنزول ولو متنكراً . وتقدم الى الامراء ليحتفّوا بالقلعة وينصبوا المنجنيقات ويقاتل كل منهم من يقاتله من الاسمعيلية . فلما اشتغل الملاحدة بقتال المغول نزل ركن الدين ومعه ولده وخواصه الى عبودية هولاكو واظهر الخجلة بل الندامة معترفاً بما اقترفه في الايام الماضية من الجرائم والآثام . فشملته لطائف عواطف ايلخان وبدل ما عند ركن الدين من الاستيحاش والاستنفار بالاستيناس والاستبشار . ولما تحقق من بالقلعة ما نال صاحبهم من الطمأنينة والكرامة سلموا القلعة ونزلوا عنها فحاول المغول هدمها وفتحوا ايضاً جميع القلاع التي في ذلك الوادي . وتوجّه ايلجي الى متولّي قلعة الموت ليتبع مولاه ركن الدين في توخي الايلية وتسليم القلعة . فأبى الاّ العصيان الى ان نازله بلغاي اغول في عساكر جمة فطلب الامان وسلمها وخرج عنها في اواخر ذي القعدة من السنة المذكورة . وفي تلك الايام وصل شمس الدين محتشم قلاع قهستان واخذ يرليغاً وسار معه اصحاب ركن الدين الى قهستان ليخرب جميع القلاع التي هناك وهي تزيد على خمسين حصناً حصيناً وتسلموها وفتحوها الاّ قلعتين منها هما كرذكوه وكمشير[3] فانهم

---

١ – ويروى: بنسكله .

٢ – العلاة لعل الصواب « الغلاة » .

٣ – ويروى: كردكوه ويروى لمشير وكسر .

لم يطيقوا فتحها في الحال الآ بعد سنتين . ووصل اكابر الديلم وصالحوا المغول على تخريب قلاعهم . وفي اواسط ذي الحجة عاد هولاكو الى الاردو بناحية همذان وسيَّر ركن الدين وبنيه وبناته وازواجه الى قزوين . وفي سنة خمس وخمسين وستمائة التمس ركن الدين خوزشاه من هولاكو ان يسيِّره الى عبودية مونككا قاان . فاعجبه ذلك وارسله ومعه تسعة نفر من اصحابه صحبة الايلجية . فلما وصلوا الى مدينة بخارا خاصم الايلجية وتسافه عليهم فحقدوا عليه . فلما وصلوا الى قراقورم لم يؤذن لركن الدين ان يحضر وبرز مرسوم مونككا قاان اليه ان: يجب عليك العود الى بلدك والتقدم الى نوابك ليسلموا قلعتَي كرذكوه وكمشير فاذا سلموهما واخربتهما تحضر مرة اخرى ويكون لك التليشميشي اي الاكرام والقبول . فنكص ركن الدين بهذا الرجاء على عقبه . وفي الطريق أهلك مع من كان معه من اصحابه . ووصل يرليغ مونككا قاان الى هولاكو ليقتل الملاحدة باسرهم ولا يبقى منهم اثر . فارسل قراقاي البيتكتجي الى قزوين وقتل بني ركن الدين وبناته واخوته واخواته مع جميع عساكر الملاحدة واوتكوحنا نوين [1] ايضاً أخرج من رعايا الاسمعيلية بحجة الحشر اثني عشر الف رجل وقتلهم كلهم واخلى الارض من كل من ألحد في دينه .

وفيها سيَّر السلطان عزّ الدين رسولاً الى خدمة هولاكو شاكياً على بايجو نوين انه ازاحه عن ملكه . فأمر هولاكو ان يتقاسما الممالك هو واخوه ركن الدين . فظهر عزّ الدين فأتى الى قونية ومضى ركن الدين مع بايجو نوين الى مخيَّمه . ولخوف عزّ الدين من بايجو نوين وجَّه مملوكه طفلاً [2] الى نواحي ملطية وخرتبرت ليستخدم له عسكراً من الاكراد والتركمان والعرب . فوصل هذا المملوك وسيَّر في طلب شرف الدين احمد ابن بلاس من بلد الهكار وشرف الدين محمد بن الشيخ عدي من بلد الموصل الكرديَّين فاتياه . فاقطع ابن بلاس ملطية وابن الشيخ عدي خرتبرت . اما ابن بلاس فلم يتقبله اهل ملطية لانهم كانوا مستحلفين لركن الدين فكان يضطهدهم ويجور عليهم . فما احتملوه وآل امرهم معه الى ان وثبوا باصحابه وقتلوا منهم نحو ثلثمائة رجل وهرب هو مع من تبعه من اصحابه واجتازوا ببلد قلوذيا واحرقوا دير ماذيق [3] يوم الشعانين وعبروا الى بلد آمد وهناك ادركهم صاحب ميافارقين وقتل ابن بلاس واسر اصحابه . واما ابن

١ – ويروى: وايكوجبا ويروى يوحنا .

٢ – ويروى: طغربلابا . س ܛܠܝܐ ܥܒܕܗ . ويروى: مملوكه الى نواحي .

٣ – ماذيق س ܛܠܘܡܐ . – ويروى: دير ماريق .

الشيخ عدي فرحل من خرتبرت ليتصل بالسلطان عزّ الدين فادركه انكورك نوين وقتله ومَن معه . ثم ولّى السلطان عزّ الدين ملطية رجلاً بطلاً شجاعاً يقال له عليّ بهادر فقبله اهل ملطية خوفاً من صرامته . وهذا عليّ حارب الاعجزية[1] وهم قوم مفسدون من التركمان كانوا يغيرون على البلاد ويقتلون اهلها ويسبون الذراري فأسر متقدمهم المسمى جوتي بك وسجنه بقلعة المنشار وهزم جيوشهم . فأمن الناس شرّهم وانفتحت السبل وامتار الناس الطعام وفرج الله عنهم غمهم قليلاً . وبينما هم فرحون بذلك اذ وافاهم بايجو نوين في عساكره وصاروا يقاتلون متسلمي القلاع ليسلموها الى ركن الدين . ونزلوا على مدينة ابلستين وقتلوا من اهلها نحو ستة آلاف رجل واسروا النساء والبنين والبنات . وجاؤوا الى ملطية فهرب عليّ بهادر الى كاختة . وخرج اهل ملطية الى خدمة بايجو نوين بانواع الترغو[2] والتحف . وكان ذلك في منتصف ايلول سنة الف وخمسمائة وثماني وستين للاسكندر . فحلّفهم لركن الدين ورحل عنهم بعد ان اخذ اموالاً وولّى ركن الدين على ملطية مملوكاً له اسمه فخر الدين اياز[3] . ولما خرج بايجو من حدود الروم طالباً للعراق عاد عليّ بهادر الى ملطية فاغلق اهلها الابواب ولم يمكنوه من الدخول خوفاً من بايجو . فحصرها اياماً واشتد الغلاء بها وبلغ المكوك من الملح الى اربعين[4] درهماً والحنطة المكوك بسبعين درهماً . فضجر الناس وضاقت بهم الحيلة ففتح العامة الحاكة وغيرهم باباً من ابواب المدينة في بعض الليالي فدخلها عليّ بهادر واصحابه التركمانيون عنوة واصعد الى المنابر[5] جماعة ينادون ويقولون : ان الامير قد امّن الرعية النصارى منهم والمسلمين فليخرج كل واحد الى عمله ودكانه وليشتغل ببيعه وشرائه فانما كلامه مع الحكام . فلما اصبحوا قبض على فخر الدين اياز مملوك السلطان ركن الدين وسجنه واركب شهاب الدين العارض على بهيم حقير وطوّفه بملطية ثم قتله وشدّ احد طرَفي رسن في رقبة المعين الايكد بشاسي[6] والطرف الآخر في رقبة كلب ومشّاه بالاسواق ثم ضرب عنقه . وعاقب المستوفي الروميّ القسيس قالويان وولده كيريوري[7] واخويه

---

١ – الاعجرية س ܐܠܥܓܙܝܐ .
٢ – الترغو ر الهدايا .
٣ – اياز س ܐܝܐܣ .
٤ – أربعين ص اربعمائة س اربعمائة .
٥ – منابر ر مناير .
٦ – الايكد بشاسي س ܐܝܟܕ ܒܫܐܣ . – ويروى : بشباسي .
٧ – ويروى : كنوري س ܟܢܘܪܝ

باسيل ومانويل واستصفى اموالهم ثم قتلهم . وقتل ايضاً الامراء الثلثة اولاد الامير شهاب الدين ايسو [١] الكردي . واشتد الجوع بملطيـة وبلدها حتى اكل الناس الكلاب والسنانير وكانوا ينقعون الجلود اليابسة التي لُدِم بها النعال فيأكلونها مطبوخة . واجتاز جماعة من اصحابنا بقرية اسمها باعبدون ببلد جوباس من اعمال ملطية فرأوا جماعة من النساء قد اجتمعنَ في بيت وقدامهنّ ميت ممدود وبايديهنّ السكاكين وهنّ يشرحنَ لحمه ويشوينه ويأكلنَ . وامرأة اخرى شوت ابنها الصغير في تنور لها ولما كبسها مجاوروها حلفت انها لم تقتله وانما مات ففعلت به ذلك زاعمة انها به اولى من الديدان . وبعد ما فعل عليّ بهادر تلك الرزايا بأعيان ملطية ومثّل باماثلها لم يهنأ له بها عيش لما كان اهلها عليه من البلاء والجلاء والجدب . فخرج عنها ملمّاً بالسلطان عزّ الدين.

وفيها مرض ثاوذوروس ملك الروم بمدينة نيقية [٢] وكان في خدمته بطريق يقال له ميخائيل ويلقب بباليولوغس اي الكلام المتقدم [٣] .وذلك ان العلماء من الروم بعد تغلب الافرنج على القسطنطينية تقدموا فقالوا ان ملكاً في اسمه الميم والخاء من حروف اليونانيين ينزع الفرنج عنها ويعيدها الى الروم . فكان الملك ثاوذوروس يخاف هذا ميخائيل لئلاّ يتغلب على الملك . ولما اشتدّ خوفه منه سجنه واعتقله ببعض قلاع بلد تسالونيقي ولم يمكنه اهلاكه بغير جريمة تظهر منه . وفي مرضه هذا ارسل بطريقاً يقال له غاذينوس ليأتيه به . فلما وصل غاذينوس هذا الى ميخائيل قال له سراً: انت الملك فكن لبيباً وأسلم نفسك اليّ ولا تظهر كراهية اصلاً ورأساً ليزول بذلك ما حصل عند الملك من الخيالات في شأنك . فاجاب ميخائيل الى ذلك وحمله مقيداً الى الملك . ولما مثل بين يديه بكى واظهر الكآبة العظيمة. فرقّ له الملك وحنّ اليه واقبل عليه واوصى اليه في تربية قالويان ابنه وتدبيره وكان الابن وقتئذ طفلاً واشرك معه في ذلك البطريرك ارسانيوس . وبعد مدة مديدة توفي ثاوذوروس ودُفن في دير مغنيسيا . وكان له اخت تسمّى كيرايلونيا ولها ختن على ابنتها يقال له موزالون فخرجت معه الى الدير بحجة زيارة قبر الملك واقاما به اياماً يتشاوران في امر الملك واتفقا على ان يقبضا على ميخائيل ومن يرى رأيه ويتولّى تدبير الطفل موزالون . فشعر ميخائيل بدسيستهما وسيّر عليهما جماعة من جند الفرنج الذين كانوا في خدمته وأمرهم ان يقتلوهما معاً حيث وجدوهما . فدخل الفرنج

---

١ – ايسو س ܐܝܣܘ . – ويروى: انسو .

٢ – نيقية ر نيقي س ܢܝܩܝ نيفي .

٣ – ان المؤلف ترجم هذا الاسم حرفياً . وباليولوغوس عيلة قديمة شريفة .

الدير ولقوهما في البيعة وقت صلاة العشاء فقطعوهما موضعها ونادوا بشعار ميخائيل بمدينة نيقيا قائلين: ميخائيل يا منصور ميخائيل ملك يونان باليولوغس اوطوقراطور رومانيا. ومن هناك سار ميخائيل الى مدينة نيقية وخُطب له بالمملكة بجميع تلك البلاد واعتقل الطفل قالويان ابن الملك ببعض القلاع ونفى البطريرك ارسانيوس الذي وبخه على فعله هذا. ولما تمكن من الملك لم يكن له اهتمام الآ بأخذ قسطنطينية فسار اليها مرة ولم يقدر على فتحها فصبر الى ان ثارت الفتنة بين البنادقة والجنوية بمدينة عكا فسار البنادقة اجمعين عن القسطنطينية الى عكا لنصرة اصحابهم وكانوا هم الحفظة لها. واحتال حيلة اخرى بأن اشار الى متولّي بعض قلاع الروم ليكاتب بغدوين الفرنجي صاحب القسطنطينية ويقول له: ان هذا ميخائيل قد تغلب على مملكة الروم بغير استحقاق وهو ظالم معتدٍ على بيت استاذه وانا كاره له وانت اولى بهذه القلعة منه لانك ملك ابن ملك وميخائيل خارجيّ. فابعث لي عسكراً وانا اسلمها اليهم ولا بدّ من منجنيقات تكون معهم فينصبونها ويظهرون القتال والزحف ليكون لي عذر عند الناس اذا سلّمتها. فاغترّ بغدوين الفرنجي بكلامه وقدره صادقاً بما قال فارسل من كان عنده من المقاتلين الى تلك القلعة ونازلوها واشتغلوا بنصب المنجنيقات والاستعداد للقتال. وحينئذ عبر ميخائيل في عساكره خليج القسطنطينية ونزل عليها وهي خالية عن رجال الحرب وحال بينها وبين العسكر الذي كان على القلعة المذكورة. فدلّه بعض الرعاة على باب عتيق للمدينة قد عفا اثره ولم يفتح من عهد قسطنطينوس فنبشوه ودخلوا المدينة وملكوها ليلاً وتغافلوا عن بغدوين صاحبها عمداً حتى خرج في اهل بيته وصار الى بلاد الفرنج في البحر. وكان مدة بقاء القسطنطينية بيد الفرنج نحو ثلث وخمسين سنة ثم عادت الى الروم كما كانت اولاً.

وفيها في شهر شوال رحل هولاكو عن حدود همذان نحو مدينة بغداد. وكان في ايام محاصرته قلاع الملاحدة قد سيّر رسولاً الى الخليفة المستعصم يطلب منه نجدة فاراد ان يسيّر ولم يقدر ولم يمكّنه الوزراء والامراء وقالوا: ان هولاكو رجل صاحب احتيال وخديعة وليس محتاجاً الى نجدتنا وانما غرضه اخلاء بغداد عن الرجال فيملكها بسهولة. فتقاعدوا بسبب هذا الخيال عن ارسال الرجال. ولما فتح هولاكو تلك القلاع ارسل رسولاً آخر الى الخليفة وعاتبه على اهماله تسيير النجدة. فشاوروا[1] الوزير فيما يجب ان يفعلوه فقال: لا وجه غير ارضاء هذا الملك الجبار ببذل الاموال والهدايا والتحف له

١ – فشاوروا ر فشاور.

وخواصّه. وعند ما اخذوا في تجهيز ما يسيّرونه من الجواهر والمرصعات والثياب والذهب والفضة والمماليك والجواري والخيل والبغال والجمال قال الدويدار الصغير واصحابه: ان الوزير انما يدبّر شأن نفسه مع التاتار وهو يروم تسليمنا اليهم فلا نمكنه من ذلك. فبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيرة واقتصر على شيء نزر لا قدر له. فغضب هولاكو وقال: لا بدّ من مجيئه هو بنفسه او يسيّر احد ثلثة نفر اما الوزير واما الدويدار واما سليمانشاه. فتقدم الخليفة اليهم بالمضيّ فلم يركنوا الى قوله فسيّر غيرهم مثل ابن الجوزي وابن محيي الدين فلم يجديا عنه. وأمر هولاكو بايجو نوين وسونجاق نوين ليتوجّها في مقدمته على طريق اربل وتوجه هو على طريق حلوان. وخرج الدويدار من بغداد ونزل بجانب ياعقوبا[1]. ولما بلغه ان بايجو نوين عبر دجلة ونزل بالجانب الغربي ظن ان هولاكو قد نزل هناك فرحل عن ياعقوبا ونزل بحيال بايجو ولقي يزك[2] المغول اميراً من امراء الخليفة يقال له ايبك الحلبي فحملوه الى هولاكو فأمّنه ان تكلّم بالصحيح وطيّب قلبه فصار يسير امام العسكر ويهديهم. وكتب كتاباً الى بعض اصحابه يقول لهم: ارحموا ارواحكم واطلبوا الامان لان لا طاقة لكم بهذه الجيوش الكثيفة. فاجابوه بكتاب يقولون فيه: من يكون هولاكو وما قدرته ببيت عباس مَن الله ملكهم ولا يفلح من يعاندهم ولو اراد هولاكو الصلح لما داس ارض الخليفة ولما افسد فيها. والآن ان كان يختار المصالحة فليعد الى همذان ونحن نتوسل بالدويدار ليخضع لامير المؤمنين متخشعاً في هذا الامر لعلّه يعفو عن هفوة هولاكو. فلما عرض ايبك الكتاب على هولاكو ضحك واستدلّ به على غباوتهم. ثم سمع الدويدار ان التاتار قد توجهوا نحو الانبار. فسار اليهم ولقي عسكر سونجاق نوين وكسرهم وهزمهم وفي هزيمتهم التقاهم بايجو نوين فردّهم وهجموا جميعاً على عسكر الدويدار فاقتتلوا قتالاً شديداً وانجلت الحرب عن كسرة الدويدار فقتل اكثر عسكره ونجا هو في نفر قليل من اصحابه ودخل بغداد.

وفي منتصف شهر المحرّم من سنة ست وخمسين وستمائة نزل هولاكو بنفسه على باب بغداد وفي يوم وليلة بنى المغول بالجانب الشرقي سيبا اعني سوراً عالياً وبنى بوقاتيمور وسونجاق نوين وبايجو نوين بالجانب الغربي كذلك وحفروا خندقاً عميقاً

---

١ – كذا في الاصل. والصواب باعقوبا ويقال لها بعقوبا ايضاً وهي قرية كبيرة على عشرة فراسخ من بغداد.

٢ – ويروى: بركا وهو تصحيف. واليزك رئيس العسس.

داخل السيبا [١] ونصبوا المنجنيقات بازاء سور بغداد من جميع الجوانب ورتبوا العرّادات وآلات النفط . وكان بدء القتال ثاني وعشرين محرّم . فلما عاين الخليفة العجز في نفسه والخذلان من اصحابه ارسل صاحب ديوانه وابن درنوش [٢] الى خدمـــة هولاكو ومعهم تحف نزرة . قالوا: ان سيّرنا الكثير يقول: قد هلعوا وجزعوا كثيراً . فقال هولاكو: لمَ ما جاء الدويدار وسليمانشاه . فسيّر الخليفة الوزير العلقمي وقال: انت طلبت احد الثلثة وها انا قد سيّرت اليك الوزير وهو اكبرهم . فاجاب هولاكو: انني لما كنت مقيماً بنواحي همذان طلبت احد الثلثة والآن لم اقنع بواحد . وجدّ المغول بالقتال بازاء برج العجمي وبوقاتيمور من الجانب الغربي حيث المبقلة وسونجاق نوين وبايجو نوين من جانب البيمارستان العضدي . وامر هولاكو البتيكتجية ليكتبوا على السهام بالعربية: ان الاركاونية [٣] والعلويين والداذنشمدية [٤] وبالجملة كل من ليس يقاتل فهو آمن على نفسه وحريمه وامواله . وكانوا يرمونها الى المدينة . واشتدّ القتال على بغداد من جميع الجوانب الى اليوم السادس والعشرين من محرم . ثم ملك المغول الاسوار وكان الابتداء من برج العجمي . واحتفظ المغول الشط ليلاً ونهاراً مستيقظين لئلا ينحدر فيه احد . وامر هولاكو ان يخرج اليه الدويدار وسليمانشاه واما الخليفة ان اختار الخروج فليخرج والاّ فليلزم مكانه . فخرج الدويدار وسليمانشاه ومعهما جماعة من الاكابر . ثم عاد الدويدار من الطريق بحجة انه يرجع ويمنع المقاتلين الكامنين بالدروب والازقّة لئلا يقتلوا احداً من المغول فرجع وخرج من الغد وقُتل . وعامة اهل بغداد ارسلوا شرف الدين المراغي وشهاب الدين الزنكاني ليأخذ لهم الامان . ولما رأى الخليفة ان لا بد من الخروج اراد او لم يرد استأذن هولاكو بأن يحضر بين يديه فأذن له وخرج رابع صفر ومعه اولاده واهله . فتقدم هولاكو ان ينزلوه بباب كلواذ [٥] وشرع العساكر في نهب بغداد ودخل بنفسه الى بغداد ليشاهد دار الخليفة وتقدّم باحضار الخليفة فاحضروه ومثل بين يديه وقدم جواهر نفيسة ولآلئ ودرراً معبّاة في اطباق ففرّق هولاكو جميعها على الامراء وعند المساء خرج الى منزله وامر الخليفة ان يفرز جميع النساء التي باشرهن هو وبنوه ويعزلهنّ عن غيرهنّ ففعل فكنّ سبعمائة امرأة فاخرجهن ومعهنّ ثلثمائة خادم

١ – ويروى: عميقاً ونصبوا الخ .
٢ – درنوش س ܕܘܢܘܫ . – ويروى: دونوس ودرنوس .
٣ – اي تباع اركون ومعناه الدهقان العظيم وهي كلمة يونانية αρχων
٤ – والداذنشمدية ر والدانشمدية .
٥ – لعلّه باب كلواذى.

خصيّ . وبقي النهب يعمل الى سبعة ايام ثم رفعوا السيف وبطلوا السبي . وفي رابع عشر صفر رحل هولاكو من بغداد وفي اول مرحلة قتل الخليفة المستعصم [١] وابنه الاوسط مع ستة نفر من الخصيان بالليل وقتل ابنه الكبير ومعه جماعة من الخواص على باب كلواذ وفوّض عمارة بغداد الى صاحب الديوان والوزير وابن درنوش . وارسل بوقاتيمور الى الحلّة ليمتحن اهلها هل هم على الطاعة ام لا . فتوجّه نحوها ورحل عنها الى مدينة واسط وقتل بها خلقاً كثيراً اسبوعاً . ثم عاد الى هولاكو وهو بمقام سياكوه [٢] .

* * *

وكان من الفضلاء المعتبرين في هذه السنين القاضي الاكرم جمال الدين بن القفطي مصنف كتاب تاريخ الحكماء مولده بقفط من اعمال صعيد مصر سنة ثماني وستين وخمسمائة رحل به ابوه طفلاً واسكنه القاهرة المعزّية وبها قرأ وكتب وشدا شيئاً من الادب. ثم خرج الى الشام فاقام بحلب وصحب بها الامير المعروف بالميمون القصري . واجتمع في هذه المدة بجماعة من العلماء واستفاد بمحاضرتهم وفقه بمناظرتهم . ثم لازم منزله بعد وفاة الامير المذكور الى ان أُلزم بالخدمة في امور الديوان في ايام الملك الظاهر فتولّى ذلك وهو كاره للولاية متبرّم بها . فلما مات الملك الظاهر عاد فانقطع في منزله مستريحاً من معاناة الديوان مجتمع الخاطر على شأنه من المطالعة والفكرة منقبضاً عن الناس محباً للتفرد والخلوة لا يكاد يظهر لمخلوقٍ حتى قلّده الملك العزيز وزارته سنة ثلث وثلاثين وستمائة . فلم يزل في هذا المنصب مدة ايام الملك العزيز والملك الناصر ابنه حتى توفي ثالث عشر رمضان سنة ست واربعين وستمائة .

ومن حكماء هذا الزمان نجم الدين النخجواني كان ذا يد قويّة في الفضائل وعارضة عريضة في علوم الاوائل تفلسف ببلاده وسار في الآفاق وطوّف ودخل الروم وولي المناصب الكبار ثم كره كدر الولاية ونصبها فارتحل الى الشام واقام بحلب منقطعاً في دار اتخذها لسكناه لا يمشي الى مخلوق ولكن يُمشَى اليه الى ان مات بها. وكان شديد الميل الى مذهب التناسخ وله مؤاخذات على منطق الاشارات وشرحها ايضاً وتناول [٣]

---

١ – كانت مدة خلافته نحو ست عشرة سنة تقريباً وهو آخر الخلفاء العباسيين . وكانت مدة ملكهم خمسمائة سنة واربعاً وعشرين سنة هجرية . وعدة خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة .

٢ – ويروى: سياكوا ولعلّها سياه‌كوه.

٣ – ويروى: وتناوله .

الافضل الخونجي بالاستنقاص وزيّف اقواله في كتاب الكشف فيما يتعلق بعكس النقيض والموضوع الخارجي والحقيقي ومنعه انتاج الصغرى الممكنة في الشكل الاول وانعكاس السالبة الكلية الضرورية كنفسها الى غير ذلك .

ومنهم الحكيم ثاذري الانطاكي اليعقوبي النحلة احكم اللغة السريانية واللاطينية بانطاكية وشدا بها شيئاً من علوم الاوائل . ثم هاجر الى الموصل وقرأ على كمال الدين ابن يونس مصنفات الفارابي وابن سينا وحلّ اوقليذس والمجسطي . ثم عاد الى انطاكية ولم يُطل المكث بها لما رأى في نفسه من التقصير في التحصيل فعاد مرة ثانية الى ابن يونس وانضج ما استنهأ من علمه وانحدر الى بغداد واتقن علم الطب وقيّد اوابده وتصيّد شوارده وقصد السلطان علاء الدين ليخدمه فاستغربه [1] ولم يُتمبل عليه فرحل الى الارمن وخدم قسطنطين ابا الملك حاتم ولم يستطب عشرتهم فسار مع رسول كان هناك للامبرور ملك الفرنج [2] فنال منه افضالاً ووجد له به نوالاً واقطعه بمدينة كما هي باعمالها . فلما صلح حاله وكثر ماله اشتاق الى بلده واهله ولم يؤذن له بالتوجه فاقام الى ان امكنته الفرصة بخروج الملك في بعض غزواته الى بلاد المغرب فضمّ اطرافه وجمع امواله وركب سفينة كان قد اعدّها لهربه وسار في البحر مع مَن معه من خدمه يطلبون برّ عكا . فبينما هم سائرون ذهبت عليهم ريح رمت بهم الى مدينة كان الملك قد ارسى بها فلما أُخبر ثاذري بذلك تناول شيئاً من سمّ كان معه ومات خجلاً لا وجلاً لان الملك لم يكن يسمح باهلاك مثله .

ومن الاطباء المشاهير في هذا الزمان الحكيم مسعود البغدادي المعروف بابن القسّ طبيب حاذق نبيل خدم الخليفة المستعصم واختصّ به وطبّ حرمه واولاده وخواصه وارتفعت منزلته لديه . ولما جرى ببغداد ما جرى انقطع عن الناس ولزم منزله الى ان مات . وخلف ولده غرس النعمة ابا نصر [3] وكان ابو نصر فاضلاً عاقلاً ذا فنون خبيراً باصول الهندسة فاكّاً مشكلاتها وكان ضئيلاً مسقاماً لا يقطع استعمال ماء الشعير صيفاً وشتاء وكان غذاؤُه دوائياً نزراً ومات كهلاً .

ومنهم الحكيم عيسى البغدادي المعروف بابن القسيس الحظيري [4] كان ابوه طبيباً

---

١ – وفي رواية: فاستعر بهِ . وفي أخرى: فاستشعر به

٢ – كان هذا الملك فريدريكوس الثاني .

٣ – نصر و ناصر .

٤ – الحظيري و الحطيري .

فاضلاً يُقرأ عليه ويؤخذ منه . وكان حادّ المزاج يسرع اليه الغضب . جرى لي معه مفاوضة في امر تقديم السريان الليل على النهار مستدلّين التوراة وهو قوله تعالى : وصار مساء وصار صباح يوماً واحداً . قلت : هذه الحجة عليهم لا لهم لانها تنبئ عن تقدّم نهارٍ آخره مساء وتأخّرِ ليلٍ آخره صباح ليتمّ بمجموعها يوم واحد لانّ الحاصل من المساء الى الصباح انما هو ليلة واحدة وهي نصف يوم لا يوم تام . فلم ينصفني في هذا ولا اجاب عنه بشيء اكثر من قوله : هذا مذهب اهل ملّتك فكيف يسعك تكذيبهم. فقلت : انا تابع فيه لليونانيين واقيم عذر السريانيين وهو ان شهورهم قمريّة والقمر انما يرى استهلاله مساءً لا صباحاً فجعلوا مبادئ تواريخهم اوائل الليل ومثلهم العبرانيون والعرب لان الليل مقدَّم على النهار في نفس الامر. ومما يُستدلّ به على علوّ همّة الحكيم عيسى ابن القسيس انه نسخ كتاب القانون بخطّه في شبيبته ثم خرجت النسخة عن ملكه بحكم شرعيّ وحصلت في خزانة المدرسة المستنصرية . فلما اسنّ طلب النسخة وقابلها وصححها واعادها الى مكانها . فنسبه باغضوه الى فضول ومحبّوه الى مثوبة يتوخّاها . فقال : كلا الفريقين مخطئ وانما فعلت ذلك لئلا يُزرَى عليّ بعد موتي. وعمّر طويلاً ومات شيخاً كبيراً .

ومنهم تقيّ الدين الرأس عينيّ [1] المعروف بابن الخطّاب [2] طبيب مشهور الذكر متقن لصناعة الطب علمها وعملها غاية الاتقان خدم السلطان غياث الدين وبعده ابنه عزّ الدين وصار له منزلة عظيمة منهما ورفعاه من حدّ الطب الى المعاشرة والمسامرة واقطعاه اقطاعات جزيلة وكان في خدمتهما بزيّ جميل وامر صالح وغلمان وخدم وصادف من دولتهما كل ما سرّه .

ومنهم شرف الدين بن الرحبي واخوه جمال الدين الدمشقيّان . اما شرف الدين فكان بارعاً بالجزء النظري من الطب له معرفة تامة به واطلاع على اصوله تصدّر لافادة هذا الشأن واخذ عنه جماعة من الطلبة وكان قليل التعرّض لمباشرة المرضى . وسمعت وقت تحصيلي بدمشق ان له تعاليق وحواشي على القانون ولم ارَها . واما جمال الدين اخوه فكان له عناية تامة في الجزء العمليّ من الطبّ وتجارب فاضلة فيه ونفوذ مشهور في المعالجة . صحبتُه مدة اباشرُ معه المرضى بالبيمارستان النوري بدمشق وكان حسن الاخلاق لم ارَ في الجماعات احسن منه زياً وصمتاً ونطقاً ومبسماً .

١ – قال في معجم البلدان في كلامه عن مدينة رأس عين « والمشهور في النسبة اليها راسعني . وقد نسب اليها الراسي » .
٢ – الخطاب ر الحطاب .

ومنهم بدر الدين المعروف بابن قاضي بعلبك كان فاضلاً خبيراً بالمباشرة والمعالجة جميل التحيُّل للبرء وصنَّف كتاباً لطيف الحجم سمّاه مُفرّح النفس جمع فيه جملة ما يتعلَّق بالحواسّ الخمسة من المفرحات واضاف اليه[١] الادوية المفردة القلبية ومركبات ايضاً حارّة وباردة ومعتدلة للملوك والفقراء واوساط الناس واخذ فيه على الرئيس في جعله الكسفرة عديدة المفرحات .

ومنهم نفيس الدولة الدمشقي النصراني الملكي المعروف بابن طليب وسيأتي ذكره في جملة اطباء هولاكو اذ هو اكبرهم.

ومنهم الموفق يعقوب الدمشقيّ السامريّ كان طبيباً حاذقاً مصيباً في علاجه مستحضراً للشروح وكان ضنيناً بما يحسنه يشارط مَن قصده من سائر البلاد للاستفادة على اسماعه اي كتاب اراد قراءته دراهمَ معلومة . وهذه خساسة مباينة للانفس الفاضلة .

ومن فضلاء هذا الزمان في علوم الاوائل وجميع الفضائل نجم الدين الدمشقي المعروف بابن اللبودي تولّى امور الديوان وقلِّد الوزارة والغالب عليه الهندسة والعدد .

ومنهم عزّ الدين الضرير كان من الافاضل والاعيان المعدودين من حسنات الزمان. وله مشاركة حسنة في سائر الانواع الفلسفية والآداب العربية. وكان قويّ الذكر والتخيُّل بحيث انه كان يُقرأ عليه وهو مكفوف ستّ مقالات من كتاب اوقليدس وكان يحفظ الاشكال بحروفها ويتكلم في حلّها .

١ – اليه ... ومركبات ر الى ... مركبات .

الدولة العاشرة
المنتقلة من ملوك العرب المسلمين
الى ملوك المغول

(هولاكو بن تولي خان[1]) ولما ملك هولاكو بغداد ورتّب بها الشحاني والولاة انفذ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل اليه ابنه الملك الصالح اسمعيل ومعه جماعة من عسكره نجدةً له. فاظهر له هولاكو عبسة وقال: انتم بعدُ في شكٍّ من امرنا ومطلتم نفوسكم يوماً بعد يوم وقدَّمتم رجلاً واخَّرتم اخرى لتنظروا مَن الظافر بصاحبه فلو انتصر الخليفة وخُذلنا لكان مجيئكم اليه لا الينا . قل لابيك: لقد عجبنا منك تعجباً كيف ذهب عليك الصواب وعدل بك ذهنك عن سواء السبيل واتخذت اليقين ظناً وقد لاح لك الصبح فلم تستصبح. فلما عاد الصالح الى الموصل وبلّغ اباه ما حمل من الرسالة الزاجرة ايقن بدر الدين ان المنايا قد كشّرت له عن انيابها وذلّت نفسه وهلع هلعاً شديداً وكاد يخسف بدره ويكسف نوره . فانتبه من غفلته واخرج جميع ما في خزائنه من الاموال واللالئ والجواهر والمحرمات من الثياب وصادر ذوي الثروة من رعاياه واخذ حتى حليّ حظاياه والدرر من حلق اولاده وسار الى طاعة هولاكو بجبال همذان . فأحسن هولاكو قبوله واحترمه لكبر سنّه ورقّ له وجبر قلبه بالمواعيد

١ – ان هولاكو لم يكن مستقلاً بالملك بل كان تحت رئاسة اخية مونككا الخان الاعظم الذي بعثه مع قسم من الجيوش لفتح البلاد التي غربي الفرات . والدليل على ذلك انه لم يكن يضرب اسمه على السكك بل اسم الخان الكبير . وارغون خان هو اول من ابتدأ ان يضرب في السكك اسمه مع اسم الخان العظيم . (طالع الصفحة ٧٥ من الكتاب المعنون (Museum Cuficum Borgianum). والذي حمل ابا الفرج وغيره من مؤرخي العرب ان يذكروا هولاكو كأنه خان عظيم ورأس دولة المغول انما هو لانه اول من ملك على بلاد المسلمين بعد فتح بغداد وزوال الدولة العباسية .

الجميلة واستأمن اليه وداعبه وقدّمه الى ان اصعده اليه على التخت واذن له ان يضع بيده في اذنيه حلقتين كانتا معه فيهما درّتان يتيمتان [١] . واقام في خدمته اياماً ثم عاد الى الموصل مسروراً مبروراً بل مذعوراً مما شاهد من عظمة هولاكو وهيبته ودهائه .

وفيها توجه الاشرف بن الملك الغازي بن الملك العادل صاحب ميافارقين الى الملك الناصر صاحب حلب يطلب منه نجدة ليمنع المغول من الدخول الى الشام . فاستخف برأيه ولم يسمع مشورته بل سوّفه بكلام وسرّحه من عنده بالامان . ولما وصل الى ميافارقين مدينته طرد شحاني المغول منها وصلب رجلاً قسيساً كان قد وصل اليه من خدمة قاان باليراليغ والبوايز [٢] . وبينما هو كذلك ادركته عساكر المغول واحاطت بمدينته وفي رأس العسكر يشموت [٣] بن هولاكو . وفي يوم وليلـــة بنى المغول حول مدينته سوراً وحفروا خندقاً عميقاً ثم نصبوا عليها المنجنيقات وابتدأوا بالقتال وقاتلوا قتالاً شديداً من الجانبين . ولما رأى المغول ان المدينة لم يمكنهم اخذها بالقتال ابطلوا القتال وحاصروها ومنعوا الناس من الدخول اليها والخروج عنها .

وفي سنة سبع وخمسين وستمائة ارسل هولاكو ايلجية الى الملك الناصر صاحب حلب برسالة يقول فيها : يعلم الملك الناصر اننـــا نزلنا بغداد في سنة ستّ [٤] وخمسين وستمائة وفتحناها بسيف الله تعالى واحضرنا مالكها وسألناه مسئلتين فلم يجب لسؤالنا فلذلك استوجب منّا العذاب كما قال في قرآنكم ان الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم . وصان المـــال . فآل الدهر به الى ما آل . واستبدل النفوس النفيسة . بنقوش معدنية خسيسة . وكان ذلك ظاهر قوله تعالى : وجدوا ما عملوا حاضراً . لاننا قد بلغنا بقوة الله الارادة . ونحن بمعونة الله تعالى في الزيادة . ولا شك ان نحن جند الله في ارضه خلقنا وسلّطنا على من حلّ عليه غضبه . فليكن لكم في ما مضى معتبَر . وبما ذكرناه وقلناه مزدجر . فالحصون بين ايدينا لا تمنع . والعساكر للقائنا لا تضرّ ولا تنفع . ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع . فاتّعظوا بغيركم . وسلّموا الينا اموركم . قبل ان ينكشف الغطا . ويحلّ عليكم الخطا . فنحن لا نرحم من شكا . ولا نرقّ لمن

١ – يتيمتان ر ثمينتان .
٢ – ويروى : والبواير .
٣ – يشموت س ܝܫܡܘܛ . – ويروى : بشموت وهو تصحيف .
٤ – ست وخمسين (انظر السطر ٦ من الصفحة ١٤ من كتابنا هذا). – ويروى : خمس . وليس بصواب .

بكا. قد اخربنا البلاد . وافنينا العباد . وايتمنا الاولاد . وتركنا [١] في الارض الفساد . فعليكم بالهرب . وعلينا بالطلب . فما لكم من سيوفنا خلاص . ولا من سهامنا مناص . فخيولنا سوابق . وسهامنا خوارق . وسيوفنا صواعق [٢] . وعقولنا كالجبال . وعددنا كالرمال . فمن طلب منّا الامان سلم . . ومن طلب الحرب ندم . فان انتم اطعتم امرنا وقبلتم شرطنا كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا . وان انتم خالفتم امرنا وفي غيكم تماديتم فلا تلومونا ولوموا انفسكم . فالله عليكم يا ظالمين فهيئوا للبلايا جلباباً . وللرزايا اترابا . فقد اعذر من انذر . وانصف من حذّر . لانكم اكلتم الحرام وخنتم بالايمان. واظهرتم البدع واستحسنتم الفسق بالصبيان . فابشروا بالذلّ والهوان . فاليوم تجدون ما كنتم تعلمون . سيعلم الذين ظلموا ايّ منقلب ينقلبون . فقد ثبت عندكم اننا كفرة . وثبت عندنا انكم فجرة . وسلّطنا عليكم مَن بيده الامور مقدّرة . والاحكام مدبّرة . فعزيزكم عندنا ذليل . وغنيكم لدينا فقير . ونحن مالكون الارض شرقاً وغرباً . واصحاب الاموال نهباً وسلباً . واخذنا كل سفينة غصباً . فميزوا بعقولكم طرق الصواب قبل ان تضرم الكفرة نارها . وترمي بشرارها. فلا تبقي منكم باقية . وتبقى الارض منكم خالية . فقد ايقظناكم . حين راسلناكم . فسارعوا الينا بردّ الجواب بتّةً . قبل ان يأتيكم العذاب بغتةً . وانتم تعلمون . فطلبه ليحضر عنده . ولما شاور الامراء لم يمكّنوه من المشي الى هولاكو وبقي متحيراً خائفاً مذعوراً لم يدرِ ما يصنع . غير انه استجار [٣] الله وسيّر ولده الملك العزيز وصحبته الاموال الكثيرة والهدايا والتحف . وبقي هناك من اوائل الشتاء الى الربيع ثم عاد الى ابيه قائلاً: قد قال ملك الارض: نحن للملك الناصر طلبنا لا لولده فالآن ان كان قلبه صحيحاً معنا يجيء الينا والاّ فنحن نمشي اليه . فلما سمع الملك الناصر ذلك بقي متردداً في رأيه لان الامراء لم يمكّنوه من المشيْ اليه وهو فقد وقع عنده الخوف والجزع ولم يطمئن على القعود . ثم سيّر هولاكو في طلب سلطان الروم عزّ الدين واخيه ركن الدين فأطاعاه ومشيا اليه واحسن قبولها والتقاهما مرحّباً بهما فرحاناً وتقدّم اليهما بان عزّ الدين يتملّك على قيسارية الى تخوم ارمينية الكبرى وركن الدين يتملّك من اقسرا والى ساحل البحر حدود الافرنج . ثم انه بعد ذلك توجه الى الشام وتوجّها في خدمته الى قريب الفرات وعادا الى بلادهما مسرورين مغبوطين .

---

١ – وتركنا ر واوقعنا .

٢ – ويروى: مراحق وهي تصحيف مواحق .

٣ – استجار الله ر استجار اليه .

وفي هذه السنة توفي السلطان الملك الرحيم بدر الدين ابو الفضائل لؤلؤ صاحب الموصل في عشرين يوماً مضت من شهر تموز وتولّى ولده الملك الصالح اسماعيل الموصل وولده علاء الدين سنجار وولده سيف الدين الجزيرة .

وفي سنة ثماني وخمسين وستمائة دخل هولاكو ايلخان الشام ومعه من العساكر اربعمائة الف ونزل بنفسه على حرّان وتسلمها بالامان وكذلك الرها ولم يدنُ لاحدٍ فيهما سوء . واما اهل سروج فانهم اهملوا امر المغول فقُتلوا عن اقصاهم . وتقدم هولاكو فنصب جسراً على الفرات قريباً من مدينة ملطية وآخر عند قلعة الروم وآخر عند قرقيسياء وعبرت العساكر جملتها وقتلوا عند منبج مقتلة عظيمة . ثم تفرّقت العساكر على القلاع والمدن . ونفر قليل من العسكر طلب حلب فخرج اليهم الملك المعظم ابن صلاح الدين الكبير فالتقاهم وانكسر قدّام المغول ودخل المدينة منهزماً . وطرفٌ منهم وصل الى المعرّة وخربوها . وتسلّموا حماة بالامان وحمص ايضاً . فلما بلغ ذلك الملك الناصر اخذ اولاده ونساءه وجميع ما يعزّ عليه وتوجه منهزماً الى بريّة الكرَك والشوبك . وعندما وصلت المغول الى دمشق خرج اعيانها اليهم وسلموها لهم بالامان ولم يلحق بأحد منهم اذًى. واما هولاكو فانه بنفسه نزل على حلب وبنى عليها سيبا ونصب المنجنيقات واستضعف في سورها موضعاً عند باب العراق واكثر القتال والزحف عليه . وفي ايام قلائل ملكوها ودخلوها يوم الاحد الثالث والعشرين[1] من كانون الثاني من هذه السنة وقتل فيها اكثر من الذي قتل ببغداد . وبعد ذلك اخذوا القلعة في اسرع ما يكون وقتاً . ثم ان هولاكو رحل عنها وأحاط بقلعة الحارِم[2] واختار ان يسلموها اليه ويؤمّنهم على انفسهم فلم يطمئنوا الى قوله وانما طلبوا منه رجلاً مسلماً يحلف لهم ويكون صاحب شريعة يُطمأن اليه حيث يحلف لهم بالطلاق والمصحف ان لا يدنو لاحد منهم سوء وينزلوا ويسلّموا اليهم القلعة . فسألهم هولاكو: مَن تريدون ان يحلف لكم . قالوا : فخر الدين الوالي بقلعة حلب فانه رجل صادق مؤمن خيّر. فتقدّم هولاكو اليه فدخل اليهم وحلف لهم على جميع ما يُريدون . فحينئذٍ فتحوا الابواب ونزل الناس خلائق كثيرة وتسلّم المغول القلعة . ثم ان هولاكو تقدم بقتل فخر الدين الوالي اولاً ثم بقتل جميع من كان في القلعة من الصغار والكبار الرجال منهم والنساء حتى الطفل الصغير في المهد . ورحل هولاكو من هناك عائداً الى البلاد الشرقية . ورتّب في الشام اميراً

١ – الثالث والعشرين س الثالث .

٢ – ويروى: حازم وهو تصحيف . وحارم حصن وكورة جليلة تجاه انطاكية .

كبيراً يسمّى كتبوغا ومعه عشرة آلاف فارس من العسكر . ولما وصل الى تلّ باشر وصلت العساكر التي حاصرت ميّافارقين ومعهم الاشرف صاحبها وأنهوا انهم اخذوها وقتلوا كل من فيها ولم يتخلّف فيها الاّ انفار قليلة لانهم هلكوا جوعاً وماتوا . ولولا ذلك لم يتمكن المغول من اخذها . وقتل الاشرف صاحبها وبعد ذلك ندم هولاكو على قتله. ثم انه ولّى عليها رجلاً اميراً من امراء الاشرف يسمّى عبد الله . ولما وصل هولاكو قريب ماردين سيّر يطلب صاحب ماردين اليه . فأبى ولم ينزل اليه[1] . بل سيّر ولده مظفّر الدين لانه كان في خدمة هولاكو هو والملك الصالح ابن السلطان بدر الدين لما كان بالشام . قال له هولاكو: تصعد الى ابيك وتقول له ينزل الينا ولا يعصي وان عصى لم يصب خيراً . ولما صعد الى ابيه وخاطبه لم يقنع بانه لم يسمع مشورته بل قيّده وحبسه عنده . فعند ذلك احاطت المغول بماردين وابتدأوا بالقتال ولولا ان وقع فيها الوباء والموت ومات السلطان واكثر اهلها لما اخذوها لا في سنتين ولا في ثلثة . ولما مات السلطان نزل ابنه الملك المظفر وسلّم اليهم القلعة والخزائن والاموال . وتحقق عند ملك الارض هولاكو ما جرى عليه من ابيه فلاجل ذلك اكرمه واحسن اليه وملّكه موضع ابيه . وكتبوغا كبير عسكر المغول الذي نزل بالشام لم يزل يستفحص عن اخبار الملك الناصر المنهزم في البراري حتى عرف موضعه وسيّر عليه بعض العسكر فلزموه وسيّروه الى هولاكو . ولما مثل بين يديه فرح به ووعده بكل خير وجميل وانه يُعيده الى ملكه وهو يومئذٍ نازل بجبال الطاق . فبينما هم في ذلك وصل خبر ان قوتوز التركماني الذي تولّى مصر لما بلغه ان هولاكو رجع الى المشرق وكتبوغا بعشرة آلاف فارس في الشام استضعفه وجمع عسكراً كثيراً وخرج التقى به وكسره وقتله واستأسر اولاده وكان ذلك في السابع والعشرين من رمضان من سنة ثماني وخمسين وستمائة . فغضب هولاكو لذلك وتقدّم بقتل الملك الناصر وقتل اخيه الملك الظاهر[2] وجميع من معهم . ولم يخلص منهم غير محيي الدين المغربيّ بسبب انه كان يقول انني رجل اعرف بعلم السماء والكواكب والتنجيم ولي كلام اقوله لملك الارض . قال محيي الدين المذكور لما اجتمعنا به في مدينة مراغة: انني لما قلت لهم هذا الكلام أخذوني وأحضروني بين يدي هولاكو فتقدّم ان يسلّموني الى خواجا نصير الدين . وحكى لنا صورة ما جرى للملك الناصر قال: كنت في خدمته يوم الاربعاء عشرين شوّال وهو يسألني عن مولده اذ وصل امير

---

١ – ولم ينزل اليه بل **س** انما عن هولاكو يقال انه سيّر . وهذه الرواية توافق معنى العبارة .

من المغول ومعه نحو خمسين فارساً . فخرج الملك الناصر من الخيمة والتقاه وعرض عليه النزول . فامتنع قائلاً : ان هولاكو سيَّرني ويقول : هذا اليوم لنا فرحة وقد عملنا دعوة وحضر الامراء كلّهم فتحضر انت واخوك واولادك للامر الذي لك عندنا . فجمع الملك الناصر جماعته مقاربةً عشرين نفراً وركبوا وساروا صحبة ذلك الامير . وبعد ساعة وصل ايضاً عشرون فارساً آخر وقالوا : يحضر الجماعة كلهم ولا يبقى في الخيم غير الفراشين والمماليك الصغار والطباخين والغلمان . وباقي الجماعة الخيَّالة والكتَّاب يحضرون في الدعوة . (قال) فاخذونا الى مواضع اودية عميقة بين حجارة عالية ونزلنا عن الخيل فاحتاط كل واحد منهم بواحد منَّا وكتفونا . فلما عاينت ذلك بقيت اقول بصوت عالٍ : انني رجل منجّم واعرف بحركات الكواكب ومعي كلام اقوله في خدمة السلطان ملك الارض . فأخذوني وأقعدوني وراءهم مع جملة اتباعهم وشرعوا بقتل الجماعة ولم يخلص منهم غير ولدَي الملك الناصر فاستأسروهما . ثم ركبوا وعادوا الى البيوت التي للملك الناصر ونهبوها وقتلوا باقي الجماعة التي تخلَّفت هناك . ثم عرضوا الامر على هولاكو وانا صرت في خدمة خواجا نصير الدين في الرصد بمراغة وابنا الملك الناصر في خدمته .

(جلوس قوبلاي قاان على كرسي المملكة) : فمن[1] هذا التاريخ بعض ملوك الخطا تمرَّد وعصى على المغول لكونه قويَّ البأس متمكناً في امره كثير العساكر يحكم على اربعمائة مدينة. واوجب ذلك ان مونككا قاان بنفسه تهيَّر لملتقى هذا المتمرّد فترك اخاه الصغير وهو اريغبوكا مكانه واستصحب اخاه قوبلاي ودخل الى بلاد الصين . واول الملتقى اتفق ان اصابه نشابة ومات. فأخذ اخوه قوبلاي العساكر وخرج من بلاد الخطا. ثم وصل الى خان باليق وأقام هناك . واتفق عظماؤُه والاكثرون من المغول ان يكون هو موضع اخيه قاان . واما الاخ الصغير وهو اريغبوكا فقال : ان عند توجُّه قاان الى الخطا سلَّم اليه الملك فهو الأولى ان يكون موضع اخيه بمقتضى الياسا الذي لهم . وحصلت المنازعة والمقاومة بين الاخين لاجل ذلك مدّة سبع عشرة سنة الى ان عجز الاخ الصغير وبطل عزمهُ وقوي امر قوبلاي قاان وظهر منه العدل الحسن والدراية والتدبير والكفاية . وانه كان يحبّ الحكماء والعلماء والمتديّنين من سائر المذاهب والامم . وقيل عنه انه كان قليل المباشرة للنساء بل باعتدال ومتوسط التدبير بالشهوات والشراب واللذّات واللهو ولم يتناول من اللحوم الاّ الطفها بخلاف باقي الطوائف من المغول .

واما قوتوز التركماني صاحب مصر بعد ما كسر كتبوغا وتمكّن من الشام أقام

۱ – فمن ر في .

الشحاني والنوّاب في حلب ودمشق وسائر بلاد الشام وعاد الى ديار مصر بحيث ان هناك يجمع العساكر ويشتدّ ويقوى على ملتقى المغول . ولما وصل قريباً من غزّة نهض عليه بيبرز[1] المعروف بالبندقدار الصغير وهو مملوك البندقدار الكبير وقتله وأخذ جماعة ودخل الى مصر وتسلمها وتمكّن وقوي ولقّبوه ركن الدين الملك الظاهر واشتدّ بأسه وتسلّط على جميع المدن والقلاع التي على ساحل البحر للافرنج . وفي سنة تسع وخمسين وستمائة عاد دخل المغول الى الشام وفي رأس العسكر امير يسمّى كوكالكي ودخلوا الى قريب حمص ونهبوا وسبوا وقتلوا خلقاً كثيراً وعادوا الى حلب وكان قد انهزم جميع اهل القرايا الى حلب فتقدّم كوكالكي ان يخرج اهل القرايا والمدن الى ظاهر البلد وينعزل اهل كل مدينة وقرية بمعزل بحيث يعدّونهم ويسيّرون كل قوم الى مكانهم ووطنهم . وتسلّمهم المغول كانهم يسيّرونهم الى ضياعهم وعندما يبعدون يقولون: انتم لو كانت قلوبكم معنا صافية لما انهزمتم من قدّامنا . فقتلوهم عن اقصاهم ولم يفلت منهم غير اهل حلب بحيث انهم لم ينتقلوا عن حلب . وعاد المغول خرجوا من الشام ثم عاد المصريّون تملكوا الشام .

وفيها هرب علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ صاحب سنجار الى مصر . ولما اقام هناك مدّة يسيرة كتب الى اخيه الملك الصالح اسماعيل صاحب الموصل يعرّفه قوّة البندقدار وعظمته واشار عليه بترك الموصل وقصده خدمة البندقدار بحيث انه اذا استولى البندقدار على قهر المغول واخذ البلاد منهم يكون له اليد البيضاء عنده ويملكه مع الموصل بلاداً اخرى من المشرق . ولما وصل الكتاب الى الملك الصالح ووقف عليه وضعه تحت طراحته وكان عنده في ذلك الوقت من الامراء شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي من جملة امراء ابيه النوّاب ببلد نينوى . فغافله وأخذ الكتاب من تحت الطرّاحة وخرج من عنده ولم يلبث حتى وصل الى قريته باعشيقا . بعد ذلك مدّ يده ليأخذ الكتاب فلم يجده فوقع عنده ان شمس الدين بن يونس قد اخذ الكتاب وصار عنده القلق العظيم لاجل ذلك وسيّر القصّاد في الحال في طلبه وقد عزم على قتله . وعندما وصل المماليك اليه اشغلهم بالاكل والشرب وقال لهم: ان هذه الليلة كلوا واشربوا وعند الصباح نركب الى خدمة السلطان . وأوصى غلمانه فأكثروا عليهم الشراب واسكروهم وناموا . فأخذ شمس الدين بن يونس اولاده وما يعزّ عليه وركب من اول الليل وتوجه يقصد اربل وكان له مشورة مع الرؤساء النصارى بناحية برطلي فعبر عليهم وعرّفهم

١ – بيبرز ر بايبرز و بيبرس س ححنا .

ان الملك الصالح قد عزم على قتل جميع اكابر النصارى ببلد نينوى وانه بعد ذلك يتوجه الى الشام . وكان قد حصل لهم الشعور بذلك من قبل فصدقوه وتهيّـروا هم وما يعزّ عليهم من اولادهم . وشاع الخبر في جميع النصارى ببلد نينوى فكل من امكنه العبور الى اربل سارع بالعبور فعبر اكثر اهل البلد من النصارى وكان ذلك ليلة يوم الخميس. اما المماليك الذين كانوا قد وصلوا الى شمس الدين بن يونس فلما اصبحوا وصحوا من سكرهم فلم يجدوه فظنّوا انه قد سبقهم بالدخول الى الموصل الى الملك الصالح. ولما دخلوا وعرّفوا الملك الصالح بما جرى وقع في الجزع والخوف وقال: لا نأمن ان ابن يونس يمشي يعرّف بالقضية المغول ويجيب علينا العساكر ويجيئ . فتهيّـر هو وجماعة من الامراء والاولاد وأخذوا ما يقدرون عليه مما يمكنهم حمله وخرج من المدينة يوم الجمعة ثاني يوم عبور ابن يونس والنصارى الى اربل صلّى الجمعة وخرج متوجهاً الى الشام وبطلت عزيمته انه يخرج هو والعسكر الى بلد نينوى ويُلزم اكابر النصارى ويأخذ اموالهم ويقتلهم ثم يمشي الى الشام . ثم انه لما خرج من الموصل وقع الخلف بين امرائه فمنهم من تبعه ومنهم من عاد الى الموصل . والذين عادوا الى الموصل كان كبيرهم الامير علم الدين سنجر . فلما وصلوا الى الموصل وكانت زوجة الملك الصالح تركان الخوارزميّة في المدينة لم تتوجه معه ولا تبعته وكان في الموصل شحنة اسمه ياسان فاتفقوا هم واتباعهم وغلّقوا ابواب الموصل في وجوههم ولم يمكنوهم من الدخول . فنزلوا خارج المدينة وشرعوا يقاتلون اياماً يسيرة . فعند ذلك كان في المدينة رجل اسمه محيي الدين بن زبلاق من كتّاب الانشاء الذين كانوا للسلطان بدر الدين فاتفق هو وجماعة من اهل المدينة وخامروا على تركان خاتون وعلى الشحاني وفتحوا الابواب . ولما دخل علم الدين وجماعته هرب الشحنة ياسان وتركان واتباعهم وتحصنوا في قلعه الموصل . وثار اهل الموصل على النصارى من الاعوام ونهبوهم وقتلوا كل من وقع بايديهم وسلم من دخل في دين الاسلام. واما اكراد الجبال فكان قد قرّر معهم الملك الصالح ان يتهيّـروا ويجمعوا جموعهم وينزلوا الى نينوى . ويوم السبت ثاني الجمعة التي خرج الملك الصالح من المدينة نزلوا الى بلد نينوى ونهبوا النصارى المتخلّفين وسبوا وقتلوا . وبينما هم كذلك وذلك في ايام يسيرة من ايار تلك السنة وقع الخبر ان عسكر المغول قد اقبل من صوب الجزيرة فخرج الامير علم الدين سنجر وجماعته من الموصل واجتمع اليه امراء الاكراد . فلما صادف العسكر قاتلوهم وقاتلوه . وكان في رأس العسكر تورين[1] شحنة الموصل فأحاطوا بعلم الدين سنجر

١ – تورين س نورين ىمؤم .

وجميع من معه وقتلوهم عن اقصاهم ولم يفلت منهم الآ الطويل العمر . بعد ذلك بقي امر بلد الموصل والموصل مدّة مديدة في حيرة . وعند اواخر الصيف تواترت الاخبار بوصول عساكر المغول . وقريب من كانون الاول وصل العسكر وأحاط بالموصل وفي رأس العسكر امير كبير اسمه سمدغو[١] محبّ للنصارى. وبينما هم قد نزلوا على الموصل وصل الخبر برجوع الملك الصالح من الشام . ولما سمع المغول ذلك تأخروا عن المدينة الى حين ما دخل اليها ثم عاد المغول احاطوا بها وبنوا السيبا حولها في ليلة واحدة وابتدأوا بالقتال من داخل ومن خارج وكان ذلك من كانون الاول الى الربيع وقلّ القوت على اهل المدينة . وسيّر الامير سمدغو يخدع الملك الصالح ويعده بالمواعيد الحسنة وبطل القتال وقعدوا قعوداً . وكان في وسط هذه المدّة المذكورة وصل عسكر من الشام ومقدّمهم امير اسمه برلوا نجدة للملك الصالح الذي وعد به . فسارع المغول والتقوه عند سنجار واحاطوا بهم وقتلوهم جميعهم وكسبوا ما معهم من الخيل والسلاح وغير ذلك . بعد ذاك لما صار الامير سمدغو يخاطب الملك الصالح ويطايبه انخدع وفتح ابواب المدينة وخرج اليهم بالمطربين والاغاني والمساخرة بين يديه . وحينما مثل بين يدي سمدغو احتاط المغول به ودخل العسكر الموصل وسبوا ونهبوا وقتلوا مدّة ثمانية ايام وقُتل فيها عالم لا يُحصي عددهم الآ الله تعالى . وبعد ذلك قرّر الامير سمدغو في الموصل حاكماً الامير شمس الدين بن يونس ورحل عنها . وكان قد قتل ولد الملك الصالح علاءُ الملك[٢] صبي حدث اسقوه خمراً كثيراً ثم شدّوه وقطعوه وترين في المدينة عند القلعة وصحبوا الملك الصالح الى هولاكو وقُتل هناك .

وفي سنة احدى وستين وستمائة شخصٌ اسمه زكي الاربلي منادٍ في سوق البهائم قد كان من اجناد الموصل سعى في الامير شمس الدين بن يونس وقال انه قد جمع الاموال والجواهر من خزائن بيت بدر الدين . وذكر عنه انه سقاه سماً ليموت وانه استعان بحكيم نصراني اسمه الموفق النصيبي حتى داواه . ولما سألوا لابن يونس ذلك انكره فضربوه اشدّ ضرب ليقرّ . وبينما هم في ذلك وقع من ثيابه ورقة فيها آية من القرآن . فالساعي فيه وهو الزكي الاربلي قال انها سحر لاجل المغول . فرسم بقتله. وتولّى الموصل الزكي الاربلي موضعه . وفي سنة اربع وستين وستمائة توفي هولاكو وكان حكيماً حليماً

١ – سمدغو ر صمدغو س ܣܡܕܓܘ .

٢ – علاء الملك ر علاء الدين س علاء الملك .

ذا فهم ومعرفة يحبّ الحكماء والعلماء. وبعده بقليل اندرجت طقز خاتون زوجته وكانت ايضاً عظيمة في رأيها وخبرتها .

(اباقا ايلخان) بعد ذلك اجتمعت الاولاد والامراء والخواتين واتفقوا على ان اباقا ابن هولاكو يقعد على كرسي المملكة لان عنده العقل والكفاية والعلم والدراية . ولما جلس وتمكن كان سعيداً منصوراً في جميع حركاته وسكناته محبوباً من جميع الخلق . وكان قد سيَّر هولاكو طلبَ ابنة ملك القسطنطينية خطبها لنفسه . فلما اخذها الرسل وخرجوا بها ووصلوا الى القيساريَّة بلغهم الخبر بموت هولاكو ولم تتمكن من الرجوع الى بلادها فوصلت اليه ودخل عليها. وفيها وصل اليرليغ من اباقا الى بغداد ان علاءَ الدين صاحب الديوان يكون حاكماً مطلقاً لا يكون فوق يده يد . وكان شحنة بغداد قرابوغا ونائبه اسحق الارمنيّ يرومان اذيَّته فانكفأا عنه وصارا يتحيَّلان له بأذًى فحصَّلا شخصاً اعرابياً وعلَّماه ان يقول عنه انه سيَّر جاء به من البادية بحيث يكون له دليلاً عند ما يريد ان يأخذ ماله واولاده وما يتعلَّق به ويمشي الى الشام . وأوثقا مع البدويّ هذا الكلام . حينئذ سيَّرا احتاطا بدار صاحب الديوان والبدويّ يحملانه الى الاردو . وعند ما ضُرب البدويّ وقُرِّر اقرَّ ان اسحق الارمني علَّمه ذلك فقُتل البدويّ واسحق .

وفيها سيَّر البندقدار صاحب مصر الى حاتم ملك الارمن بحيث يدخل في طاعته ويحمل الجزية ويمكّن الناس من مشترى الخيل والبغال والحنطة والشعير والحديد من بلده وهم ايضاً يخرجون الى الشام ويتاجرون ويبيعون ويشترون . وملك الارمن خوفاً من المغول لم يجب الى ذلك . فلم يتأخر البندقدار عن انفاذ العسكر والركب الى بلد الارمن. وحاتم الذي هو ملك الارمن لما تحقق ذلك خرج الى بلد الروم يطلب النجدة من امير المغول هناك يسمَّى نفجي . فقال له: نحن بلا امر السلطان اباقا لا يمكن ان نفعل ذلك . وهجم المصريون على بلد الارمن . ولما لم يكن ملكهم حاضراً اجتمعت اخوته واولاده وامراؤه وجمعوا اتباعهم [1] وخرجوا ليمنعوا المصريّين من الدخول الى البلد . ولما التقوهم عند موضع يقال له حجر سروند انكسرت الارمن واستؤسر ولد الملك حاتم وقُتل ولده توروس وانهزم الامراء والعسكر . ونهبوا واخربوا بيعة سيس الكبيرة وكان الخراب العظيم في سيس واياس وأقاموا هناك مدَّة عشرين يوماً ينهبون ويحرقون ويسبون . وبعد خروجهم من البلد وصل الملك حاتم وقد صحب معه عسكراً من المغول والروم فما وجدوا احداً بل البلد خراباً واشتغلوا بالاكل والشرب ومدّوا ايديهم وجمعوا جميع ما كان

١ – ويروى: وامرأته وجمعوا العساكر اتباعهم .

قد تخلّف من المصريّين تمموه هم والملك مشتغل بالهمّ والغمّ على ما جرى على ولديه واصحابه وبلده . وكانت المضرّة منهم اشدّ واصعب . واما حاتم ملك الارمن فانه شرع يخاطب البندقدار في خلاص ولده ويعده بالاموال والمدن والقلاع الى غير ذلك . فجاوبه : ان نحن ما لنا رغبة في الاموال والمدن وغيرها . وانما لنا شخص صديق أسير عند المغول يسمّى سنقر الاشقر تخلّصه وتسيّره وتأخذ ولدك . ففعل ذلك وخلّص ولده . وذلك انه في سنة ثماني وستين وستمائة قصد الملك حاتم خدمة ملك الارض اباقا وبكى لديه وطلب منه سنقر الاشقر ليخلّص به ولده . فرحمه ورقّ لبكائه وقال له : تمشي الى بلدك تستريح ونحن نطلب هذا سنقر من ايّ مكان هو فيه ونسيّره اليك . فعاد حاتم من خدمة اباقا . وكان امير من امرائه سبقه الى بلده في مهمٍّ له فاجتاز به بروانة فاستشار به انه يريد يخطب لنفسه ابنة الملك حاتم . فاجابه بان الملك حاتم واصل عقيبنا اليكم فانتم التقوه واحسنوا اليه وهو يجيبكم الى ذلك . ولما وصل الملك حاتم الى بروانة وقد جمع بروانة اكابره والتقاه احسن ملتقىً واكرمه وقدّم له تقدمات نفيسة الى ان خجل الملك حاتم بحيث لم يعلم ما الذي اوجب هذا الاسراف في خدمته . فلما اظهر بروانة ما في قلبه اجابه بالسمع والطاعة واظهر له الفرح والبشاشة والغبطة وقرّر معه انه لا يمكن التعريس قبل خلاص اخي البنت فاذا خُلّص نفعل ذلك ان شاء الله تعالى . وفي سنة تسع وستين وستمائة وصل سنقر الاشقر من بلاد سمرقند الى الملك حاتم وهو سيّره الى البندقدار مكرّماً وأوهبه واعطاه . ثم ان البندقدار سيّر له ولده ايضاً بحرمة عظيمة وخيّالة كثيرة . وفي هذه السنة حاصر البندقدار مدينة انطاكية واخذها وقتل فيها وسبى واحرق كنائسها المشهورة في العالم . وفيها توجه الملك حاتم الى اباقا وشكر ودعا له على خلاص ولده من الاسر واستقال من السلطنة وطلب ان يكون ولده موضعه وانه شيخ عاجز . فقال له : انه اذا حضر عندنا نحن نملّكه . فتوجّه الى بلده وسيّر ولده الى عبودية اباقا .

وفي سنة سبعين وستمائة في شهر نيسان تزلزلت الارض في بلاد الارمن وخربت قلاع كثيرة ومات فيها مائة الف نفر من الناس غير الدوابّ . وفي سنة خمس وسبعين وستمائة نزل اباقا الى بغداد ليشتّي بها وصار غلاء عظيم ومجاعة وعزّت الاسعار .

* * *

وفي هذا التاريخ توفي خواجا نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب الرصد بمدينة مراغة حكيم عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة . واجتمع اليه في الرصد جماعة

من الفضلاء المهندسين . وكان تحت حكمه جميع الاوقاف في جميع البلاد التي تحت حكم المغول . وله تصانيف كثيرة منطقيّات وطبيعيّات والاهيّات واوقليدس ومجسطى. وله كتاب أخلاق فارسيّ في غاية ما يكون من الحسن جمع فيه جميع نصوص افلاطون وارسطو في الحكمة العمليّة . وكان يقوّي آراء المتقدّمين ويحلّ شكوك المتأخرين والمؤاخذات التي قد اوردوا في مصنفاتهم . وكان من الفضلاء في زمانه نجم الدين القزوينيّ [1] منطقيّ عظيم صاحب كتاب العين . ومؤيّد الدين العرضيّ وفخر الدين المراغيّ وقطب الدين الشيرازيّ ومحيي الدين المغربيّ . ومن الاطباء المشهورين فخر الدين الاخلاطيّ وتقيّ الدين الحشائشيّ . واشتهر هذا في عمل الترياق شهرة عظيمة وان لم يكن من الاطباء المشتغلين المشهورين وبسفاهته استظهر على باقي الاطباء في هذا الزمان . ومنهم نفيس الدين بن طُلَيب [2] الدمشقيّ وولده صفيّ الدين النصرانيّ الملكيّ .

وفي هذا التاريخ وهو سنة خمس وسبعين وستمائة وهي سنة سبع وثمانين وخمسمائة والف للاسكندر عزم بندقدار ان يدخل بنفسه الى بلد الروم لان كان عنده اقوام قد هربوا من بلد الروم الذين هربوا الى الشام قد قوّوا عزمه على ذلك . ولما احسّ الملك لاون ابن ملك الارمن سيّر الى امراء المغول الذين في بلد الروم وعرّفهم ذلك وحذّرهم . واما بروانة فانه بوجهين كان يكذّب ملك الارمن في هذا قولهُ الاول انه كان يختار ورود البندقدار اذ له معه وعد . والثاني لانه كان يبغض ملك الارمن وكان يختار ان يزيّف قوله . ولما ان الامراء المغول اهملوا الامر اذ هاجمهم المصريون وهم سكارى فلم يلحق احدهم ان يركب فرسه . وان الياسا الذي لهم انهم لا يهربون قبل ان يلتقوا العدوّ. ولما التقوا وقعت الكسرة فيهم وقتل جميع اكابر المغول احدهم طوغو والآخر توذان بهادر. وكان مع المغول ثلثة الف كرج فوقفوا وبذلوا المجهود فقتل منهم الفان وتخلف الف واحد . وقُتل ايضاً من عسكر المصريّين خلق كثير . ولما حقّق بروانة كسرة المغول هرب وتحصّن في بعض القلاع .واما البندقدار فانه نزل عند القيسارية في موضع سمّي كيقوباد وبقي هناك خمسة عشريوماً ودخل الى القيسارية مرّة واحدة ولم يدنُ منه لاحد من الرعايا شرٌّ ولا كلّفهم شيئاً اصلاً وانما جميع ما يحتاجون اليه كانوا يشترونه مشترًى. وكان يقول : اني ما جئت الى ههنا لأخرب البلد لكن لافكّ صاحبه من الاسر . واما اباقا ايلخان فحين وصلت اليه الاخبار بذلك غضب غضباً شديداً وجمع العساكر

١ – القزويني ر النقجواني .
٢ – طليب ر الطبيب .

وقصد بنفسه الروم . ولما عرف البندقدار انه لا يمكنه مقاومته رحل عن بلد الروم وتوجه الى الشام . ولما وصل اباقا الى بلد الروم لم يجد احداً من المصريّين وفي الحال نزل البروانة اليه ولم يُرِهِ اباقا شيئاً من الغضب وانما احسن اليه واكرمه واخذه صحبته الى الطاق لما عاد حيث يستشيره كم يقدّر ان يكون في الروم عسكر يقاوم المصريّين . وعمل دعوة عظيمة وسقاه من لبن الخيل شيئاً كثيراً لانه ما كان يشرب خمراً . وفيما هو قد خرج البروانة ليريق ماءه اشار اباقا الى اناس من حوله ليقتلوه فقتلوه وقطعوه قطعاً قطعاً وكان ذلك في ثاني يوم من شهر آب لتلك السنة . واما البندقدار فلما قرب من حمص ادركه اجله ومات يقولون اصابه في الحرب مع المغول نشابة في وركه ولم يمكن اخراج النصل منه وبقي اياماً كثيرة ولما اذن للجرائحي ان يخرجه وجاهد في اخراجه مع خروج النصل فارق الدنيا . وآخرون قالوا ان اناساً من جماعته سقوه في لبن الخيل سمّاً ولما احسّ عاد سقى لمن اسقاه منه فماتا اثناهما .

وفي سنة تسع وسبعين وستمائة لما قام الالفي ليتملك على الديار المصرية والشام لم يوافق في ذلك سنقر الاشقر . ولما تمكن الالفي وقوي جانبه هرب منه سنقر الاشقر ووصل الى الرحبة واتفق هو وامير بدويّ اسمه عيسى بن مهنا وسيّرا رسولاً الى اباقا ايلخان يستدعيانه ليركب الى الشام ويسلّما اليه البلاد الشامية والديار المصرية . ولما وصلت عساكر المغول الى الشام خاف سنقر الاشقر منهم على نفسه ولم يلتق بهم بل هرب وتحصن في قلعة صهيون . فوصل المغول الى حلب واي موضع صادفوه خربوه . وكان وصولهم الى الشام في وقت الشتاء من سنة ثمانين وستمائة وكان مقدّمهم قونغرتاي اخو اباقا الصغير وعاد المغول الى البلاد . وفي سنة احدى وثمانين وستمائة دخل المغول الى الشام في خمسين الفاً وفي رأسهم مونكاتمور الاخ الاصغر لاباقا واخذوا معهم ملك الارمن بعساكره . واجتمع عسكر الشام وفي رأسهم الالفي وسنقر الاشقر فانهما اصطلحا في ذلك الوقت على محاربة المغول . والتقى العسكران بين حماة وحمص في يوم الخميس سلخ تشرين الاول لتلك السنة وقوي جانب المغول على جانب الشاميّين . ولما قاربوا لينتصروا عليهم نصرة ويهزموهم اذ خرج على المغول كمين العرب من بني تغلب من ميسرتهم فتوهّم المغول ان عساكر كثيرةً قد احاطت بهم من قدّامهم ومن خلفهم ولم يلحق الهربَ[١] اصحاب الميسرة مع اهل القلب . واصحابُ الميمنة وفيهم ملك الارمن

١ – يريد انهم انهزموا ولكن لم يفوزوا بالنجاة في هزيمتهم ويؤكد هذا المعنى قول ابي الفداء ونصه: « وانزل الله نصرته على القلب والميمنة فهزموا من كان قبالتهم من التتر وركبوا قفاهم يقتلونهم » .

مع خمسة آلاف كرج لم يشعروا بالكمين وانما كسروا المصريّين الذين في مقابلتهم وساقوا خلفهم الى باب مدينة حمص وقتلوا فيهم خلقاً كثيراً ولم يزالوا الى ان وصل اليهم الخبر بهرب اصحابهم . فعند ذلك رجعوا وفي الرجعة صادفوا جماعة من عسكر المصريّين الذين ساقوا خلف اصحابهم الهاربين وعاد بينهم القتال وقُتل من الجانبين خلق كثير . ورجعوا وقد حملوا شيئاً كثيراً من الاموال والخيل والسلاح الذي نهبوا . ولما وصل مونكاتمور الى الجزيرة وهو قد خرج يومئذ من الحمّام عملوا سرّاً مع بعض الشرابداريّة وسقوه سمّاً. ولما احسّ بتغيُّر مزاجه توجّه نحو نصيبين وقضى نحبه . واما اهل الجزيرة فانهم لما شعروا بذلك ادركهم الخوف العظيم ولزموا للصفيّ القرقوبيّ وكتفوه وداروا به في اسواق الجزيرة ثم قتلوه .

واما اباقا ايلخان فانه توجه نحو بغداد ومنها الى همذان . وفي يوم عيد النصارى الكبير لتلك السنة دخل الى البيعة في تلك المدينة وعيّد مع النصارى . ويوم الاثنين ثاني العيد عمل له شخص فارسي اسمه بهنام دعوة عظيمة في داره . وليلة الثلثاء تغيّر مزاجه وصار يرى خيالات في الهواء . ويوم الاربعاء وهو اوّل يوم من نيسان لتلك السنة وهو العشرون في ذي القعدة انتقل من هذا العالم . ومونكاتمور انتقل يوم الاحد سادس عشر المحرّم في بلد الجزيرة .

(السلطان احمد) ولما توفي اباقا ايلخان اجتمع الاولاد والامراء وحصل الاتفاق بينهم ان احمد بن هولاكو من قوتاي خاتون يصلح للتدبير والمملكة وانه مستحقّ لهذا الملك وهو اولى به والطريق له بعد اباقا . ولما جلس على كرسي المملكة يوم الاحد الحادي والعشرين من حزيران لتلك السنة سنة احدى وثمانين وستمائة وعنده الكفاية والدراية والكرم أخرج من الخزائن والاموال شيئاً كثيراً وقسم على الاولاد والامراء والعساكر واظهر الاحسان والشفقة الى جميع المغول والى الامم الباقية وخصوصاً الى اكابر النصارى . وارسل الرسل الى سلطان مصر بسبب الصلح وكتب اليه رسالة هذه نسختها: بقوة الله تعالى باقبال قاان فرمان احمد. اما بعدُ فان الله تعالى بسابق عنايته وبنور هدايته قد كان ارشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة الى الاقرار بربوبيّته والاعتراف بوحدانيّته . والشهادة لمحمد عليه افضل الصلاة والسلام بصدق نبوّته . وحسن الاعتقاد في اوليائه الصالحين من عباده في بريّته . فمن يُرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام. فلم نزل نميل الى اعلاء كلمة الدين . واصلاح امور الاسلام والمسلمين. الى ان افضى بعد ابينا الجيِّد واخينا الكبير نوبة الملك الينا فأفاض علينا من جلابيب ألطافه ولطائفه.

ما تحقق به آمالنا في جزيل آلائه وعوارفه . وجلا هذه المملكة علينا . واهدى عقيلتها الينا . فاجتمع عندنا في قوريلتاي المبارك وهو المجمع الذي ينقدح فيه آراء جميع الاخوان والاخوة والاولاد والامراء الكبار ومقدّمي العساكر وزعماء البلاد واتفقت كلمتهم على ان ينفذ ما سبق به حكم اخينا الكبير في انفاذ الجمّ الغفير من عساكرنا التي ضاقت الارض برحبها من كثرتهم وامتلأت القلوب رعباً لعظم صولتهم وشديد بطشهم الى تلك الجهة بهمّة تخضع لها شمّ الاطواد . وعزيمة تلين لها الصمّ الصلاد . ففكرنا فيما مُخِضت زبدة عزائمهم عنه واجتمعت اهواؤُهم وآراؤهم عليه فوجدناه مخالفاً لما كان في ضميرنا من انشاء الخير العامّ .الذي يقوم بقوّته شعار الاسلام . وان لا يصدر عن اوامرنا ما امكننا الاّ ما يوجب حقن الدماء . وتسكين الدهماء . ويجري به في الاقطار رخاء نسائم الامن والامان . ويستريح المسلمون في سائر الامصار في مهاد الشفقة والاحسان . تعظيماً لامر الله وشفقةً على خلق الله . فألهمنا الله اطفاء تلك النائرة . وتسكين الفتن الثائرة . وإعلام مَن اشار بذلك الرأي ما ارشدنا الله اليه من تقديم ما يُرجى به شفاء العالم من الادواء . وتأخير ما يجب ان يكون آخر الدواء . واننا لا نحبّ المسارعة الى هزّ النصال للنضال الاّ بعد ايضاح المحجة . ولا نأذن لها الاّ بعد تبيين الحقّ وتركيب الحجّة . وقوّى عزمنا على ما رأيناه من دواعي الصلاح . وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه الاصلاح . اذكار شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن فهو نِعم العون في امور الدين . فأصدرناه رحمة من الله لمن دعاه. ونقمة على من اعرض عنه وعصاه . وأنفذنا اقضى القضاة قطب الدين والاتابك بهاء الدين وهما من ثقات هذه الدولة القاهرة ليعرّفاهم طريقتنا . ويتحقق عندهم ما ينطوي عليه لعموم المسلمين جميل سنّتنا . وبيّنّا لهم اننا من الله على بصيرة وان الاسلام يجبّ ما قبله . وانه تعالى القى في قلبنا ان نتبع الحقّ واهله. ويشاهدون عظيم نِعَم الله على الكافة بما دعانا اليه من تقديم اسباب الاحسان. ولا يُحرَموها بالنظر الى سالف الاحوال . وكل يوم هو في شان . فان تطلّعت نفوسهم الى دليل يستحكم به دواعي الاعتماد . وحجّة يثقون بها من بلوغ المراد . فليُنظر الى ما قد ظهر من مآثرنا مما اشتهر خبره وعمّ اثره [1] . فانّا ابتدأنا بتوفيق الله تعالى باعلاء أعلام الدين واظهاره في ايراد كل امر واصداره تقديماً . واقامة نواميس الشرع المحمديّ على قانون العدل الاحمديّ اجلالاً وتعظيماً . وادخلنا السرور على قلوب الجمهور وعفونا عن كل من اخترع سيّئة واقترف . وقابلناه بالصفح

١ – ويروى: خيره واثره .

وقلنا عفا الله عمّاً سلف . وتقدمنا باصلاح امور اوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس . وعمارة بقاع البرّ والرُبُط الدوارس . وايصال حاصلها بموجب عوائدها القديمة الى مستحقها بشروطِ واقفها . ومنعنا ان يُلتمس شيءٌ مما استُحدث عليها وان لا يغيّر احد شيئاً مما قُرّر [١] اولاً فيها . وامرنا بتعظيم امر الحجّ وتجهيز وفدها وتأسيس سبيلها وتسيير قوافلها . وأطلقنا سبيل التجار والمتردّدين الى البلاد وليسافروا بحسب اختيارهم على احسن قواعدهم . وحرمنا على العساكر والشحاني في الاطراف التعرّض لهم في مصادرهم ومواردهم. وقد كان صادف قراغولنا جاسوساً في زيّ الفقراء كان سبيل مثله ان يهلك فلم نرَ اهراق دمه صيانة لحرمة ما حرّمه الله تعالى وانفذناه اليهم . ولا يخفى عليهم ما كان في انفاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين . فان عساكرنا طال ما رأوهم في زيّ الفقراء والنسّاك واهل الصلاح فساءت ظنونهم في تلك الطوائف فقتلوا منهم من قتلوا . وفعلوا بهم ما فعلوا. ورُفعت الحاجة بحمد الله تعالى الى ذلك بما صدر اذننا به من فتح الطريق وتردُّد التجّار وغيرهم . فاذا امعنوا الفكر في هذه الامور وامثالها فلا يخفى عنهم انها اخلاق جُبُلّيّة طبيعية وعن شوائب التكلُّف والتصنّع عريّة . واذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي النفرة التي كانت موجبة للمخالفة . فانها ان كانت بطريق الدين . والذبّ عن حوزة المسلمين . فقد ظهر بفضل الله ويمن دولتنا النور المبين . وان كان لما سبق من الاسباب . فمن يجري الآن طريق الصواب . فان له عندنا الزُلفى وحسن مآب . وقد رفعنا الحجاب بفصل الخطاب وعرّفناكم ما عزمنا عليه من نيّة خالصة لله تعالى وأتينا باستيفائها [٢] . وحرّمنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها . ليرضى الله والرسول . وتلوح على صفائحها آثار الاقبال والقبول . وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الامّة . وتنجلي بنور الائتلاف واللمّة ظلمة الاختلاف والغمّة . فيسكن في سابغ ظلّها البوادي والحواضر . وتقوى القلوب التي بلغت من الجهد الى الحناجر . ويُعفى عن سائر الهفوات والجرائر . فان وفّق الله تعالى سلطان مصر لما فيه صلاح العالم. وانتظام امور بني آدم . فقد وجب عليه التمسّك بالعروة الوثقى. وسلوك الطريقة المثلى . بفتح ابواب الطاعة والاتحاد [٣] . وبذل الاخلاص بحيث تُعمر تلك الممالك والبلاد . وتسكن الفتن الثائرة . وتُغمد السيوف

١ – ويروى: قدّر.

٢ – ويروى: استئنافاً . ولعل الصواب باستئنافها .

٣ – وفي نسخة: والايجاد .

الباترة. وتحلّ الكافّة ارض الهوينا وروض الهدون . وتخلص ارقاب المسلمين من اغلال[١] الذلّ والهون . وان غلب سوء الظنّ بما تفضّل به واهب الرحمة . ومُنع عن معرفة قدر هذه النعمة . شكرَ الله مساعينا وأبلى عذرنا[٢] وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولاً . والله الموفّق للرشاد والسداد . وهو المهيمن على جميع البلاد والعباد . وحسبنا الله وحده . وكُتب في اواسط جمادى الاولى سنة احدى[٣] وثمانين وستمائة بمقام الطاق .

ثم ان ملك مصر كتب الى السلطان احمد جواب هذه الرسالة : من سلطان مصر سيف الدين ابي مظفر قلاوون . اما بعد حمد الله الذي اوضح لنا نبأ[٤] الحق منهاجاً . وجاء بنا فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله افواجاً . والصلاة على سيّدنا ونبيّنا محمد الذي فضله على كل شيءُ نُجي أسّه وكل نبيّ ناجي. وعلى آله وصحبه صلاة تُثير ما دحي وتنير من داجي[٥] . والرضى عن الامام الحاكم بأمر الله امير المؤمنين وسليل الخلفاء المهتدين[٦] . وابن عمّ سيّد المرسلين الخليفة الذي تتمسّك ببيعته اهل هذا الدين . انه ورد الكتاب الكريم . الملتقى بالتكريم . والمشتمل على النبإ العظيم . من دخوله في الدين . وخروجه عمّن خالف من العشيرة والاقربين . ولما فُتح هذا الكتاب فاتحَ بهذا الخبر المعلم . والحديث الذي صحّ[٧] عند اهل الاسلام اسلامه واصحُّ الحديث ما روي عن مسلم . وتوجهت الوجوه بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى في ان يثبته على ذلك بالقول والعمل الثابت . وان ينبت حَبّ حُبّ هذا الدين في قلبه كما انبته في احسن المنابت . وحصل التأمل للفضل المبتدإ بذكره من حديث اخلاصه النيّة في اوّل العمر وعنفوان الصبا والاقرار بالوحدانية . ودخوله في الملّة المحمديّة بالقول والعمل والنية . والحمد لله على ان شرح صدره للاسلام . وألهمه شريف هذا الالهام . فحمدنا الله على ان يجعلنا[٨] من السابقين الاولين الى هذا والمقال المقام . ويثبت اقدامنا في كل موقف اجتهاد[٩] وجهاد تتزلزل دونه الاقدام. واما افضاءُ النوبة في الملك

---

١ – ويروى : انحلال .
٢ – ويروى : فيعفو الله عن مساعينا واتلى عذرنا .
٣ – ويروى : اثنتين .
٤ – ويروى : لنا وبنا .
٥ – وفي رواية : الذي فضّله الله على كل شيء نجا.وعلى اهله وصحبه صلاة تشير (والصواب : تنير) ما دجا .
٦ – ويروى : المهيدين تصحيف المهديين .
٧ – ويروى : بهذا الخبر المعلم العلم والحديث الذي صحح عند اهل الاسلام اسلامه وتوجهت الخ .
٨ – ويروى : جعلنا .
٩ – ويروى : فاجتهاد.

وميراثه بعد والده واخيه الكبير اليه . وافاضة هذه المواهب العظيمة عليه . وتوقّله الاسرّة التي طهـرّها[١] ايمانه واظهرها سلطانــه فقد اورثه الله مَن اصطفاه من عباده[٢] . وصدق المبشرات له من كرامة اوليائه وعبّاده . واما حكاية اجتماع الاخوان والاولاد والامراء الكبار في قوريلتاي الذي ينقدح فيه زند الآراء وان كلمتهم اتفقت على ما سبق به حكم اخيه الكبير في انفاذ العساكر الى هذا الجانب وانه فكّر فيما اجتمعت عليه آراؤهم وانتهت اليه اهواؤهم فوجده مخالفاً لما في ضميره اذ قصده الصلاح ودأبه[٣] الاصلاح. وانه اطفأ تلك النائرة . وسكّن تلك الثائرة . فهذا فعل الملك التقيّ المُشفق على قومه . ومَن ينفي الفكر في العواقب . بالرأي الثاقب . وإلاّ فلو تركوا آراءهم حتى يحملهم الهوى لكانت تكون هذه الكرّة هي الكرّة[٤] . لكن هو كمنْ خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى . ولم يوافق قول من ضلّ ولا فعلَ مَن غوى . واما القول انه لا يحبّ المسارعة للمقارعة الاّ بعد ايضاح المحجّة وتركيب الحجّة . فانتظامه[٥] في سلك[٦] الايمان صارت حجّتنا وحجّته المتركبة على من عدت طواغيه عن سلوك هذه المحجة مُسكتة . وان الله سبحانه والناس كافة قد علموا ان قيامنا انما هو لنصر هذه الملّة وجهادنا واجتهادنا انما هو لله . وحيث قد دخل معنا في الدين هذا الدخول . فقد ذهبت الاحقاد وزالت الذحول . وبارتفاع المنافرة . تحصل المناصرة . فالايمان كالبنيان يُشدّ[٧] بعضه من بعض . ومن اقام مناره فله اهل بأهل في كل مكان وجيران بجيران في كل ارض . واما تركيب هذه الفوائد الجمّة على اذكار شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن اعاد الله من بركاته فلم يرَ وليّ من قبل كرامة كهذه الكرامــة . والرجاء ببركة الصالحين ان تصبح كل داو للاسلام دار اقامة[٨] حتى تتمّ شرائط الايمان . ويعود شمل الاسلام كاحسن ما كان . ولا ينكر بمن بكرامته ابتدأ هذا التمكن في الوجود . ان كل حقّ ببركته الى مصابه[٩] يعود . واما انفاذ

---

١ — ويروى: ظهرها .
٢ — ويروى: اورثه الله من عباده ومصطفيه وصدق الخ .
٣ — ويروى: آدابه .
٤ — ويروى: «الفكرة» . ولا وجه لها .
٥ — كذا في نسختين ولعل الصواب: فبانتظامه .
٦ — ويروى: مسلك .
٧ — ويروى: يشيد .
٨ — ويروى: داراً قائمة .
٩ — ويروى: اذ كان كل حق ببركته الى قضائه يعود . ولعل الصواب « الى نصابه » اي اصله .

اقضى القضاة قطب الدين والاتابك شهاب الدين [١] الموثوق بنقلهما في ابداع رسائل هذه البلاغة . فقد حضرا واعادا كل قول حسن من حوال احواله وخطرات خاطره ومناظرات منظره . ومن كل ما يُشكر ويُحمد . ويفيض حديثهما فيه عن مسند احمد . واما الاشارة الى ان النفوس كانت تتطلع الى اقامة دليل تُستحكم بسببه دواعي الامر ومصادره من العدل والاحسان . بالقلب واللسان . والتقدّم باصلاح الاوقاف فهذه صفات من يريـــد لملكه دواماً . فلما ملكَ عدلَ . ولم يلتفت الى لوم مَن عذل [٢] . على انها لو كانت من الافعال الحسنة . والمثوبات التي تستنطق بالدعاء الالسنة . فهي واجبات كليّة تؤدّى وهي اكبر من انه يأجُر اجر [٣] غيره يفتخر او عليه يقتصر او له يدّخر . وانما يفتخر الملك العظيم بان يعطي ممالك واقاليم وحصوناً [٤] . وان يبذل في تشييد ملكه عن مصون . واما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحاني بالاطراف التعرّض الى احد بالاذى . واصفاء موارد الواردين والصادرين من شوائب القذى . فمن حين بلغنا تقدّمه بذلك تقدّمنا [٥] مثله ايضاً الى سائر النوّاب بالرحبة والبيرة وحلب وعين تاب وتقدّمنا الى مقدّمي العساكر باطراف تلك الممالك بمثل ذلك . واذا اتخذ الامان وانعقد الايمان بختم هذه الاحكام ترتّبت عليـــه جميع الحكّام [٦] . واما الجاسوس الفقير الذي أمسك ثم أطلق وان بسبب من يتزيّاً من الجواسيس بزيّ الفقراء قُتلت جماعة من الفقراء الصلحاء رجماً بالظن فهذا باب من تلك الابواب [٧] كان فتحه . وزند منه كان قدحه . وكم متزيٍّ بالفقر من ذلك الجانب سيّروه . والى الاطّلاع على الامور سوّروه . وظفر النوّاب منهم بجماعة فرُفع عنهم السيف . ولم يكشف ما غطّته خرقة الفقر [٨] بِلِمَ ولا كيف . واما الاشارة الى ان في اتفاق [٩]

١ – وفي رواية: والاتابك وشهاب الدين . ولعلها الرواية الصحيحة لانه قد مر في الصفحة (٢٩٠) ان اسم الاتابك بهاء الدين .

٢ – ويروى: الى لوم من عدا ولا من عذل .

٣ – وفي نسخة: ياخر اخر . ويروى: وهو اكبر من انه ياجر اجراً غيره ويفتخروا عليه وانما يفتخر الخ . ولعل الصوب: ياجر اجراً غيره به يفتخر او عليه يقتصر الخ .

٤ – لفظة «حصون» توجد في نسخة باريز فقط .

٥ – ويروى: قدمنا .

٦ – ويروى: اذا اتحد الايمان وانعقد تختم هذه الاحكام وترتبت (ويروى: وترتيب) عليه جميع الاحكام . وروايتنا احسن .

٧ – وفي نسخة: من ذلك الجانب .

٨ – ويروى: حرفة الفقير . والرواية التي اثبتناها افصح .

٩ – ويروى: شفاق . ويروى: نفاق . وكلا الروايتين تصحيف .

الكلمة يكون صلاح العالم . وينتظم شمل بني آدم . فلا ريب لمن طرق باب الاتحاد ومن جنح السلم فما حاد[١] . ومن ثنى عنانه عن المكافحة . كمن مدّ يد المصالحة للمصافحة . والصلح وان كان سيّد الاحكام فلا بدّ من امور تُبنى عليها قواعده . ويُعلم من مدلولها فوائده . فان الامور المسطورة في كتابه كليّاتٌ لازمة يُفهم[٢] بها كل معنى ويُعلم ان يتهيأ صلح او لَمْ[٣] . وَثمّ امور لا بدّ وان يحكم في سلكها عقوداً لعهود تنظم قد يحملها لسان المشافهة التي اذا افردت اقبلت ان شاء الله عليها النفوس . واحرزتها[٤] صدور الرسلِ كأحسن ما تُحرزه سطور الطروس . واما الاستشهاد بقوله تعالى : وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً . فما على السبق من الودّ بنسج ولا على السبيل بنهج[٥] . بل الفضل لمن تقدّم . في الدين حقوق تُرعى . وافادات تُستدعى . وعند الانتهاء الى جواب ما لعلّه يجب عنه[٦] الجواب من فصول الكتاب . وسمعنا المشافهة التي على لسان اقضى القضاة قطب الملّة والدين . وانتظام عقده بسلك المؤمنين . وما بسطه من عدلٍ واحسان. وسيرة مشكورة يكلُّ عن وصفها اللسان . فقد انزل الله على رسوله في حقّ مَن امتنّ باسلامه : قُل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان . ومن المشافهة انه قد اعطاه الله من العطايا ما اغناه عن امتداد الطرف الى ما في يد غيره من ارض وماء . فان حصلَت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالامر حاصل . فالجواب ان ثَمّ اموراً متى حصلت عليها الموافقة . تمّت المصادقة . ورأى الله تعالى والناس كيف يكون مصافينا . واذلال معارفينا عند تصافينا[٧] . وكم من صاحب وجـد حيث لا يوجد[٨] الاب والاخ والقرابة . وما تمّ امر الدين المحمديّ واستحكم في صدور الاسلام الاّ بمظاهرة اصحابه[٩] . فان كانت

١ – وفي نسخة باريز : فالاراد لمن طرق باب الايجاب ومن جنح السلم فما حاد ولا جاد . ولا معنى للروايتين . ونظن انه يلزم تصحيح العبارة كما يأتي: فلا ريب ان من طرق باب الاتحاد . كمن جنح للسلم فما حاد .

٢ – ويروى: ينعم . وهو تصحيف .

٣ – ويروى: الم .

٤ – وفي نسخة باريز : افرزتها . ويروى: احررتها وتحرره . وكلا الروايتين تصحيف .

٥ – ويروى: « فما على السيف الود بنسخ » . فلا ريب ان كلمة «نسخ» مصحفة . ولعل الرواية الصحيحة هي: فما على السبق (او السيف) الود ينسج . ولا على السبيل ينهج .

٦ – ويروى: ما لعلة . ويروى: «عنها» بدل عنه .

٧ – وفي نسخة باريز : كيف تكون مضافينا واذلال معالينا واعزاز مصافينا . ولعل القراءة الصحيحة هي: كيف يكون تصافينا واذلال معادينا (او معالينا) واعزاز مصافينا .

٨ – لفظة «يوجد» ناقصة في نسخة باريز .

٩ – وفي النسخة نفسها يروى: بظاهره الصحابة . ونظن الصواب « بمظاهرة الصحابة » .

له رغبة مصروفة الى الاتحاد . وحسن الوداد . وجميل الاعتقاد . وكبْت الاعداء والاضداد . والاستناد الى مَن يشتدّ به الازرعن [١] الاستناد . فقد فهمَ المراد . ومن المشافهة اذ [٢] كانت عزيمتنـــا غير ممتدّة الى ما في يده من ارض وماء فلا حاجة الى انفاذ المفترين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود . فالجواب لو كفّ كفّ العدوان من هنالك . وخلا للملوك المسلمين ما لهم من ممالك . سكنت الدهماء . وحُقنت الدماء . وما حقّه ان ينهى عن خُلق ويأتي بمثله . ولا يأمر بشيء وينسى فعله . وقونغرتاي [٣] بالروم الآن وهي بلاد في ايديكم . وخراجها يجبى [٤] اليكم . قد سفك فيها الدماء وقتل وسبى وهتك وباع الاحرار . وأبى الاّ التمادي على ذلك الاضرار [٥] . ومن المشافهة انه حصل التصميم على ان يبطل [٦] هذه الاغارات . ولا يفتر عن هـــذه الاثارات [٧] . فيعيّن مكاناً يكون فيه اللقاء . ويعطي الله النصر لمن يشاء . فالجواب عن ذلك الآن الاماكن التي اتفق فيها ملتقى الجمعَين مرّة ومرّة قد عاف [٨] مواردها من سلم من اولئك القوم . وخاف ان لا يعاودها [٩] فيغادره مصرع ذلك اليوم . ووقت اللقاء علمه عند الله لا يقدّر . وما النصر الاّ من عنـــد الله لمن اقدر لا لمن قدّر [١٠] . وما نحن ممن ينتظر فلتة . ولا له الى غير ذلك لفتة [١١] . وما امر ساعة النصر الاّ كالساعة التي لا تأتي الاّ بغتة . والله الموفّق لما فيه صلاح هذه الامّة . والقادر على اتمام كل خير ونعمة . ان شاء الله تعالى . كُتب في مستهلّ شهر رمضان المعظم سنة احدى [١٢] وثمانين وستمائة .

---

١ – كذا في الاصل . ولعل الصواب : عند الاستناد . او : عند الاشتداد . وفي نسخة باريز : الى من يستند به الازر . والاصح يستد . وروايتنا احسن .

٢ – ويروى : اذا .

٣ – وتروى العبارة في نسخة باريز هكذا : وقد تغزينا بالروم الآن وقوتغرناي وهي بلاد الخ . ونسختنا احسن . ويروى : قوتغرناي وقرتغزناي وقوتغزناي . وكله تصحيف .

٤ – ويروى : يجيء .

٥ – ويروى في النسخة المشار اليها : الاصرار . وهو تصحيف .

٦ – ويروى : انه ان حصل التصميم على ان يبطل . ولعل الصواب : انه ان حصل التصميم على ان لا يبطل الخ . وهذه القراءة يطلبها سياق المعنى .

٧ – ويروى : الاشارات . وهو تصحيف .

٨ – وفي نسخة باريز : عاد . وهو تصحيف .

٩ – ونظن الصواب : وخاف ان يعاودها فيغادره .

١٠ – وفي نسخة باريز : علمه عند الله لمن اقدر لا لمن اقدر .

١١ – وفي النسخة نفسها يروى : «علته» بدل فلتة «ولغته» بدل لفتة . وهذه الرواية مصحفة .

١٢ – ويروى : اثنتين .

وفي هذا التاريخ نُقل الى السلطان احمد ان اخاه قونغرتاي له كلام مع ارغون ابن اباقا وانهم يريدون قتله فخاف وسارع الى قونغرتاي وقتله [١] . ولما بلغ الخبر الى ارغون بقتل عمّه حزن لذلك وصعب عليه واظهر تغيير قلبه على احمد [٢] . فلما شعر احمد بتغيير قلب ارغون عليه سيَّر عسكراً عظيماً وكبيرهم امير من المغول اسمه ايناخ فتوجهوا اليه وهو بخراسان [٣] . فلما وصل العسكر اليه انهزم ارغون من قدّامه . فأهمل ايناخ امره واشتغل بالاكل والشرب والسكر . وفي بعض الليالي هجم ارغون على عسكر ايناخ وبعض العسكر معه . ولما سمع السلطان احمد بذلك غضب وانزعج عظيماً ثم سيَّر الى جميع البلاد وجمع العساكر العظيمة وقصد ارغون . فلما رأى ارغون انه عاجز عن مقاومته صعد الى حصن هناك ومعه ثلثمائة نفر من الفرسان البهادورية اتباعه وتحصّن هناك من غير ان يحبس نفسه في مكان لكنه منتقل من موضع الى موضع لانه كان يفكر بقوله: كل محاصَر مأخوذ ولم تطعه نفسه بالرجوع الى طاعة السلطان احمد . فبينما هو في هذه الافكار وامير واحد [٤] من امراء ابيه اباقا كان محبوباً عند والده اسمه بوغا تقدَّم الى السلطان احمد قائلاً له: ان اعطيتني عهداً بأن لا تؤذي ارغون ولا يدنّيه السوء فاني امضي اليه واحضره بين يديك . فسمع كلامه واستصوب مشورته ووقع الاتفاق على هذا . وحينئذ صعد بوغا في الحال الى ارغون وخاطبه وجاء به الى احمد وفرح السلطان احمد بذلك وعمل الدعوات والافراح ثلاثة ايام . وفي اليوم الثالث تغيَّر قلب السلطان احمد على ارغون وجالت الافكار في خاطره طالباً قتله . فدعى الامير ايناخ وجماعة اخرى معه ووكل على ارغون واوصاهم على الاحتياط به لئلاّ يهرب وانه [٥] متوجّه الى بلاد اذربيجان الى امّه قوتاي خاتون وامرهم ان يصحبوه اليه . ولما جاء الليل عزم على الرحيل وكشف سرَّه الى بعض الاكابر حيث يقول: ان لم

١ — وفي نسخة باريز : يرومون قتله . فخاف واضطرب وسارع الى لزم اخاه قوتغزناي (قونغرتاي) وقتله.

٢ — ويروى: وتغير قلبه على السلطان احمد .

٣ — وفي نسخة اختلاف في ما يلي لفظة خراسان وهاك النص بحروفه: ولما علم ارغون بقدوم العسكر اليه كبسهم على غفلة وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم اينخا (ايناخ) والبعض من عسكره . ولما علم السلطان احمد بذلك غضب غضباً عظيماً وجمع العساكر الكثيرة وقصد ارغون بنفسه . فتحصن ارغون في حصن كان هناك ومعه ثلاثمائة نفر من الفرسان . فارسل اليه السلطان احمد الامام (الامان) وحلف له ان لا يؤذيه . فأمن ارغون وسلم الى السلطان احمد وبقي ثلاث (ثلاثة) ايام في الافراح ثم تغير قلب السلطان الخ.

٤ — في الاصل: واميراً واحداً .

٥ — ويروى: واظهر انه متوجه .

اهلك ارغون وسائر الاولاد لم استرح ولا تنتظم السلطنة لي . وعند الصباح رحل واوصى ان يصحبوا اليه ارغون قليلاً قليلاً . فاما الامير بوغا فلما تحقّق هذا الامر وعرف ما في ضمير احمد ما تبعه وابطأ معتاقاً الى الليل . وفي الليل دار على جميع الاولاد وعرّفهم ضمير احمد وما قد عوّل عليه ان يفعله بهم . فاخذتهم الغيرة ونهضوا في تلك الليلة باجمعهم وقصدوا ارغون مكاناً كان موكل عليه واخرجوه والبسوه السلاح واركبوه الفرس وركبوا جميعهم في خدمته الى الموضع الذي كان فيه اليناخ وهجموا عليه ودخلوا قتلوه وقتلوا معه جميع الاكابر اصحابه في الخيمة ونادوا في العسكر انّ ابناء الملوك قد قتلوا اليناخ واصحابه فكل من هو في موضع يلزم مكانه ولا يتحرّك ولا يخف . وعند الصباح سيّروا في طلب عسكر ارغون احضروهم وركبوا في جمع عظيم وساقوا في اعقاب احمد وادركوه عند امّه فلزموه وكتفوه واستحفظوا به ونهبوا الاردو الذي له جميعها . ولما وصل ارغون وجماعة الاولاد اتفقوا على ان يملكوا عليهم ارغون ويكون الملك له موضع والده اباقا واحمد ينعزل لانه ما يصلح ان يدبّرهم . وانتهت سلطنة احمد الى هذه الحالة وذلك يوم الاربعاء حادي عشر من جمادى الاولى سنة ثلث وثمانين وستمائة .

(ارغون ايلخان) ولما جلس ارغون على كرسي المملكة اتّفق الاكثرون من امراء المغول واكابرهم ان يقتلوا احمد . فكان يقول ارغون : لا اوافق على قتله بل امّ قونغرتاي واولادها هم يعرفون به والذي يختارون ان يفعلوا به فليفعلوا . حينئذ بقي تحت التوكّل اياماً وبعد ذلك قتله اولاد قونغرتاي وانتقموا منه واخذوا دم والدهم . وكان ذلك يوم الاربعاء ثاني جمادى الآخرة . ثم ان ارغون لما استقام له الامر [1] رتّب كل واحد من الاولاد في رأس عسكر من عساكر مملكته . ثم قيل لارغون ان صاحب الديوان هو قتل اباقا والدك بسمٍّ سقاه . ولما كان يسيّر يطلبه من السلطان احمد فما كان يسمح له به ولا كان يسلّمه اليه . فتحقق ارغون ان احمد اختار موت والده . فلما استقرّ ارغون في الملك هرب شمس الدين صاحب الديوان الى الجبال التي في الاهواز [2] واحتمى بطائفة من الاكراد يسمّون باللور وكان كبيرهم شخص اسمه يوسف شاه . ولما وصل الى طاعة ارغون قبله قبولاً حسناً واكرمه لانه قبل عليه ان يلزم صاحب الديوان ويحمله الى عبوديته . وفعل ذلك ولزمه وحمله الى ارغون . ولما قدم قدّم اموالاً كثيرة نحو مائة

---

١ – ويروى : الملك .

٢ – وفي نسخة « التي في الاهواز اعني الجبال التي بين الاهواز وبين العجم » .

تومانٍ من ذهب. ثم انهم عرضوا عليه ان يشتري نفسه بحيث لا يُهرَق دمه فطلب المهلة ليبيع املاكه وما تخلّف له ويقرض ويوصل ذلك . حينئذٍ حصّل بطريق القرض من اصحابه واهله وانسبائه واحبائه واصدقائه قريباً من اربعين توماناً آخر من الذهب وقال : هذا الذي قد حصل ولا يمكن ان يحصل غيره فانتم الذي تختارون فعله فافعلوه . فبرز الامر من الملك ارغون بقتله وقُتل يوم الثلثاء خامس شهر شعبان لهذه السنة وافق ذلك سابع[1] شهر تشرين الاول سنة ستّ وتسعين وخمسمائة والف للاسكندر . وكانت هذه آخرة مثل ذلك الرجل العظيم الهيوب الحكيم الذي كانت الدولة بأسرها معلقة بخنصره . وكان عنده العقل والخبرة وكان كاملاً بجميع السياسات والتدابير والتواضع الحسن . ويقولون عنه انه ما سبقه احد بالسلام بل هو كان يبتدئ مَن تقدَّم اليه .

١ – سابع س سابع عشر .

فهرس

لأعلام الناس والامكنة وما سواها

(تنبيه) ١– ان النجمة * تدل على لزوم طلب الكلمة في اللفظ الذي يليها

٢– قد رأينا ان نفرد اسماء القلاع والحصون والانهار والكتب فمن أراد شيئاً من ذلك فعليه ان يراجعه هناك

ت

ث

خ

د

ذ

ر

ز

ص

غ

ف

ق

ك

ل

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب

